



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

التتـاـص في ديوان "لأجلك غزة"

إعداد

الطالب :

حاتم عبد الحميد محمد المبحوح

إشراف:

أ.د. عبد الخالق محمد العف

قدم هذا البحث للحصول علي درجة الماجستير في الأدب والنقد

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَهْنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ
كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿سورة النساء ، آية ١٠٤﴾

الإهداء

إلى الذين بددوا ظلمة الليل الحالك ، وثاروا رياحين المسك
والزعفران فوق ثرى فلسطين ، وأعادوا إلى الأذهان مرموز
الماضي التليد عبر بوابة الزمن العتيد .

إلى الذين رسموا بدمائهم الزكية لوحة الفجر المبين في سماء
غزة ، لإشراقة غد قادم ومجد منير .

إلى والديّ وقد مرباني صغير .

إلى نزوجتي الصابرة .

إلى أمهات الشهداء والجرحى والأسرى .

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد .

شكر وتقدير

يجدر بي بادئ ذي بدء وفاءً وتقديراً وعرفاناً ، أن أتقدم إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الخالق محمد العف - حفظه الله - ببالغ شكري وعظيم امتناني على ما بذله من جهد ومتابعة في سبيل إنتاج هذا العمل ، فقد عهدته أباً وناصحاً منذ مرحلة البكالوريوس، وله على البحث وصاحبه أياد ظاهرة ، وفضل يذكر فيشكر، كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية على ما بذلوه من جهد وعطاء وافر في تعليمنا ..

والشكر موصول إلى الأستاذين الكريمين اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذا البحث : -
الأستاذ الدكتور/ نبيل خالد أبو علي .
- الأستاذ الدكتور/كمال أحمد غنيم .
كما أخص بالذكر الدكتور كمال غنيم - حفظه الله - على ما قدمه لي من كتب ومراجع كانت معينة لي في بحثي .

ولا أنسى الجامعة الإسلامية التي تحضننا وتسعى جاهدة لبذل كل السبل الممكنة لتوفير كافة الإمكانيات وتسهيل العقبات أمام الطلاب للرفع من شأنهم الديني والأخلاقي والعلمي.
ممثلة في قسم الدراسات العليا وعميدها الدكتور زياد مقداد-حفظه الله- وعميد كلية الآداب أ / د محمود العامودي - حفظه الله - ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ محمد نصار الذي عمل جاهداً على طباعة البحث وإخراجه .

كما وأتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من كان لي عوناً وسنداً لإتمام هذا البحث راجياً من الله أن يجزيهم خير ما يجزي به عباده إنه نعم المولى ونعم النصير .
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ت
فهرس المحتويات	ث
الملخص	ج
تعريف بالديوان	خ
المقدمة	١
مهاده نظري	
التناص في الأدب العربي	٥
التناص في الأدب الغربي	١٣
الفصل الأول	
أنماط التناص	٢٠
التناص المباشر	٢٠
التناص غير المباشر	٤٠
تقانات التناص	٤٦
الفصل الثاني: التناص الديني	
القرآن الكريم	٦٤
الإجيل	٩٣
التوراة	٩٦
الحديث الشريف	١٠٤
السيرة النبوية	١١١
الفصل الثالث : التناص التاريخي	
الأحداث التاريخية	١١٨
الشخصيات التاريخية	١٦٦

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع : التناسل التراشي	
التناسل مع الفولكلور	٢٣٣
التناسل مع الأسطورة	٢٦٠
الفصل الخامس: التناسل الشعري	
التوظيف النصي الكلي	٢٧٥
التوظيف النصي الجزئي	٢٧٧
التوظيف المضموني	٢٨٥
الخاتمة	٣٠١
المصادر	٣٠٤
الكتب والمراجع	٣٠٤
الدوريات	٣١٠
رسائل الماجستير	٣١٠
مواقع الشبكة العنكبوتية	٣١٠

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على دراسة مظاهر التناسل في ديوان (لأجلك غزة) ، وقد اشتمل على مهاد وخمسة فصول ، تناول الباحث في التمهيد معنى التناسل لغة واصطلاحاً كما عرج على بداياته العربية ثم تطوره عند الغرب ، ثم عرض لرؤى النقاد العرب المحدثين له كمصطلح أما الفصل الأول فيضم مبحثين : يتناول المبحث الأول أنماط التناسل ، والثاني تقانات التناسل. أما الفصل الثاني فاشتمل على ثلاثة مباحث : المبحث الأول بعنوان التناسل الديني وتناول التناسل مع القرآن الكريم والإنجيل والتوراة ، والثاني التناسل مع الحديث الشريف والثالث التناسل مع السيرة النبوية ، وفي الفصل الثالث تناول الحديث عن التناسل التاريخي ويضم مبحثين : الأول التناسل مع الأحداث ، والثاني التناسل مع الشخصيات التاريخية .

أما الفصل الرابع فقد تحدث عن التناسل التراثي ويضم مبحثين : الأول الفولكلور الشعبي والثاني الأساطير .

وفي الفصل الأخير كان التناسل الشعري وقد اشتمل على التوظيف الكلي والجزئي والمضموني للتناسل مع أشعار القدامى والمحدثين وأثبت الباحث في نهاية الدراسة خاتمة يبين فيها خلاصة البحث واستنتاجاته .

تعريف بالديوان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد وصحبه أجمعين وبعد.
إذن هي غزة ، التي غزت قلوب الناس ، واتجهت الأنظار صوبها ، فباتت مشاعرهم وأحاسيسهم
مصوبة نحوها إعجابا بها وتعاضدا معها ، لما كان لها من آثار الصمود والانتصار ، والوقوف في
وجه الغطرسة الصهيونية إبان الحرب الأخير عليها ، وهي ما عُرِفَت (بحرب الفرقان) .

فانهالت الأقلام من كل حذبٍ وصوبٍ تكتب لأجلها وتشاطرهما همها ، وتعلي من شأنها ، يوم أن نام
عنها الحكام فانطلقت الضمائر الحرة من كافة الأقطار العربية ، تسطر صمود هذه المدينة ، وتحكي
قصة شعب صنع لنفسه ولأمتة العز والفخار .

فأبى أحد الغيورين عليها ، إلا أن يجمع جلّ ما كُتِبَ وقيل في حق المدينة الصابرة ، إنه
أ.د موسى أبو دقة ، كما وشاركه في رعاية هذا الجهد الدكتور فؤاد النحال ، فالشكر والتقدير لهما ،
وكل الشكر وعظيم الامتنان لجميع الأساتذة الدكاترة الكرام لما بذلوه من جهد طيب ، في التقييم
والتنقيح للقصائد والنصوص الشعرية .

والشكر موصول لمنتدى أمجاد الثقافي ، الذي قام بطباعة هذا الديوان ، ممثلاً في رئيس مجلس إدارته
أ.د عبد الخالق العف .

ومن هنا جاء هذا الديوان بعنوان (لأجلك غزة) ، نعم لأجلك غزة ارتقى مئات الشهداء إلى العلي
القدير ، وأصيب الآلاف ، ودُمرت البيوت على رؤوس قاطنيها ، وهدّمت مساجد الله ،
إلا أن ذلك لم يلن من عزمهم ، بل زادهم شرفاً وعزة .

لذا فكانت القصائد بمثابة صرخة واحدة انطلقت من الأفواه الصادقة مرسلّة رسالة مفادها ، بأن
سيري في طريقك أيتها المدينة الحرة الأبيّة ، فعين الله ترعاك

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، المبلغ عن ربه ديناً حنيفاً يعمر القلوب وعلماً منيراً يبصر العقول .

تقوم فكرة التناص على إقامة علاقة بين النص الخاضع للتحليل وبقية العناصر التي تشكل سياقه ، وخاصة السياق التاريخي والأدبي ، حيث تتداخل النصوص وتتشكل مجموعة من الاستدعاءات التراثية ، وتتصهر في بوتقة النص الحاضر .

إن اللغة الشعرية تتجاوز حدود دلالات التراكيب المباشرة في إطار النص لتصبح علاقة بين نصوص يستدعيها السياق الثقافي والتاريخي ويمنحها إمكان التعالق فيما بينها من غير أن ينفي حاضرها غائبها وقريبها بعيدها .

إن النص الشعري يختزن كل نماذج تعالق التراث الإنساني وتناصه فكراً ودينياً وأدبياً وتاريخياً وأساطيراً ورموزاً ، أما التناص فهو الدخول في علاقة بين نصوص غائبة ونص حاضر بشرط مناسبة السياق وتوظيف ذلك في توسيع الفضاء الدلالي وتعدد القراءات .

وعلى الرغم من تباعد المسافات الزمنية بين النصوص المتعاقبة إلا أن هناك تشابكاً في الدلالة يستلزم خصوبة وعمقا في العلاقة الإحالية التي تقف خلف النص المتشكل ، لأنها تغترف معرفيتها من روافد متنوعة فالنصوص بهذا المنظور خلاصة لقراءة الحاضر من خلال الماضي ، ونخل للموروث من أجل توظيفه في عملية بناء الغد المأمول عن طريق إبداع علائق جديدة تحكم أبعاد الزمن .

والنص بهذا المفهوم ليس ذاتاً مستقلة ولكن سلسلة من التعالقات مع نصوص أخرى ، إن دراسة التناص لا بد أن تتوغل في أعماق النص الشعري كي تتماهى مع ممارسات تشكيله التراكمية ، وذلك لبلورة آفاق النص الدلالية .

وسوف تدور مقاربتنا التحليلية لنصوص ديوان (لأجلك غزة) في دوائر المتناصات الدينية والتاريخية والتراثية والشعرية ، ذلك الديوان الذي تدور أشعاره حول ما تعرضت له غزة من حرب وحشية بربرية من قبل الكيان الغاصب لسنة ٢٠٠٨ ، حيث المشاعر الجياشة في قلوب الشعراء العرب ، والذين بدورهم نسجوها بحروف من نور على شكل قصائد وأشعار عكست ذاك الهاجس الذي أشغل كل ذي بال .

فالأدب العربي المعاصر أدباً رائعاً ، لأنه يضم تراثاً فكرياً ثميناً وثروة ضخمة فالديوان الذين قام بجمعه مشكوراً موسى أبودقة ، احتوى وشمل معظم أحداث الحرب التي تعرضت لها غزة ، وشتى المواقف المؤازرة أو المتخاذلة ، فهو يؤرخ لهذه الحقبة على الرغم مما تحمله من آلام وآمال .

• أهمية الموضوع وسبب اختياره :-

أولاً : إن الشعر هو البوابة الرئيسية التي من خلالها يمكن الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم ، بما يحمله من ثورات على كل أشكال الذل وشحن الهمم على مواجهة الصعاب .

ثانياً: يعتبر مرجعاً تاريخياً لحرب الفرقان ٢٠٠٨ .

ثالثاً : أما سبب دراستي للتناص في ديوان (لأجلك غزة) لإظهار اهتمام العالم العربي بقضية فلسطين ، وذلك من خلال الغوص في النصوص الشعرية التي نسجت من جميع البلدان العربية ، وعكس صورة الوحدة العربية ، المأمولة في صدر الشعراء راجين أن نتمكن من إدراك العلاقات الدلالية الكامنة تحت سطحها الشعري .

فالنصوص الشعرية ليست مجرد كلمات جامدة تكتب ، بل هي كالجسد الحي الذي ينبع بالحياة والحركة ، ومن ثم الكشف عن إيجابيات وسلبات التوظيف التراثي في النصوص الشعرية .

• الدراسات السابقة :

١- أمل أحمد أحمد ، التناص في رواية إلياس خوري (باب الشمس) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٥ .

٢- زاوي سارة ، جماليات التناص في شعر عقاب بلخير ، رسالة ماجستير (جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٨)

٣- صلاح البردويل ، توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر ، رسالة دكتوراة .

٤- عبد المنعم سليمان ، مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٥ .

٥- ليديا وعد الله ، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، ط١ (دار مجدلاوي ، الأردن ، ٢٠٠٥) .

٦- محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية ، ط١ (مركز الإنماء الحقاري ، حلب ، ١٩٩٨) .

• المنهج المعتمد في الدراسة :

استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي ، وقد استدعى منهج الدراسة خطة عمل مناسبة ارتضيت السير في خطواتها وفق ما يستلزمه المنهج الوصفي التحليلي .

• مصادر البحث :

ديوان لأجلك غزة ، جمع وإعداد موسى أبو دقة ، تقديم إسماعيل هنية، ط١ (منشورات منتدى أمجاد الثقافي ، غزة ، فلسطين ، ٢٠٠٩) .

• الصعوبات التي واجهت الباحث :

١- قلة الدراسات التطبيقية في مجال التناص .

٢- صعوبة تحديد مجال التناص وتشعبه ، وتعدد طرائق تطبيقه في الدراسات المعاصرة.

• خطة البحث :

ينقسم هذا البحث إلى خمسة فصول ، تتبدى فيها مظاهر التناسل الديني والتراثي والتاريخي والشعري .

ففي الفصل الأول والمحتوي على مبحثين تبحث الأطروحة في أنماط التناسل وهو نوعان :

١- المباشر كالسرقة بأنواعها : (الظاهر وغير الظاهر) والتضمين بأنواعه : (الجزئي والكلي) والاقتباس والاستدعاء بأنواعه (الاستدعاء بالعلم ، الاستدعاء بالدور ، الاستدعاء بالقول)

٢- غير مباشر : كالتلميح والرمز والإيحاء .

وفي المبحث الثاني يتم التعرض إلى التقانات التي يلجأ إليها الشعراء في قصائدهم ومنها : (التضخيم التحرير ، الخطية ، الترصيع ، التشويش ، الإضمار ، المبالغة ، القلب ، تغيير مستوى المعنى ، والقطع والمونتاج) .

أما الفصل الثاني فيتناول الحديث عن أشكال التناسل الديني مع القرآن الكريم سواء أكان التناسل مع جملة أم معنى من المعاني ، فالمنتبج لمفردات الشعراء وألفاظهم يكتشف مدى الاستفادة من ألفاظ القرآن الكريم ، نظراً لطبيعة الشعراء الإسلامية ، وهناك أيضاً التناسل مع الإنجيل والتوراة - ربما - للرد على أعداء الله من نفس دينهم الذي يدعون وفضح ممارساتهم القمعية منذ القدم ، وإفسادهم أينما ذهبوا .

وكان التناسل مع الحديث الشريف لفظاً ومعنى ، حيث تبين أثره في القصائد مع استتساخ صور متعددة للدلالة والبيان .

ولم ينس الشعراء التأسى بالسيرة النبوية العطرة من خلال تناسلهم مع المواقف التي تعرض لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليكون القدوة الدائمة لكل من يتعرض للمصائب والألم.

أما الفصل الثالث فيتناول شكلاً مهماً من أشكال التناسل ، يتركز حول التناسل التاريخي ، وتراوح بين استدعاء الشخصيات التراثية والدينية والسياسية ، بذكرها مباشرة أو الرمز لها أو من خلال استدعاء الأحداث التاريخية والتي شكلت مفزقاً في التاريخ الإسلامي ، والأمل يحدو الشعراء للسير على ركبته ، وتوظيفه بصورة انتقائية هادفة .

وفي الفصل الرابع كان الحديث عن التناسل التراثي والذي يشتمل على مبحثين : الأول التناسل مع الفولكلور حيث تم تعريفه لغة واصطلاحاً ، وتسلط الضوء على الاستدعاءات التراثية للأمثال الشعبية والأغاني وغيرها .

وفي المبحث الثاني كان التناسل مع الأساطير حيث تم تعريفها لغة واصطلاحاً والوقوف على الاستلهامات للأساطير الغربية في الديوان ، وتوظيفها بالشكل الذي يخدم رؤى الشعراء ويعالج الفصل الأخير من هذه الدراسة التناسل الشعري ، حيث الوقوف على استجلاب أشعار الماضين والمعاصرين وكان للتناسل الشعري ثلاثة أنواع :

أ- التناص الكلي .

ب-التناص الجزئي .

ت-التناص المضموني .

وقد أنهى الباحث الدراسة بخاتمة تتضمن المحاور الأساسية التي تناولتها الدراسة والخطوط العامة لنتائجها .

وأخيراً .. فهذا جهد المقل والله وحده يعلم كم من جهود بذلت في إخراج هذا البحث بالشكل اللائق ، فإن أكن قد هُديت إلى سواء السبيل ، فله الحمد والمنة ، وإلا فالقصور من سمات البشر ، وحسبي أنني أخلصت الجهد ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

- مهاد نظري :

تعد ظاهرة التناص أو التناصية Intertextuatie من الظواهر النقدية التي كثر استخدامها في النصوص الأدبية ، وقد اختلفت الآراء وتناثرت حول هذه الظاهرة ، فالبعض يرى أنه فقر من الكاتب حتى يلجأ إلى نص غيره ، والبعض يرى أنه سرقة وتجروء من الكاتب على نص غيره . ورغم ذلك فقد اتسع مفهوم التناص وشاع في الأدب الغربي ، ولاحقاً انتقل هذا الاهتمام بتقنية التناص إلى الأدب العربي ضمن الاحتكاك الثقافي . ولتوضيح تلك الرؤى المختلفة لمفهوم التناص علينا بادئ ذي بدء النظر في تاريخ هذا المصطلح وتطوره في العصر الحالي .

١ - التناص في الأدب العربي :

إن مفهوم التناص مصطلح جديد لظاهرة أدبية قديمة ، ومصطلح التناص كمادة لغوية لم تذكره المعاجم العربية القديمة إلا في : مادة (نص) : تناص القوم أي اجتمعوا ، أو رفعك الشيء ، ونص الحديث ينصه نصاً^(١) . ويبدو أن لهذا المصطلح ظهورات عديدة في تراثنا النقدي ، وإن بأسماء مختلفة ، ومنه قول علي بن أبي طالب : "لولا أن الكلام يعاد لنفد"^(٢) .

ولقد وردت في تراثنا النقدي مصطلحات عديدة تقارب مصطلح التناص ، مثل (التضمين ، التلميح ، الإشارة ، الاقتباس) وفي الميدان النقدي مثل (السرقات ، المعارضات ، المناقضات)^(٣) واقتفى كثير من الباحثين المعاصرين العرب أثر التناص في الأدب القديم ، حيث أشار (محمد بنيس) إلى أن الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقات النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية وضرب مثلاً للمقدمة الطللية التي تعكس شكلاً لسلطة النص وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها ، فكون المقدمة الطللية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف والبقاء على الأطلال ، فهذا إنما يفتح أفقاً واسعاً لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك^(٤) .

وإذا استمرينا في تتبع أصول التناص في أدبنا القديم نجد أن الموازنة التي أقامها الأمدي بين أبي تمام والبحتري تعكس شكلاً من أشكال التناص ، وكذلك الوساطة بين المتبني وخصومه عند الجرجاني ، وترى أن كثيراً من النقاد العرب وبعض الشعراء قد أشاروا إلى ظاهرة التناص ، فهذا امرؤ القيس يقول :

عَوَجاً عَلَى الطَّلِّ المَحِيلِ نَبْكَى الدِّيارَ كَمَا بَكَى بن خِذام^(٥)

(١) ابن منظور : لسان العرب (دار المعارف ، د.ت) مادة (نص) ٤٤٤١ / ٥

(٢) انظر: أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة ، ط ٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤) ص ٢١٧

(٣) انظر : محمد عزام ، النص الغائب (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١) ص ٤٢

(٤) انظر : محمد بنيس ، الشعر العربي المعاصر ، ط ١ (دار العودة ، ١٩٧٩) ص ١٨٢

(٥) انظر : ديوان امرؤ القيس ، حنا الفاخوري ، ط ١ (دار الجبل ، بيروت ١٤٠٩-١٩٨٩م) ص ٢٨١

وفي هذا إشارة إلى أنه ليس أول من بكى على الأطلال ، فما فعله غير تكرار واستعادة لفعل شاعر آخر هو ابن خدام .

ولقد تنبه النقاد القدامى إلى ظاهرة التداخلات بين النصوص ، وبخاصة في الخطاب الشعري ، ومن أمثلة ذلك الاقتباس ، مثل قول بن الرومي:

لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ^(١)

اقتبسه من قول الله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " ^(٢)

ومنه قول بن الرومي :

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ وَطْءِ الْمَضَاجِعِ ^(٣)

اقتبسه من قوله تعالى :

" تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " ^(٤)

أما أمثلة الجانب النقدي كالتناقض والسرقات ، فقد أشار إليها أكثر من ناقد مثل ابن سنان الخفاجي وابن رشيق ، والجرجاني وغيرهم.

والسرقة في الشعر لها أنواع كثيرة ، منها: ما نقل معناه دون لفظه، أو من أخذ معنى بلفظه كما هو كالسلخ والاصطراف والاختلاب والانتحال والإغارة والمرافدة والاهتمام... إلخ ^(٥).

ومنه قول ابن وكيع : " والاصطراف: أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه، فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق، وإن ادعاه جملة فهو انتحال، ولا يقال منتحل إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدح غير منتحل، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب " ^(٦).

فعندما قال المتنبي :

وَمَا رِيحُ الرِّيَّاحِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاها دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِينًا ^(٧)

قال النقاد إنه مأخوذ من قول مسلم بن الوليد:

(١) ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، تحقيق: عبد القادر المازني (المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص ٢٦٥

(٢) سورة إبراهيم ، آية ٣٧

(٣) ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، تحقيق: عبد القادر المازني ، ص ٢٦٢

(٤) سورة السجدة ، آية ١٦

(٥) انظر : ابن رشيق ، ص ٢٨٠

(٦) ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ٢٨١/٢

(٧) المتنبي ، الصبح المنبى عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق : مصطفى السقا ، محمد شتات ، عبده زيادة

(دار المعارف ، ١٩٦٣) ص ٢٨٢

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّ
فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ^(١)

ويعرض الباحث أقوال بعض النقاد الذين تحدثوا في هذا المضممار ، حيث الاختلاف في الآراء بين متحامل على الشعراء ومنصف لهم .

يقول ابن رشيق :

"واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل وعي سبق إليه جهل ، ولكن المختار عندي أوسط الحالات"^(٢)

أما الناقد علي الجرجاني فقد حظر على نفسه الحكم علي الشعراء بالسرقة، فقال :
"ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذر ، وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها ، وأتى على معظمها ، ومتى أجهد أحد نفسه، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره في تحصيل المعنى يظنه غريباً مبتدعاً ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه ، ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بث الحكم على شاعر بالسرقة"^(٣).

وعلى الرغم من ما تم ذكره من التفاتات نقدية متميزة عند نقادنا القدامى فإنه يمكن الخروج بالملاحظات التالية:

- استحكام النظرة التجزيئية : حيث لم يتعامل الناقد العربي القديم مع القصيدة في شموليتها من أولها إلى آخرها بل البحث بشكل جزئي على مستوى البيت أو البيتين.
- استحكام النظرة المعيارية: حيث مقاربتهم لمسألة السرقات من زاوية معيارية لا من زاوية وصفية
- بروز النزعة المتعالية : لقد كان ينظر للناقد العربي بأنه وعاء من المحفوظات وهذه المقدرة تمكنه من رد المعاني إلى أصولها ، فيصبح فوق كل شاعر ممارساً للرقابة على كل منتج شعري^(٤) .

"وقد يكون (التناص) في الصور البلاغية (التشبيهات، والاستعارات، والكنايات) باعتبارها تملك المعاني الأول والثاني، فعندما يقول الشاعر عن رجل ما إنه (بحر)، و(أسد) و(شمس)، فإنه يشبهه بالبحر لكرمه، وبالأسد لشجاعته، وبالشمس لبياضه ونقائه.

(١) مسلم بن الوليد ، شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق : سامي الدهان ط٣ (دار المعارف - القاهرة) ص ٣٢٠

(٢) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ت) ٢٨١/٢

(٣) علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتبني وخصومه ، تصحيح أحمد عارف الزين (مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٣١هـ) ص ١٦٧

(٤) انظر : شكير فيلاله : الأسس التكوينية لمفهوم التناص ، مجلة أزهير

(www..haifalana.net/spip.php.artical.1293)

والشاعر لم يلجأ إلى الوصف المباشر، وإنما إلى (التشبيه) الذي هو (مجاز) أو وصف غير مباشر لما يريد الحديث عنه. وعندما يقول الشاعر عن ممدوحه بأنه (كثير الرماد)، فهو يكتفي بذلك عن كرمه. ولكنه لم يقل عنه إنه كريم مباشرة، وإنما لجأ إلى وصف قدوره التي يكثر تحتها الرماد، والتي تدل على كرمه^(١).

وفي النهاية هناك مجهودات نقدية وبلاغية لدى العلماء العرب سواء التي قالت بالسرقة أو الاقتباس أو التضمين، فهذه المجهودات تحتسب لهم يتم التحدث عنها بشيء من التفصيل عند الحديث عن أنماط التناس في الفصل الأول.

أما عن جهود العرب المعاصرين ومدى تحصيلهم لهذا المصطلح، فقبل عرض رؤاهم في عجالة ينبغي طرح عدة أسئلة منها: لماذا احتقوا بالمصطلح؟ وما الذي فهموه منه؟ وماذا أضافوا إليه؟ وللإجابة على هذه الأسئلة يحسن أن نذكر أن نقادنا العرب المحدثين وجدوا في المصطلح تقارباً كبيراً مع الطرح القديم لمصطلحات مثل: الاقتباس والتضمين والمعارضة، كما أنهم وجدوا أن في مصطلح التناس ما يمكن أن يفعل نصوصاً قديمة ويعيد إليها الحياة بعد أن ماتت، أو كادت أن تموت في الذاكرة وفي كتب من حكموا عليها من القدامى بالموت لأنها مسروقة، أما المعاصرون فإنهم يحللون وفق منظومة الاستدعاء النصي في عملية التناس، إنها النصوص الغائبة ويكتشفونها في النصوص الحاضرة وحاولت كثير من الدراسات التي اتبعتها النقاد العرب أن تسهم في الربط بين مصطلح التناس، ومصطلحات قديمة كالاقتباس والتضمين بما يفعل التواصل الفكري بين القديم والحديث، ولقد استنار هؤلاء النقاد العرب برؤى النقاد الغربيين خاصة وأن مصطلح التناس قد ظهر متأخراً في البلدان العربية، حيث بدأ الاهتمام به في أواخر السبعينات من القرن العشرين مع النقاد المغاربة والبنانيين مثل: محمد مفتاح، سعيد يقطين، محمد بنيس، بشير القمري، سامي سويدان صبري حافظ^(٢).

ويمكن تحديد مستويين اثنين لتناول (التناس) عند النقاد العرب وهما: مستوى النظرية ومستوى الممارسة والتطبيق.

١ - المستوى النظري:

ساهمت الدوريات العربية المهمة بالأدب في تعميق الوعي بالتناصية في الحياة النقدية عن طريق الكثير من الدراسات والبحوث المتخصصة في هذا الشأن فقد كان الناقد "صبري حافظ" من أوائل من كتبوا عن التناصية، وذلك في عدد خاص أصدرته مجلة (ألف) القاهرية وقد عرض

(١) انظر: محمد عزام، النص الغائب ص ٥٤

(٢) انظر: جميل حمداوي، آليات التناس، مجلة أفق الثقافية، الثلاثاء ١١/٧/٢٠٠٦

لمظاهر التناصية في الأدب الغربي الحديث ، وأشار إلى الملامح التي يمكن أن تظهر فيها بذور التناصية في الأدب العربي القديم حيث الاقتباس والتضمين .
كما أسهمت مجلة (الفكر العربي المعاصر) بعدد خاص عن التناص ، وكان ممن كتب " عبد الوهاب ترو " عن مصطلح الإنتاجية عند (كرستيفا) مستعرضا بعض جهود (باختين) و(جينيت) ولقد ترجم (جميل التكريتي) كتاب (شعرية دستوفسكي) للعربية ، أما كتابه (الماركسية وفلسفة اللغة) فقد نقله للعربية محمد البكري ، ويمني العيد ^(١). وبفضل التطور العلمي وتعدد وسائل الاتصال المختلفة مثل الشبكة العنكبوتية وغيرها ، ساعد هذا على الانتشار الواسع لمصطلح التناص مع الإقبال الشديد من قبل نقادنا العرب على ترجمة العديد من الكتب والأبحاث الغربية المختصة بهذا الموضوع لفهم أكبر وأوسع لدى العقلية العربية والإحاطة الشاملة لهذا المصطلح .
وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح قد ظهر متأخرا وبطيئا في بلدان عربية محدودة مثل المغرب ولبنان ولكنه الآن انتشر في جميع البلدان العربية ومن أشهر المنظرين له : صلاح فضل ، وعبد الله الغدامي ، ورجاء عيد ، ومحمد مفتاح ، وأحمد الزعبي وغيرهم .

٢ - المستوى التطبيقي :

من أوائل الأعمال التي اهتمت بممارسات حول التناصية كتاب للباحث المغربي " محمد مفتاح " بعنوان (تحليل الخطاب الشعري - إستراتيجية التناص) حيث ألقى الضوء على زوايا مهمة لفكرة التناص ، من حيث علاقة المصطلح عند العرب والغرب معا ، بمصطلحات مثل المعارضة والسرقة والمناقضة .

فعن علاقة التناص بمصطلحات كالمعارضة والسرقة يقول : " مع أن هذه التعاريف مكتسبة من مجال الثقافة الغربية ، فإننا نجد ما يكاد يطابقها في الثقافة العربية ففيها : المعارضة المناقضة السرقة " ^(٢). فمن خلال تعريفه للمصطلحات السابقة ، أراد ان يوازي ويطلق بين التقارب الثقافي للمفاهيم في البيئتين العربية والغربية ، وقد ارتكز الي نوعين أساسيين من التناص وهما :

- المحاكاة الساخرة (النقيضة) .

- المحاكاة المقتدية (المعارضة) ^(٣) .

مؤكدنا علي أن التناص لا مناص منه ، فيقول : " لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتها، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته " ^(٤).

ويحتاج التناص في الوقت ذاته إلي ثقافة المتناص والمتلقي ، حيث اشترط المعرفة من الاثنين، فيقول: " فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل

(١) انظر : إيمان الشنيني، التناص (النشأة والمفهوم) ، مجلة أفق الثقافية (الأربعاء ٠١ أكتوبر 2003)

<http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=print&sid=1382>

(٢) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ط٣ (المركز الثقافي العربي - بيروت ، ١٩٩٢) ص ١٢٢، ١٢١

(٣) انظر : محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢٢

(٤) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢٣

المتلقي أيضا " (١) . وقد أسهب د/ مفتاح في الحديث عن جانب مهم ، داعم للتناص ، وهو آلياته المتنوعة والمعينة للشعراء والكتّاب ، ومنها : التمثيل ، الشرح ، الاستعارة ، التكرار ، أيقونية الكتابة ، الشكل الدرامي .

حيث يقول : " فإنه من الأجدى أن يبحث عن آليات التناص لا أن يتجاهل وجوده هروبا إلى الأمام" (٢) ويطرح د/ مفتاح نقطة مهمة حول إعادة الإنتاج في التناص ، وإظهار الجوانب المحيطة به السلبية أو الايجابية المساهمة في نجاح عملية التمثيل ، حيث يعتقد البعض أن جانبها السلبي متوقف عند الامتصاص والاجترار لنصوص سابقة فقط ، ولكن للنصوص دورها في عملية إنتاج التناص للدلالة ، وهنا يكمن الجانب الإيجابي كما يقول د / مفتاح : " إن الكاتب أو الشاعر ليس إلا معيدا لإنتاج سابق في حدود الحرية ، سواء كان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره ولذلك فإن الدراسة العلمية تقتضى تدقيقا تاريخيا لمعرفة سابق النصوص من لاحقها كما يقتضي أن يوازن بينها لرصد صيرورتها وسيرورتها جميعها وأن يتجنب الاكتفاء بنص واحد واعتباره كيانا مغلقا على نفسه، كما أنه من المبتذل أن يقال إن الشاعر يمتص نصوص غيره " (٣).

وقد خصص (عبد الله الغذامي) فصلا من كتابه الخطيئة والتكفير حيث تناول تطبيقات تناصية في شعر حمزة شحادة وفي حديثه عن التناص أو ما أسماه (تداخل النصوص) يقول :

" ولئن كان مفهوم جسدية النص وكونه كائنا حيا ومركبا هو لب الفكرة فيما قلناه ونقله عن نصوصية النص ، فإن هذه الجسدية لا تقوم على عزل النص عن سياقاته الأدبية والذهنية ، وذلك لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري ، فهو لا يأتي من فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ إنه إنتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه " (٤).

ويبين الغذامي عن دور التناص في منهجية قراءته على المستوى الذاتي بوصف النص بنية مفتوحة مؤهلة للتداخل في علاقة تناص ، بقوله : " وقد كان لي من قبل وقفات عن تداخل النصوص في علاقات النص مع ما قبله من نصوص على أساس أن مفهوم تداخل النصوص هو من المفاهيم الأساسية في قراءة الأدب وتحليله بما يعني أنني أتعامل مع النص على أنه بنية مفتوحة على الماضي مثلما أنه وجود حاضريتحرك نحو المستقبل وهذا يناهض فكرة البنية المغلقة على الآنية " (٥).

ويشير الغذامي إلي أن ظاهرة التناص تشكل ملمحا مهما في ذاكرة الثقافة العربية ممثلة في إنسانها منذ زمن بعيد ، ويربط الغذامي في وعي بين هذه الظاهرة وأخرى قديمة في الفكر العربي ويعني بها (الاستطراد) كما هو شائع في مؤلفات عربية لأعلام عربية مثل الجاحظ ، وعن هذا كله يقول

(١) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري، ص ١٢٣

(٢) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري، ص ١٢٥

(٣) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢٤، ١٢٥

(٤) عبد الله الغذامي ، ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية ، ط ٢ (دار سعاد الصباح ، الكويت ، ١٩٩٣) ص ١١١

(٥) عبد الله الغذامي ، ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية ، ص ١١٣

الغذامي : "إن ظاهرة تداخل النصوص هي سمة جوهريّة في الثقافة في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل ولقد شاع تسمية ذلك بالاستطراد وهذا ما توصف به مؤلفات الجاحظ ولكن الحق هو أن ذلك تداخل نصوصي له ما يبرره وما يستدعيه من النصوص نفسها" (١) إذن في الرؤية المنهجية للغذامي لمصطلح التناص أو كما يفضل تسميته (النصوص المتداخلة) ترجمة للمصطلح الغرب (Intertextuality) يشير من قناعة الى رؤيتين: أن هذا المصطلح سيميولوجي وتشريحي أو تفكيكي ، والأخرى أن التناص يتم بوعي وبغير وعي أي (سيكولوجية) ولا بد الإشارة إلى أن النقاد المحدثين فرقوا بين مصطلحي تداخل النصوص والتناص علي الرغم من تقاربهما وتداخلهما .

وقد أشار إلي ذلك ريفاتير بقوله : " إن التناص هو مجموعة النصوص التي نجد بينها وبين النص الذي نحن بصدد قراءته قرابة ، وهو مجموع النصوص التي نستحضرها من ذاكرتنا عند قراءة مقطع معين ، أما تداخل النصوص فهو ظاهرة توجه قراء النص ويمكن أن تحدد تأويله وهو قراءة عمودية مناقضة للقراءة الخطية " (٢).

وكلام ريفاتير هنا يؤكد تلقائية التناص وقصدية التداخل للنصوص من جانب قارئ النص فكل التداخيات التي تتثال علي ذهن قارئ النص أثناء القراءة تشير أو تؤكد تناصه مع غيره من الأعمال السابقة له ، ويبقي بعد ذلك الهدف من القراءة الذي يعتمد علي نوع القارئ وخلفيته الثقافية والنقدية فالقارئ الناقد يقرأ النص ليعيد كتابته بناءً علي ما يكتشفه من تناص بينه وبين غيره من النصوص السابقة ، ويكون واعيا لهذه العملية ، أما القارئ العادي فليس له من هذه العملية إلا ما يرد علي خاطره تلقائياً لا يستطيع تفسيره .

أما التداخل النصوصي فهو عملية نقدية منذ البداية لأنه ظاهرة توجه قراءة النص ويمكن أن تحدد تأويله فهو منهج نقدي مرتبط ببنية القارئ الناقد في البحث عن شبك التداخل قبل إقدامه علي قراءة ذلك النص .

وعند الانتقال لكتاب (القول الشعري) لرجاء عيد فقد أفاض الحديث عن مصطلح التناص ، وعرج على ما يعرف بالسراقات والمعارضات وأبدى رأيه فيها حيث قال : " إن المفهومات التراثية حول المعارضة وحول السراقات تصلبت رؤيتها حول الأصل وعلى صاحب الفضل وعلى فضيلة السبق ، وبعده تنتهي مهمة الناقد التراثي بينما يكون مفهوم التناص أنه حضور لنصوص متعددة مع النظر إلى تلك النصوص بحسبانها مداخلات نصية وتحولات فنية " (٣).

(١) عبد الله الغذامي ، ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية ، ص ١١٩-١٢٠

(٢) انظر : حسن محمد حمادة ، تداخل النصوص في الرواية العربية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

١٩٩٧) ص ١٧

(٣) رجاء عيد ، القول الشعري ، ص ٢٣٠

ويشير إلى أن قيمة التناص ليست الاقتصار على تجاوز أسوار المصطلحات السابقة بل هو أوسع من ذلك وفي هذا يقول " وليست قيمة التناص كمنهج تحليلي مقصورة على تجاوز أسوار المصطلحات التراثية السابقة وإنما يفتح لما هو أرحب فمن مجالاته العكوف على مقارنة تحليلية لماهية التحولات ومسارات التبادلات ، وكيفية التمثل لنص سابق ومدى حضوره في نص لاحق "(١).

ويعتبر (رجاء عيد) أن النص مفتوح سابقه أو حاضره حيث أشار بقوله : " ينطلق مفهوم التناص من مفهوم النص المفتوح وعليه فالنص دائما مفتوح على نصوص أخرى معاصرة أو غير معاصرة ، والنص هنا كلوح من زجاج يلوح من خلفه نص آخر "(٢).

وركز على نقطة غاية في الأهمية وهي أن الكاتب عندما يكتب النص ليس هو من يخترعه ، فقال في تعليقه : " إن النص وفق المفهوم السابق هو عدد من نصوص ممتدة في مخزون ذاكرة مبدعه ومن ثم فهو النص ليس انعكاسا لخارجيه أو مرآة لقائله وإنما فاعلية المخزون التذكيري ثم فالنص بلا حدود "(٣).

هذه جهود بعض النقاد العرب المعاصرين من خلال فهمهم للتناص وإن كان إيرادها على سبيل المثال لا الحصر لأن مصطلح التناص قد ظهرت له مفاهيم عدة ، حيث رؤية كل ناقد وتأثره بثقافة بلد ما ورغبة في الوصول إلى أدق جزئيات هذا المصطلح ومن هذه المفاهيم :

١- التفاعل النصي : ويكون بين بنيتين بنية النص والبنيات النصية ولا يكون مباشرة دائما ، فقد يكون ضمنيا.

٢- البنيات النصية : حيث ينتج كل كاتب نصوصه ضمن بنية نصية معاصرة له أو سابقة عليه.

٣- التعالق النصي : الذي يرى أن النص اللاحق يكتب النص السابق بطريقة جديدة.

٤- المصاحبات الأدبية : وهي الاستشهادات الأدبية التي تدخل في بنية نصية معنية.

٥- التناصية : وهي مجموعة من العلاقات التي نراها وتتجاوز قضية التأثير إلى أمور تتعلق بالبنية والفضاء الإبداعي (٤).

ورغم كثرة المفاهيم الموازية لمصطلح التناص إلا أنها متفقة في أن التناص توالد النص عن نصوص أخرى ومتداخلة مع نصوص أخرى وإن النص هو خلاصة لما لا يحصى من النصوص وأجملت د .(مي نايف) في ذلك عندما قالت " وتتحدد آلية التناص من مفهومين هما : الاستدعاء والتحويل ، أي أن النص الأدبي لا يتم ابداعه من خلال رؤية الكاتب أو الفنان بل تتم ولادته

(١) رجاء عيد ، القول الشعري، ص ٢٣٦-٢٣٧

(٢) رجاء عيد ، القول الشعري ، ص ٢٢٦

(٣) رجاء عيد ، القول الشعري، ص ٢٢٥

(٤) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٣٠-٣١

وتكونه من خلال نصوص أدبية أخرى ، مما يجعل التناص يشكل من مجموع استدعاءات خارجة نصية (١)

لقد استفاد النقاد العرب من التنظيرات الغربية في قراءة موروثهم النقدي القديم من جهة ، وصياغة آرائهم وتوجهاتهم الخاصة لمفهوم التناص من جهة ثانية ، ومهما يكن فإنه ينبغي استثمار تلك التوجيهات النظرية والمعرفية السابقة بطريقة لا تتعارض فيما بينها ، موظفين التناص كأداة مفهومية وآلية إجرائية للوقوف على جماليات النص الشعري وخصوصية قدر الإمكان (٢).

إن النقد العربي مطالب باستيعاب استراتيجيات التناص ومفاهيمه وأساسه المعرفي ومستوياته وأشكاله المتعددة حتى يتمكن من تشكيل أرضية معرفية ونقدية تؤهله للمساهمة في إقامة حوار معرفي معه، سواء لنقض طروحاته ومفاهيمه ومقولاته، أو لتطوير هذه المفاهيم والمقولات واغنائها لكي لا نظل في إطار الاستهلاك والنقل خاصة مع التطور الواسع الذي يشهده النقد العالمي المعاصر، وتعدد اتجاهاته ومدارسه ولذا فإن مهمة النقد العربي المعاصر تتضاعف إذ لا بد من استيعاب ومعرفة عوامل التحول ومرجعياتها، ومصادرها وكيفية تحولاتها داخل أنساقها. الأمر الذي يؤكد على البعد الثقافي والمعرفي الكبير الذي لا بد منه للنهوض بهذه العملية الواسعة التي بات يحتاج إليها النقد العربي المعاصر للخروج من حالته الراهنة.

ثانياً: - التناص في الأدب الغربي :

إن المتتبع لنشأة التناص وبداياته الأولى كمصطلح نقدي يجد أنه كان يرد ضمن الحديث عن الدراسات اللسانية، ولقد سبق الشكلاونيون لمصطلح التناص فعلى حسبهم : ليس النص المعارض إعادة وإبداع أو كتابة على كتابة مماثلة فلكل نص خصائصه القارة فيه ، فكلا النصين بينهما مفارق لا تسمح أن يحل أحدهما محل الآخر فلكل خصوصيته وسماته ومن ثم فالمعارضة تناص ، وعلى حسب (تود ورف) : " فإن النص المعارض ليس استنساخاً أو محاكاة للنص المعارض فثمة تخالف وتفاوق وثمة إضافات وحدود " (٣).

ويجمع الدارسون على أن (باختين) هو المطور لمفهوم التناصية ، وإن كان طرحه في صيغة مفهوم (الحوارية) حيث استعمله لوصف العلاقة القائمة بين الخطابات ، خاصة وأنه يعتبر أن الحوارية تنتمي إلى عالم الخطاب لا إلى عالم اللسان ، أي أن العلاقات الحوارية تقام على المستوى الدلالي المشترك (٤) ويرى (باختين) أن هناك ضرباً من الأعمال الأدبية يتميز بتعدد الأصوات الأيدلوجية داخلها في

(١) مي نايف : الخطيئة والتكفير والخلاص ص ٢٢٦

(٢) (انظر: ليديا وعد الله ، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ط١ (دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠٠٥)

ص ٢٢٦

(٣) انظر : رجاء عيد ، القول الشعري ، قراءة في الشعر العربي المعاصر (منشأة المعارف ، الإسكندرية) ص ٢٢٤

(٤) انظر : شكير فيلاله : الأسس التكوينية لمفهوم التناص ، مجلة أراهير

(www..haifalana.net/spip.php.artical.1293)

مقابل أعمال تتسم بوحدة الصوت الأيدلوجي ، ويسمي الأولى (أعمالا حوارية ، dialogique) ، كروايات (دستوفسكي) حيث تتعاقب عدة أصوات على منبر القص تصدر عنه مواقف أيدلوجية مختلفة^(١). ويقول في ذلك : " إن إسباغ الطابع المونولوجي الفلسفي هو الطريق الرئيس للدراسات النقدية حول دستوفسكي "^(٢) وتحدث عما يميز روايات دستوفسكي قائلاً : " إن كثرة الأصوات وأشكال الوعي المستقلة وغير الممتزجة ببعضها وتعددية الأصوات (polyphone) الأصلية للشخصيات الكاملة القيمة كل ذلك يعتبر بحق الخاصية الأساسية لروايات دستوفسكي "^(٣) ويسمي الثانية (أعمالا مونولوجيه monologique) كروايات (تولستوي) حيث يتولى القص والنظر إلي العلم صوت واحد ^(٤).

ويعبر باختين عن ذلك بقوله : " إن ذلك الموقف الذي ينطلق منه القص أو يستند إليه التصوير أو يصدر عنه بالإخبار ، هذه المواقف يجب أن تكون قد تحددت في ضوء الموقف من العالم الجديد – عالم الذرات المتساوية الحقوق لا عوالم الموضوعات والكلمة التي تقص وتصور وتخبر ، يجب أن تعالج علاقة ما جديدة تجاه مادتها " ^(٥).

إن مفهوم (باختين) هو نتيجة تراكمات سابقة ، وبداية لواقع نصي جديد ، نص بمثابة حلقة بين سابق ولاحق وتقاطع بين كل هذا ، مما يعني أن النص ما هو إلا موزاييك ^(٦) من التنسيقات ذابت وتحولت آخذة من بعضها الآخر ، وهو ما أكدته باختين من أن الجنس يعيش في الحاضر لكنه يتذكر ماضيه وأصله باستمرار ، فهو يمثل الذاكرة الفنية عبر امتداد التطور الأدبي ^(٧). إذن فمن وجهة نظر باختين ، فكل ظاهرة أسلوبية تنبثق من نص ما، هي قضية وجود وحضور في كل أسلوب جديد تنشأ داخلها ^(٨).

ويرى (ميشال ريفاتير) أن النص عندما ينتج المعنى دائما ما يكون مرجعه نصوصا أخرى إذ يقول: " تعتمد النصية بالأساس علي التناسية " ^(٩)

(١) انظر :وليد خشاب ، دراسات في تعدي النص، (المجلس الاعلي للثقافة)ص٧

(٢) ميخائيل باختين ، شعرية دستوفسكي ، ترجمة : جميل التكريتي ، مراجعة : حياة شرارة ، ط١ (دار توبقال

للنشر ، المغرب ، ١٩٨٦)ص ١٤

(٣) ميخائيل باختين ، شعرية دستوفسكي ، ص ١٠

(٤) انظر : وليد خشاب ، دراسات في تعدي النص ، ص ٨

(٥) ميخائيل باختين ، شعرية دستوفسكي، ص١٢

(٦) موزاييك : لفظة إنجليزية وهو ذلك النوع من الحجر المتعدد ألوانه

(٧) عمر حلي: مفهوم التناص عند باختين ، مجلة الرصيف (ع ١ ، ١٩٨٨) ص ٣٩

(٨) انظر : مي عمرنايف ، الخطيئة والتكفير والخلاص ، ط١ (منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة -٢٠٠٢)

ص ٢٥٥

(٩) انظر: وليد الخشاب ، دراسات في تعدي النص ، ص١٢

أي أن قراءة نص ما وفهمه وفك شفرته يعتمد علي تدريب القارئ علي التعامل مع نصوص أخرى سابقة عليه وشبيهة به شبيهاً يزيد أو ينقص . ويرتبط المفهوم عند (ريفاتير) بتاريخ الأدب ، لكن من زاوية قدرة القارئ علي التعامل مع النصوص (١).

ومن وجهة نظر مشابهة تحدث (هارولد بلوم) عن رصد الخوف من التأثير الذي يشعر به كل كاتب عند تعامله مع الكلمة، فهو في حالة خوف دائمة من الكتابة مع أو ضد إنتاج قد سبقه (٢). ولكن مفهوم التناص ظهر بشكل جلي على يد الفرنسية (جوليا كريستيفا) التي تعد صاحبة هذا المصطلح ، بمعنى أن كل نص يقع في مفترق طرق عدة نصوص ، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها ، فقد استعادت (كرستيفا) هذا المفهوم وطورته انطلاقاً من الكم المفاهيمي المعاصر لها ، ووفق مشروعها السيميائي ونظرتها للنص الأدبي بشكل عام ، حيث استبدلت مصطلح الحوارية ، بالتناصية ولقد اعتمدت على منهج التحليل النفسي جاعلة منه خطاب الحياة الفكرية والعقلية ، معتبرة إياه نوعاً من الملازمة الجوهرية في ثقافتنا.

وتقول في تعريفها للتناص : " يتكون كل نص كموزاييك من الاستشهادات ، وهو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى،.... ويقرأ الكلام الشعري علي الأقل ككلام مضاعف " (٣).

وقد شاع هذا المصطلح في الأبحاث الأدبية والدراسات النقدية ، وهاجر في السبعينات إلى أمريكا ، وأصدرت مجلة (بويطيقا) عدداً خاصاً عن التناص ، على الرغم أن (كرستيفا) تخلت عن مصطلح التناص في عام ١٩٨٥م ، وآثرت عليه مصطلح (التنقلية) ، إذ تقول :

" إن هذا المصطلح (التناصية) الذي فهم غالباً بالمعنى المبتذل (لنقد الينايع) في نص ما ، نفضل عليه مصطلح (التنقلية، transposition) (٤) .

ولزما علينا القول إن العرب قد سبقوا الغرب فيما يعرف بظاهرة التناص ، وإن لم يسموها بهذا الوصف ، وأن الآراء التي تناولت السرقات الأدبية لكونها جذوراً أو أصولاً للتناصية كان لها من الشيوع ما أوحى أحياناً بتطابق تام بين التناصية والسرقات ، ويكاد يجمع أغلب من تناول التناصية في علاقتها بموروثنا النقدي على أن السرقات تحمل صلة ما مع التناصية .

لقد أصبح التناص مصطلحاً واسع الانتشار عند العديد من النقاد الأوروبيين والعرب ، ولاقي منهم قبولاً واهتماماً واسعاً ، مما أتاح له الانتشار الواسع وتحمل لنا الدكتوراة مي نايف بعض الأسباب التي أدت إلى ذبوعه ومنها :

-جذته .

(١) انظر : وليد الخشاب ، دراسات في تعدي النص ، ص ١٢، ص ١٣

(٢) انظر : مي عمرنايف ، الخطيئة والتكفير والخلاص ص ٢٥٦

(٣) انظر: محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية ، ط١ (مركز الإنماء الحضاري ، حلب، ١٩٩٨) ص ٩٢

(٤) انظر : محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية ص ٩٤

- يهدف لتقديم تصورات جديدة أكثر مما يهتم بدحض التصورات الراسية في ميداني الأدب والنقد .
- نجاحه كمصطلح نقدي^(١).

- ومن أسباب ذيوعه ما ذكره محمد خير البقاعي : "أن التناص والتناصية والتناصي لا يعمل حصراً كأدوات مفهومية متواضعة ، بل أصبح مثله مثل "بنية" و"بنائي" و"بنوي" وأداة معرفية وراية يدل علي موقف وعلي حقل مرجعي"^(٢)
أما عن الآراء الغربية التي تناولت هذا المصطلح فهي:
- التناص عند البنيويين:

إذا كانت البنيوية انطلقت من اعتبار أن للنص الأدبي بنية تظهر في نظامه وعلاقات عناصره ، فإن التناص يهدف إلى تحطيم فكرة بنية النص أو نطاقه، وإذا اعتبرت البنيوية النص بنية مغلقة ، فإن التناص يعتبره بنية مفتوحة ومتحركة ومتجددة ولقد ركزت البنيوية على ثنائية الكتابة والقراءة حيث رأت أن النص يقرؤه القارئ وأن الكاتب الفعلي للنص هو القارئ وذلك بقول (رولان بارت) :
" النص مصنوع من كتابات مضاعفة ، وهو نتيجة لتقافات متعددة تدخل كلها بعضها مع بعض في حوار ومحاكاة ساخرة وتعارض ، ولكن ثمة مكان تجتمع فيه هذه التعددية وهذا المكان ليس الكاتب ... إنه القارئ، حيث إن وحدة النص ليست في أصله ولكنها في القصد الذي يتجه إليه"^(٣).
أما التناص فيحاول فك اشتباك النصوص عن بعضها بعضاً ، ليعيد لكل صاحب حق حقه من السابقين والمعاصرين أما (رولان بارت) فيرى أن كل نص هو تناص ، وأن النصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة ويزيد (بارت) مفهوم التناص وضوحاً ، حين يربط ربطاً واعياً بين نظرية النص بوصفه سيداً يستدعي هو دون مؤلفه إلى فضائه صيغاً مجهولة من نصوص أخرى أو من سياقات أخرى يشير إليها ، وبين التناص بوصفه متصوراً يمنح نظرية النص جانبها الاجتماعي وفق ما يجعل النص نفسه في تداخله مع النصوص الأخرى في وضع المنبع، وذلك حيث يقول: " التناصية قدر كل نص ، مهما كان جنسه لا تقتصر حتماً على قضية المنبع والتأثير فالتناص مجال عام للصيغ المجهولة التي يندر معرفة أصلها ، استجابات لا شعورية عضوية ومتصور التناص هو الذي يعطي أصولياً نظرية النص جانبها الاجتماعي، فالكلام كله سالفه وحاضره يصب في النص ، ولكن ليس وفق طريق مندرجة معلومة ولا بمحاكاة إرادية وإنما وفق طرق متشعبة تمنح النص وضع الإنتاجية وليس إعادة الإنتاج^(٤).

(١) انظر : مي نايف ، الخطيئة والتكفير والخلاص ، ص ٢٥٦

(٢) انظر : محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية، ص ٥٨

(٣) (رولان بارت ، هسهسة اللغة ، ترجمة منذر عياشي ، ط ١ (مركز الانماء الحضاري ، حلب ، ١٩٩٩) ص ٨٣

(٤) (رولان بارت : نظرية النص ، بحث مترجم ضمن كتاب دراسات في النص والتناصية - ت/محمد خير البقاعي ،

أما تودورف فقد تبني مصطلح التناص ، كمرتبة من مراتب التأويل ، واقترح تسمية عملية إنتاج نص انطلاقاً من نص آخر (تعليقاً) ^(١).

- التناص عند السيميائيين:

إن (جوليا كرسيفا) هي أول من طرح مفهوم التناص في منتصف الستينات ، من خلال أبحاث نشرتها في مجلتي (تل كل) و(نقد) ، وأعيد نشرها في كتابيها (السيمياء) و (نص الرواية) معتمدةً على (باختين) في استبصاراته النقدية ، حيث يؤكد أن كل قراءة تشكل بنفسها خطاباً ، وذلك أن الكتابة تعني ثلاثة عناصر هي : النص ، الكاتب ، والمتلقي ، بالإضافة إلى (التناص) ، ففي النص تناص ، والكاتب يمارسه واعياً ، أو غير واع ، كما أن القراءة تثير لدى المتلقي خبراته وذاكراته ومعلوماته السابقة .

فالتناص حوارٌ بين النص وكاتبه ، وما يحمله الكاتب من خبرات سابقة كما أنه حوار بين النص ومتلقيه وما يملكه المتلقي من معلومات سابقة ^(٢).

وهذا الحوار (الديالوج) هو ما تطلق عليه كريستيفا اسم (التناص) حيث تقول : "يتشكل كل نص من قطعة موزاييك من الشواهد ، وكل نص هو امتداد لنص آخر أو تحويل عنه وبدلاً من استخدام مفهوم (الحوار بين شخصين أو أكثر) يترسخ مفهوم (التناصية) وتقرأ اللغة الأدبية بصورة مزدوجة " ^(٣).

لكن (كرستيفا) لا تستخدم مصطلح التناص بمعنى التضمين أو الاقتباس ، بل هو العلاقة والتفاعل بين الأخبار أو المنظومات الكامنة في النص وأخبار أخرى تشير إليها .

فإن كان باختين يرى أن الكلمة ليست مجرد شيء وإنما هي وسط دينمي متغير يقع فيه تبادل حوار ، فإن (كرستيفا) قياساً عليه ترى أن النص مجال تتقاطع فيه أخبار قادمة من نصوص أو خطابات أخرى ، وأن هذه الحالة هي (التناص) .

وهي تعني بذلك علي وجه الخصوص ارتباط النص المعين بنصوص وخطابات اجتماعية وثقافية وفكرية وتاريخية محيطة به أو سابقة عليه ، وتتضح الفكرة في كتاب (نص الرواية) حيث تصف النص الروائي بأنه دائرة مفتوحة تقطعها خطابات متعددة تاريخية واجتماعية ولغوية ^(٤).

أي أن النص الروائي يحمل عدة خطابات قادمة من مصادر أخرى تعبر النص المعين لتواصل معه التقاطع مع نصوص تالية .

ومثال ذلك : رواية (بين القصرين) للكاتب المصري نجيب محفوظ ، حيث يتقاطع فيها : خطاب التاريخ (ثورة ١٩) وخطاب المجتمع (المنقسم إلي عالمي الرجال والنساء وعالمي الليل

(١) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٣٢ - ٣٤

(٢) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٣٧ - ٣٨

(٣) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٣٨

(٤) انظر : وليد خشاب ، دراسات في تعدي النص ، ص ١٠

والنهار) وخطاب التاريخ الأدبي (التراوح بين الواقعية والطبيعية) ، وخطاب اللغة (العربية في مطلع الخمسينات وتحررها من قيود العقاد وأضرابه) (١).

أما الناقد الفرنسي (جيرارد جينيت) فقد تحدث في كتابة (طروس) ١٩٨٢ م عن (التناسلية الجمعية) التي تعبر عن علاقة النص اللاحق بالنص السابق له ، وتتنحصر أشكال التناسل عنده في نمطين : يقوم أحدهما على العضوية إذا يتم التسرب من الخطاب الغائب إلى الخطاب الحاضر في غياب الوعي ، ويعتمد الثاني على القصد والوعي . ويحدد (جينيت) أنماط التناسل النصي ، في خمسة أنماط هي :

- التناسل : وهو العلاقة بين نصين أو أكثر .
- الميئانص أو (ما وراء النص) : وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره .

- النص الأعلى : وهو العلاقة التي تجمع بين نص أعلى ونص أسفل وهي علاقة تحويل ومحاكاة .
- المناص : ويكون في العناوين والمقدمات والخواتيم والصور وكلمات الناشر
- جامع النص (معمارية النص) : وهو الأكثر تجريداً وتضمناً حيث يتضمن مجموعة الخصائص التي ينتمي إليها كل نص على حدة في تصنيفه كجنس أدبي ، رواية ، شعر ... إلخ (٢)
إن (جينيت) بهذه الأنماط الخمسة يحاول أن يرصد كل ما يتعلق فيه نص بنصوص أخرى دون أن ينقل وفق هذا المفهوم أي من العلاقات والتفصيلات التي تحكم بنية النصوص المتعدية بوصف النص مفتوحاً ومتعدياً إلى نصوص أخرى ، وقد أتى (جينيت) في عرضة للأنماط الخمسة بمفاهيم واعية لما أسماه (التغذية النصية) وإن ظلت في النهاية إهداء لفكرة التناسلية .
أما عن النمط الأول (التناسل) : حاول (جينيت) أن يوسع أفق التناسل ليجعله مقارباً مع مفهوم (الاقتباس) مقارباً بينه وبين شكلين آخرين هما : السرقة والإلماع ، فالأقتباس هو أكثر علاقات التناسل وضوحاً وحرفية ، أما السرقة فهي أقل أشكالها وضوحاً وشرعية أما الإلماع فهو أقلها وضوحاً وحرفية .

وأما النمط الثاني (الميئانصية) : فهي عنده العلامة التي شاعت تسميتها بالشرح الذي يجمع نصاً ما بنص آخر يتحدث عنه دون أن يذكره بالضرورة بل دون أن يسميه
والنمط الثالث (النص الأعلى) : فقد عده (جينيت) أهمها جميعاً لأنه جوهر عملية التناسل الذي قام عليه مفهومه ، حيث جعل العلاقة بين نصين أحدهما الحاضر وسماه (المتسع) ، والآخر الغائب وقد سماه (المنحسر) وقد جاء هذا الفهم الواعي بوصفه رد فعل على فكرة النص المغلق .
أما عن النمط الرابع (المناص) : فهو أقل وضوحاً وأكثر بعداً في علاقته وقيمتها النص في الكل الذي يشكله العمل الأدبي

(١) انظر : وليد خشاب ، دراسات في تعدي النص ، ص ١١

(٢) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٤٠ - ٤١

والنمط الخامس والأخير : (جامع النص) : فهو عبارة عن علاقة خرساء تماماً ولا تظهر في أحسن حالاتها إلا عبر ملحق نصي (مثبت)^(١).

إذن كان هذا الطرح حول مصطلح التناسل عند أهم نقاد الحداثة الغربيين وإن لم يشملهم جميعاً بالطبع ، من حيث الرؤى والقضايا والمواقف والإشكاليات حول المصطلح من الناحية النظرية وقد مثلت هذه المفاهيم مرجعية لكل نقادنا العرب الذين تناولوا المصطلح بين الرؤية والأداة على مستوى التنظير وعلى مستوى التطبيق وهو الأهم في لأنه الكاشف الحقيقي عن ذوبان المصطلح فكراً وتنظيراً وإطاراً في قدرة نقادنا العرب على تحليل النصوص التي لعب التناسل فيها دوراً فاعلاً بوصفه مصطلحاً احتضن واستوعب مناهج متباينة لا منهجاً واحداً .

(١) انظر : محمد مصابيح ، مفهوم النص والخطاب ، مجلة ناشر (٢٠٠٩/٢/٦)

www.nashiri.net/articales/literature-art

الفصل الأول

- أنماط التناص :

يطرح التناص قضية غاية في الأهمية هي مسألة استقلال النص أو تبعيته ، وإذا كان النقد الغربي الحديث قد ركز على تبعية النص لسياقه النفسي أو التاريخي أو الاجتماعي ، فإن التناص في النقد المعاصر يؤكد أيضاً عدم استقلال النص الأدبي لكنه لا يمارس التبعية بالمعنى التقليدي ، صحيح أن النص له علاقة بنصوص سابقة عليه ، لكنه في النهاية لا يسعى إلى كشف النصوص الأصلية ^(١) .

وهذا يقود للسؤال التالي ، هل التناص في الشكل أم المضمون ؟ يجيب محمد عزام بقوله :
" في كليهما لأن الشاعر يعيد في المضمون إنتاج ما تقدمه وعاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة ، أي ينتقي منها صوراً أو مواقف أو تعابير ، ولكن لا مضمون خارج الشكل . والشكل هو المتحكم في المتناس " ^(٢) .

والتناص نوعان :

أولاً :- التناص المباشر : ويسمى بتناص التجلي ، وهو حوار يتجلى في توالد النص وتناسله وتناقش فيه الكلمات والمحاور والجمل فهو إعادة إنتاج سابق في حدود من الحرية .

ويدخل تحته ما عرف في النقد القديم بالسرقة والاقتباس والتضمين والاستدعاء .
فهو عملية واعية تقوم بامتصاص وتحويل نصوص متداخلة ومتفاعلة إلى النص ، ويعمد الأديب فيه أحياناً إلى استحضار نصوص بلغتها التي وردت فيها ، كآليات القرآنية والحديث النبوي والشعر ^(٣) .

(١) **السرقة (الاقتراض)** : لغة : سرق الشيء يسرقه سرقة وسرقاً ، والاسم السرقة
والسرقة : الأخذ بخفية ، ويقال : سرق الشيء سرقة / خفي ^(٤) ، وتعني النقل والاقتراض والمحاكاة ^(٥)
ولقد فطن العرب منذ عهد مبكر إلى التجديد والتقليد وفرقوا بين الابتداء والاتباع ووضعوا لذلك أصولاً وقواعد.

والسرقات قديمة في الأدب العربي وقد وجدت بين شعراء الجاهلية ، وفطن النقاد والشعراء إليها ولحظوا مظاهرها بين امرئ القيس وطرفة بن العبد ، وبين الأعشى والنابغة الذبياني ^(٦) .

وكان حسان بن ثابت يعتز بكلامه وينفي عن معانيه الأخذ والإعارة ، حيث قال:
لَا أُسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرُهُمْ شِعْرِي ^(٧)

(١) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٣٢

(٢) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ص ٣٢

(٣) انظر : محمد الجعافرة ، التناص ، والتلقي ، ط ١ (دار الكندي ، ٢٠٠٣) ص ١٥

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٩٩٨/٢ .

(٥) انظر : محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢١

(٦) انظر : أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية (مكتبة لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٢) ص ٥٠٦

(٧) حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق وليد عرفات (دار صادر ، بيروت ، د. ت) ١/ ٥٣

وقال ابن رشيق فيها : " وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه ، وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وأخرى فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل " (١) ويلجأ النقاد في أكثر نقدهم إلى الموازنة بين أديب وأديب ، والبحث عن نواحي الاتفاق بينهما ، ثم الكشف عما ينفرد به أحدهما عن غيره ، سواء أكان مرجع الاتفاق أو الاختلاف إلى التفكير أم كان مرده إلى التصوير والتعبير ، وقد بذلوا في هذا السبيل كثيراً من الجهود والتي إن دلت فتدل على ذوقهم السليم على تعمقهم في فهم الأدب وتحليله (٢) .

والواقع أن الاهتمام إلى نواحي الإتيان أو الابتداع يحتاج إلى كثير من الفطنة والذكاء ، وبالتالي يحتاج الحكم بالسرقة أو الابتكار إلى سعة معرفة بالأدب وفنونه ، وإطلاع واسع على التراث الأدبي في سائر عصوره ومواطنه ، وحفظ طاقة كبيرة للمشهورين والمغمورين من الأدباء على السواء حتى يسهل ربط المتقدم بالمتأخر ، ويعرف السابق من اللاحق (٣) .

وذكر الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) موضوع السرقة ، حين قال : " الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ، وكان أكثره ظاهراً كالتوارد " (٤) .

ويعد هذا النوع من السرقة الظاهرة أو السطحية ، لأنها اقتفاء للأثر واستعانة مباشرة للبناء دون توظيف بين للمتابع ، لأنه ناهب كلام غيره جهاراً وسطاً عليه اقتساراً ، وهذا النوع من السرقة ليس داخلياً في التناسل الفني لانتفاء سمة الإبداع عنه (٥) .

وعلق ابن رشيق في (العمدية) في هذا الموضوع حيث اختار لنفسه أن يكون حكماً وسطاً ، بقوله " اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق إليه جهل ، ولكن المختار عندي أوسط الحالات " (٦) .

أما علي الجرجاني فقد حذر على نفسه الحكم بالسرقة حيث قال : " ومتى أجهد أحد نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره في تحصيل المعنى يظنه غريباً مبتدعاً ، ثم تصفح عنه الدواوين لن يخطئه أن يجده بعينه ، ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بث الحكم على شاعر بالسرقة " (٧) فيلاحظ أن حديث الجرجاني فيه اعتدال ووسطية وحكمة في عدم التجريح بالشعراء ، لأن الإنسان ليس بمخترع كلاماً جديداً ، بل هو مجرد ناقل لما يشاهد ويشعر وبالتالي مهما وصل من الحكمة والفظانة فحتماً سيسير على الطريق التي سار عليها غيره في الكتابة والتأليف وإن تغير أسلوبه ، ولذا فإن هذا الكلام

(١) ابن رشيق ، العمدية ، ٢/ ٢٨٠

(٢) انظر : بدوي طبانة ، السرقات الأدبية ، ط ٢ (مكتبة الأنجلو ، القاهرة - ١٩٦٩) ص ٣

(٣) انظر : بدوي طبانة ، السرقات الأدبية ، ص ٤

(٤) علي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ١٦٦

(٥) انظر : مصطفى السعدني ، التناسل الشعري (منشأة المعارف - الاسكندرية ، ١٩٩١) ص ٩٠

(٦) ابن رشيق ، العمدية ، ٢/ ٢٨١

(٧) علي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ١٦٧

للجرجاني المكتوب منذ قرون طويلة هو نفسه ما يعاد بثه الآن ، وإن اختلفت المسميات والعصور والأجناس .

ويأتي الخطيب القزويني ويترك نفس الباب الذي طرقه الجرجاني في قضية السرقات، قائلاً : " اعلم أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم كالوصف والشجاعة والسخاء والبلادة ... فلا يعد سرقة ولا استعانة فإن هذه أمور متقررة في النفوس ، مقصورة للعقول ، يشترك فيها الفصيح والأعجم والشاعر والمفحم "(١) .

وقد ساق لنا محمد بن طباطبا أمثالا أكثر في حديثه عن السرقة ، حيث قال : " وإذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعجب ، بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه "(٢) .

من الأمثلة التي ساقها في كتابه ، قول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظ منا بمدحة
لغيرك إنساناً فأنت الذي نغني (٣)

أخذ أبو نواس هذا البيت من الأحوص حيث يقول :

متى ما أقل في آخر الدهر مدحة
فما هي إلا لابن ليلى المكرم (٤)

وعلق ابن طباطبا قائلاً : " فهذا من أبدع ما قيل في هذا المعنى وأحسنه ، ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى ألطاف الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها ، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه "(٥) .

أما عن أنواع السرقة فهي نوعان :

- الظاهر : " فهو أن يأخذ المعنى كله ، إما مع اللفظ كله أو بعضه ، وإما وحده .

فإن كان المأخوذ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود لأنه سرقة محضة ويسمى انتحالاً ونسخاً " (٦) .

ومثال ذلك ما حكى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل (٧)

(١) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح محمد خفاجي ، ط٣ (منشورات دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١)

ص ٥٥٧

(٢) ابن طباطبا، عيار الشعر ، تحقيق: محمود سلاك ، ط٣ (منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٤) ص ١١٢

(٣) أبو نواس ، ديوان أبي نواس (دار صادر - بيروت - دون ت) ص ٦٤٧

(٤) الأحوص الأنصاري ، تحقيق إبراهيم السامرائي (مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٩٦) ص ٢٠٠

(٥) ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ١١٣ .

(٦) الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ص ٥٥٨

(٧) الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ص ٥٥٨ ، ص ٥٥٩

ولما دخل معن بن أوس المزني ، أنشد كلمته التي أولها :
لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينما تعدو المنية أول
 فأقبل معاوية على عبد الله وقال له : ألم تخبرني أنها لك ؟
 فقال : المعنى لي واللفظ له .

- النقل والتضمين والاقتباس :

(١) النقل : وهو أن ينقل معنى الأول إلى غيره محله كقول البحري :
سَلِبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا^(١)
 نقله أبو الطيب إلى السيف فقال:
يَبِسَ النَجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَجْرَدٌ عَنْ غَمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغَمَّدٌ^(٢)
 (ب)- ومنه القلب : وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول ، وسمي بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه .

كقول أبي الطيب:

والجراحات عنده نغمات **سُبِقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بسـؤال^(٣)**
 فإنه ناقض به قول أبي تمام:

ونغمة مُعتف جدواه أحلى **على أذنيه من نغم السماع^(٤)**
 وقال الخطيب القزويني في نهاية حديثه : " وهذه الأنواع ونحوها أكثرها مقبولة " ^(٥).

وهناك أنواع كثر مثل : الانتحال ، الادعاء ، والاهتدام ، والاختلاس إلى آخر هذه التسميات .
 وفي النهاية لقد عد الأقدمون السرقات ضرباً من الفنية الأدبية أي أنها مجال الحذق والمهارة ولا يستطيعها كل أديب ، ولذلك تلطف بعض النقاء فأطلقوا عليها اسم (حسن الأخذ) ^(٦).
 (٢) **التضمين** : لغة مشتق من ضمن ، وضمن الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه ^(٧).

أما في الاصطلاح البلاغي : " فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم منه فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالتمثل ^(٨).

(١) (البحري ، ديوان البحري ، تحقيق حسن الصيرفي ، ط٣ (دار المعارف ، القاهرة) ٧٦/١

(٢) (المتنبّي ، شرح ديوان المتنبّي، عبد الرحمن البرقوقي ، مكتبة دار الكتاب العربي (بيروت، لبنان ، ١٩٨٦) ٦٠/٢

(٣) (المتنبّي ، شرح ديوان المتنبّي ، ص ١٨٤

(٤) (أخبار أبي تمام ، محمد الصولي ، ٨١

(٥) (الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ص ٥٧٤

(٦) (انظر : بدوي طبانة ، السرقات الأدبية ، ص ١٦٢

(٧) (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضمن ، ٢٥٧/١٣

(٨) (ابن رشيق ، العمدة ، ٨٤/٢

وقديما كان يسمى (الإدماج) كما عرفه العلوي بقوله : " وهو إفعال من قولهم أدمج حديثه إذا أدخل بعضه في بعض ، أو عبارة عن إدخال نوع من البديع في نوع آخر " (١)

وينظر إلى التضمين على أنه مظهر من مظاهر تفاعل النصوص وتداخلها مع بعضها البعض ، لأن فيه استعارة الأبيات وأيضاً فيها من شعر غيرك ومن ثم إدخالها في أثناء أبيات القصيدة تضميناً .

ولقد اشترط النقاد عند تضمين الأبيات الشعرية أن يكون المأخوذ مشهوراً معروفاً صاحبه للقراء والسامعين ، حتى لا يلتبس بشعر الشاعر ، ويحسب أنه من عمله وصياغته ، وإلا كان من الضروري أن يفصح الشاعر في ثنايا شعره من صاحب هذا الشعر وقائله الأصلي (٢) حيث قال ابن القيم : " وأما التضمين في الشعر ، فلا يخلو إما أن يكون البيت المضمن مشهوراً ، أو غير مشهور ، فإن كان مشهوراً لم يحتج إلى تنبيه عليه أنه من كلام غيره ، لأن شهرته تغني عن ذلك ، وإن كان غير مشهور فلا بد من تنبيه على أنه ليس من شعره " (٣).

ويعد التضمين من السمات الملحوظة في لغة الشعر الحديث ، حيث يعتمد الشاعر إلى الالتفاف حول الدلالة الأولى ليحملها دلالات معاصرة تتيح لها مجاوزة زمنيته وإقامة تواصل نفسي بين حالتين : الغياب والحضور مما يؤدي إلى تكثيف المعطى الفني ، والتعبير بدفقة لغوية مركزة عما كان الشاعر مضطراً إلى شرحه ، أو الإسهاب فيه (٤).

ويوضح الدكتور رجاء عيد مفهوم التضمين بشكل مبسط قائلاً :

" وبهذا المزج بين الأداءين تتشكل زمنية آنية ، تختصر المسافة بين الصوتين ، ليلتبس كل منها صاحبه ، فكلاهما رهين موقع متأزم أشبهت ليلته بآرحته ، ومع المشابهة في الموقف قد تنبثق مفارقات بحتمية اختلاف الطرف التاريخي فتضاف شذرات تحويرية تتسق مع الحالة الفارقة فيما يشبه تنويعات على الفكرة الأولى " (٥).

وينقسم التضمين إلى :

أ) التضمين الجزئي : ويعتمد على الاستعانة بشطر أو شطرين من الأبيات الشعرية .

ومثال ذلك قول ابن المعتز :

خَلِيلِي بِاللَّهِ أَقْعَدًا نَصْطَبِحُ وَلَا قَفَا نَبِكٍ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ "
ويا رب لا تنبت ولا تسقط الحيا بسقط اللوى بين الدخول فحومل "

(١) يحيى العلوي اليميني ، الطراز (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت) ١٥٧/١

(٢) انظر : بدوي طبانة ، السرقات الأدبية ، ص ١٦٢ ، ١٦٣

(٣) ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، تصحيح ، بدر الدين النعساني ، ط ١ (مطبعة السعادة ،

مصر ، ١٣٢٧هـ) ص ١١٨

(٤) انظر : رجاء عيد ، لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر ، ص ٩٣

(٥) رجاء عيد ، لغة الشعر ، ص ٩٣

ولا تقر مقراءة امرئ القيس فطرة " من المزن وارجم ساكنيها بجندل " (١)

حيث أنه بحديثه عن مجالس اللهو والشراب قد عمد إلى تضمين بعض أبيات معلقة امرئ القيس :

قَفَا نَبَكٌ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ بِسَقَطِ اللّوى بَيْنَ الدّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوْضَحَ فَاَلْمَقْرَأةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبِ

وفي مثال (٢) تور موسى ربابعة يقول فيه :

" إن التضمين هنا لا يتخذ شكل اجترار قول امرئ القيس أو اقتصاصه بل يقوم على الحوار ، والحوار يعني أن النص المضمّن لا ينظر إلى النص المضمّن على أنه شيء مقدس " (٣).

ويظهر هنا في موقف ابن المعتز من امرئ القيس ، حيث يسعى لتحويل رؤية النص الأصلية والانحراف بها أو تقديمها بصورة مغايرة .

فابن المعتز لا يعمد لتأمل نص امرئ القيس ، بل يسعى إلى تغييره عن طريق الحوار ، فتبدو (قفا نبك) في قصيدة ابن المعتز متلبسة بمعنى مغاير لمعنى امرئ القيس ، حيث إن ابن المعتز قد تشرب أشطرا من معلقة القيس ، ولكن هذا التشرب جاء على صيغة النفي (قفا) .

ولا يعني هذا أن هناك صراعاً بين النص الأصلي والنص الجديد ، ولذلك فاستحضار قول القيس لم يكن استدعاءً يقوم على الاجترار ، بل اكتسب رؤية جديدة تتسجم مع موقف ابن المعتز قائمة على النفي وليس الانسجام .

فامرؤ القيس يعيش المرارة والحسرة أيام التهدم وفراق الأحبة بينما ابن المعتز يسعى لنفي المرارة والأسى (٤).

ويعتقد الباحث في تعليقه على ما سبق أنه حسب المقام الذي قيلت فيه أبيات كل شاعر ، ورغم السياق النفسي لكل منهما ، فإن هذا يعبر عما يمر كل واحد منهما ، فكلاهما في نفسه كلام ، فإن كان ابن المعتز كما يقول (د/ موسى ربابعة) يحاول النفي وليس الانسجام مع الأبيات فلم اختارها إذن وضمناها في أبياته ، هل لأنه يدعو إلى نبذ الحزن وإعلان السعادة ؟ بالعكس فمن خلال أبيات ابن المعتز ، نرى الانسجام مع معلقة امرئ القيس ، حيث اليأس والشعور بالإحباط والمرارة من خلال (يارب لا تنبت ولا تسقط الحياة) ، مثلما كان امرؤ القيس يشعر بالأسى على فراق الأحبة ، ففي الأبيات محاكاة ساخرة من هذه الحياة التي يعيش ابن المعتز فهو يأمل في لقاء الأحبة والتواصل معهم لكنه لشعوره بعدم الإمساك بهم فقد ظهر في أبياته بصورة الناقم على هذه الحياة .

(١) ابن المعتز ، ديوان ابن المعتز ، تحقيق : محمد بديع الشريف (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨) ٢ / ٢٩٠

(٢) امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ص ٨

(٣) موسى ربابعة ، ظاهرة التضمين البلاغي / مجلة اليرموك (مجلد ١٤ ، عدد ٢ ، ١٩٩٦) ص ٤٣

(٤) موسى ربابعة ، ظاهرة التضمين البلاغي ، ص ٤٤

ب) التضمين الكلي : حيث إن هناك شعراء أعادوا قراءة معلقة امرئ القيس قراءة كاملة أو شبه كاملة ، ومن أمثلة ذلك ما فعله الشاعر حازم القرطاجني في قصيدته الطويلة التي صرف معناها إلى مدح رسول الله قائلًا^(١) :

لَعَيْنِكَ قُلْ إِنْ زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسِلُ	قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلُ
وَفِي طَبِيبَةٍ فَانْزِلْ وَلَا تَغْشَ مَنْزِلًا	بَسْقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمِلُ
وَأَثْوَابِكَ اخْلَعْ مُحَرَّمًا وَمَصْدَقًا	لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبَعْدِهَا	عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مُحْمِلُ

وتكمن قدرة الشاعر على نقل النص الأصلي إلى نص جديد وتضمينه تضميناً جيداً ، وإن هذا الجهد المبذول يحتاج إلى إبداع كبير ، يدل على القدرة الفائقة عند القرطاجني .
والقصيدة التي انتكأ عليها القرطاجني هي^(٢) :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلُ	بَسْقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمِلُ
فَتَوْضَحْ فَالْمَقْرَأَةَ لَمْ يَعْفَ رَسْمُهَا	لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالُ
فَجِئْتُ وَقَدْ فَضْتُ لَنُومٍ ثِيَابَهَا	لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْ صَبَابَةٍ	عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مُحْمِلُ

ويشير درجاء عيد ، إلى صعوبة متعلقة بقضية التضمين ، وهذه الصعوبة تكمن في مدى قدرة الشاعر وهو يضمن أشعار غيره على أن يجعل ذلك البيت المضمن جزءاً من بنية القصيدة ، ومضى تمكنه من إيصال الدلالة للمتلقي المفترض إحاطته بما ضمنه من أبيات سواء .
ولعل هذا الإحساس بهذه المشكلة مما دفع بعض الشعراء لإضافة تذييلات تشير إلى تضميناتهم ، خاصة إن كانت من غير الشعر العربي^(٣) .

إن توظيف التضمين كشكل من أشكال التناص ، قد برز بشكل لافت في الشعر العربي المعاصر وديوان (لأجلك غزة) الذي هو محط دراستنا في الفصول القادمة ، وسوف يتعرض الباحث إلى بعض النماذج الشعرية المعاصرة في استخدامها للتضمين ، ومن هذه النماذج قصيدة "صورة الإنسان في العصر الجليدي" ، حيث ضمن الشاعر محمد السريغيني شطراً من بيت المتنبي فيقول :

كَأَنَّ يَوْمَ الْآخِرَةِ
يَضِيعُ فِيهِ الْوَجْهُ وَالْيَدَانِ وَاللِّسَانُ
يَضِيعُ فِي ضَبَابِهِ الْإِنْسَانُ^(٤)

(١) حازم القرطاجني ، ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق عثمان الكعاك (دار الثقافة ببيروت ، ١٩٨٩) ص ٨٩ ، ٩٠

(٢) امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، ص ٨-١٤

(٣) انظر : رجاء عيد ، لغة الشعر ، ص ٩٤

(٤) انظر : تركي المغيص ، أشكال التناص ، مجلة أبحاث اليرموك ، (مجلد ٢٠ ، عدد ١ ، ٢٠٠٢) ص ١٠٣

والتضمين كان من قول أبي الطيب المتنبي:

وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ^(١)

فيلاحظ هنا امتصاص البيت الأصلي وإعادة كتابته بتركيبة وصياغة خاصة بالسرغيني مع بقاء المتنبي مرثياً ومتدفقاً في القصيدة .

ويقول الشاعر : بن سالم الدمناتي في قصيدة " سيرة أسير ":

وَاللَّيْلُ يَرْفُضُ أَنْ تَقْبَلَنِي الْوَسَادَةُ

يَرْقُصُ مَضْجَعِي

يَحْتَلُّ هَامَ الْبَيْتِ

وَيَبْتَلِعُ الْمَنَارَةَ

يَتَبَايِنُ السَّمَارُ فِي الْمَقْهَى

تَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ لَمْ يَرْصُدْ عَطَاءُ الْمَوْعِدِ^(٢).

هذه الأبيات مضمنة من قول طرفة بن العبد :

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مَعْجَبٌ بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمُعَمَّدِ^(٣)

ومن أمثلة التضمين في الشعر الفلسطيني ، قول الشاعر عبد الكريم السبعلاوي :

اِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يَنْسِي

غَيْرَ أَنِّي بَذَلْتُ فِي الْحُبِّ نَفْسِي

كَيْفَ أَنْسَى وَجْهَ الَّتِي غَادَرَتْ

لَمْ يُغَادِرْ نَحِيْبُهَا قَرَارَةَ حَسِي

أَهِي أُمِّي الَّتِي بَكَتْ أَمْ لَدَاتِي

أَمْ عَرُوسٌ وَدَعَنْتَنِي صَبِيحَةَ عُرْسِي^(٤)

حيث ضمن في الأبيات السابقة شطراً من مطلع قصيدة أحمد شوقي:

اِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي اذْكُرَا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسَى^(٥)

هنا امتصاص السبعلاوي لمطلع قصيدة شوقي المتضمنة لسينية البحري وتحويرها في الحديث عن وطنه المسلوب ، لا سيما أن شوقي تدمر بتلك اللحظات وهو في المنفى .

ومن التحويرات التضمينية لتوظيف الدلالة الانتقال من حالة الاستدعاء إلى حالة المفارقة ، قول الشاعر أحمد دحبور في قصيدته (مع ابن زيدون وليلته الأولى في السجن):

(١) المتنبي ، شرح ديوان المتنبي ، ٣٨٤/٢

(٢) انظر : تركي المغيظ ، أشكال التناص ، ص ١٠٣

(٣) طرفة بن العبد ، ديوان طرفة بن العبد (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١) ص ٣٣

(٤) انظر : نبيل أبو علي ، توظيف التراث في ديوان "متى ترك القطا" (مطابع الجراح ، غزة ، د.ت) ص ٢٠٧

(٥) أحمد شوقي ، ديوان شوقي ، أحمد الحوفي ، (دار النهضة مصر ، القاهرة ، د.ت) ٢٠٣/١

هكذا أضحى التناهي من تدانينا بديلاً وتناوبنا شهيداً وأسيراً وقتيلاً^(١)

حيث ضمن قصيدته من افتتاحية الشاعر الأندلسي ابن زيدون ، في نونيته الشهيرة والتي كتبها من وراء جدران سجنه حيث مطلعها:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِيْنَا وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا^(٢)

فالشاعر دحبور قد ضمن قصيدته البيت السابق ، ليعبر عما يجيش به صدره من التعبير عن حالته النفسية تجاه ما يحدث من فرقة وتشرّد بين أبناء الوطن الواحد ، من خلال إطلالة نفسية وحالة ابن زيدون من داخل سجنه وعما يقاسيه وما يشعر به تجاه حرمانه من محبوبته (ولادة بنت المستكفي) .
وننتقل للشاعر محمود درويش في قصيدته (أتذكر السياب) ،
حيث يقول:

أَتَذْكُرُ السِّيَابَ يَصْرُخُ فِي الْخَلِيجِ سُدى
" وَعِرَاقٌ ، عِرَاقٌ ، لَيْسَ سِوَى الْعِرَاقِ " ^(٣).

حيث في قصيدته السابقة نراه قد ضمن شطراً من قصيدة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب ، وهو يصرخ بلوعة وأسى عن وطنه ، ويناديه بأعلى صوته :
عِرَاقٌ ، عِرَاقٌ ، لَيْسَ سِوَى الْعِرَاقِ .
وهذه حال درويش ذائقاً نفس مرارة الألم في وطنه .
وبالتالي نرى شعراء العصر الحديث قد أكثروا من استخدامهم لأنماط التناص ومن ضمنها التضمين وانتقلت العدوى لكل أرجاء الوطن العربي فهذا (أمل دنقل) في قصيدته (خطاب تاريخي على قبر صلاح الدين) يقول :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني لمجلس الأمن نفسي^(٤)

حيث هذا التحوير الموجه في مرماه والمؤلم في مغزاه ، من خلال سينية أحمد شوقي:
وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ نَازَعَتْنِي إِلَيْهِ بِالْخُلْدِ نَفْسِي^(٥)
ونراه في قصيدة أخرى يتحدث ويتحاور فيها مع شخصية المتنبي قائلاً:
" عَيْدُ بَأْيَةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدِ "

(١) أحمد دحبور ، ديوان أحمد دحبور ، (دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣) ص ٤١٧

(٢) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ، شرح كامل الكيلاني، عبد الرحمن خليفة ، ط١ (مصطفى البابي ، مصر ، ١٩٣٢) ص ٤

(٣) محمود درويش ، الأعمال الجديدة ، رياض الريس ، ط١ (د . د . ٢٠٠٤) ص ١٢٥

(٤) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ط٣ (مكتبة مدبولي - القاهرة ، ١٩٨٧) ص ٣٩٩

(٥) أحمد شوقي ، ديوان شوقي ، ٢٠٥/١

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟

نامت نواطير مصر عن عسكرها

وحاربت بدلاً منها الأتاشيد

ناديت يا نيل هل تجري المياه دما

لكي تفيض ويصحو الأهل إن نودوا^(١)

فجاء التضمين في أخذ شطر من بيت المتنبي القائل فيه:

عِيدُ بِأَيَّةِ حَالٍ عَدْتُ يَا عِيدَ بِمَا مَضَى أَم لَأْمُرَ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٢)

وثمة نص آخر ضمن ديوان (العهد الآتي) يستمر فيه هذا الهاجس القومي والهم المشترك ، في

قصيدة (سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس) ، حيث يقول عن القدس :

وعجوز هي القدس

" يشتعل الرأس شيباً "

تشم القميص فتبيض أعينها بالبكاء

ولا تخلع الثوب

حتى يجيء لها نبأ عن فتاها البعيد^(٣)

ومن الواضح أن أصل الآية القرآنية في سورة مريم ، في قوله تعالى : " قال ربي إني وهن العظم

مني واشتعل الرأس شيباً "^(٤)

وجاء النص هنا لربط المقارنة والتشبيه بين حالة كل من النبي زكريا الذي بلغ منه الحزن مبلغاً كبيراً

واشتعل رأسه شيباً بعد أن شاخ ووهن منه العظم ، وليؤكد الشاعر إن القدس وصلت إلى مرحلة

الوهن التعب ، وإنها تشتعل ، والصيغة المضارعة للفعل تضي على الحدث الاستمرارية ، فالمعاناة

مستمرة ، والنكبات ما زالت تتوالى ، ومنها حيز المناضل الفلسطيني (سرحان بشارة) بعد اتهامه

بقتل السيناتور الأمريكي (روبرت كيندي) الذي قال تصريحات معادية للفلسطينيين ، فوجه الشاعر

نصه له ، ومقدماً رؤيته الشعرية ، في أنه هو المخلص الوحيد لأرض كنعان^(٥).

وإذا كان التضمين فيما سبق يقوم على تضمين بيت أو تحويره ، فإن الأداء الفني في القصيدة الجديدة

قد يضمن ملمحاً خاصاً من ملامح الشخصية التراثية ليكون هذا التضمين صورة آدمية تتجاوز فيه

الشخصية التراثية زمنيتها لتكتسب زمنية معاصرة .

(١) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٩٠

(٢) المتنبي ، شرح ديوان المتنبي ، ١٣٩/٢

(٣) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٢٨١

(٤) سورة مريم ، آية ٤

(٥) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشعري (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٨) ص ٩٢

وهذا الاستخدام يهيئ للشاعر التعبير عن موقفه في محاولة موضوعية بين الطرفين ، وقد يعمد الشعراء إلى تحويل تجربة الصوت التراثي ليحمل مضموناً معاصراً فيما يشبه إيهاماً فنياً بتوحد اللحظة التاريخية بين الصوتين^(١)

وكان ذلك جلياً في القصيدة السابقة (سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس) من خلال استدعاء شخصية سيدنا يوسف _ عليه السلام _ فبدلاً من أن يصور لنا الشاعر ، حزن يعقوب على فقد لابه (يوسف) نراه يستبدل القدس بـيعقوب ويحول توجيه الخطاب لصيغة المؤنث ، فثمة رابط قوي بين القدس وسرحان الذي لا يستطيع أن يتسلم مفاتيحها .

وإن كانت العلاقة بين يعقوب ويوسف ، مشوبة بالحزن لغياب الابن المفضل ، فالعلاقة بين القدس وسرحان لا تخرج عن هذا الإطار^(٢).

وهنا تكمن براعة الشعراء في الاستعمال للتضمين من خلال تحويل الأبيات واستدعاء الشخصيات ، وتوظيف التراث خدمة لواقعهم الإنساني ، ومن ثم عمد الشعراء إلى التضمين من كل لغة وتراث ، ولم يقتصر على لغته الأم فقط .

٣- (الاقتباس) لغة : " القبس النار ، الشعلة من النار تقتبسها من معظم ، واقتباسها الأخذ منها ، وقوله تعالى : " بشهاب قبس "^(٣) ويقال : قبست منه ناراً فأقبسني ، أي أعطاني منه قبساً وكذلك اقتبست منه ناراً ، واقتبست منه علماً أيضاً أي استفدته "^(٤).

اصطلاحاً : هو الأخذ والاستفادة ، وقد عرف هذا اللون من الأخذ منذ عهد مبكر ، وكان العرب القدامى يسمون الخطبة التي لا توشح بالقرآن (شوهاة) والتي لا تستفتح بالتحميد (بتراء) وفي هذا قول الجاحظ : " إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد (البتراء) ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي (الشوهاة) "^(٥).

وقد كانت العرب تعيب على الخطباء الذين لا يقتبسون آيات القرآنية والأحاديث النبوية في خطبهم دلالة على أهميتها لتوضيح المعاني التي يريد أن يوصلها الخطيب للناس ، ونورد مثلاً في ذلك : حيث قول عمران بن حطان أنه خطب عند زياد خطبه ظن أنه لم يقصر فيها عن غاية ، ولم يدع فيها لطاعن علة، فمرّ ببعض المجالس فسمع شيخاً يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن^(٦) ، وقد اختلف أهل اللغة في الاقتباس والتضمين أحما شيء واحد أم أن ثمة فرق بينهما .

(١) انظر : رجاء عيد ، لغة الشعر ، ص ١٠٥

(٢) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشعري ، ٩١ ، ٩٢

(٣) سورة النمل ، آية ٧

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٥١٠/٤

(٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت) ٢/٢

(٦) الجاحظ ، البيان والتبيين : ص ٢ ، ص ٣

وسوف يتم الحديث عنهما دون تعقيد ولا إسهاب مُمل ، للخروج بخلاصة تحاول الوصول لفهم كلا النمطين، فلقد تحدث ابن القيم في كتابه (الفوائد) عن الاقتباس وسماه التضمين .
قال في التعريف : " وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به أو ترتيب فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين ، وإن كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو إبداع " (١) فيلاحظ أن ابن القيم في حديثه السابق لم يميز بين الاقتباس والتضمين بل هما بمعنى واحد ، وإن كانا يختلفان في كثرة الأبيات أو الآيات المضمنة أو المودعة في الشعر ومثله .
ويقول في موضع آخر : " وعلى هذا الحد ليس في القرآن من هذا الشيء إلا ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة : " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " (٢) وإنما الذي ورد في القرآن الكريم بعض آيات وكلمات .. من كلام الله عز وجل فأشبهه التضمين والإبداع " (٣)

وذكر (الحموي) في خزنة الأدب أن هناك رأياً جديداً وهو في جعل الاقتباس على نوعين :

- ما قام به الناشرون من الخطباء والمنشئين يسمى اقتباس .

- ما يتم على أيدي الشعراء في أشعارهم يسمى تضمين .

وذكر أن الاقتباس من كتاب الله على ثلاثة أقسام :

- مقبول : وهو ما كان في الخطب والمواعظ .

- مباح : ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

- مردود : وهو على ضربين :

١- ما نسبته الله تعالى إلى نفسه ، كما ورد عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية

من عماله (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (٤)

٢- تضمين آية قرآنية في معنى هزل لا يحس ذكر مثاله (٥)

لذا فقد خص ابن حجة الحموي الاقتباس بإيراد الشواهد النثرية .

وفي تعليق للدكتور أحمد حامد حول التداخل بين هذين المصطلحين ، قال :

" يبدو من تعريفهم لكل من الاقتباس والتضمين أن المصطلحين يدخلان في دائرة الأخذ المشروع سواء أكان هذا المأخوذ قرآناً أم حديثاً أم شعراً ، ويكاد يتفق العلماء على أن تضمين الكلام المنشور من أي الذكر الحكيم أو الحديث يسمى اقتباساً " (٦)

(١) ابن القيم ، الفوائد المشوق ، ص ١١٧

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٠

(٣) ابن القيم ، الفوائد المشوق ، ص ١١٨

(٤) سورة الغاشية ، الآية ٢٦ ، ٢٧

(٥) نقي الدين الحموي ، خزنة الأدب وغاية الأرب ط ١ (دار صادر - بيروت - د. ت) ص ٥٩١

(٦) أحمد حسن حامد ، التضمين في العربية ، ط ١ (دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠١) ص ٢٨

ويقول في موضع آخر : " يبدو أن سبب التفرقة ما بين التضمين والاقتباس هو تنزيه القرآن الكريم عن الشعر ، وهو سبب لا نراه مقنعاً فالقرآن واضح والشعر واضح ولا يمكن الخلط بينهما "(١) وفي الحقيقة هناك تشابه بين الاقتباس والتضمين ، وقد خلط كثير من العلماء بين هذين المصطلحين ومنهم الجرجاني ، والنويري ، والخطيب القزويني وابن الأثير وغيرهم . وبالتالي يمكن الوصول بنتيجة مؤداها أن التضمين يجري علي الشعر نظيراً لجريان الاقتباس علي القرآن ، ومنه قول الحموي : " العلماء في هذا الباب قالوا إن الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن ، أما النثر فهو الذي يقتبس كالمنشئ والخطيب "(٢). ويأتي الاقتباس على وجهين :

- لا يخرج به المقتبس عن معناه ، ومن أمثله قول الشافعي :

أُتِنِي بِالذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطًّا وَأَشْهَدُ مَعْشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْبَرَايَا عَنَتَ لَجَلالِ هَيْبَتِهِ الْوُجُوهُ
يَقُولُ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَدِين إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ فَاكْتُبُوهُ (٣)
فقد عمد الشاعر في الاقتباس من آيات القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَدِين إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ فَاكْتُبُوهُ ... "(٤).

- يخرج به المقتبس عن معناه ، ومنه قول ابن الرومي :

لَنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (٥)
فقد كنى بالشطر الثاني من البيت الثاني عن الرجل الذي لا يرجى نفعه ، والمراد به في الآية الكريمة (ربنا إني أسكنت ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ...) (٦).
فقله " بواد غير ذي زرع " : اقتباس من القرآن الكريم ، فهي وردت في القرآن الكريم بمعنى " مكة المكرمة " ، إذ لا ماء فيها ولا نبات ، فنقله الشاعر عن هذا المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي ، هو : " لا نفع فيه ولا خير " .

وفي قول صاحب بن عباد :

قَالَ لِي : إِنَّ رَقِيبِي سَيِّءُ الْخُلُقِ فَدَارُهُ
قُلْتُ : دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنُ نَعْمَةً حُفِّفْتَ بِالْمَكَارِهِ (٧)

(١) أحمد حسن حامد ، التضمين في العربية : ص ٢٨

(٢) نقي الدين الحموي ، خزنة الأدب ، ص ٥٩٤

(٣) الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ط٣ (دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٥) ص ١٢٥

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٨٢

(٥) ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، تحقيق: عبد القادر المازني ص ٢٦٥

(٦) سورة إبراهيم ، آية ٣٧ .

(٧) ديوان صاحب بن عباد ، تحقيق محمد آل ياسين ، ط ٢ (دار التعلم - بيروت - ١٩٧٤) ص ٢٣٠

فهذه الأبيات متضمنة لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " (١).

أما الشاعر أمل دنقل في قصيدته (لا تصالح) :

لا تصالح

ولو قال من مال عند الصدام

" ما بنا طاقةً لامتشاق الحسام " (٢)

فهنا الكلام مضمن من مقولة لأحد الأشخاص في قصة حرب البسوس وهدف الشاعر هنا توليد دلالة معاصرة متناقضة مع الدلالة التراثية المرتبطة بالنص (٣).

(٤) الاستدعاء :

لقد كان التراث في كل العصور بالنسبة للشعراء هو ينبوع الدائم التفجر بالقيم الراسخة والباقية ، وأيضاً هو الأرض التي يقف عليها لبناء الفضاء الشعري الجديد .

إن توظيف الشخصيات واستدعاءها يعني استخدامها في سياقات وأنساق شعرية ولغوية ورؤيوية تحمل أبعاد الشعر المعاصر ، أي أنها تصبح وسيلة للتعبير والإيحاء ، وهي تقنية فنية في يد الشاعر يعبر من خلالها أو يعبر بها عن رؤياه المعاصرة التي يعيش ، وينطلق بلسانها أو يحاورها ، ويتقاطع أو يتوازي معها (٤).

لذا فالشخصيات التراثية متعددة المصادر ، تشكل رصيداً مهماً للشعراء لأنهم من خلالها يستطيعون إعادة إنتاج تاريخنا العربي بمختلف أطيافه الأدبية والسياسية الاجتماعية .

وهم بذلك يوصلون الماضي بالحاضر من خلال الغوص فيه واستجلاب هذه الشخصيات ومواقفها المتعددة ، ومن ثم استخدامها في أشعارهم للتعبير عما يرمون إليه سواء مواقف محزنة ومضحكة أو شعور بالسخط وعدم الرضا عن واقعهم .

وتسهم هذه الشخصيات في اختصار زمن الفهم بالنسبة للقارئ ، لأنها حينما تكون وتظهر ، ترسل إشارة إلى عقل القارئ ويتم ترجمتها ، والوصول إلى ما يهدف إليه الشاعر . وبالتالي فهي باعتقاد الباحث مثل قاص الأثر الذي يُستخدم لتتبع آثار أشخاص أو حيوانات للوصول إليها والنيل منها ، فهذه الشخصيات عبارة عن إضاءات تهدي القارئ إلى عقل وقلب الشاعر .

وربما يقول قائل : هذا حال القارئ الناقد ، فما حال القارئ البسيط ، فيمكن القول إن الناس متشابهون من حيث الخلق ، فكلهم أصحاب عقول ، ولكن هناك فروق في القدرات العقلية وإدراكها للأشياء ، لذا

(١) صحيح مسلم ، تخريج صدقي العطار ، ط ١ (دار الفكر للطباعة - بيروت - ٢٠٠٣) كتابه الجنة ، رقم

(٧٠٢٤) ص ١٣٨٩

(٢) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية ، ط ٣ (مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٧) ص ٣٣٠

(٣) انظر : عماد الخطيب ، مبادئ النقد التطبيقي ، تقديم كمال عبهري / ط ١ (دار الجنان ، عمان ، ٢٠٠٢) ص ١

(٤) تركي المغيض ، مجلة أبحاث اليرموك ، ص ١٠٨

فالثقافات متعددة ، والناس مختلفون في أجناسهم وثقافتهم ، وبالتالي لكي تخرج من طريق مظلم إلى طريق منير عليك أن تسعى وتبحث كي تجد ضالتك ، فإن كان القارئ الناقد يصل لهذه الطريق بسرعة ، فما ضير البسيط إن اجتهد وفتش ليصل لهذه الطريق .

وفي الحقيقة يصعب هذا الكلام أحياناً ، لأننا في العصر الذي نعيش عصر السرعة والتطور ، بانفتاحنا على الشعوب الأخرى وثقافتهم ، أصبح الشعراء والكتاب العرب ، يستخدمون ليس فقط الشخصيات والأحداث المتعلقة بالعرب فقط بل انتقلوا للغرب وأصبحوا يستدعون الشخصيات غير العربية والأساطير ، مما يحتاج ثقافة عالية من قبل القارئ وهذا يستدعي الحديث عن آليات الاستدعاء المتنوعة التي توظف داخل الأبيات الشعرية .

إن السؤال الأول الذي يفرض نفسه هو كيفية تأكد القارئ من أن اسم العلم الموجود في النص يشير لشخصية تراثية معينة دون سواها .

يجيب أحمد مجاهد قائلاً : " كثير من الناس يحملون أسماء مثل : عمر وعلي وخالد ، ولكن هل هم عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب أم غيرهم ؟

إن القارئ لا يجد أمامه سوى وسيلة وحيدة يمكنه الارتكاز عليها ... وهي السياق ^(١) ومثال ذلك : كلمة (عذراء) فإذا كانت تعد وصفاً في الواقع اللغوي ، فإنها بعد التعريف (العذراء) تصبح الأقرب في دلالتها لدى الملتقي بوصفها لقباً مشهوراً للسيدة العذراء. ^(٢) ومنه قول أمل دنقل:

في صمت الكاتدرائيات الوسنان

صور للعذراء المسبلة الأجفان ^(٣)

لفظة (العذراء) في هذا السياق متعلقة بالكاتدرائيات والصور .

أما قوله في قصيدته (الموت في لوحات):

صَلَّتْ إِلَى الْعِذْرَاء ، طُوْفَتْ بِكُلِّ صَيْدَلِيَّة ^(٤)

فهنا تعلق السياق بالحديث عن الصلاة يرشح كونها السيدة مريم ، والددة سيدنا عيسى عليه السلام .

ومن آليات الاستدعاء :

أولاً :- الاستدعاء بالعلم : حيث يحتل العلم المرتبة الثانية في التقسيم النحوي، وينقسم اسم العلم في مجمله إلى قسمين :

- شخصي : إن عين مسماه مطلقاً كزيد .

- جنسي : إن دل بذاته على ذى الماهية تارة وعلى الحاضر أخرى فقولك (أسامة أشجع من ثعالة)

^(١) أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشعري ، ص ١٥

^(٢) أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشعري ص ١٧

^(٣) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٩٨

^(٤) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ١٥٠

كقولك : الأسد أشجع من الثعلب وقولك (أسامة مقبلاً) كقولك : الأسد مقبلاً⁽¹⁾.

وسوف يقتصر الحديث على النوع الأول وهو اسم الشخص :

أ- الاسم المباشر : فقد يكون اسم العلم التراثي المستدعي داخل النص غير مشهور ، أو مجهولاً لدى القارئ ، لذا فقد حاول المبدعون تخطيها بواسطة بعض الحيل الفنية الخارجية .

أما الحيل الخارجية فتتمثل في هوامش التعريف باسم العلم الغريب ، مثل (صلاح عبد الصبور) مع " بشر الحافي " في قصيدته (مذكرات الصوفي بشر الحافي) حيث قال :

" أبو نصر ، بشر بن الحارث ، كان قد طلب الحديث ، وسمع سماعاً كثيراً ، ثم مال إلى التصوف ، ومشى يوماً في السوق ، فأفزعته الناس ، فخلع نعليه ، ووضعها تحت إبطيه ، وانطلق يجري في الرمضاء ، فلم يدركه أحد ... " ⁽²⁾ وأما الحيل الداخلية فتتمثل في تعريف اسم العلم الغريب داخل النص الشعري نفسه وتنقسم إلى قسمين :

- مباشر : مثل ما قاله صلاح عبد الصبور في قصيدته (فصول منتزعة) حيث قام بتعريف القارئ بثلاث شعراء أجانب في هوامش محصورة بين أقواس داخل سياق القصيدة ⁽³⁾. حيث يقول:

أبغى أن أجلس جنب صديقي " أوبرستاد "

(من أوصلو بالنرويج ، ويكتب شعراً يتردد فيه

حرف الخاء كثيراً

أو جنب صديقي أيفتوشنكو

(من موسكو .. كان هنا ضيفاً منذ سنين)

أو جنب صديقي براهني

(من إيران)

أبغى أن أجلس جنب صحابي الشعراء

من شتى البلدان⁽⁴⁾

فقد جاءت التعريفات الثلاث موزونة على بحر (المتدارك) وهذه الأسماء كانت تحتاج لتعريف القارئ العادي ، حتى يواصل استمتاعه بالنص .

- غير مباشر: وهو عبارة عن إيراد بعض المتعلقات الخاصة باسم العلم الغريب ضمن سطور

⁽¹⁾ (ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، ط ١) (الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق ، ١٩٨٤)

١٧٨/١

⁽²⁾ (صلاح عبد الصبور ، ديوان صلاح عبد الصبور ، ط ١) (دار العودة ، بيروت ١٩٧٢) ص ٣٦١

⁽³⁾ (انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشعري ، ص ٢٤)

⁽⁴⁾ (صلاح عبد الصبور ، ديوان صلاح عبد الصبور ، ط ٣ / ٤٧٥)

القصيدة نفسها ، بحيث يصبح المتلقي على قدر من المعرفة بالشخصية^(١) كما فعل عبد الصبور مع (جورجياس) ومع (بودلير) حيث اكتفى بوصف الأول بأنه مؤدبه الأمين):

من بينهم مؤدبي الأمين (جورجياس)^(٢)

واكتفى بوصف (بودلير) بأنه شاعر :

شاعر أنت والكون نثر^(٣)

ب- **اللقب** : ويدل على الذات وعلى صفة المدح أو الذم ، قد أشار القرآن الكريم إلى القيمة الدلالية الخاصة بصيغة اللقب في قوله تعالى : " ولا تنابزوا بالألقاب "^(٤)

فعندما تقول مثلاً : أحمد أشعر العرب ، لن يدرك السامع المتوسط الثقافة من أحمد ؟ وسيخيل إليه أحمد شوقي .

أما السامع غزير الثقافة ، فيتساءل هل تقصد أحمد بن الحسين ، أم أحمد بن عبد الله ؟ لكنك إذا قلت (المتنبّي أشعر العرب) سيدرك الاثنان من هو الشاعر المعني.

فالعلم بأنواعه المختلفة يمثل إشارة لاستدعاء المشار إليه ، وقد يكون الاسم المباشر أكثر شهرة من اللقب ، فمثلاً : شجرة الدر ، أكثر شهرة من اللقب " عصمة الدين "^(٥) وقد يكون اللقب أكثر شهرة من الاسم المباشر مثل :

البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة)^(٦).

من ذلك قول الشاعر أمل دنقل في قصيدته (طفلتها):

والمسيح المرتجى : قاتله

كان في عينيك عذر برأه^(٧)

وجاء استخدام الشاعر للقب سيدنا عيسى لأن السياق يحمل دلالات التسامح والحزن .

وقد يكون اللقب من صنع الناس سواء كان في حياة الشخص مثل (زرقاء اليمامة) أو كان بعد موته مثل (المعلم الشهيد) الذي ورد في قوله صلاح عبد الصبور :

ألم يقل لنا " المعلم الشهيد " حكمة الأجيال^(٨)

وقد يكون اللقب أخص من الاسم المباشر ، كقول عبد الصبور :

وهو يحب المصطفى^(٩)

^(١) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص الشعري ، ٢٥ ، ٢٦

^(٢) صلاح عبد الصبور ، ديوان صلاح عبد الصبور ، قصيدة أحلام الفارس القديم ، ٥٤

^(٣) صلاح عبد الصبور ، ديوان صلاح عبد الصبور ، قصيدة بودلير ، ص ٢٣١

^(٤) سورة الحجرات ، آية ١١

^(٥) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص ، ص ٢٨

^(٦) انظر : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت) ٥٢/٩

^(٧) أمل دنقل : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٥٦

^(٨) صلاح عبد الصبور ، ديوان صلاح عبد الصبور ، الناس في بلادي ، (دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨١) ص ٧٩

ونراه أيضاً قد استخدم ثلاثة أوصاف قديمة ومتداولة لاستدعاء شخصيات المتنبي والمعري وشوقي ،
حيث استخدمه لكنية الأول ، ولقب الثاني والثالث ، فقال:

وأعلم أنكم كرماء
وأنكم ستغفرون لي التقصير
ما كنت أبا الطيب

...

ولست أنا الحكيم رهين محبسه

...

ولست أنا الأمير يعيش في قصر بحضن النيل^(٢)

ج- الكنية: وهي ثالث فروع العلم ، وتتكون من شقين يضاف أحدهما إلى الآخر ، وتختلف الكنية عن الاسم المباشر ، وتتفق مع اللقب بوصفه إشارة مزدوجة ، كونها تدل على الذات وعلى غيرها معها .
وليس بالضرورة أن تشير كل كنية لاستدعاء شخصية معينة^(٣) ، كما هو الحال في قول أمل دنقل في قصيدته (سفر التكوين) :

ورأيت ابن آدم يردى ابن آدم يشعل في

المدن النار ، يغرس خنجر في بطون الحوامل^(٤)

فاستخدم الكنية للدلالة على الجنس عموماً وقد تكون الكنية أشهر من اللقب ومن الاسم المباشر ، كما في قول عبد الصبور:

أبو تمام الجد الحزين لا يترنم

قد قال لنا ما لم نفهم^(٥)

حيث فضل الشاعر استخدام الكنية لأنها أكثر شهرة من الاسم المباشر الذي قد يكون مجهولاً للقارئ المتوسط وهو (حبيب بن أوس الطائي)^(٦).

ثانياً :- الاستدعاء بالدور: حيث ذكر الدور الذي لعبته الشخصية دون التصريح باسمها داخل النص فقد قام الشاعر أمل دنقل باستدعاء شخصية عنتره في قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) مكتفياً بدورها واسم قبيلتها دون التصريح باسمها المباشر ، فقال:

ظلمت في عبيد عبس أحرس القطعان

(١) صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور ، ص ٢٩

(٢) صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور ، ص ١٥٨

(٣) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناس ، ص ٤٢

(٤) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٢٧٠

(٥) صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور ، ص ١٤٢

(٦) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناس ، ص ٤٤

أجتز صوفها

أرد نوقها

أنام في حظائر النسيان

طعامي ، الكسرة ، والماء وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكماة والرماة والفرسان

دعيت للميدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان

أنا الذي لا حول لي أو شان

أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان

أدعى إلى الموت ولم أدع إلى المجالسة^(١)

" فآلية الاستدعاء قد تناسبت تناسباً واضحاً مع دلالة السياق ، لأن الاسم المباشر لعنترة بن شداد يحظى بقدر كبير من صفات العزة والشرف لا تتناسب مع عالم العبودية والذل ، الذي يلح الشاعر على تصويره ، كما أن ذكر قبيلة (عبس) مصاحباً لدور العبودية في قوله : ظللت في عبيد بني عبس ، يوحي بأن دور العبودية دور مخصص لعامة الشعب ، وليس مقصوراً على عنتره وحده " ^(٢). ويقول الشاعر المغربي ، محمد الميموني في استدعائه لمواقف ومبادئ أبي ذر الغفاري في قصيدة (في منفى أبي ذر) :

هذا الراحل لا يثقل كاهل حمل

لكن القلب ينوء بأحلام العودة

لو يدري الشارع أحلام الراحل وحده

لامتد على الآفاق إلى نجمه^(٣)

حيث نقلنا الشاعر إلى ذروة مأساة أبي ذر المنفى المطارد وتكشف القصيدة عن مواقفه الجريئة الثابتة
ثالثاً :- الاستدعاء بالقول : ويتمثل ذلك في توظيف الشاعر لقول يتصل بالشخصية ويصلح للدلالة عليها في آن واحد^(٤).

ولقد قام أمل دنقل باستدعاء شخصية الزبء ملكه تدمر في قصيدته (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ، حينما أرسل إليها عدوها عمرو جاسوساً يخبرها بأنه سوف يأتيها مسترضياً ومحملاً بالهدايا فلما بدت

(١) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٤

(٢) أحمد مجاهد ، أشكال التناص ص ٨٩

(٣) انظر : تركي المغيض ، مجلة أبحاث اليرموك ، ص ١٠٠

(٤) انظر : أحمد مجاهد ، ص ١٥٩

قافلة عمرو في الأفق كثيرة الجمال بطيئة الحركة ارتابت الزباء وتساءلت مستكثرة^(١)، واعتمد على آلية القول:

أسائل الصمت الذي يخنقني

ما للجمال مشيها ونيدا ؟

أجندلاً يحملن أم حديدا

فمن ترى يصدقني

أسائل الركع والسجود

أسائل القيود :

ما للجمال مشيها ونيدا

ما للجمال مشيها ونيدا^(٢)

وفي قصيدة (الموت في الفراش) ، يستدعي الشاعر المقولة الخالدة للبطل الإسلام (خالد بن الوليد)
" هأنأ أموت على فراشٍ كما تموت البعير ، ألا نامت أعين الجبناء " .
حيث قال في القصيدة:

أُموّت في الفراش مثلما تموت البعير

أُموّت والنفير

يدق في دمشق

أُموّت في الشارع : في العصور والأزياء

أُموّت والأعداء

تدوس وجه الحق

" ما بجسمي لوضع إلا وفيه طعنة برمّح "

إلا وفيه جرح

إذن

" فلا نامت عيون الجبناء "^(٣)

فالمقولات (ما بجسمي موضع إلا وفيه طعنة رمح) ، (فلا نامت عيون الجبناء)
هي مقولات مقتبسة على لسان خالد بن الوليد _ رضي الله عنه - حيث استدعاها الشاعر ليقارن بين موقف سرحان وهو ينتظر الموت أيضاً متحسراً ناقماً على واقعه الذي يعيش .
ولقد وحّد الشاعر في هذه الحركة بين ثلاثة أصوات مترابطة :

(١) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (دار صادر - بيروت ، ١٩٨٢) / ١٢٠١

(٢) أمل دنقل الأعمال الشعرية ، ص ١٢٤ ، ص ١٢٦

(٣) أمل دنقل الأعمال الشعرية ، ص ٢٥٣ ، ص ٢٥٤

حيث يتحد صوت الشاعر ، بصوت (سرحان بشارة) عبر تقنية القناع ، ويتحد صوت بشارة بصوت خالد بن الوليد _ رضي الله عنه _ عبر تقنية التناص^(١).

ثانياً: التناص غير المباشر :

وينضوي تحته التلميح والرمز والتلويح والإيماء والإشارة والمجاز ، وهو عملية شعورية يقوم بها الأديب باستنتاجات مع النص المتداخل معه وإبراز أفكار معنية يوحى بها ويرمز إليها في نصه الجديد، وتعتمد هذه الأنماط على فهم المتلقي وتحليله للنص .

ويسمى أيضاً التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء وقد يكون المؤلف غير واع بحضور النص أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه ، ويحتاج هذا التناص إلى ثقافة واسعة عند الباحث وإلى معرفة وإطلاع واسعين ، ويطلق عليه الدكتور (محمد عزام) التناص الخارجي ويعرفه قائلاً : " بأنه حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والمستويات وعملية استشفاف التناص الخارجي ليست بالسهلة ، وخاصة إذا كان النص مبنياً بصفة حاذقة ولكنها مهما تسترت واختفت فلا تخفى على القارئ المطلع الذي بإمكانه إعادتها إلى مصادرها "^(٢). فنلاحظ أن هذا النمط من التناص صعب على القارئ البسيط ، ولكنه كما النص السابق لا يصعب على الناقد المتمرس ، وأنه سوف يستطيع في نهاية الأمر الوصول إلى المصادر التي تناص معها الكاتب .

وقد أشارت (نهلة الأحمد) إليه قائلة: " وليس بالضرورة أن يأتي التناص الخارجي تناصاً حرفياً، مثل التناص الداخلي بل يمارس عليه تحريف أو تشويش أو خرق وبآليات مختلفة "^(٣).

وسوف يتم الحديث عن بعض هذه الأنماط :

١- التلميح :- لغة : لمح إليه لمحاً ، وألمح : اختلس النظر ، وقال بعضهم ، لمح : نظر ، واللمحة : النظرة بالعجلة^(٤)

اصطلاحاً : يعني الإيماء المباشر أو غير المباشر في الشعر والنثر إلى قصة معلومة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفصيل^(٥) ، ويعرفه اليميني في الطراز : " هو أن يشير المتكلم في أثناء كلامه ومعاطف شعره أو خطبه إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة فيلمحها فيوردها لتكون علامة في كلامه ، وكالشامة في نظامه "^(٦).

ومن أمثله قول أحد الشعراء:

(١) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص ص ١٧٤

(٢) انظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص ٣٢

(٣) انظر : نهلة الأحمد التفاعل النصي ، مجلة كتاب الرياض ، دون ط (مؤسسة الإمامة الصحفية ، السعودية ، عدد

٢٠٠٢، ١٠٤) ص ٢٨٤

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة لمح ، ٥٨٤/٢

(٥) الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ٣٣٨/١

(٦) يحيى اليميني ، الطراز ، ١٧١/٣

أَتَرَى الْجِيرَةَ الَّذِينَ تَدَاوُوا عِنْدَ سَيْرِ الْحَبِيبِ وَقَتَ الزَّوَالِ
عَلِّمُوا أَنَّنِي مُقِيمٌ وَقَلْبِي رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الْجَمَالِ
مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحَلِ الْقَوْمِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا فِي الرِّحَالِ^(١)

حيث أشار إلى قصة سيدنا يوسف في القرآن الكريم من ذكر صواع صاحب مصر أيام يوسف وما فعله مع إخوانه^(٢) حيث قوله تعالى : " فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون "^(٣) وفي قول أبي فراس الحمداني :
فَلَا خَيْرَ فِي رَدِّ الْأَذَى بِمَذْلَةٍ كَمَا رَدَّهُ يَوْمًا سَوَاتَهُ عَمْرُو^(٤)

هذا التلميح فيه إشارة إلى قصة عمرو بن العاص مع الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه في يوم (صفين) .

٢- الرمز :

لغة : الرمز إشارة وإيماءة بالعينين والحاجبين والشفنتين والقم ، والرمز مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين ورمز يرمز رمزاً ، وفي التنزيل في قصة زكريا عليه السلام : "ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا"^(٥) ورمزته المرأة بعينها ترمزه رمزا : غمزته^(٦) .

اصطلاحاً : هو عبارة عن تكثيف دلالي إيحائي لصورة تتبدى في مخيلة الأديب ، أو كما تحدث عنه (بشر بن فارس) بأنه أسلوب صوري يركز فيه الشاعر على الواقع لينطق منه بعد ذلك إلى ما فوق الواقع .

حيث انطلق بشر في تعريفه للرمزية من تأثره بالغرب ، ومن ضمنها مقولة (شوبنهاور) "العالم هو ما يتمثل لى " فهي تقوم على الإيحاء الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى الغموض كما هي عند (فرلين) و (دي رينيه) ، أمر يصل فيها الغموض إلى حد الاستغلاق كما هي عند (مالارمييه) و (كلوديل) و (فاليري) .

ورغم ذلك فإن بشر يرى فيها ظلاً لطيفاً لأنها تقوم على الدفائن والخواطر والواردات والتلويح والتمثيل وهو ما أسماه (الأدب المظلل)^(١)

(١) (الأبيات منسوبة لابن المعتز ، وهي لمحمد بن حمدان المعروف بـ (الخباز البلدي) - انظر : القطيفي ،

المحمدون من الشعراء ص ١١ ، كتاب الكتروني ، موقع الوراق (www.alwarraq.com /)

(٢) انظر : الخطيب القزويني ، الإيضاح ، ٣٨٨/١

(٣) سورة يوسف ، آية ٧٠

(٤) (أبو فراس الحمداني ، ديوان أبي فراس الحمداني ، تعليق عباس إبراهيم ، ط ١ (دار الفكر العربي - بيروت -

١٩٩٤) ص ٧١

(٥) سورة آل عمران ، آية ٤٠

(٦) (لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رمز ، ٣٥٦/٥

ومنها الرمز الشعبي ، ومهمته توظيف الرمز الشعبي في الدلالة السياقية وإنتاج رمزٍ أدبيٍّ يتخلق في النص ويعيد مكوناته من داخله مع الاستفادة من معناه في الاتجاه الذي يسوق القصيدة إلى تكوينها .

ويتم ذلك من خلال ذكر أسماء أماكن وفعاليتها الاجتماعية والسياسية والتي قد تكون مجهولة لدى الملتقى في أماكن أخرى .

وحين توظيف هذه الأسماء تفيد إعطاء النص الشعري نكهته المحلية وإبراز صيغته الخاصة وتشمل:

أ- الفلوكلور .

ب- الأساطير .

ج- أمثال شعبية .

د- رموز شعبية .

هـ - قصص شعبية (2).

إنَّ مصطلح الرمز قد تعرض إلى الكثير من التضاربات والاختلافات بين الدارسين حسب رؤية كل واحد منهم " فالرمز بمفهومه الشامل هو إمكانية حلوله محل شيء آخر في الدلالة عليه ليس بطريقة المطابقة التامة وإنما الإيحاء "(3)

" والرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانها الشاعر ، والتي تمنح الأشياء مغزىً خاصاً... والشاعر يستخدمه في الأساس كمحاولة لاقتصاص حقائق ومعاني لا يستطيع التعبير المباشر للحاق بها "(4)

وبالتالي فالرمز يحتاج إلى تبصر ودقة ونظر ورؤيا أكثر من التلميح لأن النص الغائب يتسع ويتكاثر بالكتابة الشعرية ومع تتعدد عملية القراءة وفهم الدلالات الغامضة التي تستدعي معرفة جيدة بهذا النص .

ومن أمثلة ذلك، قول عقاب بلخير :

أين سيزيف⁽¹⁾ بعبيء الفقل يحيا

(1) انظر : مدخل إلى شعر بشر فارس ، جورج عيسى ، مجلة الموقف الأدبي ، (اتحاد العرب ، دمشق ، ع ٣٣٨ ، ١٩٩٩) ص ٣٥

(2) انظر : دريد يحيى الخواجة ، الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة ، ط ١ (دار الذاكرة ، حمص ، ١٩٩٧) ص ٧٣

(3) (زاوي سارة ، جماليات التناص في شعر عقاب بلخير ، رسالة ماجستير (جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٨) ص ١٨٦

(4) (محسن بيشواي ، رمزية السياب واستدعاء الشخصيات القرآنية ، (مجلة الجمعية العلمية الإيرانية ، ع ٥ ، ١٣٥٨هـ) ص ٣

يحمل الشمس ولا يعرف سره
قدر المكلوم في هذه الحياة
قدر المشتاق لا يدرك صبره
قدر الميت في صمت الرفاة
فتعلم أيها الحب احتمالا
لست وحدك

يعاني وهو مكلوم بجمره
إنها الشمس تناديننا تعالوا

من وراء الحجب ذوبوا في مصابيحي التي اشتعلت عمره ^(٢)

" فالشاعر في النص قدمال إلى تحويل الأسطورة ، فبدل أن ترمز للمعاناة جعلها تبدو ذات ملمح جديد
مغاير لما هو في الأصل ، ومن ثم تحويلها موقفا عصريا ، ودون ذلك تبقى الأسطورة مجرد إطار
قصصي ولون بلاغي يوشي به قصيدته " ^(٣).

ويقول : ممدوح السكافي في استخدامه للمثل العربي :

لا الصيف صيفك

أنت وحدك في الرهان

ضيعت الأمان ^(٤)

حيث يرمز هنا إلى قصة شعبية معروفة حول التي ضيعت اللبن في الصيف فلقد ارتفع الرمز عن
القصة إلى مستوى التعبير عن الروح الشعبية الجماعة وهي تنظر إلى واقع الوطن .
إن ظاهرة استلهاهم الرموز الشعبية قد اتسعت في عصرنا الحديث مع دخولها رموز التراث مثل
الصعاليك والهلالي والمتنبي وصالح الدين وزرقاء اليمامة وكافور الإخشيدي .
كما اتسعت أيضاً مع دخول الأساطير والميتافيزيقيا والميثولوجيا مثل : عشتار وإيزيس ومارس
وفينوس وغيرها ومن الآلهة اليونانية والرومانية والفرعونية والكنعانية .
ويشير (أدونيس) في كتابه (سياسة الشعر) إلى أن الأشكال الاجتماعية الثقافية للرمزية هي أربعة
دينية ، سياسية ، فنية ، تقنية ، والسائد في الثقافة العربية هي الرموز الدينية .

(١) ملخص الأسطورة : أن الآلهة ، أرغمت سيزيف على دحرجة صخرة ضخمة على تل منحدر ، ولكن قبل أن يبلغ
قمة التل ، تقلت الصخرة دائما منه ويكون عليه أن يبدأ من جديد مرة أخرى ، و كانت العقوبة ذات السمة الجنونية
لاعتقاده المتعجرف كبشر بأن ذكاه يمكن أن يغلب ويفوق ذكاء زيوس ومكره .

(٢) عقاب بلخير ، السفر في الكلمات (منشورات رابطة إبداع الثقافية ، الجزائر ، ١٩٩١) ص ٢٢

(٣) زاوي سارة ، جماليات التناس في شعر عقاب بلخير ، ص ١٨٨

(٤) انظر : دريد الخواجا ، الغموض الشعري . ص ٧٥

ويقول : " اتجه الشعراء إلى مجموعة من طرائق التفكير والشعور والممارسة البعيدة عن الحياة التقليدية ، بمعنى أن المعنى الحقيقي للثقافة عندهم يكمن في الصور العليا للحياة الاجتماعية والصور العميقة أي في الإبداع ، لأن الحياة اليومية التي تقوم على الإعادة والتكرار والتقليد لا تمثل من الثقافة إلا جوانبها العادية "(١).

ويعتقد الباحث أن حديث أدونيس عن الرمز المنضوي تحت أنماط التناص الخفي بأنه قد ظهر حديثاً ولم يكن موجوداً عند قدمائنا العرب ، ففي هذا وقفة ، وهو أن العلماء الأوائل لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا وتعرضوا لها ، ويبدو هذا جلياً في كتاب (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني ، عند استحضاره للأبيات الشعرية التالية في سياق حديثه عن قضية اللفظ والمعنى :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان ما هو ماسح
وشدت على حذب المهاري رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هو رائج
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح^(٢)

حيث يقول : " فانظر إلى الأشعار التي أثنوا عليها من جهة الألفاظ ... ثم راجع فكرتك واشدد بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في الرأي ، هل تجد لاستحسانهم وحمدهم ... منصرفاً إلا إلى استعارة وقعت موقعها وأصاب غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل معه المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع ... "(٣)

فشعرية الأبيات وأدبيتها لا تعود في تصور عبد القاهر الجرجاني إلى جهة ألفاظها باعتبارها أصواتاً مسموعة ، بل إلى مقومات فنية وهي :

أ- حسن الترتيب والتأليف .

ب- العموم والإيجاز : ذلك أن أول ما يتلذذك من محاسن هذا الشعر أن صاحبه قال : ولما قضينا من منى كل حاجة " فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنة أن يقتصر معه اللفظ هو طريق العموم "(٤)

ج- التلويح والإشارة والإيماء : وهي من المقومات الفنية التي بها يتقوم الشعر ، ولا يقوى عليها إلا الفحول من الشعراء وقد استطاع الشاعر أن يدل بلفظة (أطراف) في قوله :

أخذنا بأطراف الحديث بيننا ، على الصفة التي يختص بها الزمان هو عادة المتطرفين في الإشارة والتلويح والرمز والإيماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط ، وكما يليق بحال من وفق

(١) انظر : أدونيس ، سياسية الشعر ، ط٢ (دار الأدب ، بيروت ، ١٩٩٦) ص ١٢٠

(٢) (اختلف الدارسون والمحققون حول نسبة هذه الأبيات ، فالأبيات منسوبة ليزيد بن الطثرية في الخصائص ٢١٨/١ ، ومنسوبة لعقبة بن زهير وكثير ويزيد في أسرار البلاغة ص ٢٢ .

(٣) (عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق محمود شاكر ، ط١ (دار المدني ، جدة ، ١٩٩١) ص ٢٢

(٤) (عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص ٢٣

لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب ، وتنسم رائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهاني والتحايا من الخلان والإخوان^(١).

ويعقب الدكتور محمود عبد الواحد قائلا : " إن منهج عبد القاهر في التعامل مع لغة النص ومعطياته منهج متنوع ، قوامه التفسير والتحليل وحسن التعليل... فالنص كما يرى عبد القاهر يعلن عن دفقات شعورية متتابعة ، تجيش في نفس الشاعر ، فرحا بالفراغ من أداء واجب مقدس مرورا بالعود الحميد إلى الأهل والخلان "^(٢) ويرى صدى الكلام لابن جني في هذا العرض التحليلي لدى الجرجاني ، دعنا ننتقل إلى قول ابن جني في ذلك : " وذلك أن قوله " أطراف الحديث " وحياً خفياً ورمزاً حلواً ألا ترى أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والإيماء دون التصريح وذلك أحلى وأدمث وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفاً ومصارحة وجهراً "^(٣) وقد جاء الكلام في^(٤) باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالفاظ وإغفالها المعاني .

وهذا دليل قاطع على معرفة قدمائنا بهذه الأنماط ، قبل أن يسوقها لنا الغرب .

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص ٢٤

(٢) محمود عبد الواحد ، قراءة النص وجماليات التلقي ، ط ١ (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦) ص ٨٨ ، ص ٨٩

(٣) ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد النجار ، ط ٢ (دار الهدى ، بيروت ، د. ت) ٢١٨/١

- تقانات التناس -

وهي التقانات والآليات التي يعتمد إليها الشعراء في قصائدهم وكتاباتهم ، وللتناس آلية تتحد من خلال مفهومين أساسيين هما : الامتناس والتحويل، أي أن النص لا يتم إبداعه من خلال رؤية الكاتب/ الفنان ، بل تتم ولادته من خلال نصوص أدبية أو فنية أخرى ، مما يجعل التناس يشكل من مجموع استدعاءات خارج نصية ، يتم إدماجها وفق شروط بنيوية خاضعة للنص الجديد^(١) .

فهذه التقنيات هي ما تميز كل سياق تناسي ، وإن أسلفنا القول في تعريفنا للتناس أنه إعادة كتابة السابقين أو الأسلاف من خلال استخدام أنماط التناس المختلفة ، فإن الشاعر أو الكاتب سوف يعيد هذا الإنتاج من خلال استخدام التقنيات ، لإضافة شكل جديد للنص المعاد وتحويره بما يخدم هدفه ومقصده .

" فالتناس إذن للشاعر ، بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له دونهما ولا عيشة له خارجهما ، وعليه فإنه من الأجدي أن يبحث عن آليات لا أن يتجاهل وجوده هروباً إلى الأمام " (٢)

وهكذا كما ذكر محمد مفتاح ، أنه لا استغناء عن التناس وبالتالي يجدر البحث عن آليات وتقانات مناسبة ، ومن هذه التقانات :

أولاً : التضخيم (التوسع) lamplification :

ويقوم فيه الكاتب أو الشاعر بالتوسع في النص المكتوب والاستطراد فيه وينمي فيه عناصر دلالية يراها هو فيه . وربما تكون كامنّة في النص أو ليست موجودة إطلاقاً^(٣)

حيث يعطي النص أكثر من حجمه مع استنطاق كل ما فيه وكل ما ليس فيه^(٤)

ومثال ذلك ما فعله (لوتريامون) بمقارنة (بودلير) بين عمق الإنسان والبحر ، فلقد توسع (لوتريامون) بتركيزه على خسارة الإنسان أمام البحر ، ثم ضخمها ثانياً عندما ألقى على شعرية (بودلير) غلائل سخرية من لغة نثرية وعلمية .

فحينما اكتفى بودلير بقوله : " - تتأمل روحك في التدرج اللانهائي لأواجه " كتب لوتريامون : " أيها الأوقيانوس الشيخ ، لا يمكن قط مقارنة عظمتك المادية إلا بالمقياس الذي نكون لأنفسنا عما لزم من قوة فاعلة لإنتاج كتلتك في كليتها، وحتى نتأملك ينبغي أن يديرَ البصرَ مراقبه في حركة متواصلة صوب نقاط الأفق الأربع " (٥)

(١) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢٤

(٢) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢٥

(٣) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً (مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٣) ص ٥٤

(٤) انظر : نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ٢٩٤

(٥) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٥

فلاحظ هنا أن (بودلير) في خطابه للإنسان بإزاء البحر ، عبر عن ذلك بغنائية شعرية بسيطة بينما (لوتريامون) تضخم وتوسع في تناصه مع بودلير وتضمن حديثه السخرية وإدخال مصطلحات علمية مثل (المقياس ، الكتلة ، المرقاب) .

و من القصائد التي ذكر فيها التوسع والاستطراد نذكر منها على سبيل المثال :
قصيدة للشاعر حسن سباق بعنوان (على لسان الخنزير أولمرت أيها العربي أنت المستباح) :
بالحرب نسبي لليهود نساءكم
ونعيد منكم أمنا !!

أو ليست الأم التي تدعى صفية أمنا ؟؟
بنت الملك الخبيرة رأسنا ..
فلسوف ندرك ثأرها
ونجى نأخذ دارها
ونزورُ جمعاً قبرها^(١).

يأتي الشاعر بهذه المقطع ، الذي ساقه على لسان شخصية يهودية غير مرغوب بها ، حيث وصفه بحيوان منبوذ عند العرب والمسلمين ، حتى لمجرد ذكر اسمه .

يتسم هذا المقطع بدرامية حادة ، تصور وحشية وخسة هؤلاء القوم ، الذين يكونون مشاعر الغضب والكراهية ، للجنس العربي أجمع ، فنراه قد استحضر شخصية صفية بنت حيي بن الأخطل ، زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم - والتي وقعت أسيرة بعد مقتل والدها وعمها وزوجها ، في معركة جرت بين المسلمين واليهود^(٢).

وبالتالي هؤلاء اليهود لا زالوا يتذكرون هذه الواقعة ، ويملأون صدورهم بالغل والحقد ، فكأن الشاعر يريد أن يعيد المتلقي إلى الحقيقة التاريخية لهؤلاء اليهود ، فجاءت المفردات (ثأرها- دارها- قبرها) دالة دلالة قطعية على هذه الأحقاد والأطماع المادية ، في حلمهم بإسرائيل الكبرى فنجح التوظيف بأبعاده الدرامية إلى وضع النقاط على الحروف فهؤلاء الأعداء لا همّ لهم سوى إراقة الدماء العربية واستباحتها أنى أتحت لهم الفرص، فلاحظ أن الشاعر قد توسع واستطرد في النص المكتوب ليسلط الضوء على أحقاد اليهود الدفينة .

ثانياً : التحرير (verbaliasation) :

وهو الذي يعني التحرير الكتابي لما ليس كتابياً بالأصل وينطبق على حاله التناص بين الأنواع أو الأجناس المختلفة .

ومثال ذلك : (كلود سيمون) في روايته (معركة فارسال) عندما عمد إلى وصف لوحة أو صياغة محتوياتها كتابياً .

(١) لأجلك غزة ، ص ١٤١

(٢) انظر : عبد الغني محمد ، زوجات النبي وحكمة تعددهن ، (مكتبة مدبولي ، القاهرة، د.ت) ص ٥٧

أو ما فعله (دوبلن) في روايته (برلين ساحة الإسكندر) حين وصف مع دخول بطله برلين ، الشعارات المرسومة التي ترمز للأعمال العمومية في المدينة .

حيث منحت الكتابة بعداً لفظياً أو ترجمة تحريرية لمرجع صوري ، فلا تجد الصورة من مرجع لها في الرواية سوى النص الوصف لها ^(١).

لذا فالنص يجهد في اختزال جميع العناصر الغريبة غير اللفظية ، وإن حاول النص المكتوب اللحاق بنظام رمزي ، فإن التطابق بين النوعين يظل متعزراً مما يدفع بعض الكتّاب إلى الاستعانة برسوم أو علامات تشكيلية ، كما فعل (سيمون) في محاولته أن يحل محل مفردة القميص مربعاً مرسوماً وملتحقاً بالعبرة ، ولكن تظل هذه الإجراءات بدائل متواضعة ^(٢).

ثالثاً : الخطية (Linearisation) :

إن الكتابة ظاهرة خطية محكومة باستمرارية النصوص أفقياً كما في معظم اللغات ، أو عمودياً كما في اللغات اليابانية والصينية

وعندما يأتي كاتب النص للقيام بعملية الكتابة ، لا يستطيع أن يحافظ على العناصر المتعددة لعملية الكتابة ودفعاً للعمل على نحو مترام كما في الرسم والموسيقى ^(٣) " وبالتالي يعمد الكاتب إلى ما يشبه تسوية لعناصر النص الأصلي الذي يتناصه أو يناصه ، وعناصر نصه الجديد في فضاء الصفحة وداخل حدودها المادية بقدر أن يفيد من بدائل أخرى ، تشوش تراتب المقاطع أو التوكيد على بعض الأسطر بطبعها بحروف مختلفة مائلة أو سميكة ^(٤) ، ومن أمثلة ذلك :

قول الشاعر إبراهيم الكوفحي في قصيدته (غزة أو آخر الجراح) :

كيف طابت لكم حياة وقد عا (م) ثت فسادا

(قريظة) و (النضير) ؟ ^(٥)

استفهام استنكاري من قبل الشاعر لهذه الكثرة الخاوية من جموع المسلمين ، ومن ثم نراه يرتد على طريقة (الفلاش باك) ، حيث استدعى حادثتين مهمتين ، في التاريخ الإسلامي وأشخاصها واحد ، وهم اليهود الذين يعيدون نفس أفعالهم المشينة في واقعنا الذي نحيا ، فلقد رمز لهم بأسماء قبائلهم إبان عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقريظة نقضت عهدها مع الرسول ، وتحالفت مع القبائل العربية ، في غزوة الخندق ، وحاصرت الرسول وصحبه ، وبنو النضير حاولوا قتل الرسول من خلال إلقاء حجر ضخم فوق رأسه ، وهو يتفاوض معهم في السنة الخامسة للهجرة ^(٦).

(١) انظر : كاظم جهاد، أدونيس منتحلا ، ، ص ٥١

(٢) أدونيس منتحلا ، كاظم جهاد ، ص ٥١

(٣) انظر : نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٢٩٢

(٤) كاظم جهاد ، أدونيس منتحلا ، ص ٥١

(٥) لأجلك غزة ، ص ١٢

(٦) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق طه سعد (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت) ١٤١/٣

فقد كشف الشاعر من خلال إشارته لهاتين الحادتين بأن اليهود ناقضون للعهود ، ولا ينفع معهم سوى لغة السلاح ، ونراه قد استخدم تقانة الخطية حيث مال إلى التشويش في ترتيب مقطع كلمة (عانت) وتقرأ (عامت) للمبالغة في حديثه عن مدى الإفساد الذي يعيئه ، أو يعوم فيه اليهود . وكأنهم يمارسون هواية مفضلة لديهم ، وقد مال الشاعر لتكثير كلمة (حياة) في خطابه للعرب والمسلمين ليشير في دلالتها إلى أي مدى وصل الهوان فيهم ، بأنهم يريدون العيش بغض النظر عن نوع هذه الحياة ، عزيزة أو ذليلة .

فجاء التوظيف ، ليظهر ألم ومعاناة الشاعر مما يحدث وقد عبر عنه من خلال الاستدعاء السلبي ، ليؤكد الحقيقة التي مفادها ، أن العرب عائمون في شهواتهم وأحلامهم المادية ، حيث قال:

أي نوم ، على السرير ، وقد ضجَّ

(م) من النوم والهوان السرير! (1)

ليعكس مدى السلبية المزروعة في قلوب العرب .

رابعاً : الترصيع (enchassement) :

حيث يعتمد الكاتب إلى ترصيع عناصر النص القديم في نصه هو ، والمتمثل في تأمين التماسك الطباعي أو التسوية الخطية في فضاء الصفحة ويقوم الكاتب باختزال التعارض التركيبية بين النصوص التي تأتي من مصادر مختلفة ، بالربط بين العناصر سواء داخل عبارة تضمن تماسك الكل أو إقامة جسور بين العناصر المعتمدة على وحدة دلالية ممكنة (2).

ومثال ذلك الشاعر محمود درويش في (حصار لمدائح البحر) ، فلقد استعار بداية البيت (لتميم بن مقبل) (3):

ما أطيّب العيشَ لو أن الفتى حجرٌ تنبؤ الحوادثُ عنه وهو مَلُومٌ

فيقول : " ... لو أن الفتى حجر " ، " لو أنني حجرٌ ... " (4)

وهذا يختلف عن عمل الحكاية داخل الحكاية والذي تعمل فيه الحكاية في ذاتها ومع ارتباطها بحكاية أخرى .

ولقد رأى (كاظم جهاد) أن الترصيع يمكن أن ينقسم إلى ثلاث فئات :

أ- تتافذ كنائي (تناظري) : ومثّل له برواية (كلود سيمون) عندما يترجم الراوي الطفل فقرة لاتينية ثم يستعيدها لاحقاً إلى جانب وصف قطعة سيفساء قديمة ، فالتقطعتان تتجاوران وتتجاوزان .

ب- تتافذ استعاري : عندما استعار (سيمون) في ذات الرواية سطوراً من رواية (البحث عن

(1) لأجلك غزة ، ص ١٢

(2) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٢

(3) ديوان تميم مقبل ، تحقيق ، د.عزة حسن (دار الشرق العربي ، بيروت ، ١٩٩٥) ص ١٩٨

(4) ديوان محمود درويش (دار العرب ، بيروت ، ١٩٨٤) ٨٢/٢

الزمن الضائع) لمارسيل بروس ، فيأتي عمل (بروست) السلف ليدعم عمل(سيمون)الخلف .
ومثال ذلك قول محمود درويش في قصيدته (حكاية الولد الفلسطيني) (١) :

ألا لا يجهلن أحد علينا ، بعد ، إن الكف لن تعجز

حيث استعار صدر البيت لعمر بن كلثوم ،الذي يقول فيه:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ(٢)

ومن ثم قال : إن الكف لن تعجز أي لن تعجز هذه الكف عن المقاومة والذود عن الأرض وفيه تحذير
لأعداء من العاقبة .

ج- مونتاج لاتفاذ فيه : وهنا يعجز القارئ عن العثور على ترابطات واضحة بين العناصر المتتافرة
للتناص (٣)

ومن أمثلة ذلك قصيدة (رحلة المتنبي إلى مصر) :

لننيل عادات

وإني راحل

أمشي سريعاً في بلادٍ تسرقُ الأسماءَ مني

قد جئتُ من حَلَبَ ' وإني لا أعود إلى العراق

أُلاقي سَقَطَ الشمالِ فلا أُلَاقِي

غير هذا الدرب يسحبني إلى نفسي...ومصر

كم اندفعتُ إلى الصهيل

فلم أجدُ فرساً وُفرساناً

وأُسَلِّمُني الرحيلُ إلى الرحيل

أرى بلداً هناك ولا

ولا أرى أحداً هناك

الأرضُ أصغرُ من مرورِ الرمحِ في خصرِ نحيل

والأرضُ أكبرُ من خيامِ الأنبياءِ

ولا أرى بلداً ورأيي

لا أرى أحداً أمامي

هذا زحامٌ قاحلٌ

(١) انظر : تهاني شاكر ، محمود درويش ثائراً ، ط ١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن ، ٢٠٠٤)

ص ٢٠٢

(٢) عمرو بن كلثوم ، ديوان عمرو بن كلثوم ، جمع وتحقيق إميل يعقوب ، ط ١ (دار الكتاب العربي ، بيروت ،

١٩٩٦) ص ٧٨

(٣) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٢ ، ص ٥٣

والخطو قبل الدرب ' لكنّ المدى يتطاوُلُ
للنيل عاداتٌ
وإني راحلٌ^(١).

فعنوان القصيدة يوحي للقاريء بأنه سيقراً عن رحلة المتنبي إلى مصر، لا من خلال كتابة المتنبي عن نفسه ، وإنما من خلال قراءة طرف آخر عن الرحلة " ولما كنا نعرف أن درويش رحل إلى باريس ، فإننا بعد قراءة النص يمكن أن نستبدل العنوان بعنوان آخر وهو رحلة (محمود درويش إلى باريس) لنجد أنفسنا نقرأ عن رحلة محمود درويش لا عن رحلة المتنبي^(٢) .

خامساً : التشويش (paranomase) :

حيث يعتمد الكاتب هنا إلى أخذ فقرة من نص مكرس ، فيقوم بالتدخل فيه أو التلاعب به ، وإدخاله عليه إفساداً مقصوداً أو دعاية ، ومثال ذلك تحويل النص من الفصحى إلى العامية^(٣)، حيث هناك العديد من الروايات والقصص والأشعار التي تنقل من الفصحى إلى العامية .
ويعد التشويش من تناص التخالف ، حيث إن الطبيعة الدلالية لعلاقات الحضور والغياب تختلف عن دورها المعتاد .

ومثال ذلك الفعل (قص) عند قراءتها تبدأ علاقات الغياب في التشويش لتداعي إحياءاته فإن قامت علاقات الحضور بتحديد دلالاته ، مثال : قص الولد الثوب
قص الولد الحكاية
تكون علاقات الغياب مشوشة وعلاقات الحضور محددة .

ومثال ذلك في حالة التوظيف التراث العكسي ، حيث تأتي علاقات الحضور للتشويش على هذه الدلالي^(٤).

يقول أمل دنقل في (كلمات سبارتكوس الأخيرة) والتي يتحدث فيها عن الهيمنة البطركية :

المجد للشيطان معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)^(٥)

فهنا كانت علاقات الغياب محددة (الشيطان) فعندما تأتي لأذهاننا نتصوره (المذنب - المطرود من رحمة الله ، المكروه)، ولكن علاقات الحضور (مشوشة) ، فكيف يكون المجد للشيطان ، مع أن المجد لله جل وتعالى.

(١) محمود درويش ، ديوان حصار لمدائح البحر ، (الدار العربية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٨٦) ص ٣٧

(٢) عادل الأسطى ، دراسات نقدية "محمود درويش والمنتبي" (مجلة المثلث ، عدد ٣٦ ، ١٩٨٧) ص ٥

(٣) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٣

(٤) انظر : أحمد مجاهد أشكال التناص ، ص ٨٨

(٥) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية ، ص ١١٠

لذا على القارئ أن يعمل ذهنه وفكره هنا ، ليزيل التشويش الذي وضعه الشاعر وتتضح لديه الرؤية، وفي اعتقاد الباحث أنه لا يجب المبالغة في مثل هذه التصويرات لأنه من البديهي عند القراءة والنظرة الأولى لمثل هذه القصائد يدور خلد الإنسان وفكره لتكفير قائله واستنكار قوله .
وفي قصيدة لنزار قباني :

"أشهد ألا امرأة إلا أنت" ^(١)

فهذا الخطاب متوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، بأننا نشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، ولكنه أحدث تحويرا لغويا دالا في هذا التركيب ، وفي اعتقاد الباحث أن النص فيه مغالاة ويجب الابتعاد عما يمس العقيدة والدين .

سادساً : الإضممار (القطع) Lellipse :

وهو الإحالة المحضة حيث يحتاج إلى شرح وتوضيح ليدرك ذلك المتلقي العادي ، ولذلك توجد شروحات لهذه الأنماط من القصائد المحتوية على هذه الإحالات فلا يذكر الشاعر فيها إلا الأوصاف المتناهية في الشهرة أو الحسن ، أو الأوصاف المتناهية في الشهرة أو القبح ^(٢). وفي هذا الإطار يمارس الكاتب الاقتباس المبتور ، أو الكلام المنقوص ، بحيث يجد النص وجهته الأصلية ، ويتجه لصوب آخر ، لم يكن في توقعات القارئ .
ومثال ذلك ما فعله (لوتريامون) في سيرة بطله (مالدور) ، إذ خرج عن المعهود وبتر سيرة بطله ، خلافاً لمعاصريه الذين يكتبون صفحات كثر لوصف ماضي أبطالهم .
فاكتفى بقوله : " سأبين في بضعة سطور عما كان عليه (مالدور) في سنيه الأولى التي عاشها بسعادة . ثم هذا " ^(٣)

فلقد قطع الكاتب سيره بطله وحياته ، لأنه في الحقيقة لم يتحدث عنه في أي شيء ، وربما هذا يجعل خيبة أمل بالنسبة للقارئ ، لأنه في بداية الصفحات يتشوق لمعرفة أكبر قدر ممكن عن بطل القصة ، ولكنه سيصطدم بعد ذلك بحالات القطع والإضممار من قبل الكاتب .

وهذا الفعل يأتي للبروز والظهور وحب الشهرة ، حيث يظهر فيه الكاتب بمظهر المجدد المبدع ، المبتكر لتقنيات ليست موجودة عند سابقه ، وليس بداعي الإنجاز وعدم الاستطراد .
يقول محمود درويش في (ذاكرة النسيان) وما دار منه في حوار مع اليهودية بقوله:

قالت : هل تكره اليهود ؟

قلت : أحبك الآن

قالت : ليس جواباً واضحاً

قلت : وليس السؤال واضحاً ، كأن أسألك هل تحبين العرب ؟

^(١) (نزار قباني ، ديوان (أشهد أن امرأة إلا أنت) ط ٦ ، ١٩٨٣ ، ص ٢

^(٢) انظر : محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص ١٢٩

^(٣) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٤

قالت : ليس هذا سؤالاً

قلت : ولماذا كان سؤالك سؤالاً؟

قالت : لأن فينا عقدة ، ونحتاج إلى إجابة أكثر من حاجتكم إليها ^(١).

فالقاريء عند قراءته للقصيدة ، سيتوقع أن لكل سؤال إجابة ، ولكنه سيصطدم بأن هناك قطع وإضمار للأجوبة ، لأن الحوار يتحدث عما يعاني منه اليهود من نقص في الشخصية وعقدة مغزاهما أنهم شعب غير مرغوب فيه ، في معظم أرجاء العالم وهذه حقيقة تاريخية وما كان يفعل بهم في بولندا ومخيمات الجيتو ، وما فعله بهم هتلر .

لذا فالكلام يحتاج إلي قاريء ناقد كي يفهم محورها العام ، فهي تتناص تاريخياً مع الأحداث التي وقعت لليهود وهم أشتات بأوروبا .

وفي تناصه مع القرآن قوله:

كان لي سورة (اقرأ)

وقرات ... ^(٢)

فهو تحدث عن تأكيد رسالته الشعرية من خلال النص القرآني ، ولكنه جاء بذلك بأسلوب مقتضب فيها إضمار ، حيث تناص جزئياً مع لفظة (اقرأ) من سورة العلق .

وفي قصيدة محمود درويش (حبر الغراب) يقول:

" يضيئك القرآن ،

فابحث عن قيامتنا ، وخلق يا غراب ! " ^(٣)

حيث إن الشاعر قد تحدث عن شخصية الغراب وماله من حضور في النص القرآني ، وارتباطه بأول جريمة في التاريخ وما يقابل ذلك مما يحدث في الواقع الحديث من التقاتل بين الأخوة البشر على ساحة الأرض الضيقة .

فلقد تناص في بداية القصيدة مع آيات من سورة المائدة في قوله تعالى : " فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ... " ^(٤)

سابعاً : المبالغة (Lhyperble) :

وهي لا تقوم على التضخيم الكلامي كميّاً لزعزعة أثره ، بل تقوم على المبالغة في المعنى والمغالاة فيه نوعياً ، كما وتقود إلي تعميق الأثر إيجابياً أو مزجه لفلسفة غير متضمنة فيه .

^(١) (تهاني شاكر ، محمود درويش ثائراً ، ص ٢٩٤)

^(٢) (محمود درويش ، الأعمال الشعرية ، قصيدة الرمادي ، ص ٥٣٣)

^(٣) (محمود درويش ، ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً ، ط ١ (دار رياض الريس للنشر ، ١٩٩٥) ص ٧٥)

^(٤) (سورة المائدة ، آية ٣٠)

وقد يسقط الإلحاح على الشيء في الاعتقاد بمعكوسه ، وما يدفع الخطاب أحياناً بتضخيمه هنا إلى الضحك وإلى كاريكاتورية خالصة^(١).

ومثال ذللك قصيدة (من مذكرات المتنبي) لأمل دنقل ، يقول فيها :

أمثل ساعة الضحى بين يدي كافور
ليطمئن قلبه ، فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوية
... أبكي على العروبة^(٢).

لقد بالغ الشاعر في معاني كلماته ليحاول إبراز دلالتها ووقعها في حياة الناس داخل المجتمعات العربية ، والتي تمثل حالة الإحباط من تلك الجماهير العربية وعروبته تغتصب من حكامها العرب وأسيادهم الغرب.

فاستدعى شخصية المتنبي والذي كان يبالغ في مدح كافور الإخشيدي لينال عطاياه رغم كرهه له، فمثلت هذه الصورة الماضية نفس الصورة الحاضرة، حيث النفاق والتودد للحكام والتخلي عن الرجولة.

فالتوظيف مثل حالة الإحباط المتولدة في نفس الشاعر من هذه الفئة الرخيصة ، ونجحت عباراته ودلالاتها في إيصال الرسالة لذهن المتلقي .

ومن مقالات درويش ، سخريته من (يغال ألون) حين سماه (فارس التفاهم بين الشعبين) ، فقد يعتقد القارئ بأن المبالغة في مكانها ، ولكنها قامت بالتضخيم على سبيل رسم صورة كاريكاتورية ساخرة من هذا اليهودي^(٣).

ثامناً : القلب أو العكس (Linterversion) :

وهو الصيغة الشائعة في التناص ، خاصة في المحاكاة الساخرة ، حيث إن تضاده يذهب بعكس الخطابات الأصلية الداخلة في علاقة تناصه ويتضمن :

أ- قلب موقف العبارة أو أطرافها :

ومنه ما ذكر سابقاً في تناص لوتريامون مع بودلير حيث إن الأول قد حرف الخطاب

في اتجاه البحر بينما الثاني كان قد توجه في خطابه للإنسان^(٤).

ونشاهد ابن المعتز في قلبه لقصيدة امرئ القيس :

(١) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٥

(٢) أمل دنقل ، الأعمال الكاملة ، ص ١٨٦

(٣) انظر : تهاني شاكر ، محمود درويش ، ص ٢٠٥

(٤) انظر : كاظم جهاد ، أدونيس منتحلاً ، ص ٥٦

بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)

قفا نيك من ذكرى حيب ومنزل

فقال ابن المعتز في تضمينه :

بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(٢)

أف من وصف عكاظ ومنزل

حيث قلب ابن المعتز الأبيات الشعرية ، فبدلاً من البكاء والوقوف على الأطلال ، نراه قد سخر منها قالباً الموقف منها .

أما إذا ما انتقلنا لأمل دنقل في حديثه مع أبي موسى الأشعري :

حاذيت خطو الله لا أمامه ... ولا خلفه

عرفت أن كلمتي أتفه

من أن تنال سيفه أو ذهبه^(٣).

فنرى دنقل قد تناص مع العبارة المشهورة لأبي موسى الأشعري " فإنك كتبت إليّ في جسيم أمر الأمة فماذا أقول لربي إذا قدمت عليه، ليس لي فيما عرضت من حاجة، والسلام عليك " (٤) . وذلك حينما أراد معاوية استعماله على الكوفة، أثناء حربه مع علي بن أبي طالب، ولكن دنقل عندما وضعها في السياق وحديثه عن نفسه كان ذلك مجرد سخرية من هذه النفس التي هي أضعف من أن تخطو نفس الخطوات .

وفي قصيدة (نقش) يقول أمل دنقل :

الناس سواسية - في الذل - كأسنان المشط

ينكسرون - كأسنان المشط

في لحية شيخ النفط !^(٥)

وهنا قلب لحديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- :

" الناس سواسية كأسنان المشط " (٦)

حيث نص الحديث بالعكس ، فيقول إنهم متساوون في الذل فقط ، وليس كما أشار الحديث عن تساويهم كعبيد لله لا فرق بين أبيضهم أو أسودهم وهو هنا في هذا القلب يسخر من معاناة الشعوب العربية المغلوبة ، الواقعة أسيرة لحكام النفط .

ب- قلب القيمة :

وتكون بقلب مواقف النص المقدس سواء في التوراة ، الإنجيل ، القرآن .

(١) ديوان امرئ القيس ، تحقيق حنا الفاخوري ، ط ١ (دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٩) ص ٢٥

(٢) ديوان ابن المعتز ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ص ٣٧٨

(٣) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية ، ص ١٨٤

(٤) انظر : محمود المصري ، أصحاب الرسول ، ط ٢ (مكتبة أبو بكر الصديق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م) ص ١٦٤

(٥) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية ، ص ٣١٧

(٦) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ، الألباني ، رقمه ٥٩٦ ، ص ٩٧

وفيه المحاكاة الساخرة للشاعر أحمد دحبور في قصيدته (حكمة الطوفان) :

وَأَذِّنْ فِي الْجِياعِ يَجْنُكَ سَيْلٌ مِنْ فَيَافِي^(١)

فنراه في هذه العبارة قد تتاص مع الآية القرآنية : " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ " ^(٢).

فالآية القرآنية فيها أمر من الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا إبراهيم أن يصعد فوق جبل عرفة وينادي في الناس لأداء فريضة الحج .

بينما دحبور قد قلب الآية في محاكاة ساخرة ليظهر لنا مأساة الشعوب العربية التي تعاني من الفقر والذل والجوع ، وأنك عند مناداتك لهم سوف يأتوك من جميع الفيافي والبقاع .

ومن ذلك العلاقة التناسلية بين أناشيد (لوتريامون) ورؤيا يوحنا في العهد الجديد ، كيف يأتي إلى يوحنا الرسول ملاك ويشير له لامرأة في ثياب أرجوانية جالسة على ظهر دابة قرمزية اللون ، و (مالدور) الكائن الشيطاني ، فنرى الكاتب قلب القيمة في الدور الذي يمارسه (مالدور) مع كل من الدابة والمرأة ^(٣).

أما محمود درويش ، فقد استدعى موقف النبي الذي يقتل لأجل قومه ، والذي يظلم من قومه أنفسهم ، رغم دفاعه عنهم ويتعرض للخيانة والرفض :

" تفاصيل تلك الدقائق

كانت عناوين موت يعاد

وأسماء تلك الشوارع

كانت ... وصايا نبي يباد " ^(٤)

ويشير هنا للوصايا التي جاء بها موسى في تعاليمه لقومه اليهود ، ولكنهم خالفوها .

فأسقطها الشاعر على أسماء الشوارع والحقائق الدينية التي يستتر وراءها الصهاينة ويأخذونها مبرراً لسلب الأرض .

ومن هذه الوصايا :

- لا تقتل .

- لا تزن

- لا تشهد على صديقك شهادة زور ^(٥).

فهنا قلب الشاعر القيمة في هذه الوصايا ، وأظهر الوجه الحقيقي لهؤلاء الصهاينة .

(١) الأعمال الكاملة ، ديوان أحمد دحبور ، ص ٣٥١

(٢) سورة الحج ، آية ٢٧

(٣) انظر : كاظم جهاد ، ادونيس منتحلا ، ٥٦

(٤) محمود درويش ، الأعمال الكاملة ، قصيدة حبيبتي تنهض من نومها ، ص ٢١٨

(٥) العهد القديم ، سفر الخروج ، ص ٢٠

ويطالعنا الشاعر أحمد مطر في قصيدته (فبأي آلاء الشعوب تكذبان) فيقول فيها:

غفت الحرائق ..

أسبلت أجفانها سحب الدخان

الكل فان

لم يبق إلا وجه ربك ذي الجلالة واللجان

ولقد تفجر شاحباً

ومنددا

ولقد أدان

فبأي آلاء الولاة تكذبان^(١)

حيث قلب الشاعر الحديث عندما ضمن الآية القرآنية :

" فبأي آلاء ربكما تكذبان " ^(٢)

إلى (آلاء الشعوب) ، وفي نهاية القصيدة (آلاء الولاة) وهو يقصد الحكام المستبدين المسيطرين على الشعوب المقهورة ، فهنا قلب موقف الآية القرآنية التي تتحدث عن نعم الله التي لا تحصى ، إلى الحديث الساخر عن الولاة .

ج- قلب الوضع الدرامي :

حيث يحل الكاتب السلب محل الإيجاب والعكس ، على نحو كفيل بإحلال مراتبية محل أخرى ومثال ذلك (الرؤيا) في العهد الحديث ، حيث إن رؤيا العهد تحدثت عن الملاك وهو يسحق المرأة المتبرجة ، ويسحقها بحجر كبير ، صارخاً إن بابل أم المعصية . بينما جعل (لوتريامون) مالدور حجراً ويهوي له على العرافة نفسها ويقتلها ، وهذا قلب له أهدافه ومسبباته وأغراضه .^(٣)

ونرى محمود درويش في هذه القصيدة قد أحل السلب محل الإيجاب ، فقال:

فلتدخلوا في أريحا الجديدة سبع ليالٍ

قصار فقط

... فلن تجدوا حائطاً تكتبون عليه أوامر

تنهي عن الزنزلخت وعنا

ولن تجدوا جثة تحفرون عليها (مزامير) رحلتكم

في (الخرافة) ^(١)

(١) أحمد مطر ، لافتات ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص١٥١

(٢) سورة الرحمن آية ١٣

(٣) انظر : كاظم جهاد ، ادونيس منتحلا ، ٥٦

ففي هذه القصيدة يشير إلى حائط المبكى ، الذي هو في اعتقاد اليهود أن الهيكل الذي بناه سيدنا سليمان موجود تحته ، فهو هنا قد قلب اعتقاداتهم من خلال ما ثبت في عقولهم من كتب التلمود والمزامير غيرها .

د - قلب القيم الرمزية :

حيث يأخذ الكاتب رموز النص السابق له ، مع منحها دلالات في سياقها الجديد ضد دلالتها تماماً . وهذا ما يمارسه الشعراء على شخصيات دينية وقومية أمثال خالد بن الوليد ، صلاح الدين الأيوبي ، أبو تمام ، عنتره ، هارون الرشيد ، وغيرهم (٢) . ومن أمثلة ذلك ، قول نزار قباني :

طائرة الفانتوم

تنقضُ على رؤوسنا

ونحن نتقوى بزئار (أبي تمام) (٣)

ومن المعروف أن أبا تمام قد اشتهر بحماسياته التي جمعها والتي فيها حث على القتال ، وهنا يسخر الشاعر من هذه الشخصية حيث غير من قيمتها الرمزية ، ليظهر لنا مدى الضعف الذي يعاني منه العرب المتشدقين بالفخر والكلام .

أما الشاعر عبد العزيز المقالح فقد قلب قيمة سيف بن ذي يزن حين قال :

سفحنا عند ظل الدهر تحت قيودنا ألفاً

ونصف الألف ،

من أعوامنا العجفا

وأنت مشردٌ

وبلادنا تدعوك وا ((سيفا))

أستجدي لها في الرغبة الأمطار ؟ (٤)

إذن فقد انقلبت شخصية سيف بن ذي يزن الشجاع ، إلى شخصية رجل ضعيف الإرادة لا حيلة له إلا الدعاء ، وهو في استدعائه لهذه الشخصية ، يعكس حالة التردّي والوهن في المجتمع العربي . أما الشاعر أمل دنقل فقد استدعى شخصية كافور في قصيدته (من مذكرات المتنبّي) :

سأعلمني (كافور) عن حزني

فقلت : إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة .. كالقطة

(١) محمود درويش ، الأعمال الكاملة ، قصيدة ، هي أغنية ، ص ٧

(٢) انظر : نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٢٩٥

(٣) نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ٥١٦/٦

(٤) ديوان : عبد العزيز المقالح ، ص ٢٧٨

تصبح (كافوراه .. كافوراه ..)
فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
تجلد كي تصبح " واروماه .. واروما .. "
... لكي يكون العين بالعين

والسنُّ بالسنِّ ! (١)

حيث دار الحديث عن امرأة اسمها (خولة) اختطفها تجار الرقيق ، وقد استجذبت بكافور لينقذها ،
وهنا رسم الشاعر صورة كاريكاتورية ساخرة للملك كافور من خلال قلب قيمته الرمزية من ذلك
الإخشيدي البطل القوي ، إلى ملك عاجز عن إنقاذ هذه المرأة وهو يأمر غلامه بشراء جارية رومية ،
وهكذا تكون العين بالعين .

ويلمح الشاعر في ذلك إلى هزلية حكام العرب وضعفهم .
واستدعى محمود درويش شخصية سيدنا أيوب ، وهو رمز الصبر والاحتمال والرضا بقضاء الله رغم
معاناته وألمه ، حيث قلب قيمتها وجعلها نبرة للصياح والرفض ، فقال:

" أيوب صاح اليوم ملء السماء :

لا تجعلوا في عبرة مرتين ! " (٢)

فأيوب هنا يرفض الصبر والاحتمال على الأذى ، وفي هذا رمز للفلسطيني المعذب في سجون
الاحتلال ، رفضاً الخنوع لهؤلاء الطواغيت .

ولقد صور لنا نزار قباني شخصية عنتر بن شداد ، من ذلك الفارس المقاوم الشجاع ، إلى ذلك اللص
المحتال في قصيدته (من يوميات شقة مفروشة) :

عنتر العبسي

لا يتركنا دقيقة واحدة

فمرة ، يأكل من طعامنا

ومرة ، يشرب من شرابنا

ومرة ، يندس في فراشنا

ومرة يزورنا مسلحاً

ليقبض الإيجار

عن بلادنا المستأجرة (٣)

لذا قلب قيمته الرمزية من الإيجار إلى السلب ، وفي ذلك رمزاً لهؤلاء السماسرة حكام الشعوب
وإظهار صورتهم السيئة .

(١) أمل دنقل ، الأعمال الكاملة ، ص ١٨٨

(٢) محمود درويش ، ديوان حبيبي تنهض من نومها ، قصيدة جواز سفر ، ص ٢٥٧

(٣) نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ٥٥٣/٦

أما محمود درويش في قصة بعنوان (سرحان يحب امرأة من فرح) فقد قلب شخصية خيالية خارقة ، من خلال الحديث عن علاقة بينة وبين امرأة ، فيتحول جسم سرحان إلى جزرة ، والمرأة كانت تهبط من الغيم المعلق على أصابع الشجر ، وكان سرحان يكتب لها وسائل ويثبتها بمسامير الهواء على جدران الزنزانة ^(١) .

فهنا درويش قد اتخذ سرحان قناعاً ليعبر عما يمر به هو من تجربة قاسية ، وعن أزمته مع الجماهير العربية التي تشعره أنه لا يحق له أن يحب امرأة حقيقية .

تاسعاً : تغير مستوى المعنى :

ويتم بنقل المعنى إلى صعيد آخر ، وتحول المجاز إلى حرفية والعكس .
ومثال ذلك ، قول محمود درويش :

**عندما تذهبون إلى النوم هذا المساء أقول لكم :
" تصبحون على وطن " ^(٢)**

بدلاً من العبارة اليومية التي يرددها الناس " تصبحون على خير " ، محولاً العبارة مع شحنة واضحة من الدعابة المرة إلى أفق رجاء معاق بموانع عديدة تتوجه إليها سخرية الشاعر ^(٣) وقد طرح (حيني) في (سفر القيامة) قوله لوتريامون : " هلموا ... " .
حيث تحويل المائدة المدعو إليها من مكان تحشد روحاني إلى محل مأدبة متوحدة للغول ^(٤) .

عاشراً : القطع والمونتاج :

هو التركيب والتنسيق لصور أو حركة تقوم بتأليف صور غير مباشرة للزمن ، ويقوم على تحديد اللقطات المختارة واستبعاد اللقطة غير المرغوب فيها .
حيث أفاد شعراء الحداثة من تقنيات فن السينما في تشكيل صورهم الشعرية المبتكرة عن طريق اللقطات والمشاهد والمونتاج (القطع) لأن السينما تتحدث بالأساس بلغة الصورة ، لذا فالصورة في الشعر تقدم على مستوى لغوي يمكن تأملها وتصبح الصورة المشهدية هي الإطار الذي يتماس فيه الفنان ، من خلال التركيز على لقطات معينة وتقديم الصورة بشكل يلعب فيه المونتاج في القطع والمزج دوراً أساسياً في توالي اللقطات وتتابعها زمنياً أو تعاصرها ^(٥) .
دعنا نتأمل الشاعر حسن طلب في قصيدته (زبرجدة الغضب) فيقول :

فدع الشعر ... وقل ...

ذهب العرب / العرب ...

(١) انظر : تهاني شاعر ، محمود درويش نائراً ، ص ٢٣٥

(٢) محمود درويش ، ديوان ورد أقل (دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٦) ص ٢٠

(٣) انظر : نهلة الأحمد ، التفاهل النصي ، ص ٢٩٥

(٤) انظر : كاظم جهاد ، ادونيس منتحلاً ، ص ٥٧

(٥) انظر : أحمد الصغير ، السينمائية في شعر السبعينات ، عدها للنشر محمود مغربي

(boukerchmohamed.unblog.fr/2009/06/20/16-69)

عربي ...

عربيان ...

ثلاث أعراب

عرب ... عربان

خن ...

ويخون ...

وخان

٤٨

٥٦

٦٧

٧٣

٨٢

نفس المشهد والعينان هما العينان

نفس القصة ... نفس المسرح والأبطال

فهل من أحد الشجعان

يكفر بالعمم البيضاء

(وبالتيجان) ^(١).

نلاحظ في المشهد الشعري السابق تعدد اللقطات التي أوردها الشاعر لبناء مشهده ، فقد أعطى الشاعر لنفسه صفة علوية من خلال استخدام فعل الأمر (دع) (قل) (خن) ، وقد صور في اللقطة الأولى ضعف الأمة العربية واندثارها .

وقد جمع صورة الخيانة من خلال استخدامه لفعل واحد (خان) ، حيث جاء به الشاعر في صورة الأمر (خن) والمضارع (يخون) والماضي (خان) ، فالعرب هم الخونة الذين باعوا الأرض ثم يرجع الشاعرة بالذاكرة على طريقة **flashback** ليستدعي مشاهد الضعف فيذكر : حروب ٨٤ المشهد الأول ، العدوان الثلاثي ٥٦ المشهد الثاني ، هزيمة يونيو ٦٧ المشهد الثالث ، حرب أكتوبر ٧٣ المشهد الرابع ، اجتياح لبنان ٨٢ المشهد الخامس.

فهذه المشاهد الخمسة أثرت في وجدان الشاعر وجعلته يبوح بمكنون صدره ، وقد جمع أجزاء هذه الصورة الكبيرة من صور صغيرة ، هذه الصور التي كانت تمثل الضعف العربي فالصورة الشعرية

^(١) (حسن طلب ، ديوان زمان الزبرجد ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢) ص ١٧٥ ، ص ١٧٧

تتحل إلى صورة جزئية ، وهذه الصور نفسها تكون مكبرة في شكل لوحة ، فالصورة هنا مركبة ،
والتركيب يختزن مستويات من الدلالة يستدعي بعضها الآخر ^(١).
وقد استخدم محمود درويش هذه التقنية في قصيدته (الرجل ذو الظل الأخضر) في ذكرى جمال عبد
الناصر حيث يقول:

نعيش معك
نسير معك
نجوع معك
وحين تموتُ
نحاول ألا نموتَ معك !
ولكن ،
لماذا تموت بعيداً عن الماء
والنيل ملءٌ يديك ؟
لماذا تموت بعيداً عن البرق .
والبرقُ في شفتيك ؟
وأنت وعدت القبائلُ
برحلة صيف من الجاهلية
وأنت وعدت السلاسلُ
بنار الزنود القوية
وأنت وعدت المقاتلُ
بمعركة ... تُرجعُ القادسية
نرى صوتك الآن ملء الحناجر
زوابع
تلو
زوابع ^(٢)

حيث القصيدة عبارة عن مقاطع ، ففي المقطع الأول التوحد مع الـ (نحن) لإظهار صورة عبد
الناصر ولذلك من خلال استخدام بنية الفعل المضارع (نعيش ، نسير ، نجوع ، نحاول) والتي
تعكس حالة التفاعل والتجدد مع التحام الأمة بعبد الناصر ، فهي تعيش معه ، وتسير معه ، وتجوع

^(١) انظر : أحمد الصغير ، السنمائية في شعر السبعينات ، عدها للنشر محمود مغربي

(boukerchmohamed.unblog.fr/2009/06/20/16-69)

^(٢) محمود درويش ، ديوان حبيبتي تنتهض من نومها ، دنيا الأعمال الكاملة ، (دار العودة ، بيروت ، د.ت) قصيدة
الرجل ذو الظل الأخضر ، ص ٣٥٩ ، ص ٣٦٢

معه ، وفي حالة الموت تتخذ بنية المضارع وجهة مغايرة ، فهم يحاولون ألا يموتون معه ، ليس كراهية للموت ، بل لإكمال مسيرته في القتال .

فهذا المقطع الأول الذي تدور فيه اللقطة الأولى وفق حوار قصصي بين العرب والشخصية المستدعاة (عبد الناصر) من خلال مخاطبته وكأنه حي .

وفي المقطع الثاني ينتقل الشاعر لمخاطبته بضمير الغائب (تموت) ، ثم ضمير المخاطب (يدريك - شفتيك) وذلك تمهيداً للتناص مع شخصيات أخرى ، وذلك في المقطع الثالث حين يرتد بنا وفق (Flashback) إلى لقطة من الجاهلية ، من خلال لفظة (القبائل) حيث ماضي العزة ، وشعور القبيلة بهذه العزة .

وعلى رأسهم شيخها وكبيرها ، فعبد الناصر يتحول من تاريخي قديم إلى سياسي معاصر ، إلى رمز شيخ معاصر^(١)، ومن ثم الانتقال إلى الإسلام من خلال ربط العز الماضي بحاضر الأمة ، فعبد الناصر هو رحلة صيف - تناصاً مع قوله تعالى (لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف)^(٢).

ثم الاستدعاء التناسي لأحداث التاريخية من خلال استدعاء (معركة القادسية) حيث الهزيمة النكراء لرستم الفارسي فهناك عدة مشاهد في القصيدة ، وهناك انتقالات من عصر إلى عصر ، ومن شخصية إلى شخصية ، وفق صور جزئية ، كونت في النهاية الصورة الكاملة المركبة من لقطات متناثرة بين ماضٍ وحاضر .

ولا شك أن هذه التقنية ربطت منطقة الاستدعاء التناسي بعمق الأحداث ، فيما يشبه الشريط السينمائي حيث لا تشعر بالرتابة بين المشاهد .

ولا شك أن الشعراء قد استفادوا من هذه التقانات من خلال انفتاحهم على جميع الفنون الأخرى والإفادة من أدواتها ، وذلك دليل على قوة هذا الخطاب وإثرائه الفني والدلالي ، والتفاتهم للمتغيرات الحديثة في العالم وتحوله لقريبة صغيرة مع انتشار ثقافة الحاسوب والشبكة العنكبوتية ، مما أرحى بظلاله على الأخذ والاستفادة من ثقافات الغير .

(١) انظر : حافظ المغربي ، التناص وتحولات الخطاب الشعري ، بحث ترقية ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ،

مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر (عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ٢٠٠٦) ص ١٧٨

(٢) سورة قريش ، آية ١ ، ٢

الفصل الثاني

أولاً:- القرآن الكريم :

يعد القرآن الكريم من أهم الوسائل المنتجة للدلالات ، فهو معين لا ينضب ، بما يحويه من قصص وعبر وأحداث .

كيف لا وهو كلام الله المعجز ، حيث نرى أن أغلب الشعراء يتكئون على مفرداته ومعانيه ويقتبسون من آياته ، ليعكسوا مدى ما يشعرون به ، تجاه أحداث وقضايا إنسانية ، أخلاقية ، سياسية ، اجتماعية ... إلخ .

لذا فالنصوص القرآنية من أهم المصادر التي يعبر بها الشعراء في قصائدهم ، ويرمزون ويلمحون بها .

وسوف نحاول من خلال هذا المبحث ، التبحر بين ثنايا القصائد ، والغوص في أعماقها ، وإلقاء النظرة عن كثب ، حول الاستدعاءات القرآنية التي التجأ إليها الشعراء ، في محاولة منهم لإبراز كنهه دلالاتهم ، وإمطاة اللثام عما يرمون إليه ، أو يسعون لإيضاحه ، عبر المتناصات القرآنية .

فلقد أكثر شعراء (لأجلك غزة) من توظيف النصوص القرآنية في قصائدهم الشعرية ، لإيصال دلالات متعددة يأخذها المتلقي ويمعن التفكير فيها وفي مغزاها ، وسوف يتعرض الباحث لأنواع التناص اللفظي مع القرآن الكريم ، وهي (التناص الجملي ، تناص الكلمة المفردة ، تناص المعنى) .

١ - التناص الجملي : وقد أكثر الشعراء في توظيف هذا النمط ، ومن نصوصهم قول الشاعر إبراهيم سعد في قصيدته (عناقيد الغضب) :

حُزْنَا عَلَى أَعْرَابِ هَذَا الْعَصْرِ
مَنْ رَجَفَتْ قُلُوبُهُمْ بِيَوْمِ الزَّلْزَلَةِ
فَأَتَوْا عَلَى قَمَصَاتِهِمْ بِدَمٍ كَذِبٍ^(١)

فالشاعر قد تناص في حديثه عن صفات العرب مع قوله تعالى : " وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ " ^(٢) فهؤلاء العرب مثل أخوة يوسف عندما اجتمعوا على أخيهم وبيتوا النية لقتله ، ومن ثم كذبهم على أبيهم بأن يوسف قتل ، ونرى هذا التوظيف في محله ، حيث أراد الشاعر إبراز الصورة الحقيقية لهؤلاء العرب المتشدين بعبارات الكذب والخداع ، من خلال دلالة العبارة ، وإيحاء المعنى ، والتي عبرت عن حزن الشاعر وأساه ، علي أعراب هذا الزمن .

يقول الشاعر أبو زياد الأنصاري في قصيدته (من شنقيط .. يا أهل غزة العزة) :

هَلَا اتَّحَدْتُمْ وَوَحَّدْتُمْ صَفُوفَكُمْ مَاذَا سَيَنْفَعُ إِنْ صُبِّحْتُمُوا النَّدَمُ
قُلُوبُ الْغَنَاءِ لِأَشْهَاتٍ مَفْرُقَةٍ فَلَيْتَ أَنَا بِحَبْلِ اللَّهِ نَعْتَصِمُ^(٣)

(١) ديوان لأجلك غزة ، جمع وإعداد : أ/د موسى أبو دقة (منشورات منتدى أمجاد الثقافي ، غزة ، ٢٠٠٩) ص ١٥

(٢) سورة يوسف ١٨

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٠

فالشاعر في حديثه عن الوحدة ونبذ الخلاق ، نراه قد استدعى في قصيدته الآية القرآنية "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا" (١)

حيث فيها الحث على الوحدة ونبذ الفرقة ، وهي أمر إلهي للمسلمين ، لذا فقد كان هذا التناص ناجحاً إيجابياً ، خاص مع سياق القصيدة القائمة على إسداء النصيحة للقادة العرب ، ونراه قد أكد علي نيته التائقة لرؤية العرب متحدين ، من خلال ألفاظه التي فيها الحث والتمني ، علي طلب الوحدة (هلا ، ليت) ، ويدعو من خلالها الشاعر ، بالرجوع لكتاب الله ، لأنه هو الدستور الأحق بالرجوع إليه، ففيه الراحة من كل تعب .

يقول الشاعر أبو صهيب في قصيدته (نداء غزة للعرب والمسلمين):

صَبْرًا قَلِيلًا إِخْوَتِي لَا تَيَأْسُوا الظَّلْمُ قَطُّ فَلَنْ يَدُومَ طَوِيلًا
لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ قَدْ مَكْرُوا بِكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَوَكِيلًا^(٢)
حيث نلاحظ الشاعر في هذه الأبيات قد استوحى قوله تعالى: "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (٣) أي عليكم أهل غزة بالصبر فمهما اجتمعت قوى الظلم ومكرت لكم ، فالله هو خير الحافظين ، فنرى إيجابية هذا التوظيف من خلال إضفاء اللمسات الجمالية التي تحمل معنى الحنو وصدق الكلام من خلال (صبر قليلاً إخوتي) ، واستخدام الشاعر لفظة (لو) والتي هي حرف امتناع لامتناع ، ففيها طمأنينة لأهل غزة ، بأنهم مهما مكروا ، فلن يستطيعوا ذلك، لأن حماية الله ترعاهم ، وإذا كان الله معك ، فمن عليك .

ويقول الشاعر أحمد الريفي ، في قصيدته (فارس الجبل):

وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُنَا وَلَنْ تُؤَخَّرَ نَفْسٌ جَاءَهَا الْأَجَلُ^(٤)
فهذه القصيدة رثاء للشهيد (محمود معين الريفي)^(٥)، ونرى الشاعر في البيت السابق وحديثه عن الموت والشهادة ، يستدعي قوله تعالى: " وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (٦) فهو مدرك بأن كل إنسان ميت ، وكل شخص لن يقدم أو يؤخر في ميعد موته ولو ثانية ، فهو في تناصه وتضمينه هذه الآيات القرآنية قد كان إيجابياً ، حيث يظهر أن محمود عندما استشهد قد حان موعده للقاء ربه ، فمع لوعة الفراق ، واعتصار الألم جوى القلب ، يبقى الموت حقاً وقدرًا ، حيث جاء مستخدماً الفعل الماضي (علمت) لتيقنه من قضاء الله وقدره.

يقول الشاعر تامر زكارنة في قصيدته (فلسطين):

(١) سورة آل عمران ١٠٣

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤٢

(٣) سورة الأنفال ٣٠

(٤) لأجلك غزة : ص ٤٥

(٥) محمود معين الريفي ، من سكان حي التفاح بمدينة غزة ، مواليد عام ١٩٩٠م ، استشهد بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢ ، في حرب الفرقان ، أثناء محاولته خطف جندي إسرائيلي، في منطقة جبل الريس بغزة .

(٦) سورة المنافقون ١١

هَـذِي كِتَابُ عَزْنَا قَدْ أَقْبَلَتْ فِي رَكْبِهَا يَمْضِي الْإِبَاءُ وَيُلْحَقُ

لَاذَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاعْتَصَمَتْ بِهِ وَالْحَقُّ أَنْجَى وَالْعَقِيدَةُ أَوْثَقُ^(١)
هنا دار الحديث عن توحيد وتماسك كتائب المقاومة الفلسطينية ، وكيف أنها تأتي مقبلة غير مدبرة في مواجهة أعداء الله ، ثم نرى الشاعر استحضر الآية القرآنية في قوله تعالى :
"وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " ^(٢)

حيث يريد الشاعر أن يوصي في كلامه بأنه لا منجي من الله إلا إليه ، فحينما تم التوجه إلى الله والتمسك بحبله وعقيدته ، تم اليقين بالله وبنصره .
لذلك فالشاعر في استحضاره للآية ، أراد من الجميع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في كل شيء ، لأنه هو المذل المعز ، ولا يتأتى ذلك لأحد من البشر ، وليس أدل على ذلك استخدام الشاعر للفعل الماضي (لاذت) والفعل (اعتصمت) ولم يقل (تلوذ ، نعتصم) وهذا دليل على تمام التيقن والتأكد من نصر الله ، منذ عصور ، حيث إن المقاومة لم تلذ بحبل الله في الحرب فقط .
يقول د. جمال مرسي في قصيدته (رفح):

وهي التحدي والتشظي..

والمنايا والعطب.

في كلِّ باسقة طَرَح^(٣).

فلاحظ هنا أن الشاعر في حديثه ووصفه لمدينة رفح ، قد استحضر الآية القرآنية : " وَالنَّخْلَ
بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ " ^(٤)

للتأكيد على صمود وعظم هذه المدينة في وجوه الغزاة ، فهي باسقة مثل النخلة السماء ، صامدة في وجه الرياح ، معطاءة .

ونرى الشاعر في هذا التناص الخفي مع الآية القرآنية ، قد منح رفح قيمة ومرتبة عليا من خلال رؤيته لها ، خاصة بمنحها الشبه مع أفضل أنواع الشجر وهو النخيل ، فلقد ذكره القرآن الكريم ، وذكره الرسول في السنة النبوية ، ولثمره فوائد جمة ، وصموده في العيش حتى في الصحراء .
ويقول في موضع آخر:

مستبشرين بجنة الخلد التي وعد

(1) لأجلك غزة ، ص ٩٦

(2) سورة آل عمران ١٠٣

(3) لأجلك غزة ، ص ١٠٣

(4) سورة ق، آية ١٠

الشهيد^(١) .

حيث هذا الوصف الرائع لأهالي رفح ، وهم يستعجلون سكن الجنان ، وهذه الأبيات استدعاها شاعرنا من قوله تعالى : " فَرَحِينْ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " ^(٢)

حيث هذه الجنان فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر كما أشار رسولنا الكريم بذلك ، وبالتالي نرى هذا الاستبشار وهذا الاستعجال من قبل أهل المدينة لنيل الشهادة ، واللاحق في ركب الآخرين من الشهداء .

إذاً فلقد أنقن الشاعر في تناصه ما أراد له ، في توظيفه لهؤلاء الناس الشجعان ، ذوي البأس والجبروت ، كما أسلف في قوله:

عاش الأباة يزينهم

ثوبُ الشهادة والفرح ^(٣)

يقول الشاعر جهاد الأحمدية في قصيدته (غزوة في القلب):

عينٌ على رجلٍ

تجاوز عامه الستين

يبحث عن عصاه

لكي يفرّ من الحريق

(ولا مفرُّ) إلى الأبد ^(٤)

هذه الأبيات تروي جزءاً من الفواجع التي ابتليت بها غزة ، لإيضاح أثرها في قلوب وعيون القراء ، حيث دار الحديث عن هذا الشيخ الكبير الباحث عن ضالته ، وهي العصا ، لتساعده في الهروب من هذا الجحيم ، وبالتالي يستحضر قوله تعالى : " يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ " ^(٥) حيث جاء هذا التناص مع الآية القرآنية ، ليظهر مدى بشاعة وشناعة المنظر في تلك الحرب الطاحنة ، وكأنه يوم القيامة ، خسف قمر ، وجمع للشمس والقمر ، بحيث يبحث الإنسان عن الملجأ والمفر ، ولكن لا مفر .

فلنلاحظ هنا دقة التوظيف ونجاحه ، في إبراز الصورة الكائنة عليها غزة في الحرب ، ومدى قسوتها .

ويقول في موضع آخر :

عينٌ على الطائرة العمياء

(١) لأجلك غزة ، ص ١٠٤

(٢) سورة آل عمران ١٧٠

(٣) لأجلك غزة ، ص ١٠٣

(٤) لأجلك غزة ، ص ١١٣

(٥) سورة القيامة ١٠

نهدي لأطفال المدارس

ماتيسر من غضب

تبت يدُ التاريخ

والتاريخُ تب^(١)

حيث استدعى الشاعر ، في أثناء حديثه عن وصف المناظر البشعة ، التي آلت إليها غزة ، قول الله تعالى : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " (٢)

هنا نلاحظ غمرة الغضب في نفس الشاعر ، بحيث أخذ في لعن التاريخ لأنه هو الذي يؤرخ للمجازر والحوادث ، وكأنه في هذا التناص مع هذه الآية يذكرنا بأبي لهب ، عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكيف بتجبره وتعنته لعن محمداً - عليه الصلاة والسلام - واتهمه بالكذب ، وهذا حال الأمة الآن ، مستضعفة لا تقوى على فعل شيء تجاه ما يحدث لفلسطين ، لوقوعها في يد الجبروت ولقد نجح هذا التوظيف في إظهار حال الرسول عندما كان وحيداً وحال الشعب الفلسطيني وهو وحيد الآن ، ليدلل على قسوة الزمن والتاريخ تجاه هذا الشعب المقهور .

يقول د. حبيب المطيري في قصيدته (يا أهل غزة):

فما رآكم سوى أسباع مأسدة إذا بدا الهول لا تبقي ولا تذر^(٣)
فالشاعر ا في البيت السابق ، اقتبس الآية القرآنية : " لا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ " (٤).

وجاء هذا الاقتباس لإظهار قوة وبأس هؤلاء القوم الغزيين ، فهم عند اللقاء مثل الأسود المزمجرة ، التي لا تبقى على فريستها ولا تذر منها شيئاً ، وحالهم كحال جهنم ، التي يلقي فيها الكفار ، فلا تبقى ولا تذر فيهم شيئاً وهذا التوظيف قوى ناجح، إذ أظهر قدرة وصلابة أهل غزة عند ملاقاتهم للعدو ، وكأنني بحال الشاعر قائلاً : إنهم القوم الجبارين رغم ما يواجهون .

يقول الشاعر في قصيدته (غزة .. والبحر الحي):

من ذا ينتزعُ الشهبَ الحاقّةَ

مَنْ شَبِكَ الليلَ !!؟

(ليس لوقعتها كاذبةً ، خافضةً

رافعةً) (٥)

فالشاعر هنا قد اقتبس الآية القرآنية ، من سورة الواقعة ، في قوله تعالى : " إِذَا وَقَعَتُ الْوَاقِعَةُ لَئِيسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةً رَافِعَةً " (١)

(1) الديوان ، ص ١١٤

(2) سورة المسد ، آية ١

(3) لأجلك غزة ، ص ١٢٥

(4) سورة المدثر ٢٨

(5) لأجلك غزة ، ص ١٨٩

حيث الحال التي تحيا عليها غزة ، هي الحق ، وهي طريق المقاومة والاستبسال ، واضحة كالشمس ، مكتوبة كيوم القيامة ، خافضة لفلول الذل والهزيمة ، رافعة للأيدي المتوضأة ، حاملة القرآن . وبالتالي فإن هذا التناص ، والتصوير لما يجري في غزة ، قد وفق فيه الشاعر، لا سيما بأن الحكم الموجود في غزة ، هو استحقاق لهذا الشعب ، ولتمسك السابقين فيه ، فكأنه انتزع منهم انتزاعاً، وبالتالي فهو مثل الشهب المضيئة ، حارقة لمن يقترب منها .

يقول الشاعر سعد الدين شاهين في قصيدته (في خاطري وطن وإبريق وماء):

نصبوا صليباً كي يحطوا

فوقه جسدي

" فما قتلوه ما صلبوه " (٢)

هنا دار الحديث عن الخواطر التي جاشت بها نفس الشاعر ، إذ رأينا قد اقتبس من آي القرآن الكريم قوله تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (٣)

حيث استعاد في مخيلته سيدنا عيسى - عليه السلام - وكيف أراد قومه صلبه وقتله، واعتقدوا أنهم صلبوه ، وهكذا يعتقد الأعداء بالحصار والجدران التي نصبت ، أنهم يستطيعون تركيع هذا العملاق ، الكامن في النفس الفلسطينية ، ولكن خاب ظنهم ، وبالتالي فهذا التناص مرآة عكست واقع الحال ، لحياة الشعب الذي يعيشها ، حيث نجح في إبراز مدى الأنفة والعزة والكبرياء المرتسمة على وجوه هذا الشعب .

يقول الشاعر سعيد يعقوب في قصيدته (غزة):

لَيْسَتْ دُؤْيُتُهُمْ سِوَى أَكْذُوبَةٍ نَسِجَتْ وَكَانَ خَيَالُنَا النَّسَاجَا

أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَوَهُمٌ زَائِفٌ لَنْ يُنْتَجَا غَيْرَ السَّرَابِ نَتَاجَا (٤)

إن الشاعر هنا ، في حديثه عن أوصاف دولة اليهود ، يبرز لنا مدى ضعفها وهوانها ، حيث استحضر قوله تعالى : " قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ " (٥).

فقد استحضر قصة ملك مصر ، عندما حلم في البقرات السبع ، والسنبلات السبع ، فقال له القوم : هي مجرد أحلام واهية لا تدري كنهها .

وهكذا دولة اليهود فهي عبارة عن أحلام زائفة ، سوف تزول كالسراب ، وتنتهي نهاية قاتمة .

(1) سورة الواقعة ، آية ١ - ٣

(٢) لأجلك غزة، ص ٢٠٥

(3) سورة النساء ، آية ١٥٧

(4) لأجلك غزة ، ص ٢٢١

(5) سورة يوسف، آية ٤٤

وقد تميز هذا التوظيف لهذه الأبيات ببيان عاقبة إسرائيل الوخيمة من خلال رؤية سرمدية لخراب إسرائيل .

ويقول أيضاً :

لَا عَهْدَ عَنْدهُمْ وَمَا مِنْ مُوْتِقٍ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ أَخْرَجُوا إِخْرَاجًا^(١)
حيث يواصل الشاعر ، في إظهار الصورة البشعة لهؤلاء اليهود ، فلقد عرفوا بالناقضين للعهود ، وقد استدعى قوله تعالى : " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ... " ^(٢)

حيث نجح هذا التوظيف لخدمة سياق الحديث عن الدولة ، وصفات أبنائها وإظهار معالم هؤلاء القوم الذين يحاولون بثنتي الوسائل إخفاء الصورة الحقيقية لهم ، وهي نقض العهود والمواثيق .

يقول الشاعر سلامة خليل سلامة في قصيدته (من قال لا ، ولم يقل اللهم نفسي) :

وَإِذْ قَمْنَا بِنَزْعِكَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَّا

نَحْنُ لِسْنَا مِنْكَ^(٣)

حيث قلب الشاعر موقف النص المقدس ، باستخدامه هذه التقانة ، ألا وهي قلب القيمة ، فنراه في تناصه ، قد استحضر قوله تعالى : " وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ^(٤)
فالآية القرآنية تدعو للاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، أما الشاعر فنراه قد قلب القيمة ، حيث عكس حالة من المحاكاة الساخرة لحال العرب وهم سكوت ، واقفين متفرجين ، عما يحصل لغزة ، فكأنهم الشيطان الذي يستعاذ منه ، لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

لذا فالشاعر في هذا التناص ، قد برع في قلب النص القرآني ، لإيضاح الصورة الحية لهؤلاء الحكام والشعوب العربية ، وتهاونهم عن نصره غزة ، حيث أوضح في كلماته الأخيرة :

نَحْنُ لِسْنَا مِنْكَ

مدى الجرأة المخزية للتبرأ من هذا الغزي المقهور ، مثلهم كمثل الشيطان ، عندما يتبرأ ممن التقوا حوله ، يوم القيامة .

وقوله أيضاً :

اجنح إلى السلم إذا شئتَ

وإن شئتَ فقاوم^(٥)

نراه وقد يحول تلك الرسمة الكاريكاتورية الساخرة ، لحال الفلسطيني المقهور ، ويخيره في حديثه ، باستدعاء قوله تعالى : " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ^(١)

(1) لأجلك غزة ، ص ٢٢١

(2) سورة البقرة ، آية ٢٧

(3) لأجلك غزة ، ص ٢٢٣

(4) سورة الأعراف ، آية ٢٠٠

(5) لأجلك غزة ، ص ٢٢٣

فإنه عندما أمره رسوله الكريم ، للجنوح نحو السلام ، كان ذلك من موضع قوة فكان مخيبراً ، أما الفلسطيني فنرى الشاعر يخيره ، بين الجنوح للسلام أو المقاومة ، وهو مغتصب الأرض والمال والنفس ، إذ لا يستطيع أن يسلك أكثر من طريق ، حيث لا أمامه سوى طريق المقاومة ، لذا فنرى الشاعر قد وُفق في هذا التناسق القرآني لإظهار السخرية المليئة بالمرارة .

يقول الدكتور سمير العمري في قصيدته (الأخوة نهجٌ):

وَمَا الْإِخْوَةُ إِلَّا النِّهَجُ مَا حَقَّظْتُ فَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِينَا
إِذْ قَالَ نُوحٌ فَقَالَ اللَّهُ فَأَنْطَلَقْتُ تَحْكِي السَّفِينَةَ مَنْ مِنَّا وَمَنْ فِينَا^(٢)

يبرز الشاعر في تصويره للأخوة بأنها الأساس المتين ، حيث يلح للفرقة الفلسطينية في غزة والضفة ونراه قد استحضر قصة نوح ، حيث قوله تعالى : " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " (٣)

حيث استخدم الشاعر تقانة اضممار القطع ، بقوله : إذ قال نوح .

ويوضح لنا هذا التوظيف ، عاقبة من يعصي أمر الله ، ومن يخرج عن حدود الله ، وبالتالي يرمي الشاعر شبابه ، في قلوب الفلسطينيين ، بأن عودوا أخوة كما كنتم ولا يفرقكم خلاف ، مثلما حدث مع نوح وقومه ، حتى ابنه ضاع منه بسبب تكبره ، ونجا من تمسك بحبل الله .

يقول الشاعر شعبان سليم في قصيدته (كل شهيد وأنت الفخار):

فهزي جذوع نخيلك

كي يتسامق

موت الجهات^(٤)

حيث يبعث الشاعر دلالات المعجزة ، التي حدثت مع السيدة مريم العذراء في مخاضها ، بقوله تعالى : " وَهَزِّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا " (٥)

حيث الشاعر هنا يحث غزة على الانتفاض من جديد ، من خلال تماهيه مع ما حدث لمريم ، في هزها للنخلة .

لذا فالتوظيف مع الآية السابقة ، جاء للحث والأمر من خلال (فهزي) حيث أكد كلامه بفاء الأمر ولم يكتف بقوله (هزِّي) ، فجاء هذا الاستدعاء للآية متماشياً مع حديث الشاعر لغزة .

ويقول:

وليس لك اليوم

(1) سورة الأنفال، آية ٦١

(2) لأجلك غزة ، ص ٢٢٦

(3) سورة نوح، آية ٢٦

(4) لأجلك غزة ، ص ٢٣٣

(5) سورة مريم ، آية ٢٥

/ من أخوة /

يشلحونك في

غيبه الجب^(١)

ففي هذه الأبيات يلوح الشاعر في محاكاة ساخرة ، لما حدث مع سيدنا يوسف - عليه السلام - في قصة إخوته ، عندما ألقوه في غياهب الجب في قوله تعالى : " قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ... " (٢).

حيث عقد تلك المحاكاة الساخرة ، من خلال حديثه الموجه نحو غزة بأنك أيتها المسكينة ، لا أخوة لك حتى ولو ألقوك في غياهب الجب ، وهذا التلميح ، يقصد منه المواقف السلبية ، تجاه القضية الفلسطينية ، من الأخوة العرب ، حيث أبرز هذا التوظيف ، الضعف والتشرد من قبل حكام وشعوب العرب ، تجاه القضية .

وكذلك يقول :

أعدي لهم

ما استطعت دماء^(٣)

يستحضر الشاعر أثناء حديثه ، قوله تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " (٤).

إذ يحث الشاعر ويحض المدينة المنكوبة بأن تجود وتعد ما استطاعت من بذل أرواح ودماء ، لتطهير الوطن من رجس الأعداء ، فجاء هذا التوظيف لإبراز معاني العزة وعدم الإنكسار ، حتى بعد ما مرت به غزة ، ولا زالت تمر .

يقول صبري أحمد الصبري في قصيدته بعنوان : (لم يسبتون) (٥) :

صبرا وصبرا أهلنا في غزة فالنصر لاح بسورة (الإسراء)

إذ ما زال الشاعر يهدأ من روع أهل غزة ، ويصبرهم بسور وآيات القرآن الكريم ، حيث ذكر أن النصر من سورة الإسراء ، مع استخدامه لتقانة إضمار القطع ، حيث أشار إلى السورة باسمها فقط ، دون اقتباس أو تلميح لآيات في إشارة للحث على قراءة هذه السورة العظيمة ، ومعرفة بشائر النصر منها .

(1) لأجلك غزة ، ص ٢٣٤

(2) سورة يوسف ، آية ١٠

(3) لأجلك غزة ، ص ٢٣٥

(4) سورة الأنفال ، آية ٦٠

(5) لأجلك غزة ، ص ٢٥٩

ونرى في هذا التوظيف ، ارتباط عنوان القصيدة (لم يسبتون) ، حيث إن الله ناصر ، من يتمسكون ويثبتون على دينهم ، وبالتالي فلقد أظهر التوظيف مآل كل من المسلمين المجاهدين الثابتين على نهج المقاومة ، وعاقبة المجرمين الوحشية .

يقول الشاعر ضياء الجبالي في قصيدته :

هَلَّا سَأَلْتُ الْعَرَبَ .. يَا ابْنَةَ يَعْرُبٍ وَعَنِ الشَّهَامَةِ .. أَوْ، لِدِرِّءٍ مَظَالِمٍ؟؟

هَلَّا سَأَلْتُ ، الْمُؤْمِنِينَ .. بِرَبِّهِمْ وَعَنِ الْقِتَالِ .. وَعَبْرَ شَهْرٍ مُحَرَّمٍ؟؟^(١)

يظهر لنا علامات الاستفهام التعجبية ، من خلال استدعاء الآية القرآنية " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... " ^(٢)

حيث يستذكر الشاعر وقوع حرب غزة ، في الشهر الحرام ، وفي هذا الشجب والاستنكار ، لأن الشهر محرم عند الله ، يحرم فيه القتال ، ولقد نهى الله المسلمين عن القتال وخوض المعارك فيه .
فهذا التوظيف كان فيه التأثير والتفاعل مع نفس الشاعر ، المثخنة بالآلام شتى ، ليظهر لنا عتاب الشاعر على أمة يعرب ، والتي تقف مكتوفة الأيدي .

يقول الشاعر عاطف كامل في قصيدته (قمم غزة):

يَا أَهْلَنَا فِي قِطَاعِ الْعِزِّ لَا تَهْنُوا سَيَجْبِرُ الْجَرْحُ مِنْ بَرِّءٍ وَيَلْتَمِمْ^(٣)
حيث يشير في حديثه ، للآية القرآنية :

" وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " ^(٤)

ففي هذا الاستدعاء ، تصبير وتهوين على أهل غزة ، علَّ الله يرحمهم ، وقد كان هذا التوظيف فعالاً ، لأنه يتماهى وعنوان القصيدة (قمم غزة) ، فأهل غزة رغم ما واجهوا ، فهم كالجبال الشماء ، صامدة في وجه الإعصار .

يقول الشاعر : عبد الإله أبو صلاح في قصيدته:

تَبَّتْ يَدَا مَتَى أَمْرِكِ تَبَّتْ يَدَاكَ أَبُو لَهَبٍ
تَبَّتْ يَدَا قَدْ صَافَحَتْ تَلَّكَ الْوَزِيرَةَ فِي أَدْبٍ
فِي جِيدِهَا حَمَلَتْ لَهَا أَمَّالَ خِوَانِ الْعَرَبِ
إِنْهَاءَ كُلِّ مَقَامٍ فِي رَحِمِ أُمِّ تَغْتَصِبِ
نَادَتْهُمْ هَيَّا أَجْمَعُوا وَزُرَّاءُ قُدُّوا مِنْ خَشْبِ^(٥)

يمثل الشاعر هنا بين موقفه من الأمريكان ، خاصة وزيرة خارجية أمريكا حينذاك (كونداليزا رايس)

(1) لأجلك غزة ، ص ٢٦٣

(2) سورة البقرة، آية ٢١٧

(3) لأجلك غزة ، ص ٢٧١

(4) سورة آل عمران، آية ١٣٩

(5) لأجلك غزة ، ص ٢٧١

وما يحيط به من مشاعر الكراهية والحقد ، وبين ماتعرضت له زوجة أبي لهب ، في قوله تعالى : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ " (١).

فلقد نجح في توظيف تلك المشاعر ، من خلال الموازنة بين أبي لهب وزوجته وبين حكام العرب والوزراء ، وغراب البين (راييس) .

حيث نراه قد استخدم تقانة قلب الواضع الدرامي ، فهو هنا يلعن طواغيت العرب ، وبدلاً من وضع الحبل في جيد زوجة أبي لهب ، أشار إلى وضعه في جيد الوزيرة الأمريكية ، وكأنه يصب جام غضبه على أمريكا ومن يحالفها .

ويقول :

رَبِّ يَطَالِبُ بِالْعُدَا هَا نَحْنُ نَدْعُوا فَاسْتَجِب
يَا رَبَّنَا ثَبِّتْ لَنَا أَقْدَامَنَا يَوْمَ الصَّخْبِ (٢)
حيث الاستدعاء لقول الله تعالى : " وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... " (٣).

فالشاعر ينشد مساندة جنب الله ، لنصرة الأهل ، من خلال توظيفه لهذه الآية ، والتي فيها الأمر المستحب من الله ، إلى عباده بالتوجه بالدعاء ليستجيب لهم .

وسار باستخدامه ثقافة الاستطراد من خلال الدعاء الذي دعاه ، ثبت لنا ، هئ لنا ، ليمرز فائدة الخضوع والتذلل للمعبود ، ليستجيب دعاء .

يقول الشاعر عبد الجبار دية ، في قصيدته (بأي ذنب قتلت ؟!) :

قتلوني .. كيف ؟!

ما ذنبي ؟!

أنا ألهو وألعب (٤)

نلاحظ في العنوان ، استحضار الشاعر لقوله تعالى : " وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " (٥) فنراه قد استثمر هذا الاستحضار ، للتمهيد للدخول في قصيدته حول قصة طفلة استشهدت ، وتسأل وتستنكر بأي ذنب كان القتل ، فهذا التوظيف قد أعطى المعنى إichاء ، وعمقاً في الدلالة ، وقد برع الكاتب في استخدامه لتقانة الترقيم من خلال النقاط وعلامات الاستفهام والتعجب ، ليدلل لنا على مدى التساؤل والتعجب والاستنكار ، من أفعال اليهود المشينة لقتل الأطفال .
يقول الشاعر عبد العزيز أفرع في قصيدته (لك الله يا غرة الشهداء) :

(1) سورة المسد ، آية ١-٥

(2) لأجلك غرة ، ص ٢٧٣

(3) سورة غافر ، آية ٦٠

(4) لأجلك غرة ، ص ٢٧٧

(5) سورة التكويد ، آية ٨ - ٩

وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ

بأن لا يصيروا

ذوي مشأمة ^(١)

حيث اقتباس لقوله تعالى : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " ^(٢)

فكان الأمر للرسول بدعوة عشيرته وأقاربه ، وتذكيرهم بأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً فالشاعر هنا نراه يحذر أمة العرب من خلال هذه الآيات ، بألا يصبح مصيرهم مثل مصير أبي لهب ، لانه كان من المدعوين وسخر من الرسول ، فكان مصيره النار خالدا فيها .

فأوضح هذا التوظيف بأن مصير الذي يطيع العبد في عصيان الله ، لهو خسارة كبرى .
ويقول :

فَعَمَّ التَّسَاوُلُ يَا سَيِّدِي الشَّيْخُ

هو النبا الرفحي

الذي فيه يختلفون

وما أعظمه ^(٣)

نلاحظ هنا ذاك التواصل مع القرآن الكريم ، في جُل هذه القصيدة ، حيث يكمل الشاعر في استدعائه لسورة النبا ، فقال تعالى : "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَا الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ " ^(٤)
هذا الاستدعاء جاء لتكريس تلك المواقف العظيمة ، في خدمة قصيدته من خلال ما حدث من مدينة رفح العصية على النيل ، الصامدة في وجه المؤامرات ، وكل ذلك من خلال التوظيف الرائع لأي القرآن الكريم ، فهناك صورة المنافقين الذين يسألون عن يوم القيامة ، وعن التساؤل الذي أجراه على لسان شيخ ، عن حال أهل المدينة ، فدعمه بالإجابة بأنهم واضحون ظاهرون ، كوضوح يوم القيامة .
يقول الشاعر : عبد الرحمن عمارة في قصيدته (وتظل غزة وحدها) :

فيا نارَ الأسى ...

يا نارُ كوني بلسماً يَهَبُ الشِّفاءَ ،

وَبُرْعما يُلدُّ الندى ^(٥) .

إن هذا التحسر من ذات الشاعر ، واكتواء خلجات صدره ، جعله يستوحي كلام الله ، حيث قال : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ " ^(٦)

(1) لأجلك غزة ، ص ٣١٠

(2) سورة الشعراء ، آية ٢١٤

(3) الديوان ، ص ٣١١

(4) سورة النبا ، آية ١ - ٣

(5) لأجلك غزة ، ص ٣١٣

(6) سورة الأنبياء ، آية ٦٩

حيث مشهد الأهل في غزة ، وهم يحترقون بحمم النيران ، أوحى بهذا التناص مع الآية ، من خلال أمر الله للنار ، في المحافظة على سيدنا إبراهيم وهو بداخلها .

فمنظر القوم وهم يحتشدون من كل حذب وصوب ، ويجمعون الحطب لإحراق إبراهيم ، مثل منظر غزة ، وهي مشتعلة في أتون النار ، ولا أحد يناصرها .

فتمثل هذا التوظيف في الدعاء لغزة بالرحمة والشفاء ، حيث ضاقت نفس الشاعر مما يحدث وأخذه في مخاطبة النار الحارقة ، بان تصبح هي البلم الشافي لغزة وأهلها . يقول الشاعر علي عبد اللطيف في قصيدته (صرخة) :

تَبَّتْ يَدَاكَ بِمَا أَجْرَمْتَ فِي غَزَّةٍ فَالْقَلْبُ فِي كَمَدٍ وَالنَّفْسُ فِي حَسْرَةٍ^(١)
فالشاعر في استدعائه في قوله تعالى : " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " ^(٢)

قلب موقف النص القرآني من خلال لعنته لليهود ، بما أحدثوا من جرم شنيع في غزة ، وقد جاء هذا القلب لخدمة أبيات الشاعر ، حيث أراد أن يظهر لنا حسرتة وألمه على غزة ، من خلال تناصه مع آي القرآن التي تلعن أبا لهب ، فنجد هذا التوظيف في إبراز مشاعر النخوة العربية تجاه غزة . يقول الشاعر عمار الملا علي في قصيدته (يا غزة المجد صبراً) :

يا غزّة المجد رديهم بصاعقة كلمحة البرق لا تبقي ولا تنذر^(٣)
جاء النداء لغزة من خلال ذلك الاستدعاء لقوله تعالى : " وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ " ^(٤)

وهذا النداء فيه إحراق هؤلاء الملاحين بصاعقة حارقة ، مثل نار جهنم حيث لا تبيقي منهم أحداً .

ليظهر هذا التوظيف الحث على مقاتلة اليهود ، حتى آخر رمق ، وعدم الهوان والاستسلام .

يقول الشاعر عمر الجزائري في قصيدته (دموع العزة .. إلى المجاهدة غزة) :

يا أهل غزّة فجّر النَّصْرَ مُبْلِجٌ شُدُّوا بِصِدْقِ حَبْلِ اللَّهِ وَاحْتَسِبُوا^(٥)
فالشاعر يشدد على ساعد أهل غزة ، لذا فقد استحضر قوله تعالى : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا " ^(٦) وهذه من صفات المؤمنين الاعتصام والتمسك بكتاب الله ، واحتساب الأمور كلها لله ، لذا فهذا التوظيف في هذا السياق قد خدم وحدة الهدف ، ألا وهي لا طريق سوى طريق المقاومة ، وذلك باللجوء إلى الله ، لأن ذلك هو الخلاص ، ونرى استخدام الشاعر للفعل (شُدُّوا) بدل (اعتصموا ، امسكوا) لأن من حروف الفعل الدال المشددة حيث عند النطق بها ، التأكيد والتكرار على ضرورة التمسك ، فنرى لها وقعاً سمعياً على أذن المتلقي ، حيث دلالاته المعنوية ، فالشد يحتاج الي القوة

(1) لأجلك غزة ، ص ٣٥ ، آية ٣

(2) سورة المسد ، آية ١

(3) لأجلك غزة ، ص ٣٥٥

(4) سورة المدثر ، آية ٢٧-٢٨

(5) لأجلك غزة ، ص ٣٥٦

(6) سورة آل عمران ، آية ١٠٣

والاستئناس بالآخرين ، ويحتاج الي بذل الجهد المضاعف ، وكأن الشاعر يدعو الي التمسك بكتاب الله وطلب عونه ، بكل ما أوتوا من قوة .

يقول الشاعر فاروق جويده ، في قصيدته (شهداؤنا):

يا أيها المنتشرذمون ..

سنخلص الموتى من الأحياء ..

والله إنا قادمون ..

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)

" بل أحياء عند ربهم يرزقون " (١)

أراد الشاعر من خلال اقتباسه لآي القرآن الكريم من سورة آل عمران السابق ذكرها ، أن يظهر لنا ، بأن طريق العودة والتحرير ، هي الذود بأعلى ما يملك الإنسان ألا وهي الروح ، حيث الحياة الأخرى الهائلة ، هي الشهادة في سبيل الله ، وقد أبان التوظيف ، بأن الحياة في ظل الذل والمهانة ، هي موت وأن الشهادة ولو انتهت بعمر الإنسان هي الحياة بعزة وكرامة ، ففي خطابه استخفاف وسخرية ، من أولئك القلة ، والذين يبيغون العيش بسعادة ورغد ، وحتى ولو في ظل الذل ، فقد وصفهم بالموتى روحا وقلبا .

يقول الشاعر ماجد الغامدي ، في قصيدته (أفذاذ الرجال):

وقد قيلَ أن النَّاسَ قد جمَعوا لكم فزادت بوعْدِ الله فيهم عزائمُ

ولم يثنهم غولُ الحصار وإن طغى وحربُ ضروسٍ شرُّها متفاقمٌ (٢)

استحضر الشاعر قول الله تعالى : " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " (٣)

فأراد بهذا التوظيف القرآني إظهار بأس وشجاعة هؤلاء القوم ، وأنهم لن يثنى بهم أي شيء ، عن طريقهم التي اختاروها لأنفسهم مذكراً بكلام أبي سفيان للرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - إن موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فلم يمسه هم ضر بإذن الله ، فنجح هذا التوظيف في إبراز صفات هؤلاء الناس ، ومضيهم قدماً في سبيل المقاومة ، لا يخشون في الله لومة لائم .

يقول الشاعر محمد المراني ، في قصيدته (يا أهل غزة):

لا يَرْقُبُونَ نِمَامَةً فِي مُؤْمِنٍ كَلَّا وَلَا إِلَّا .. مَدَى الْأَرْمَانِ (٤)

يواصل الشاعر هنا حديثه ، عن وصف الأمم الغربية المتكالبة على غزة وأهلها ، وقد استحضر قوله تعالى : " لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا نِمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ " (١)

(1) لأجلك غزة ، ٣٧٦

(2) لأجلك غزة ، ص ٣٩٢

(3) سورة آل عمران ، آية ١٧٣

(4) لأجلك غزة ، ص ٤٠١

لإظهار فساد قلوب هؤلاء القوم ، وأنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكفرهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ولو أظهروا على المسلمين لم يبقوا منهم شيئاً ، فأراد الشاعر بهذا التوظيف أن يكشف حقيقة الكفار والمنافقين ، حيث لا اعتبار عندهم لشخص الإنسان بل احتقاره وهوانه عندهم ، ولو كان من أقربائهم أو صاحب كتاب ، وقد أكد كلامه من خلال تكرار حرف النفي (لا) ، مسترسلاً كلامه بـ (مدي الأزمان) أي إنهم منذ عصور التاريخ التي مضت ، لم يتغيروا في عقائدهم المسمومة ، تجاه المؤمنين ، وبالتالي تركهم أفضل لأنه لا فائدة منهم .

يقول الشاعر محمد دركوش ، في قصيدته (غزة العشق والتلاشي) :

وأم تنادي بملء الفم

تهزُّ إليها بجذع الدم

تساقط منه عليها رصاصٌ كثيرٌ

يخافون أُمِّي (٢)

نرى الشاعر يستحضر دلالات المعجزة التي حدثت مع مريم العذراء ، في قوله تعالى : " وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا " (٣)

ورسم تلك الصورة الحزينة ، لمنظر الأم الفلسطينية ، رمز المعاناة والقهر وهي تستغيث بالعرب والمسلمين لنصرة الشعب .

فكان هزها لهذا الجذع ، بأن تساقط الموت والقتل ، عكس ما حدث لسيدتنا مريم عندما هزت الجذع فتساقط عليها الرطب .

فكان التوظيف من خلال تقانة القلب الدرامي ، بأن طريق تحرير الوطن ، لن يكون إلا بالمزيد من الدماء ، فهو السراج الذي سيضيء نور الفضاء .

ويكمل بقوله:

حريقٌ ، دخانٌ ، رصاصٌ ، رصاصٌ

تساءل عيناه وهي تلاشي

متى " ترجف الراجفة " ؟

و " تتبعها الرادفة "

أحسب طاغوتُ أن لن ندك كيانه ؟

" بلى قادرين على أن نسوي بنانه "

" كذلك نفعل بالمجرمين "

(1) سورة التوبة، آية ١٠

(2) لأجلك غزة ، ص ٤٠٦

(3) سورة مريم، آية ٢٥

وما توعدون لواقع^(١)

في هذه الاستحضارات والاستدعاءات المتواصلة ، من سور عدة ، أراد الشاعر أن يعزف لنا أنشودة الانتصار ، ورسم الفرحة على شفاه الثكالي واليتامي والجرحى ، من خلال آي القرآن ومنها ، قوله تعالى : " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ " (٢)

وقوله تعالى : " أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ " (٣) حيث قلب الشاعر الآية القرآنية ، من خلال تقانة النص القرآني ، ليظهر لنا مصير هؤلاء الطواغيت المتجبرين في الأرض ، ثم يدخل تناصه مع آي القرآن من خلال قوله تعالى : " كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ " (٤) وقوله تعالى : " إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٌ " (٥)

ليظهر لنا مصير هؤلاء المجرمين ، وأن يومهم سوف يأتي ، ولو بعد حين ، وأن النصر حليف المسلمين .

فالتوظيف لآيات القرآن ، المتتالية ، جاء ليؤكد حقيقة ، مفادها أن أمة اليهود بائدة ، كما أبيد من قبلها وأن الله ناصر عباده المخلصين ، ولو بعد حين ، وفي هذا طمأنينة لجموع المسلمين وخاصة الفلسطينيين ، أن النصر حليفهم ، والعاقبة للمتقين ، ولكنه يطلب منهم عدم التعجل ، أو القلق تجاه ما يشاهدونه ، من زخات الرصاص والحرائق الناجمة عن القذائف ، وقد ألمح بذلك من خلال قوله :
تساعل عيناه وهي تلاشي^(٦)

يقول الشاعر : محمد بكر سلمي ، في قصيدته (ملحمة غزة) :

إِنَّ الزَّلَازِلَ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ لَكِنَّمَا يُقْتَفَى مِنْ غَزَا الْأَثَرِ^(٧)

يخلق الشاعر موازنة بين حال يوم القيامة ، وحال غزة في الحرب ، ولقد استدعى قول الله : " لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ " (٨)

أي في وصف جهنم ، وهكذا حال غزة بما واجهت من صعاب ، وقصف ، ولكن رغم كل هذه الحرب ، إلا أن غزة لم تستسلم حيث أراد من التوظيف ، وصف غزة بالعصية على الانكسار ، وجاء ذلك باستخدام حرف الاستدراك وتوكيده بما ، ليؤكد على تلك الحقيقة ، بأن غزة رغم الذي واجهته ومرت به ، فإنها ظلت صامدة صابرة ، في وجه آلة الحرب الشرسة ، والتي أرادت اقتلاع غزة من جذورها .

(1) لأجلك غزة ، ص ٤١١

(2) سورة النازعات ، آية ٦ - ٧

(3) سورة القيامة ، آية ٣ - ٤

(4) سورة المرسلات ، آية ١٨

(5) سورة المرسلات ، آية ٧

(٦) لأجلك غزة ، ٤١١

(7) الديوان ، ص ٤٤١

(8) سورة المدثر ٢٨

أما الشاعر هاشم صديق ، في قصدته (الجلد ... والحريق) يستنكر ما نحن عليه ، ويقول:

هَلْ نَحْنُ الْآنَ

في عصر (القيامة)

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)

وإلا لماذا لكلِّ مناَّ

(شَأْنٌ يَغْنِيهِ) ؟! ^(١)

جاء الاقتباس من آي القرآن الكريم ، بقوله تعالى : " يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " ^(٢)

ليدلل على الاستهجان والاستنكار ، من قبل الشاعر ، لكل ما يجري ، على الأراضي العربية والإسلامية ، وما أحد يحرك ساكناً ، لذا فقد جاء بالتوظيف القرآني ، ليضعنا وكأننا في يوم القيامة ، حيث الأخ يتخلى عن أخيه ، والزوج عن زوجته ، واصفاً المشهد المأساوي ، لأمة العرب ، ويتضح من عنوان قصيدته مدي الألم الذي يخوضه الفلسطينيون ، من خلال احتراق الجلود وذوبانها ، ليدل على هول ما يحدث ، وما من يحرك ساكناً ، فنري نفسه حزينة ، مملوءة بالأسى والمرارة ، ليعكس الحالة المزرية التي وصل إليها العرب .

وفي قصيدته بعنوان (ستغلبون ... والتين والزيتون !!) يقول هلال القارع:

بُشْرَى لَكُمْ ... ستغلبون

" والتين والزيتون "

يا شعبنا المطعون

ستغلبون ^(٣)

إن هذا الاقتباس ، لقوله تعالى : " وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ " ^(٤) لم يأت عبثاً ، فقد حاول الشاعر أن يربط من ظمناً حلق أهل غزة ، بالبشرى والتمكين ، فجاء بذلك القسم الإلهي ، بالتين والزيتون ، وهي مخلوقات الله وربما في هذا التوظيف ، إشارة إلى هذه الأشجار المعمرة طويلاً ، والصامدة في وجه الطبيعة القاسية ، والموصوفة بالصبر على ذلك ، حيث الشعب الفلسطيني كذلك في عزمته التي لا تلين ، وإرادته التي لا تنكسر .

ويواصل من اقتباساته لآيات القرآن حيث يقول :

فَاتَّكُمْ - والعصر - إِنَّكُمْ

(1) لأجلك غزة ، ص ٥٤٧

(2) سورة عبس، آية ٣٤ - ٣٧

(3) لأجلك غزة ، ص ٥٧٣

(4) سورة التين، آية ١

... لغالبون (١)

جاء هذا الاقتباس لقوله تعالى : " وَالْعَصْرِ " (٢)

وهو قسم من الله بالزمان ، وكأن الشاعر يُمني أهل غزة ، بالغلبة والنصر، وأن النصر يحتاج الي صبر ، وقد جاء بلام التوكيد في لفظة (لغالبون) ، وتكراره لحرف التوكيد (إن) ، للتأكيد علي بشریات النصر ، ومن خلال هذا التوظيف ، نراه قد حوّر هذه الآية لخدمة موقفه ، وأمنيّاته ، ألا وهو الغلبة والنصر والتمكين، لهذا الشعب الصابر .

٢- تناس الكلمة المفردة : حيث يميل بعض الشعراء إلى توظيف كلمة تكون لها دلالات قرآنية خادمة لسياق النص .

يقول الشاعر حسن سباق، في قصيدته (أيها العربي أنت المستباح) :

قَدْ هُنْتُمْ مِنْذُ ارْتَكَبْتُمْ فِعْلَنَا

وَجَهَرْتُمْ بِالْقَوْلِ : (حِنْطَةُ) مثلنا

ودياركم ملئت غنا (٣)

إن الشاعر في أبياته السابقة ، يتحدث عن صفات يهود ، وفي هذا فقد استدعى الآية الكريمة : " وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ " (٤).

فالآية فيها إشارة إلى صفة الزيف والتحريف ، التي بعشقها بنو إسرائيل، فعندما أمرهم الله تعالى بدخول باب بيت المقدس ، وأن يقولوا (حطة) ، أضافوا عليها حرف النون وقالوا : (حنطة) ، فجاء التوظيف كاشفاً عناد هؤلاء القوم وتكبرهم ، حتي علي أوامر الله تعالى ، ففي القصيدة تذكير للعرب ، بأنه اذا ما تركوا أوامر الله ، فإنهم سوف يهونون عليه ، كما هانت بنو إسرائيل .

ويقول عاطف كامل في قصيدته (قمم غزة) :

تلك الصواريخ ما كانت لهم عبثا إن آلمونا فقد أضناهم الألم
لكننا قد رجونا نصر خالقتا والله ينصر مولاه وينتقم (٥)

ما زال الشاعر ، يستنهض الهمم ، ويقوّي العزائم ، وتجلّى ذلك ، من خلال استيحاء قوله تعالى : " وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ . " (١)

(1) لأجلك غزة ، ص ٥٧٤

(2) سورة العصر ١

(3) لأجلك غزة ، ص ١٤٠

(4) سورة البقرة ، آية ٥٨

(5) لأجلك غزة ، ص ٢٧١

وقد أظهر التوظيف فاعليته من خلال تثبيت الثقة في نفوس الغزيين والرفع من شأنهم ، من خلال تذكيرهم ، بتألم عدوهم ، وحتما في النهاية مصيره مظلّم ، غير مصير أبناء المقاومة المشرق ، ألا وهو نعمة الله ورضوان .

يقول عبد العزيز أقرع في قصيدته (لك الله يا غزة الشهداء):

هنا النازعاتُ

الوحيدةُ تهبطُ

في كُلِّ يومٍ علينا

وتتشطُّ

تسبحُ

تصعدُ

نحو الفراديسِ

تغبطنا المكرمة (٢)

استدعاء لسورة النازعات ، وما بها من آيات متحدثّة عن صفات الملائكة ، حيث قوله تعالى: " وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا " (٣)

هذا الاستدعاء وظفه الشاعر لخدمة قصيدته المعنونة بـ (لك الله ياغزة) حيث أكد على أن الملائكة نزلت ، وقاتلت بجوارهم ، وهذه كرامات من الله عز وجل ، حيث هناك من ظل حياً ومنهم من لاقى ربه نحو الفردوس ، ونراه قد استخدم الأفعال المضارعة الدالة على الاستمرارية وهي (تتشطُّ ، تسبحُ ، تصعدُ) ، وهذا دليل على التواصل الإلهي مع هؤلاء الناس ، فجاء هذا التوظيف ، معيناً وسنداً لهم ، ليبرز خصوصيتهم وخصوصية قضيتهم .

يقول الشاعر لطفي الياسيني ، في قصيدته (يا قصفُ كن برداً وسلاماً على غزة):

يا قصفُ كن برداً على أحبائنا بل شعبنا في غزة الثوار (٤)

حيث نلاحظ ذلك الاستدعاء لقوله تعالى : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ " (٥)

فكان هذا الاستدعاء من قبل الشاعر ، من شدة القصف والعنف اللذين ألحقا الدمار بغزة ، مثلما سيدنا إبراهيم ، عندما جمعت له النار العظيمة ، فنراه يماثل بين حال إبراهيم وبين حال غزة ، فالاثنتان في الهم واحد ، وفي الابتلاء واحد ، فأراد الشاعر بتوظيفه هذا أن يظهر لنا بشاعة القصف من خلال دعائه له ، أن يصبح بارداً على الأهل المنكوبين ، من خلال استخدامه لتقانة قلب الوضع الدرامي ،

(1) سورة النساء ، آية ١٠٤

(2) لأجلك غزة ، ص ٣١٠

(3) سورة النازعات ، آية ١ - ٣

(4) لأجلك غزة ، ص ٣٩٠

(5) سورة الأنبياء ، آية ٦٩

فبدل مخاطبة النار ، خاطب القصف ، فنري تلك المحاكاة المؤلمة في نفس الشاعر ، وهو يمني نفسه بأن تقلب هذه النيران والحمم المتساقطة من الطائرات ، الي كتل ثلجية باردة ، مثلما حدث في عصر سيدنا إبراهيم - عليه السلام - .

يقول الشاعر محمد الجميلي ، في قصيدته (أبصرتُ يعقوبَ) :

**طوفان نوحك مهما سار مركبه وصده الموج فالجودي مرساه
حبلى الزمان إذا حانت ولادتها فخيّل فتحك تزجيها حبالاه^(١)**

استذكار لقصة سيدنا نوح ، التي وردت في القرآن الكريم و استحضار هذا الموقف الدرامي ، بالطوفان والرياح ، وكأنك تشاهد فيلماً سينمائياً مربعاً ويسقط قلبك كلما ترى مشهداً خطراً ، فقال تعالى : "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ.." (٢) "

فالتوظيف رسم وجه الألم والمعاناة والخطر ، في هذه الرحلة العظيمة ، ولكنه في النهاية ، رسم شاطئ النجاة ، من خلال استواء السفينة على جبل الجودي .

وفي هذا عبرة للمسلمين فمهما سقط من الشهداء ، ومهما قصفت البيوت وغيرها فإن بشائر النصر سوف تلوح في الأفق.

يقول الشاعر مرضي آل منصور ، في قصيدته (صرخة غزة) :

**جَنُّنَا أَبَايِبِلَ الْبَرْدِ خَطَوَاتُنَا لَنْ نَسْجِدَا
إِلَّا لِمَنْ قَالْ أَنْفَرُوا فَالْسَيْفُ هُزْزٌ لِيَحْصِدَا^(٣)**
استدعاء لقوله تعالى : " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا " (٤)

ليظهر لنا ، أن الولاء والبراء لله ، وإظهار أنفة المسلم وعزته ، حيث لا سجود ولا ركوع إلا لخالق الأكوان .

فجاء بالتوظيف ليكمل صورة المسلمين ، فهم شجعان أقوياء ، ولكن ضعفاء أذلاء أمام الله سبحانه وتعالى ، مطيعين لأوامره كلها .

تقول الشاعرة علا الله طاهر علا الله ، في قصيدتها (شتاء غزة الساخن) :

فَصِلْ الشِّتَاءَ عَلَى الْقَطَاعِ جَهَنَّمُ وَ الْمَعْصِرَاتِ قَنَابِلَ لَا زَمْزَمُ^(٥)
فقد استدعت الشاعرة ، قوله تعالى : " وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا " (٦)

(1) لأجلك غزة ، ص ٤٤٨

(2) سورة هود ٤٤

(3) لأجلك غزة ، ص ٥١٩

(4) سورة التوبة، آية ٤١

(5) لأجلك غزة ، ص ٦٢٢

(6) سورة النبأ، آية ١٤

ولكنها استخدمت تقانة القلب ، حيث المعصرات على غزة لم تنزل هذا الماء الأجاج ، بل أنزلت القنابل والقذائف ، في هذا الشتاء الساخن فجاء التوظيف ، واصفا قسوة وعنفوان الحرب ، وكأن السماء تمطر قنابلًا على سبيل المبالغة .

٣- تناص المعنى :

لم يقتصر الشعراء على التناص الجملي وتناص الكلمة المفردة ، بل هناك معانٍ قرآنية في أشعارهم ، توحى بتأثرهم بالقصص القرآني وتعبيراته ، وتلمس طريق النور نحوه . يقول الشاعر المليوري الحمدي في قصيدته (نداء صارخ):

بِالله ما بقي الإسلام ياعرب ذا أمركم بينكم شورى فيا عجب
تالله يا مسلمون الشر طوقكم في جمعكم سادت الأقوال و الخطب^(١)
حيث استلهم الشاعر بيته من قوله تعالى " وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ " ^(٢) للتدليل على حرية الرأي وعدم تكليم الأقواء ، فمن حق كل مسلم أن يعبر عن رأيه ، وهذا ما كان إبان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الشاعر تناص مع الآية في محاكاة ساخرة لهؤلاء العرب ، الذين لا يحتكمون للشورى ، وكل واحد منهم يدلي بدلوه دون الاستماع للآخر ، وقد نجح الشاعر في هذا التوظيف لإبراز الصورة السلبية لهؤلاء العرب ، الذين لا يستطيعون اتخاذ قرار . ويقول أيضاً:

أين العروبة والإسلام يا أسفا؟ أين الكرامة والأمجاد واللقب؟^(٣)
فهنا يستفهم الشاعر تعجباً من غياب العرب ، وضياح كرامتهم وأمجادهم ، حيث يشعر القارئ بهذا الحزن الأليم الذي يعتصر فؤاد الشاعر من خلال استدعائه لقوله تعالى : " وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ... " ^(٤).

فلقد كررها الشاعر في بيته السابق (يا أسفا) وكأنه يستعيد فعله الغدر التي قام بها أخوة يوسف تجاه أخيهم وأبيهم ، وفي هذا التناص نرى ملامسة الواقع الذي نعيش ، بواقعه سيدنا يوسف ، حيث وظف الشاعر الآية القرآنية توظيفاً إيجابياً دالاً على حال هؤلاء العرب والمسلمين في كافة بقاع الأرض لذا فقد كان التناص ظاهراً جلياً ، ليوضح شدة الواقعة .

يقول الشاعر : أيمن العتوم في قصيدته (أحقاً أنكم عرب) :
أنا قاومت واستشهدت كي أحيا ...
وَهُمْ فِي ذُلِّهِمْ جَثَمُوا ^(٥)

(١) لأجلك غزة ، ص ٧٨

(٢) سورة الشورى ٣٨

(٣) لأجلك غزة ، ص ٧٨

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٥) لأجلك غزة : ص ٨٣

إن الشاعر في قصيدته هذه يحاول إظهار أن الجهاد والمقاومة هي السبيل الوحيد ، لأخذ الحق المسلوب ، وبأن الشهادة ليست موتاً ، بل حياة ثانية وذلك من خلال استدعائه لقوله تعالى : " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ " (١).

حيث أوضح في هذا التوظيف أن الشهادة هي الحياة الكريمة التي يرنو إليها ، مظهراً الفكرة التي يحاول الشاعر إيصالها لمن رضوا بالعيش في الذل ، حيث قال عنهم :
وَهُمْ فِي ذُلِّهِمْ جَثَمُوا

حيث نرى الشاعر قد استنطق النص من خلال مبالغته في وصف هؤلاء الذين يعيشون بالذل مثل الأجسام الهامدة الجائمة، فهم في حقيقة الأمر أموات .
ويقول الشاعر بسام أبو شرخ ، في قصيدته (أنشودة غزة):

و ها هي غزة

غزة

قد دفنت خوفها

وتلت، آية الصبر (2)

في تصوير درامي لغزة ، وهي تدفن خوفها ، وتتشد أناشيد العزة ، والتعالي على الجراح ، التي ألمت بها ، استحضر الشاعر آيات القرآن العديدة ، التي تحت على الصبر ، وتلهم الأهل به ، وهناك آيات كثيرة في القرآن تأمر بالصبر ، ويبلغ عددها ٩٤ آية ، فيها معاني الصمود والإباء ، وبالتالي في تلميح من قبل الشاعر ، وكأنني به ، يقول لنا ارجعوا إلى كتاب الله ، وإلى معانيه ، وتبحروا في آياته ، واعملوا بها ، يبعد الله عنكم الخوف .

فنجح هذا التوظيف لآيات الله ، في شد العضد ، لهؤلاء المنكوبين في غزة ، والتي كرر لفظتها مرتين ، لإعلاء شأنها ، ورفع عزيمتها ، ثم استخدامه حرف التوكيد (قد) ، للتأكيد على صبر وشجاعة غزة وأهلها ، وبأن كلماته ليست مجرد كلمات تقال ، بل هي موجودة على أرض الواقع .

يقول الشاعر تامر زكارنة في قصيدته (فلسطين):

بَلْ أَيْنَ دِينِكَ؟! أَيْنَ عِزِّ مُحَمَّدٍ؟! أَيْنَ "الْبَرَاءَةُ" وَالْكِتَابُ الْمَشْرِقُ؟! (3)
فالشاعر هنا في هذه القصيدة ، يستفهم ذلك الاستفهام التعجبي عن موروث العرب والمسلمين من القرآن والسنة ، وعن حقيقة حالهم ، فنراه قد استفهم بقوله :
أَيْنَ الْبَرَاءَةُ؟! ، وهو يرمز لسورة التوبة والتي تسمى أيضاً بسورة براءة ، والتي هي من دون السور لا تبدأ بالبسملة .

وتبدأ في مطلعها بقوله تعالى : " بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (١)

(1) سورة آل عمران ١٦٩

(2) لأجلك غزة ، ص ٩٤

(3) لأجلك غزة ، ص ٩٥

فالشاعر في تناصه مع هذه الآية عمد إلى استخدام تقانة الرمز لهذه السورة وهو تناص خفي ، عمد إليه الشاعر لأن العرب في حقيقة الأمر تائهون عن الدين وعن السنة ، وبالتالي ربما قصد الشاعر أن يشعر القارئ بحقيقة التوجه لهذا القرآن العظيم والبحث فيه ومعرفة سوره وآياته ، لذلك رمز لسورة التوبة بالبراءة ، وكذلك ليظهر براءة الله ورسوله من هؤلاء المشركين الذين يواليهم العرب، وحثه علي تركهم وعدم الركون إليهم .

ويقول الشاعر حسام خليل في قصيدته (صرخة غزة):

لا يرقبون بمــــؤمن إلا لهم في كل قطر مركب ومطيح^(٢)
إظهار لنقض العهود ، وصفات الغدر ، التي تعشش في قلوب هؤلاء المشركين ، وإذا استدعى الشاعر ، قول الله تعالى : " كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ " ^(٣).

فجاء التوظيف ليكشف عن عدم أهمية الولاء لهم ، لأنه لا عهد لهم ، فبالتالي لتعلم جميع الأقطار والبلدان العربية والإسلامية ، الحانية رأسها لهذا الجلال ، بأنه لا فائدة من موالاتهم ، بل يزدادوا تصلباً وتعنتاً .

يقول الشاعر رفعت زيتون في قصيدته (موسى والجدار):

يا غزة أقبل موسى يضرب بعصاه الجدران

ويحطم أركان الطغيان

ويهدم أسوار الأحزان^(٤)

نلاحظ أن الشاعر ، في هذه القصيدة ، قد استوحى الآية القرآنية : " اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ .. " ^(٥) حيث استحاء تلك الآية في مخاطبة غزة ، للرفع من شأنها ، رغم ما تقاسيه من حصار خانق ، وجدران إسمنتية تحاصرها من كل حذب وصوب ، والشاعر هنا في توظيفه لهذه الآية القرآنية وحصار غزة ، فهو لم يختار شخصية موسى عبثاً ، لأن معظم ما واجهه موسى من آلام وأحداث ، حدث في مصر ، وغزة هي المجاورة لمصر من الجهة الشمالية ، حيث أراد الشاعر انتفاضة تخرج من قلب مصر ، لتحطيم ذلك الجدار ، الذي يفصل غزة عنها ، وقد وفق الشاعر في هذا التناص ، لأن موسى قد دخل فلسطين عن طريق مصر ، وبالتالي فهو يرى شعاع النور يخرج من تلك الأرض ويقول أيضاً:

وانقلب السحر علي فرعون وخرّ السحرة للأدقان

(1) سورة التوبة ١

(2) لأجلك غزة ، ص ١٣١

(3) سورة التوبة ، آية ٨

(4) لأجلك غزة ، ص ١٨٣

(5) سورة البقرة ، آية ٦٠

وقالوا

آمنا أن هنالك رباً للمسجون وللسجان

آمنا أن الأرض ستبقى للإنسان

وأن الله مع المظلوم وضد الظالم والشيطان^(١)

وكأنني بالشاعر هنا يستحضر قصة موسى مع فرعون ملك مصر ، لإدانة الشقيقة مصر بالتقصير في حق غزة ، حيث نراه يستحضر موقف السحرة من فرعون ، بعدما التقوا بموسى ، في قوله تعالى : " فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ " (٢)

فنراه قد قلب موقف النص المقدس ، وهو هنا قلب للقيمة ، حيث أراد أن يظهر لنا قيمة المسجونين في الأرض ، وأن لهم ربا يحميهم ، ثم إظهار قيمة السجانين المحاصرين لهذا الشعب ، وأن عليهم رباً يقتص منهم ، وفي النهاية ، كما يقول الله تعالى : " أَذُنَ الَّذِينَ يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير " (٣).

لذا فتوظيف هذا التناص مع الآية القرآنية ، كان متماثلاً مع حال الأهل المظلومين ، وحال المتجبرين الظالمين ، ولكن في النهاية ، يزول الظلم والطغيان ، ويظهر الحق بالنصر للمظلوم ، والاقتصاص من الظالم .

يقول الشاعر : صالح بن سعيد الزهراني ، في قصيدته (السيد المستباح) :

قف شهيداً على أن عصفور خان الغناء

وأشجار زيتونها حين مالت على بعضها تتقي لفحة النار كانت على موتها

تقرأ القارعة^(٤)

يلمح الشاعر هنا ، هول ما قاسته ، وما كابדתه غزة ، ويتماهاي مع سورة القارعة ، وهي اسم من أسماء يوم القيامة ، ونرى دلالة هذا الاسم عند سماعه (القارعة) حيث يدل على القسوة والشدة ، ويوضحها الله سبحانه وتعالى في قوله : " الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ " (٥).

فأبرز هذا التوظيف حجم الهول والدمار ، الذي انهمر على غزة وكأنه يوم الحشر . ويقول :

قل لمن يبعثون الرسائل سراً إليك

: إن غزة ماتت

(1) لأجلك غزة ، ص ١٨٣

(2) سورة طه ، آية ٧٠

(3) سورة الحج ، آية ٣٩

(4) لأجلك غزة ، ص ٢٣٥

(5) سورة القارعة ، آية ١ - ٥

وأن المتيم فيها

يصدر أكتافه للريح ،

ويتلو على أهلة سورة الواقعة (١)

ويظهر التلميح مرة ثانية ، في نفس الشاعر ، المكسوة بثياب الحزن السوداء ، بأن ما حدث لغزة ، يفوق التوقعات ، بل ويستدعي سورة الواقعة ، التي تمثل حال يوم القيامة ، حيث يقول تعالى : " إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ " (٢).

وبالتالي فكأن بلسان حاله يقول ، اقرؤوا على غزة السلام ، ونرى ذلك بكل مرارة حيث المحاكاة الموجهة بتلاوة سورة الواقعة على غزة وكأن هذا نهاية المطاف ، وأن الساعة دانية. وهذا التوظيف أظهر ما آلت إليه غزة ، حيث نجح في وصف ما جرى لها من خلال استخدامه للتلميح ، من خلال تلاوة سورة الواقعة .

يقول الشاعر : صالح بن علي العمري في قصيدته (يا أمة الغيث):

يا أمة الغيث هلي اليوم وانتلقي فأنث رَوْحُ الشذى في الزهر والورق
وفى يمينك آيات مبيّنة من سورة الفتح والأنفال والفلق (٣)

لقد تم حشد هذه السور الثلاث ، من قبل الشاعر ، ليذكر الأمة بتاريخها العريق ، وتذكيرها بالفتوح الإسلامية التي خاضوها ، لذا فإنه استدعى سورة الفتح في إشارة لفتح مكة ، ومن ثم سورة الأنفال في إشارة لغزوة بدر الكبرى ومن ثم استحضر سورة الفلق ، ليرزقمة الغيرة والحسد ، التي تملأ قلوب الأمم الأخرى ، تجاه المسلمين في أوج انتصاراتهم ولقد كان التوظيف فعالاً إذ عكس حالة الشاعر المستنهضة لأمة العرب الغفلي ، من خلال تذكيرهم بأمجاد مضت .

يقول الشاعر : صبري أحمد الصبري في قصيدته (طيبي دلال) :

رغم المآسي والفظائع أبشري يا إبتى بمواهب المتعال
سبحانه وعد الكرام بنصره وعطائه فى سورة (الأنفال)
وبسورة (الإسراء) شرح واضح يحوي اندحار لفائف الإضلال (٤)

إن الشاعر هنا ، استدعى سورتي الأنفال والإسراء ، من خلال حديثه إلى دلال التي جسدها في قصيدته ، فنراه قد أشار إلى قوله تعالى : " وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَزَوَّدَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (٥).

حيث البشرى في النصر للمسلمين بالإضافة للإغداق عليهم من رزقه ، ثم أشار إلى مصير اليهود ، كما جاء في سورة الإسراء ، أن اليهود سيعلون علّوين ، ثم يندحروا ، وذلك في قوله تعالى :

(1) لأجلك غزة ، ص ٢٣٧

(2) سورة الواقعة ، آية ١ - ٣

(3) لأجلك غزة ، ص ٢٤٨

(4) لأجلك غزة ، ص ٢٥٧

(5) سورة الأنفال ، آية ٢٦

" وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا " (١).

فنرى في توظيف السور القرآنية ، حافزاً ودافعاً لمقارعة اليهود ، واستنهاض الآخرين .

يقول الشاعر عبد العزيز أفرع، في قصيدته (لك الله يا غزة الشهداء):

أَيْنَ قَوْمِي الْأَشَاوِسَ

من آل عمران

من سورة الفتح

من أول الحشر

ما أنزل الله هذي الشرائع

كي تنبذوها

وراء الظهور

فلا تقرأوها (٢)

إن الشاعر في هذه الأبيات ، يتساءل عن أهل العروبة والنخوة ، وقد استحضر السور القرآنية الثلاث الواردة أعلاه ، حيث نراه التجأ إلى تقانة إضمار القطع ، فذكر أسماء السور ، دون الحديث عن تفصيلات وهذه السور فيها الحديث عن النصر ، والجهاد في سبيل الله ، وأمجاد الماضي وفي هذا التوظيف لتلك السور ، الاستنكار الواسع لهؤلاء العرب ، المبتعدين عن كتاب الله ، حيث نجح الشاعر في إيصال فكرته ، وهي الرجوع لكتاب الله ، ومن ثم هي طريق الخلاص ، والفكاك من أعداء الله .

ويكمل بقوله :

بربك رتل قليلاً

عن النجم يهوي

فينصهر الجلد

واللحم والعظم

لتصبح غزاة دون البقاع

هي المحرقة (٣) .

إن في هذا الاستحضر ، لسورة النجم ، بقوله تعالى : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى " (٤) ، موازنة بين يوم القيامة الذي تنقلب فيه الأمور وتتكرر فيه النجوم في ذلك اليوم ، ويوم العدوان على غزة .

(1) سورة الإسراء، آية ٣ - ٥

(2) لأجلك غزة ، ص ٣٠٦

(3) لأجلك غزة ، ص ٣١٠

(4) سورة النجم ، آية ١

حيث صور هذا التوظيف حجم الدمار والوحشية ، من قبل آكلي لحوم البشر فقد بلغ المآل بأطفال وشيوخ ونساء غزة ، الذروة ، حيث بشاعة المنظر، وقد نجح الشاعر في هذا التناص ، حيث أبرز عظم وهول الفاجعة من خلال التحام الجلد بالعظم واللحم ، وكأنه يوم القيامة .

يقول الشاعر عبد الله شبيب في قصيدته (هولوكست) .. غزة !!:

هنا فلسطين وشعب باسل وطيب يهش للضيفان

ويعشق الأرض ويرفض الباطل والعدوان والهوان

أجدادكم أسموه " بالجباز " !

لأنه يسحق كل من أفسد في الديار ! (١)

استخدم الشاعر التلميح في الأبيات السابقة ، حيث استحضر قوله تعالى : " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُذِلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ " (٢)

حيث جاء ملمحاً ومذكراً ، بأهل فلسطين العمالقة ، الذين كانوا يسكنونها ، وكيف أن اليهود رفضوا دخولها والقتال مع موسى خوفاً منهم ، فجاء هذا التوظيف ليبرز جُبن هؤلاء اليهود ، ويذكرنا بهزائمهم ، وأنهم في النهاية سيكون مصيرهم السحق .

يقول الشاعر عمر قرافي ، في قصيدته (صبرا غزة) :

اخوان خنزير وقردٍ وصفهم قد جاء في آي الكتاب المحكم (٣)
يبعث الشاعر في وجدان المتلقي ، ما آل إليه اليهود سابقاً ، عندما عصوا الله واستكبروا ، حيث استحضر قوله تعالى : " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " (٤)

حيث مسخهم الله إلى قرده وخنزير ، وبالتالي يمني الشاعر نفسه ، بأن يشوه الله خلقه هؤلاء المعتدين ، فهم الذين بدأوا حربهم في يوم السبت ، الذي يعتبرونه مقدس ويحرم العمل فيه .

فجاء التوظيف مظهراً صفات اليهود ، مؤكداً على نهايتهم ، ولو بعد حين .

يقول الشاعر باسمه المستعار (فارس عودة)، في قصيدته (اهرب خبيبي خلفك القسام):

قوم على أهل الصلاة أذلة وهمو بساحات الفداء عظام (٥)
جاء التلميح بصفات هؤلاء المؤمنين ، من خلال استichاء الشاعر ، لقوله تعالى : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... " (٦)

(1) لأجلك غزة ، ص ٣٣٥

(2) سورة المائدة، آية ٢٢

(3) الديوان ، ص ٣٥٧

(4) سورة البقرة ، آية ٦٥

(5) لأجلك غزة ، ص ٣٧٠

(6) سورة الفتح ، آية ٢٩

حيث كان الوصف من الله العظيم ، لسيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه - رضوان الله عليهم - في مقارعتهم للكفار والرحمة بينهم ، وهكذا أهل غزة ، لذا فقد أراد الشاعر لهذا التوظيف أن يؤكد على صفات هؤلاء القوم ، وبأن طريقهم صحيحة ، لأنهم يسировون على هدي النبي وأصحابه . يقول الشاعر مأمون جرار ، في قصيدته (رسائل إلى غزة):

نقرأ في كتابنا الكريم عن مآثر
الإيثار (١)

يستذكر الشاعر ويذكر ، بالصفات النبيلة ، والأخلاق العظيمة ، التي فطر عليها المسلمون ، منذ عهود ، مستحضراً قوله تعالى : " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ... " (٢) فجاء التوظيف عاتباً لائماً ، لأمة العرب الآن ، وأنهم يدورون في دائرة مغلقة ، حيث كل بلد يدافع عن مصالحه ، تاركاً لعموم الآخرين فيدعوهم من خلال توظيفه بأن يسيروا على خطى السابقين ، ويحذوا حذوهم .

يقول محمد رجب في قصيدته ، (يا طفل غزة):

أصحيح أنا أمة «وسطية» أصحيح كنا الأمة العلياء (٣)
استفهام غير حقيقي من قبل الشاعر ، من خلال استحضار قوله تعالى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (٤)
هذا الاستفهام جاء به الشاعر ، ليس لجهله بالجواب ، بل لتذكير الأمم التي أخرجت للناس ، وبالتالي استطاع في هذا التوظيف أن يدغدغ المشاعر والعواطف ، لدى أمة العرب ، وإرجاعهم لماضيهم المشرف ، عسى أن تهتز أفئدتهم ، ويصحو ضميرهم ، لنصره إخوانهم .

يقول الشاعر محمد لطفي ، في قصيدته (ويأتي الحساب إلى غزة الصابرة المنتظرة):

وجرّدي ما اسطعت من قوة
وأنقذي "الأقصى" .. وخُضر القباب (٥)
يحث الشاعر غزة ، على الصمود وعدم الإنكسار ، من خلال استعمال فعل الأمر (جرّدي)
وذلك من خلال تناصه مع قوله : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " (٦)

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٩٣

(٢) سورة الحشر ، آية ٩

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٥٣

(٤) سورة البقرة ، ١٣٤

(٥) الديوان ، ص ٤٩٣

(٦) سورة الأنفال ، آية ٦٠

فبالتالي تشجيع غزة وأهلها ، بقدر استطاعتهم ، كما أمر تعالى ، باستخدام (ما استطعت) وما هنا للتبويض ، أي بعض ما استطعت .

فجاء هذا التوظيف متماشياً ، مع سياق النص ، هادفاً لخلق جيل مثابر ، لا تتحني عزائمه ، موطداً ذلك بآيات القرآن ، لما فيها من أثر على الصدور .

وفي قصيدته (سينطفي عصرُ البغا والصولجان !)

يا رب أنت عالمٌ ،

خائنة الأعين عندما ،

وقبلما تخون

وتعلمُ الذين بانتهائنا ،

في الليل والنهار يحلمون^(١) .

وتواصل الشاعر في استدعائه للآيات ، حيث استدعى قوله تعالى : " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ " ^(٢)

لذا فالشاعر أراد في هذا التوظيف التلميح إلى نقطة جوهرية ، ألا وهي حال المنافقين والعملاء ، الذين يحيكون المؤامرات والدسائس ، في ليلٍ بهيم ، ولكن الله المتصدي لهم ، فهو يعلم ما داخل الأعين والقلوب .

ثم ينتقل لاستحضار آخر ، ليظهر قدرة الله ، وبأن البشر مهما فعلوا لن يستطيعوا إيذاء إنسان إلا بإذنه سبحانه وتعالى ، حيث قال : " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ^(٣).

وجاء التوظيف خادماً للنص ، حيث إرادة الشاعر التضرع لله برحمة هؤلاء المساكين ، من أبناء غزة ورد كيد الظالمين في نحرهم ، حيث واصل:

وأنت من إذا أراد خلق أي شيء ،

إنما أمرك أن تقول : كن ...

وعندها يكون

يارب :

إننا إليك ضارعون

أن ترحمَ الشيوخ والنساء والوالدان ^(٤) .

وينتقل الشاعر (هلال القارع) بين آي القرآن إذ نراه في قصيدته (غالبي الدمع ، وافرئي الأخبارا) حيث يقول:

(1) لأجلك غزة ، ص ٥٧٧

(2) سورة غافر ١٩

(3) سورة يس ٨٢

(4) لأجلك غزة ، ص ٥٧٧

رَبِّ إِنَّ الْكِبَارَ فِي الْأَرْضِ مَاتُوا وَصَغَارَ النَّفُوسِ صَارُوا كِبَارًا
رَبَّنَا لَا تَذَرْ عَلَيْهَا رَحِيصًا وَخَسِيصًا، وَكَافِرًا دَيَّارًا^(١)
يتشاكل الشاعر ، وموقف سيدنا نوح من قومه ، عندما عصوه ، فكان أن دعا عليهم ، حيث قوله
تعالى : " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " ^(٢)

فأراد بتوظيفه ، أن يبين لنا أن قلوب بني يعرب ميتة ، مغلفة بالضلال والزيغ ، فقلب موقف الآية ،
من دعاء نوح- عليه السلام- إلى دعائه إلى الله تعالى ، بتدمير هذه الفئة الباغية ، من خلال
استخدامه لإحدى تقانات التناس ، وهي قلب القيمة .

يقول الشاعر يحيى فتلون ، في قصيدته (صبراً آل غزة فإن الله معكم) :
هُمُ الْجُبْنَاءُ إِنْ قَصَدُوا قِتَالًا لَهُمْ جُذُرٌ لَتَحْمِيَهُمْ سُودُولُ^(٣)
إذ إن الشاعر ، يظهر لنا صفات بني يهود ، من خلال تلميحته بقوله تعالى : " لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا
فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ... " ^(٤)

حيث ألقى هذا التوظيف بظلاله ، على دخائل اليهود ، ألا وهي الضعف والجبن ، والخوف من الموت
، لإظهار حقيقتهم للعالم أجمع ، ثم لتثبيت قلوب المؤمنين ، وطمأننتهم بأن عدوهم خاوي ، هزيل ،
ويستطيعون التغلب عليه ، ومن ثم هزمه .

ثانياً :- التناس مع الإنجيل :

حيث استحضار بعض الشعراء في الديوان ، لمقتبسات وتناسات مع الإنجيل ومن المعروف أن
الإنجيل الموجود حالياً ، لا يمت بصلة للكتب التي أنزلها الله تعالى على سيدنا عيسى - عليه السلام-
ولكن يعمد الشعراء لتلك النصوص من خلال محاكاة ساخرة لتلك النصوص ، أو محاولة إظهار
زيفهم وكذبهم ، واقترائهم على الله ، وعلى كافة الشعوب العربية الإسلامية بما فيها فلسطين ، وتعد
تلك المتناسات الموجودة في الديوان قليلة ، ربما نظراً لطبيعة شعراء الديوان الذين جلهم مسلمين
وبالتالي كما رأيناهم آنفاً ، يعتمدون اعتمادهم الأول على القرآن الكريم والسنة والسيرة .

يقول الشاعر آدم فتحي ، في قصيدته (لا تساوم) :

بِعْ وَلَا تَخْجَلْ فَقَدْ بَاعُوا مَدَى الدُّنْيَا وَأَبَادَ الْقِيَامَةِ

بِعْ كَمَا بَاعُوكَ .. بِعْ .. بِعْ

ثم ببيع

كالحواري الذي باعَ إلهًا بدارهم^(٥)

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٨٠

(2) سورة نوح، آية ٢٦

(3) الديوان ، ص ٥٨٧

(4) سورة الحشر، آية ١٤

(5) لأجلك غزة ، ص ٥٧

نلاحظ في الأبيات السابقة ، تعدد اللقطات الواردة ، حيث استخدام الشاعر لفعل الأمر (بع) وتكراره مرات عدة .

وقد جاء فعل الأمر ، على سبيل المحاكاة الساخرة ، من قبل الشاعر ، حيث أرجع ذاكرته على طريقة flashback ، ليستدعي ويستحضر ، أفعال هؤلاء أهل الذمة ، من خلال صكوك الغفران التي يبيعونها للناس ، وضمانهم لهم مقاعداً في الجنة ، وكان ذلك على مدى العصور ثم بعد ذلك يرتد بذاكرته ، في إشارة إلى الحوار (يهوذا الإسخريوطي) ، وحضوره إلى هيرودوس حاكم اليهود ، وقوله : ما تجعلون لي إذا دللتكم على المسيح ، فجعلوا له ٣٠ درهماً ، فأخذها ودلهم عليه .^(١) ومنه قوله المسيح : " لبيعني أحدهم بدارهم يسيرة ويأكلن ثمني " ^(٢)

فنرى هذا التوظيف ، قد جاء لإظهار هزل الأمة العربية ، وبأنهم قد سلموا جميع أوراقهم لهؤلاء اليهود والنصارى ، وفي النهاية سيكون مآلهم ، مثل سيدنا عيسى ، الذي بيع لليهود . يقول الشاعر أشرف حلي ، في قصيدته (أشرفيات .. غزة .. للأبطال تحية) :

يا غزّة الأمجادِ قد أحييت معجزة الحياة بنبضنا

أحييتها بالنصر بالأبصارِ

- والثالث -

أن القدس من ذي أقرب في الصلاة بركعتين .. ! ^(٣)

يخاطب الشاعر غزة ، بفم مملوء بالنشوة والعزة ، مراهنًا على صمودها من خلال ، إحياء القلوب التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت ، وبنصرها المؤجج ، وتطلعها لنصرة المسجد الأقصى .

وبالتالي هذه الثلاثة أشياء ، استحضرها الشاعر ، في دين أهل الكتاب الذين يؤمنون - بالتالث - أي الأقانيم الثلاثة ، ويعتبرونها ثلاثة تجليات لله الواحد ، وليست ثلاثة آلهة متعددة ومنه قول المسيح (في عقيدتهم الرب) : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم ، باسم الأب والابن والروح القدس " ^(٤)

جاء هذا التوظيف خادماً حال الشعوب العربية ، من خلال التمسك بحبل الله وعقيدته وكتابه ، فإن في توحيد الألوهية والربوبية ، سير نحو الطريق السليم ، وبالتالي سيكون أقصر الطرق للوصول إلى بيت المقدس ، وتحريره من هؤلاء الذين يؤمنون بالتالث والخزعات لأنه ليس ملكهم ، ولا من حقهم .

أما الشاعر عيسى الشماس ، فقد أطلق على قصيدته (كرنفال غزة) ، قائلاً:

(1) إنجيل متى ١ / ٢٦ / ١٤:١٦

(2) يوحنا ١٨ / ٥:١

(3) لأجلك غزة ، ص ٧٢

(4) إنجيل متى، إصحاح ١ / ١٨ : ١٩

إِنْ ذَاتَ يَوْمٍ حَقَّقُوا صَلْبَ

المسيح

فاليوم يأتي ثائراً ،

بل حاملاً سيفاً

وأغنية انتصار

مكلاً بالغار

لا بالشوك والصِّبار ^(١)

استحضر لما يسميه اليهود ، صلب سيدنا عيسى - عليه السلام - من خلال النص القائل : "فقال

الملك بيلاطس : ماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونهُ ملك اليهود ؟

فصرخوا : اصلبه وكانت الساعة الثالثة فصلبوه " ^(٢)

فالشاعر في توظيفه لهذا الموقف ، يؤكد بأن اعتقاد اليهود بتدمير غزة ، وقتل المقاومة فيها ، مثل اعتقادهم بقتل سيدنا عيسى ، ما هو إلا اعتقاد واهٍ ، لأنهم في النهاية سوف يلاقون نفس المصير الذي يذيقونه لغيرهم .

أما الشاعر طريف آغا ، فيستحضر في قصيدته ، مآثر أرض فلسطين ، وكراماتها منذ عصور ، فيقول فيها بعنوان (أرض الأجداد) :

مَشَى يَسُوعٌ فَوْقَ مَائِهَا وَطَارَ الْبُرَاقُ بِالنَّبِيِّ مِنْ سَمَاهَا ^(٣)
" وفي الهزيع الرابع من الليل ، مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر ، فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر ، اضطربوا قائلين : " إنه خيال " ^(٤)

فأظهر هذا التوظيف ، قيمة هذه الأرض ، وبأنها أرض المعجزات كما حدث مع سيدنا عيسى ، بسيره فوق الماء ، وكما حدث مع سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - في الإسراء ، وبالتالي ، فلم يصمد في هذا الأرض غازٍ أو محتل ، وحتماً سيندحرون ، كما اندحر من قبلهم .

فنجح هذا التوظيف في توضيح البنى الدلالية ، وتركيز البؤرة على أرض المقدس فلسطين ، من خلال تسليط الأضواء عليها ، من بحرها وسمائها ليظهر أهمية هذه الأرض ، لأنها أرض الرسالات والأنبياء .

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٦٣

(٢) إنجيل مرقس ، إصحاح ١٥ / ١٤

(٣) لأجلك غزة ، ص ٢٦٧

(٤) إنجيل متى ، إصحاح ٢٢ / ٢٣ : ٢٣

ثالثاً: - التناص مع التوراة :

عمد بعض الشعراء إلى استجلاب تناصات مع ما يعرف بكتاب التوراة ليظهروا حقد هؤلاء اليهود ، وأطماعهم وجشعهم ، من خلال أحلامهم العقيمة بالسيطرة على جميع البلدان العربية ، أو كما يدعون من النيل إلى الفرات .

فجاء بعض الشعراء ، بإشارات تحمل خداعهم ، وتلفيقهم التهم جزافاً لأنبياء الله ، وكذبهم من خلال تمسكهم وادعائهم بأن أرض فلسطين لهم ، وكانت من قبل لأجدادهم .
دعنا نتأمل المتناصات مع توراة اليهود .

يقول الشاعر حسن سباق ، في قصيدته (أيها العربي أنت المستباح):

دَعْنَا نُؤَدِّبْكُمْ لِكُونِكُمْ سَكَنْتُمْ أَرْضَنَا

تِلْكَ الَّتِي فِيهَا دَفَنَّا سِرَّنَا

جُنْمَانِ يَوْسُفَ وَالْكَلِيمَ وَهَيْكَلًا

كُنَّا بَنَيْنَا أَصْلَهُ يَوْمًا هُنَا

فَبَنَيْتُمْ الْأَقْصَى مَعَاظًا فَوْقَهُ

سَنَهْدُهُ وَنُعِيدُ هَيْكَلَنَا الَّذِي

كَتَبَ الرُّوَاةُ بِأَنَّهُ بَيْنَ الْمَادِنِ قُدْسُنَا

مُسْتَشْرِفًا فِينَا سُلَيْمَانَ الَّذِي

مَلَكَ الشَّامَ وَبَعْدَهَا مَلَكَ الدُّنَا

هَذَا الزَّمَانُ زَمَانُنَا^(١)

يكشف الشاعر هنا ، عما يختمر نفوس اليهود ، ونياتهم المبيتة ، تجاه الأقصى فنراه يتحدث على لسانهم ، حيث يذكر (دعنا) ، (كنا) ، فهم يتكلمون بلسان واحد ، وجاء الشاعر بهذا التوظيف ليظهر أساءه على أمة يعرب ، لأن قلوبها متفرقة ، مع أنها تتحدث بلسان واحد .

وهو يستحضر الحديث عن الوعد الإلهي بمنح الأرض المقدسة لإبراهيم ثم اتخاذ إبراهيم معبداً في أرض الشام ، ومن ثم يعقوب ، حيث تم نقل رفات سيدنا (يوسف) إلى الأرض المقدسة^(٢)

ومنه قولهم : " أما أنا فهو ذا ، عهدي معك ...وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم "^(٣) .

حيث اعتقاد اليهود في خروج المسيح المنتظر ، له علاقة مباشرة بهدم المسجد الأقصى ، وبناء الهيكل الثالث مكانه .

(1) لأجلك غزة ، ص ١٣٧

(2) سفر التكوين، إصحاح ٣٠ / ٢٥: ٢٤

(3) سفر التكوين، إصحاح ١٧ / ٤: ٨

فجاء هذا التوظيف ، لإظهار صفات اليهود ، وما هم عليه من معتقد ، وأنهم لا يتورعون عن فعل أي شيء ، مقابل تطبيق ما يدعون في دينهم وتوراتهم ، فعمد الشاعر لاستخدام تقانة الاستطراد والتضخيم ، في تناصه ليظهر تفاصيل مخططاتهم الإجرامية .
ويواصل الشاعر تناصه مع تورااة اليهود ، حيث يقول:

يومُ التهتكِ يومُنا
صارتْ تخلقُ في البراري بينكم
أعلامنا

فيها الصليبُ ونجمةُ الدَّاودِ تشدُّ عزمنا (١)

فالشاعر يستمر في استخدامه للضمير (نا) - (يومنا ، عزمنا ، أعلامنا)
ليؤكد على حقيقة توحيد هذه العصابات المشتتة ، وتمسكها بمبدأ واحد تحت الخطأ نحوه .
فهو يستحضر افتخار اليهود باتخاذهم نجمة داوود شعاراً لدولة إسرائيل ، وتعني هذه النجمة السداسية (الهيكل المزعوم) ، ليذكرهم الشاعر باسم أول من بنى دولة إسرائيل ، وهو داوود عليه السلام (٢)
فالتوظيف استثمر من قبل الشاعر ، ليظهر عزم اليهود ، وحثهم على التطهير العرقي ، لأبناء الشعوب العربية والإسلامية ، ومن بينها فلسطين ، وتحقيق أحلامهم ببناء دولة إسرائيل الكبرى .
ويقول الشاعر في موضع آخر:

نخبرك صدقاً ما ترتلُ للهوى توراتنا
أن كلُّ شيءٍ سوفَ يصبحُ ملكنا
فالنيل نحنُ نعدُّ كأساً ذات يومٍ فيه نشربُ ماءه
مثلَ الفراتِ كما ترى
فالأرض والمالُ الوفيرُ بأمرنا
والعرضُ أيضاً والنساءُ ... ملكٌ لنا (٣)

استدعاء لما تنص عليه التوراة: "والرب إلهنا كلمنا قائلاً : كفاكم قعود في هذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا ، وادخلوا جبل الأموريين ، وكل ما يليه من الغربية والجبل والسهل والجنوب ، وساحل البحر الكنعاني ولبنان ، إلى النهر الكبير ، نهر الفرات ، قد جعلت أمامكم الأرض ، ادخلوا وتملكوا الأرض ، التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أن يعطيها لهم، ولنسلهم من بعدهم" (٤).
فجاء الاستدعاء ، مظهراً أحلام اليهود ، في إسرائيل الكبرى ، وتيقنهم من ذلك ، من خلال نصوصهم المبتدعة .

(1) لأجلك غزة ، ص ١٣٨

(2) انظر : أحمد آبيش ، التلمود كتاب اليهود المقدس ، قدم له سهيل زكار (دار قتيبة للنشر ، د.ت) ص ١٣٣

(3) لأجلك غزة ، ص ١٤٠

(4) سفر التثنية ، إصحاح ٧/١ : ٨

وفي هذا التوظيف حث على عدم طأطأة الرؤوس ، لهؤلاء الأعداء كي لا يتمادوا في تجبرهم وتكبرهم ، وإلا فالعاقبة وخيمة .

يقول الشاعر عبد الرحمن أفرع ، في قصيدته (لك الله يا غزة):

ندافع عن شعبنا

قالها الناطق العكسريُّ

فقلتُ : صدقتْ

وعن حلمك اليوشعي تدافعُ

عن منجزاتِ العُبور (١)

يستحضر الشاعر في محاكاة ساخرة ، ونفس مخنوقة ، أحلام اليهود بالسيطرة على البلدان ، من خلال ما فعله يوشع بن نون ، في حروبه ومعاركه ، التي خاضها للسيطرة على أراضي كنعان ، ومنه : " وأوصى الرب يشوع بن نون قائلاً : تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل ببني إسرائيل الأرض التي أقسمت لهم عنها ، وأنا أكون معك " (٢)

فيظهر التوظيف معاني الغيرة المعترية صدر الشاعر ، من هذا العدو الذي يسير على درب من قبله ، وكأن لسان حالة يقول : لما لا نتوحد أفندتنا تجاه القضية الفلسطينية ، ونظهرها من هذا الوحش الجاثم على صدور الفلسطينيين .

ويتواصل في هذا السياق ، قائلاً:

ولا تبق من يقفُ اليومَ

في وجهِ أحلامنا اليوشعية منهم

همُ المدخلُ السهلُ

نحو العبور الجديدِ

إلى طور سيناء

ثم إلى النيلِ

باركك الربُّ (٣)

حيث يستدعي الشاعر ، ما قيل في نصوصهم التوراتية : " كلم الربُّ يوشع بن نون قائلاً : قم اعبر هذا الأردن ، وأنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم - أي لبني إسرائيل - كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته من البرية ولبنان ، إلى النهر الكبير ، نهر الفرات ، إلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم " (٤)

(1) لأجلك غزة ، ص ٣٠٣

(2) سفر التثنية، إصحاح ٣١ / ٢٣ : ٢٤

(3) لأجلك غزة ، ص ٣٠٤

(4) سفر يوشع، إصحاح ١ / ٣ : ٥

ويستمر الشاعر في استحضاراته لتوراة اليهود ، قائلاً :

نداء وزير الدمارِ إلى الاحتياطِ

تعالوا إلى الحربِ

يا أيها النافرون

لتحقيق وعدِ العهود القديمة^(١)

فالإشارة إلى العهود القديمة ، هي تلك العهود ، التي كما تذكر توراتهم ، العهد الإبراهيمي ، والموسوي ، والداودي ، فالرب وعدهم بالذرية والأرض ، وبناء بيتاً ونسباً لداوود ، وملكاً إلى الأبد . ومنه : " سوف أكون إلهكم ، وسوف تكونون شعبي " ^(٢)

فالشاعر يشير إلى ، ضعف هؤلاء الثلاثة من المتشرذمين ، بحيث يستدعون جيوش الاحتياط ، لمحاربة غزة ، وهذا كله ، ليس للتدمير فقط ، بل يكشف الشاعر حقيقتهم ، بأنهم شعب الله المختار ، ويجب أن يخضع العالم لهم ، وبالتالي فهم يسعون بكل قوة ، لتحقيق ما وعدت نصوصهم فالتوظيف نجح في إظهار صورة الجيش الذي لا يقهر أمام العالم .

وفي مشهد درامي آخر ، يرتد الشاعر ، في استدعائه لعجل السامري ، وألواح موسى ، لرسم لوحة جدارية ، تظهر كراهية اليهود لغيرهم أن يتعلموا وإقدامهم على قصف الجامعة الإسلامية في غزة ، قائلاً:

ليقصفَ جامعةً في الجوارِ

أبها الخصمُ قلها بصدق

هو العجلُ ما زال يعبدُ منك

فتكرهُ ألواح علمِ لدينا

تمهل قليلاً

ففي كل بيتٍ لنا جامعةٌ

وألواح موسى كذلك

بالنسخة الأصلِ تتلى

ولم تتكسرْ

لغيظِ النبي

فلا العجلُ يعبدُ فينا

وليس له في حمانا خوارٌ ^(٣)

(1) لأجلك غزة ، ص ٣٠٧

(2) سفر التكوين، إصحاح ١٠ / ١١ : ١٧

(3) لأجلك غزة ، ص ٣٠٩

فمال الشاعر باستخدامه تقانة التضخيم ، وإيضاح للنبية الدلالية ، لحقيقة اليهود ، حيث استخدامه للفعل المضارع المبني للمجهول ، (يُعبد) ، فالعجل يُعبدُ في صدور اليهود كافة ، من خلال تصديقهم بأنه مخلوق ، حيث ذُكر في توراتهم ، بأنهم قالوا لهارون : " قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا " (١) وذلك عندما ذهب سيدنا موسى ، لمناجاة الله في الطور ، طلبوا حسب ما يدعون من أخيه هارون ، صنع العجل ، فأخذ منهم الذهب والحلى وصنع عجلاً ، له خوار ، فعبدوه .

ويقتطع الشاعر المشهد الدرامي الآخر ، عندما استحضر قصة الألواح التي أنزلت على سيدنا موسى ، وحسب إدعاء اليهود : " فأنصرف موسى ونزل من الجبل ، ولوحا الشهادة في يده ، فلما رآهم يعبدون العجل ، طرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل " (٢)

سار الشاعر في وصف المشهد الدرامي ، بإيقاعية متناغمة ، شاحداً ذهن القارئ ، ليصل بنا إلى الحقيقة ، التي مفادها ، بكذب هؤلاء اليهود ، وافترائهم على موسى وأخيه .

فالتوظيف استثمر قصتهم ، ليظهر لنا التمسك بالعلم ، فلا طريق غيره لمحاربة هؤلاء ، حيث نفى الشاعر السير على طريق هؤلاء الجهلة ، في قوله:

فلا العجل يعبد فينا

وليس له فما حماتا خوار (٣)

وفي استخدامه للفعلين ، المضارعين (تُتلى ، تُتار) ، مدلالاً على مدى انتشارها ، واستمرارها عبر الأجيال .

وفي تحسر الشاعر وألمه تجاه تماسك أبناء يهود ، يقول:

وأبناء يوشع

أحسدهم

في صفوف الوئام

أماماً يسيرون تسبقهم

نارهم والزؤام

ونحن نسير إلى الخلف (٤)

فتصوير هذه المحطة ، من تاريخ يهود ، بين الأبعاد الدلالية ، وفك رموز وطلاسم الرجوع ، وتقدم اليهود ، فهم يؤمنون بنصوص توراتهم ، إيماناً عميقاً ، وبالتالي يتوحدوا ، بينما المسلمون ، يتلون

(1) سفر الخروج ، إصحاح ٣٢/١: ٢

(2) سفر الخروج ، إصحاح ٣٢/١٥: ١٦

(3) لأجلك غزة ، ص ٣٠٩

(4) لأجلك غزة ، ص ٣١١

القرآن ، ولا يطبقون ، ومما ذكر في نصوصهم : " فقال الرب ليوشع : اليوم ابتدئ أعظمك في أعين جميع إسرائيل ، لكي يعلموا أنني كما كنت مع موسى ، أكون معك " (١)

فهم يمجدون يوشع ، الذي خرج بهم من التيه ، ودخل بهم بيت المقدس لذا فتوظيفهم لاسمه وتاريخه ، فيه دعوة للمسلمين ، للأخذ بالعبرة ، لأنه إذا ضاعت التقوى ، فالغلبة للأقوى ، حيث أشار إلى تكتلهم وعملهم وحدة واحدة من خلال ميم الجميع (أحسدهم - تسبقهم - نارهم)

يقول عبد الله شبيب ، في قصيدته (هولوكوست) غزة :

كل الجرائم الدينية التي ارتكبتها طيلة التاريخ

دينٌ عليكم واجب الأداء لا تمسحه الأيام

(الهولوكوست) قادم إليكمو .. كما اشتيتم وحلمتم .. بل أشد .. قاصما جبار

أشد مما نصت التوراة والتلمود

من [مرض مهلوس] حقوق !! (٢)

يذكر الشاعر ، بالجرائم الدينية التي يصنعها اليهود ، وبأنها لن تمر دون عقاب من خلال تأكيده على ذلك (دين عليكم - قادم إليكم) ، ويأتي هنا في روح هائجة ، مستخدماً الفعل (أشد) مرتين ، حيث تشديد حرف الدال ، مؤكداً في دلالاته على تكرار العذاب لهم ، مرات عدة ، أكثر مما ذكره في توراتهم وتلمودهم ، وفيه : " اذكر يا رب ما أصابنا ، انظر وعابن عارنا ، قد تحول ميراثنا إلى الغرباء ، وبيوتنا إلى الأجانب " (٣)

فزراهم يحرفون ، ويكون على ما أصابهم عما أسموه بالسبي الآشوري والبابلي ، وانقسام مملكتهم الشمالية الجنوبية ، بعد تدمير (نبوخذ نصر) إسرائيل وتحطيم هيكلهم . (٤) .

فجاء التوظيف لحشد مواقف العداء والكراهية تجاه هذا الشعب البغيض ، المكروه من معظم العالم ، في خطاب قوي ، أظهر وقع الكلمات في ذهن القارئ .
ويقول فايد إبراهيم ، في قصيدته (أبناء غزة قادمون) :

موشي ويهو وهالتهيب

وأنا وأمي والصليب

وكتائب أحمد في دمي

قلبي فماء المنتمي (٥)

(1) سفر يوشع ، إصحاح ٣ / ٨ :

(2) لأجلك غزة ، ص ٣٣٦

(3) سفر التثنية ٢١ ، إصحاح ٨ / ٩ :

(4) انظر : أحمد آبيش ، التلمود كتاب اليهود المقدس ٢٧

(5) لأجلك غزة ٣٨١ ،

يتحدث الشاعر عن الأديان الثلاثة ، المسيحية ، اليهودية ، الإسلام فنراه يوازن بينها ، ثم يختار دين الإسلام ، الثابت ، حيث مثل للمشاهد الدرامية الثلاث ، فاستحضر الحديث عن سيدنا موسى (موشى) وعن يهوه (عيسى) ليظهر كذبهم ، من خلال ادعائهم بأن يهوه ، " هو ملاك الرب ، وعندما يصعد إلى السماء ، ويصعد في لهيب " (١) ثم قالوا : " هو رب موسى ، أو صورة الله غير المنظور " (٢) ثم المشهد الآخر قصة عيسى واعتقادهم بصليبه ، وعندما قال الشاعر :

وأنا وأمي والصليب

ليظهر دلالات كلامه ، بأن عيسى ، ليس الله أو ابن الله كما يدعون ثم يؤكد في المشهد الثالث ، صدق وثبات القرآن الكريم ، عندما أشار إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، في قوله :

وكتاب أحمد في دمي .

فجاء التوظيف ليفند مزاعم اليهود والنصارى ، التي يدّعونها بأن عيسى هو الإله ، وأنه صلب ، ويؤكد على حقيقة الدين الصحيح ، ألا وهو الإسلام العظيم .

يقول محمد عبد المطلب جاد ، في قصيدته (تعلم) :

ويسجد قائد كبرى البلاد

ويهتف إني من الله ملهم

معاهد توارثهم عبر قرن

لننشر في كل ركن حريقاً

ونجعل كل المواطن مآثم

ونصبح أتقى إذا ما جعلنا

جميع البقاع متاعاً مهشماً

تعلم فتوبى لمن يتعلم (٣)

يحاول الشاعر أن يستجلي ، حقائق الحكام المدفونة وراء ابتساماتهم ، من خلال استخدامه للتلميح فأشار إلى عمق العلاقة المتجذرة بين الرئيس المصري وبين الكيان الصهيوني ، حيث ربط دلالات العبارة من خلال (يسجد ، يهتف) وإظهار التبعية لهؤلاء الأعداء ، فنثر عباراته المتشظية ، لتثير الدهشة ، تجاه هذا الموقف ، ويؤكد على أن الحاكم هو الخائن ، وليس الشعب معه ، فقد ذكر كلمة (معاهد) وهي اسم فاعل ، ولم يقل (نعاهد) ثم ربط هذا العهد ، من خلال انتقاله ، وغوصه عبر الأزمان ، بالتوراة اليهودية ، حيث فيها من النصوص المدللة على روح الانتقام في قلوب اليهود .

(1) سفر القضاة ، إصحاح ١٣ / ١١:١٠

(2) سفر لوقا ، إصحاح ١ / ١٥

(3) لأجلك غزة ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩

" قال الرب لي أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك ، اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاضي الأرض ملكاً لك ، وتحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إناء خزّاف تكسّرهم " (١)

فالتوظيف يدرك العلاقة بين ما يفعله يهود بأرض فلسطين ، وما يفعله الحكام العرب ، السائرين على نفس الدروب مع شعوبهم .

حيث ينهي الشاعر مقطعه (تعلمْ فطوبى لمن يتعلم) وفي تنفيد لأكاذيب اليهود ، حول أحقيتهم بأرض فلسطين .

يقول يحيى فتلون ، في قصيدته بعنوان (صبراً آل غزة):

وَجَاؤُوا الْيَوْمَ دَعَاوَاهُمْ كِذَابٌ وَلَيْسَ لَهُمْ شُـهُودٌ أَوْ دَلِيلٌ
بِأَنَّ لَهُمْ بِمَقْدِسِنَا حُقُوقًا وَمِيعَادًا لَهُمْ فِيهِ قُفُولٌ (٢)
حيث ينكر الشاعر ، الحق المزعوم لهؤلاء الشرذمة من الناس وبيّن أنهم لم يكونوا أصلاً في الأرض ، من خلال الفعل (جاؤوا) مدللاً في سياق حديثه ، على أنه لا مكان لهم ، حسب ما يدعون " أما أنا فهوذا أعطي لك ولنسلك ، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ، وأكون إلههم " (٣)

وفي تأكيد على أحقية المسلمين بالبيت المقدسي أشار الشاعر بقوله (بمقدسنا) .

مؤكداً على تبعيته للعرب والمسلمين ، ثم ينتقل إلى إنكار زعمهم ، بيوم الميعاد ، وانتظار المسيح ، وبناء هيكلمهم على أنقاض المسجد الأقصى .

فتوظيفه جاء في عبارات قوية منكّرة ، لتؤثر في ذهن القارئ ، وتضيء قلبه وعقله ، بعدم أحقية اليهود في الأرض .

أما الشاعر حسن سباق ، في قصيدته (أيها العربي أنت المستباح) يسير في عرضه باستخدام تقانة القلب في محاكاة ساخرة ، ليؤكد لنا همجية هؤلاء اليهود ، ونزواتهم اللامتناهية ، فيقول :

قد آن وقت الانتقام

وقد آن قتلك

والتطلع نحو قدس في الكنانة شاقنا

أوليس قبر أبي حصيرة في البحيرة مهدنا

سنجينة نحسو عليه خمورنا (٤)

استخدام حرف التحقيق (قد) ليشير لعزم اليهود على القتل ، حيث تكرر مرتين ، ثم تكرار الفعل الماضي (آن) ليدلل على سرعة الحديث واستعجالهم في تحديد مصير بني يعرب ، ثم ها هو يستقطع مشهداً مؤثراً ، يندى له جبين القارئ العربي ، من خلال استهتار اليهود ، بالدول العربية ،

(1) سفر المزامير ، مزمور ٧: ٨/٢

(2) لأجلك غزة ، ص ٥٨٧

(3) سفر التكوين ، إصحاح ٨/١٧

(4) لأجلك غزة ، ص ١٤٢

وإقامة شعائريهم الزائفة ، مثلما ما يحدث في قرية (البحيرة) ، فهم يحجون كل سنة إلى القرية زعماء منهم ، لزيارة قبر (أبي حصيرة) حيث الرقص عراة وشربهم الخمر ، وصبها فوق قبره (١). ثم يظهر لنا صورتهم الحقيقية ، من خلال هدفهم ، وهو ليس فقط هدم المسجد الأقصى ، بل ينظرون بتوسعة القدس ، من خلال احتلال مصر ، في قوله :

والتطلع نحو قدس في الكنانة شاقنا

فألمح باسم مصر ، باستخدام لفظة الكنانة .

وكانما الشاعر يستدعي مقولاتهم في نصوص التوراة :

"أدخلوا وتملكوا الأرض ، التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم" (٢)

فالشاعر يرمز في كلمة (سنجيئه) ليس فقط للقبر الموجود في مصر ، بل سوف يقتحمون جميع البلاد العربية ، ويحققوا أحلامهم .

فيظهر التوظيف الهدف الحقيقي ، لوطء اليهود الدولة العربية ، من خلال مراسمهم واحتفالاتهم الواهية .

رابعا:-التناص مع الحديث الشريف :

حيث نري بعض الشعراء ، يحيلون نصوصهم الشعرية، إلي الخطاب الديني، من خلال توظيفهم لأحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- والتفاعل معها ، وذلك لارتباط الشعراء بروح الدين الإسلامي العظيم ، وتأسيسهم بأقوال وأفعال رسولنا الكريم، وأيضا التنوع في توظيفاتهم الدينية ، ليؤكدوا علي مضمون قصائدهم ، ومغزاها، من خلال التعرض لها من زاوية ، القدوة الحسنة ، ألا وهو رسولنا الكريم- صلى الله عليه وسلم- ، وإلقاء الضوء علي أحاديثه التي فيها الكثير من الدلالات والمعاني السمحة ، وفيها البشريات ، التي تتلج قلوب المقهورين من الشعوب العربية خاصة الأرض المقدسة فلسطين ، بما حدث ويحدث فيها.

وها هو إبراهيم الكوفحي ، في قصيدته (غزة أو آخر الجراح) ، يقول:

ألف مليون ، لو نفختم لراحت

دولة البغي كالهباء تطيرُ

ألف مليون ، إذ تعدّون لكن

كغناء ، فما لكم تأثير (٣)

(1) انظر: رابطة أدباء الشام ،حكاية أبو حصيرة ،مقالة ل :محمد فاروق الإمام

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=28943>

(2) سفر التثنية ، إصحاح ١ / ٧ : ٨

(3) لأجلك غزة، ص ١٢

يوازن الشاعر بين حال الأمة ، وما آلت إليه من ضعف وهوان ، من خلال استحضاره ، لحديث الرسول : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أومن قله نحن يا رسول الله ، قال لا : ولكنكم غثاء كغثاء السيل " (١) .

حيث يبرز هذا التوظيف في جنباته ، حقائق مؤكدة ، كانت مستقبلية أيام عهد الرسول ، وها هي واقعة اليوم ، فرغم عدد المسلمين الهائل ، إلا أنهم ضعاف ، وقد سار الشاعر على تقانة التضخيم من خلال تكراره (ألف مليون) ، ليؤكد على أنها كثرة واهية ، من خلال تعجبه المستكرر لأفعالهم . يقول الشاعر : أبو زياد الأنصاري ، في قصيدته (يا أهل غزة) :

عز النصير و هذي العرب شاهدة و المسلمون غثاء ليس ينسجم
مليار نفس و نصف لا غثاء لهم هل تعرف العقد حين الخيط ينقصم^(٢)
شعور بالقهر وقلة الحيلة ، ترسلها لنا نفس الشاعر من خلال استدعائه ، لحديث الرسول : "... ولكنكم غثاء كغثاء السيل " (٣) .

حيث يبعث حسرته ، من خلال هذا العدد الهائل السابق ذكره ، مليار ونصف ، فأبرز هذا التوظيف بأن المسلمين رغم عددهم الهائل ، إلا أنهم في فرقة وغير متماسكين ، مشبها إياهم ، بحبات العقد عند انفصالها ، تصبح لا فائدة منها .

ويقول في حثّه على التمسك بكتاب الله وسنته :

أليس هذا كتاب الله يجمعنا فليتنا لكتاب الله نحـتـكم^(٤)
إذ يستخدم الاستفهام التقريري ، بأن علينا العودة إذا ما أردنا النصر والوحدة ، إلى كتاب الله العظيم وفي هذا استيحاء لقول الرسول :

" تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي " (٥) .

ففي هذا التوظيف ، الحث على الرجوع للقرآن الصالح لكل زمان ومكان ، والاقتداء بهدي الرسول ، حتى تسلك الطريق ، وتخلو من الأشواك المغروسة بها ، وترجع أطر الوحدة جمعاء .

يقول الشاعر أبو صهيب ، في قصيدته (نداء غزة للعرب والمسلمين) :

لا تُغلقوا عنهم معابر رزقهم فكّوا الحصار وأطلقوا المغلولوا
في هرة قد حوصرت عن رزقها كان الجـزاء النار والتـنـكـيلا^(٦)

(١) انظر ، عون المعبود ، في شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد آبادي ، إشراف صدقي العطار ، دار الفكر للطباعة ، ١٩٩٥ (حديث رقم (٤٢٩٠) ٣١٥/١١ .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٩

(٣) انظر : عون المعبود ، في شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد آبادي ، حديث رقم (٤٢٩٠) ٣١٥/١١ .

(٤) لأجلك غزة ، ص ٤٠

(٥) انظر : مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، تخريج صدقي العطار ، (دار الفكر للنشر - بيروت) ١٢٣/٧

(٦) لأجلك غزة ، ص ٤٢

استجداء ونداء ، للمسؤولين عن حصار غزة ، وإغلاق جميع منافذها ، حيث يذكرهم بالمصير المشؤوم ، الذي سيلاقون ، يوم الحساب فاستحضر حديث الرسول :
" عذبت امرأة في هرة سجننتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتهها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " (١).

فنجح هذا التوظيف ، في إظهار عاقبة من يطلقون يد العنان ، لمحاصرة أهل غزة ، وحاله يقول :
فكوا الحصار عنها ، قبل أن تحاصروا إلى من لا فكاك عنده .
ونراه في حثه على نصره المسلمين ، قائلاً:

أَنْصِرْ أَخَاكَ إِذَا اسْتَعَاثَ لِنَجْدَةٍ إِيَّاكَ تَعْصِي خَالِقًا وَرَسُولًا (٢)
تذكير الأمة العربية ، بنصرة إخوانهم المذبوحين ، من خلال استدعاء قول الرسول : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره " (٣).

ففي توظيفه هذا ، إبراز لمشاعر النخوة والشهامة ، التي اندثرت في أيامنا هذه _ إلا من رحم _
وطاعة رسول الله في هذا الشأن .

وفي قصيدته (لا تساوم) ، يقول آدم فتحي:

ثابِتٌ في الرِّيحِ ، كالعهدِ ، وقائمٌ

قابضٌ الكفَّ على جمرةٍ رُوحِي

وهي في كفيّ تغنيّ

لا تساوم (٤)

استجلاء لروح الشاعر المغامرة ، الصامدة في وجه الريح ، وقد أظهر لنا هذا الصمود ، من خلال استحضار حديث الرسول : " يأتي على الناس زمان القابض على دينه ، كالقابض على الجمر " (٥)
حيث في هذا التوظيف ، توطيد القلوب وإبعاد الزعزعة من النفوس ، لأنه زمان النصر رغم ما يحيط به من ظلام ، والمنتصر هو المتمسك بدينه وعقيدته .

ويقول الشاعر جمال مرسي ، في قصيدته (رفح) :

أَوَاهُ يَا رَفَحَ الْإِبَاءِ

يَا أُخْتَ جَنِينَ الصُّمُودِ

(1) انظر : مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، كتاب الحيوان ، رقم ٥٧٤٩ ، ص ١١٢٤ .

(2) لأجلك غزة ، ص ٤٢

(3) انظر : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، صحيح البخاري ، (دار الفكر للنشر، بيروت، ٢٠٠١) رقم ٦٧٤٧ / كتاب البر والصلة والآداب ٤ / ٢٠٠٠ .

(٤) لأجلك غزة ، ص ٥٧

(٥) انظر : الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، سنن الترمذي (دار الفكر ، بيروت، ١٩٩٦) ٤ /

لا تأبهي بخنوعنا ..

إِنَّا غُثَاءٌ .

(ذال وراء) ^(١)

استخدام الشاعر لتقانة القطع والمونتاج ، من خلال لقطات متعددة جاء بها لبناء المشهد ، حيث صور في اللقطة الأولى ، التحسر والأسى على مدينة رفح ، ثم ارتد بنا نحو مدينته جنين مسترجعاً ما حدث معها قبل سنين ، فهو يماثل بين ما آلت إليه جنين ، وبين ما حصل لرفح ، ثم نراه يستحضر حديث رسول الله : " ... ولكنكم غثاء كغثاء السيل " ^(٢)

من خلال تقانة القلب حيث قال : إِنَّا غُثَاءٌ .

وقد استخدم حرف التوكيد (إن) ليؤكد على هزلة وضعف العرب ، ثم واكب بالمشهد الذي يقول فيه (ذال وراء)

حيث سار باستخدام تقانة (الخطية) من خلال تجزئته لكلمة ذر ، إلى حرفين ، ليوحى لك بالمشهد ، فالمسلمون كثر ولكنهم ممزقون إلى أشلاء وهذا ما فعله في فضاء الصفحة ، ليظهر لنا تأكيده على التشرذم الحاصل للأمة العربية .

ويبدو أن العدد الهائل للمسلمين ، دون ردة فعل حقيقية ، جعلت معظم الشعراء ، يتماهون وحديث الرسول : " ولكنكم غثاء كغثاء السيل " ^(٣)

فقال سعد الغامدي في قصيدته (ثلاثية غزة):

مَصِيرُ الْعُرْبِ فُرْقَى مَعَ هَلَاكِ لَأَنَّ الْجَهْلَ مَا رَغِبُوا وَشَاؤُوا
وَقَدْ سَكَنُوا زَمَانًا عَنْ لُصُوصِ أَضَاعُوا حَقَّهُمْ ، وَهُمْ غُثَاءٌ ^(٤)

فها هو الغامدي ، يوظف حديث الرسول ، ليظهر ضعف وهوان المسلمين ، مع عددهم الهائل وأكد على ذلك ، باستخدامه واو الجماعة في (رغبوا - شاؤوا - سكنوا - أضاعوا) فهم جميعاً قد اشتركوا ، في سكوتهم عن الجريمة فالتوظيف نجح في إبراز الرؤى الدلالية ، المنبثقة من الأفعال الماضية ، لإيضاح الحقيقة المرة ، بأنهم منذ أجيال مضت ، كانوا ساكتين ، وها هي النتيجة تفرق وهلاك .

ويسير الشاعر سلامة خليل سلامة، علي نفس المنوال في استدعاء حديث رسول الله _ صلي الله عليه وسلم _ " ولكنكم غثاء كغثاء السيل " ^(١) في قصيدته ، من قال "لا" ولم يقل " اللهم نفسي " :

(١) لأجلك غزة ص ١٠٤

(٢) انظر : عون المعبود ، في شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد آبادي، حديث رقم (٤٢٩٠) . ٣١٥/١١

(٣) انظر : عون المعبود ، في شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد آبادي، حديث رقم (٤٢٩٠) ، ٣١٥/١١ .

(٤) لأجلك غزة ، ص ٢٠٨

يا ابن غزة

حدك الغربي بحر....

وهو رهن الاعتقال

ومن الشرق متاهات يباب

نحن في الشرق غشاء^(٢)

فأنتم يا أهل غزة ، محاصرون من قبل الشرق والغرب ، فالبحر غربا ليس ملككم ، لانه رهن قوة الاحتلال ، وأما ما تعتقدونهم خلاصكم ، وهم الشرق العربي ، فهم أعداد قول وليس فعلاً .

فتوظيفه جاء متماهيا ، لحال الواقع الذي نعيش ، مع تلميحه بعدم توحيد الكلمات والقلوب ، من خلال (متاهات) فكل وطن وكل شعب لا يخطو نحو الوجهة الصحيحة فهم في ضياع .

وفي مقطع آخر ، يستوحي في مشهد ساخر ، محاطاً بتقانة القلب ، للتدليل على ترك أهل غزة يخوضون غمار حياتهم ، ولا مساند لهم ، فقال :

نحن لسنا منك

فاعقل و توكل

وإذا شئت .. توكل .. دون أن تعقل

فالمظلوم أنت^(٣)

فهذا مشهد درامي ، عكس حالة الهوان ، في قلوب بني يعرب ، ويمثل الشاعر هنا ، دور الحكيم الذي يهب المساعدة لغيره ، ولكنه كان سلبياً تجاه من جاءه ، فمن خلال استدعائه للحديث النبوي : " اقلها وتوكل " (٤) ، وظّف هذا الحديث ، في محاكاة ساخرة ، فمرة (اقل) ومرة (توكل) ، فهو يترك الباب مفتوحاً على مصراعيه ، تجاه الشعب المقهور ، وكأنه يقول : اللهم نفسي ، وهنا يتماهي مع عنوان القصيدة ، حيث هؤلاء العرب ، من الذين قالوا : نفسي نفسي .

وفي قصيدة (تواطؤ ... ! ؟) يكشف عبد الجبار أبو دية عن أحد الأسباب المهمة ، في تواطؤ الحكام العرب مع المحتل ، فيقول (٥) :

يظهر الفرعون يهذي .. يرجع القول يُكرر !

إنه ذاك المخبل .. إنه شبه المذكر !

إنه عبد دراهم ومنافع .. ليس أكثر !

(١) انظر : عون المعبود ، في شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد آبادي ، حديث رقم

(٤٢٩٠) ٣١٥/١١ .

(٢) الديوان ، ص ٢٢٣

(٣) الديوان ، ص ٢٢٣

(٤) انظر : سنن الترمذي ، كتاب القيامة ، رقم (٢٦٤٩) ، ٣٠٩/٢

(٥) الديوان ، ، ٢٨٠

هو في التاريخ .. نكران !

وعند الله .. مُنكر !!

استخدام التلميح في الإشارة للرئيس المصري ، حيث وصفه بالفرعون ، ويتجلى في القصيدة لحروف التوكيد مكررة ثلاث مرات ، متماهياً ، مع حديث الرسول : " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة.... " (١).

حيث تكرار الرسول الفعل تعس ، ثلاث مرات ، للتأكيد على العيشة التعسة ، لهذا العبد ، الذي أطاع هواه ، وعصى الإله ، فتوظيف الحديث ، ترك مساحة دلالية واسعة ، وحشد تعبيرات لغوية ، لتترك أثراً ، في نفس القارئ ، وتشعره بعظم الجرم الذي يرتكب في حق شعب أعزل . واستعانة عبد الجبار ، بتقانة الترصيع ، وتتويج نهاية العبارات ، بعلامات التعجب ، ليضفي على نصه أوج الدهشة ، والتعجب ، من هؤلاء الحكام العرب ، وإلى أي مدى وصلوا . ويقول الشاعر محمد المراني ، في قصيدته (يا أهل غزة) (٢):

والذائدين عن الفضيلة في الورى أغلى الهبات ومنتهى الإحسان
والنصرُ صنوُ الصبرِ في ساح الوغى والعُسْرُ فَرْدٌ حَوْلَهُ يُسْرَانِ
يحشد الشاعر الدلالات المعنية ، في نحت عباراته ، لإيصال فكرته ، لهؤلاء الرجال الصابرين في أرض الميدان ، من خلال اسم الجمع (الزائرين) للتدليل على التماسك والتعاضد ، وفي محاولة منه لنشر النور في جنبات الطرق ، ويستدعي قول الرسول " لن يغلب عسر يسرين ، فإن مع العسر يسرا ، وإن من العسر يسرا " (٣).

حيث يدعم هذا التوظيف ، معاني الإباء والصمود ، لتبديد ظلمة القهر والانصياع ، لهؤلاء الغزاة ، ويؤكد في نهاية المطاف ، بانتصار الخير على الشر ، فمهما بلغ أوجه ، فحتما سيندحر في وجه الخير .

وفي تحفيزه على الجهاد والمقاومة ، ينشد الشاعر محمود الحلبي ، في قصيدته (إلى فرسان غزّة الحرة) :

يا فارسَ غزّة من حولك قممٌ

وتلالٌ

والجنةُ ظلك ما دامت للسيف

ظلالٌ (٤)

(1) انظر : صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، رقم (٢٧٣٠)، ص ٤٠٦

(2) الديوان ، ، ص ٤٠٢

(3) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، رقم (١٠٧٢) ، ص ٥٢٥

(4) الديوان : ص ٤٩٨

يرسم الشاعر العبارات في فضاء الصفحة ، وكأنها نصائح من حكيم ، حيث التنويع في الخطاب ، بين النداء ، والأمر والنهي ، للتدليل على أهمية الموضوع الذي يطرح ، مستخدماً تقانة الاستطراد ، لنسج الشباك كاملة ، حول مضمون القصيدة ، فنراه قد مال إلى استيحاء . حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - " واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " (١).

فجاء التوظيف لإظهار ، الجائزة العظيمة التي سوف ينالها الفارس ، إذا ما تقدم الخطا ، وسار نحو الوعى ، فالشاعر يمارس سلطته ، لاقناع القارئ ، بأن الطريق نحو العزة ، هو ركوب الأمواج العاتية ، والمصارعة للبقاء ، وكأنه يرسم جو المعركة ويصورها من خلال العبارات والإيحاءات ، فأشار إلى القمم والتلال والسيوف ، حيث تذكير بالماضي الأغر ، عندما كان للإسلام العظمة والكبرياء وكأنه يستفز مشاعر الغيرة والتأسي بالماضي الأثم .

ويقول الشاعر هلال الفارع ، في قصيدته (بعضُ الأسي شرفُ أسمى من المنح !!) (٢) :

لَا بَأْسَ إِنْ قَطَّرْتَ عَيْنَكَ بَعْضَ أَسَى بَعْضُ الْأَسَى شَرَفٌ أَسْمَى مِنَ الْمِنْحِ
دَعْ مَا يُرِيْبُكَ، لَا تَرْكُنْ إِلَى نُصْبٍ فَلَيْسَ فِيهَا سِوَى الْفِرْعَوْنَ وَالْوَقِحِ!

يأتي هذا المقطع ، المتمثل مع عنوان القصيدة ليعلن موقفاً ، ورؤية محددة. حيث حاول الشاعر تخطي مرحلة الضعف والهوان ، رغم الجرح الذي سينزف من تلقاء ذلك ، ولكنه يعتبره في هذا المشهد الدرامي ، أرفع من عيشة هائلة بمذلة .

ونراه قد استدعى حديث الرسول : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " (٣)

حيث تم تحوير الحديث ، لخدمة القضية الفلسطينية ، من خلال عدم الخوف ، من الوعيد والتهديد فما في هذه الدنيا ، سوى أصناف كانت في الماضي واندثرت ، مثل (الفرعون) حيث أضافت هذه الكلمة ، بعداً دلاليّاً لحكام هذا العصر ، ألا وإنهم نسخة مطورة ، من فراعنة بائدين فنجح هذا التوظيف ، في إظهار الحالة التي يجب أن يكون عليها ، الشعب الفلسطيني في عدم الركون والخضوع ، رغم الطريق الشائكة ، فحتماً هي أسلك الطرق وأنجعها .

(1) انظر : مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، رقم ٤٤٣٣ ، ص ١٤٦

(2) الديوان ، ص ٧٦٩

(3) انظر :مسلم النيسابوري، صحيح مسلم ، كتاب البيوع حديث رقم (٢٥٣٥) ، ٥ / ٣٢٢ .

خامساً:-التناص مع السيرة النبوية:

لم يقتصر الشعراء علي القرآن الكريم والحديث الشريف ، في محاكاتهم وتوظيفاتهم ، بل حاولوا إثارة قضاياهم ومواضيعهم ، بشتي الطرق والوسائل، وبالتالي نراهم استندوا ،إلى السيرة العطرة لرسولنا الكريم - عليه الصلاة والسلام-

من خلال التأسّي بأفعاله ، وهمساته التي كان يرنو بها في أذن المسلمين ، فنراهم قد ركزوا علي جانب المعاناة والعذابات ، من خلال تسليط الأضواء علي ما قاساه الرسول، خلال بداية دعوته وأثناءها، وما كابده الصحابة تجاه ذلك، في محاولة منهم للتماهي مع ما يحدث في يومنا هذا، وبأنه ليس بجديد علي المسلمين ،وبالتالي حشدوا بعض المواقف في السيرة النبوية ، لتهوين الآلام في نفوس المسلمين، وخاصة الغزيين ، رغم قسوتها ومرارتها .

فنري آدم فتحي ، يقول في قصيدته (لا تساوم):

أين صوت الشاطئ الضاحك كي يومئ عن بعد

ولو بالصمت

" صبراً آل قاوم "

لا تساوم⁽¹⁾

يدعو الشاعر في قصيدته إلى الصبر والصمود ، في وجه الغطرسة الصهيونية ، حيث اتكأ على تقانة قلب الموقف الدرامي ، فنراه قد استدعى ، مقولة الرسول وهي في بداية الدعوة (صبراً آل ياسر) ، الذين عذبته قريش ، فها هو يعزز هذه المقولة ، من خلال استبداله (قاوم) بدل (ياسر) ثم تكراره لعبارة (لا تساوم) للتأكيد على خيار المقاومة .

فجاء هذا الاستدعاء ليرجع إلى الأذهان السيرة العطرة للنبي وصحابته ، ويذكر الماضي الأغر ، فالشاعر يطالب بالسير على خطا السابقين لتعزيز موقف الصمود، والذود عن الأوطان فجاء التوظيف متماشياً ، مع عنوان القصيدة (لا تساوم) ، خاصة مع تقانة القلب حيث كلمة (قاوم) الدالة على المضي قدماً في تقرير التحرير والمقاومة .

ويسير حاتم الزهراني ، في قصيدته (قل ما تشاء) على نفس الدرب ، من التهوين والتصبير ، فيقول:

اثبت بوجه الموت ،

صل

ولا تخف

اثنان في غار البقاء اثنان ...

إن لم تغتلك يدك ،

هل سيغيثها

(1) لأجلك غزة، ص ٦١

حرفان في سِقْطِ اللَّوَى يَقْفَانِ !!! (1)

تتفاعل نفس الشاعر ، مع الوقعية الأليمة التي أحلت بالأمّة العربية ، ونسج كلماته في صورة ساخرة للواقع ، ثم يوصل الحل إلى ذهن القارئ ، الحل هو الخلاص والفكاك من برائن الطغيان ، فنراه استدعى صفحة من صفحات رسولنا الكريم ، وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر ، الذي طمأنه الرسول بقوله : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " (2)

حيث في هذا الاستدعاء ، التأسّي بالسيرة العطرة ، للرسول وصحبه ، والصبر على البلاء كي يتسنى الثبات في وجه رياح الغدر والظلم ، وتنبّج لك آفاق جديدة ، ثم نرى التحضيض في هذا المقطع من خلال (صلّ) ، (ولا تخف) لرفع معنويات المهوورين ، في البلاد العربية والحث على الرجوع لله والتمسك بحبله ففيه النجاة من المهالك .

ويستفز الشاعر سعيد يعقوب ، مشاعر الأنفة والعزة ، واستنهاض الهمم ، فيقول في قصيدته (غزة) :

يا بن القطاع اصعدْ على الألم المُم ضٍّ ومنهُ شُقٌّ إلى السَّما مِعْراجًا
وأذِقْ بَيِّ صَهيونَ كَأْساً مُرَّةً كانَ الهَوَانُ لَمّا حوتَه مِزاجًا (3)

فهذه الأبيات جاءت ، لتصعق النفس الحزينة والتي ملأت قطاع غزة ، وما من منافع أو مدافع عن غزة ، فنادى الشاعر ، بـ (ابن القطاع) وكأنه يقول أنت وحدك في ساح الوغى ، فاخرج من هذا الألم ، وهنا يستدعي الشاعر حادثة الإسراء والمعراج ، والتي جاءت للتخفيف عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد آلامه من موت عمه وزوجه وما جرى في الطائف (4) وكأن الشاعر ، يفتت الآلام في النفوس ، ويشد على العضد ، في استذكّاره لمحنة رسول الله ، والذي كافأه الله ، بهذه الرحلة العظيمة .

فالتوظيف يواسي أبناء غزة ، ويقول لهم : بأن فرج الله قريب وسوف يجازوا على تحملهم الآلام ، بل ويدعو لإذاقة العدو ، ألوان شتى من العذاب .

ويبشر الشاعر عبد الإله أبو صلاح ، أهل الشهداء بأنهم إلى جنة الخلد ، وقتلى الأعداء إلى النار ، فيقول :

كَفَكِرْ دُموعَكَ يا أخِي لَمْلَمْ جراحَكَ واحتسب
شهادتنا في جنّةٍ قَتَلَهُمُ بَيْنَ اللَّهَبِ (5)

فنرى هذا التعاطف والتكاتف ، مع الأهل المكلومين ، من خلال لفظة (يا أخى) والتي تحمل معاني الحب ، والشعور بالمصاب الجلل ، ثم ينتقل الشاعر في مشهد درامي آخر ، ألا وهو استحضاره ،

(1) لأجلك غزة ، ص ١١٩

(2) انظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية (دار التوزيع والنشر الإسلامية ، د/ت) ص ٥٣

(3) لأجلك غزة ، ص ٢٢١

(4) انظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية ، ص ٤٤

(5) لأجلك غزة ، ص ٢٧٢

لغزوة أحد وما حدث للمسلمين في نهايتها ، وتشفي أبي سفيان بهم حيث كان يرد عليه الرسول والصحابه ، ومنه قول أبي سفيان: يوم بيوم بدر ، فأجابه الرسول قتلانا في الجنة: وقتلاكم في النار^(١). فجاء الاستحضار ليهود من مصاب أهل غزة ويشرحهم بما بشر الرسول - عليه السلام - من قبل . ونراه في أبيات قد نكرَ (جنة) لإفادة العموم والشمول وأنها ليست بجنة واحدة ، بل جنان ، أعدها الله للشهداء .

فنجح التوظيف في مداواة الجراح ، وكفكة الدموع راسماً نتائج هذه التضحيات الجسام ، وبأنها لن تضيع هباءً .

وقد كرر الشاعر أفعال الأمر (كفكف ، لملم ، احتسب) لتعزيز مشاعر الصبر والمواساة ، التي يطالبها من ذوي الشهداء وأقاربهم .

وفي قصيدة (نصر بين حصارين) يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي:

في الشعب كان لنا حصارُ محمدٍ رمزاً وكان بدايةً للسُّودِ
كتب العدو وثيقة الغدر التي لم يرع كاتبها مكان المسجد
في كعبة الله الشريفة علقت والأقربين له وكل موحّد
في الشعب كان حصارُ أشرف مرسلٍ وتعلقوا بالخالق المتفرد
طال الحصارُ بهم فلم يستسلموا ويتنافسون على طبيعة جلمد
تركوا طغاة الكفر خلف ظهورهم بالله إن الله أعظم منجد
وسموا بأفئدة تعلق نبضها كانت معاناة الحبيب وصحبه
كانت بداية رحلة نحو العلا بالرغم من جور الحصار الأسود
فإذا بليلى الكفر ينكر نفسه لما رأى فجر اليقين من الغد^(٢)

نرى التعانق الروحي لدى الشاعر ، من خلال تماهيه مع الحصار الذي فرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ به يسير باستخدام تقانة الاستطراد ووصفه لما حدث وصفاً شاملاً ، حيث يظهر أساء ولوعته ، وغزة تقبع بين حصارين حصار العدو الظالم ، وحصار الأخوة الجاثم على الصدور ، ويبدو ذلك واضحاً في عنوان القصيدة (نصر بين حصارين) ورغم ذلك ، فإن نفس الشاعر ، تبشر بأفق وضاء ، وانبلاج فجر جديد .

ففي أبياته ، أرخى بظلاله ، على حادثة معراج الرسول وإسرائه ، حيث جاءت تكريماً وتعظيماً له ، عما كابده من حصار وأحزان فالتوظيف ينير الطريق أمام العيون قاطبة بأن ما من مظلوم ، إلا وسنصر ، ولو بعد حين .

(1) انظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية ، ص ٧٥

(2) لأجلك غزة ، ص ٢٩٣ ، ٣٩٤

ونراه في البيت الأخير يعلن ذلك صراحة بأن الغد المأمول في الطريق ، وإن واجه عقبات شداد ،
فحتماً سينهزم الليل أمام نور الشمس المتوهج .
ويقول عبد الرحمن عمار ، في قصيدة (وتظل غزة وحدها):

فمن أقصى الأرض قدوا

الصوت :

صبراً آل غزّة،

إنّ موعدكم ثبات في مواجهة

العدا⁽¹⁾

ها هو الهتاف ، يأتي من مشارق الأرض ومغاربها ، يرددها مدوية ، الصبر والثبات ، حيث أتى
متماشياً متذكراً ، صدى صوت رسول الله وهو يخاطب آل ياسر صبراً آل ياسر ، عن موعدكم الجنة
فقلب الشاعر نص العبارة ، فخاطب غزة وأوعدهم بالثبات والمواجهة وبالتالي نجح التوظيف في
محاكاة ، حال غزة بحال القوم الذين كانوا يعذبون ، وكأنه يقارن صورة بصورة ، من خلال دلالات
وايحاءات العبارات ، والتي أبانت وأظهرت الثبات في مواجهة العدا ، وعدم الخضوع له ، فبالصبر
القليل ، والاقتداء ، يستطيع أهل غزة ، النيل من عزيمة الاحتلال .

وفي دعوته إلى التآخي والتكاثف ، يقول مأمون جرار في قصيدته (رسائل إلى غزة):

نقرأ في كتابنا الكريم عن مآثر

الإيثار

وصفحات النور في حكاية الهجرة

والأنصار

وذاك ما يكتب من جديد

يا غزة الإيمان والصمود

فأنت بالإيمان والإيثار

ستكسرين قسوة الحصار⁽²⁾

حيث يدعو الشاعر في رسائله إلى الرجوع بالذاكرة ، لماضٍ عزيز ، ويستذكر المؤاخاة بين مهاجري
مكة ، وأنصار المدينة ، في عهد رسول الله - صلة الله عليه وسلم -
والتعبير عنها بـ (صفحات النور) وكأنك تقرأ في كتاب ثمين ، مليء باللالئ المشعة وبالتالي هذا
التوظيف يبعث على الراحة والاطمئنان ، تاركاً جو الإحباط والقلق ، من حال المسلمين في عصرنا
هذا ، وداعياً إلى السير على هدى السابقين ، كي يتسنى فك الحصار عن غزة

(1) لأجلك غزة ، ص ٣١٣

(2) لأجلك غزة ، ص ٣٩٣

أما الشاعر محمد براح ، ففي قصيدته (اصمد) يطالب بالثبات وعدم الإنزياح في وجه الرياح العاتية ، فنراه يقول :

أنا وغزة جرحٌ ثائرٌ ودمٌ

كتوأمين رسمنا الأبيات معاً

عن ثاني اثنين زال الغم وانزاحا

فاسلك على الوعرِ دعْ ذا الجرحِ مشتعلًا⁽¹⁾

تتعانق نفس الشاعر وغزة ، لتصبحاً روحاً واحدة ، وجاءت الكلمات (أنا - توأمين - رسمنا) لتكثيف دلالة القول .

ثم انتقل الشاعر ، من خلال تقانة المونتاج ، ليطير بنا إلى مقطع سابق ، امتد إلى سنوات طوال حيث استذكر موقف الرسول وأبي بكر وهما في غار ثور محاصرين فلاذا بحبل من الله ، واستجمعا الهمم وتمسكا بسلاح الصبر والصمود ، حتى فك الله ضيقتهما وفرج كربهما.

فجاء بهذا التوظيف ، ليحضّ على الصمود والثبات وقد نجح في تشكيل خيوط شبكته التي نصبها لنفس القارئ ، ليوقع في كمين ، يظهر به غضبته ، ويخرج من صدره ، مواطن العزة والأنفة ، ونرى ذلك من خلال قوله:

فاسلك على الوعرِ دعْ ذا الجرحِ مشتعلًا⁽²⁾

حيث يذكي نار الانتقام من العدو الغاشم ويترك لك الخيار والحرية ، في استخدام السلاح الأمثل ، لهذه المواقف ، فيواصل:

واقصف على الغدر لا تستثن سفاحا⁽³⁾

وفي قصيدته (شد الزناد) يواصل الشاعر محمد براح ، هيبته وانتفاضته ، ضد فلول الغدر والخيانة فيقول:

يا أهل غزة ذا جبريل أيـدكم فاركب براقك ضد الصمت و الرهب⁽⁴⁾

فها هو ذا ، يستحضر معراج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما ركب البراق ، مع سيدنا جبريل ، وطار لأعلى السموات .

حيث كان نداء لأهل غزة فقط ، وكأنه يقول : أنتم وحدكم في ميدان القتال ، فاصعدوا إلى الأعالي ، كي لا تقعوا في هوة الفشل ، ثم يؤكد على النشرذم العربي ، وانقطاعه عن مساعدة الغزيين ، بقولته (فاركب) أي أنت وحدك أيها الغزي ، فاخرج عن صمتك وخوفك ، جاعلاً رسول الله قدوتك وهو في فضاء الله ، مع جبريل ، غير متوجس من رحلته العظيمة فجاء توظيفه مصعداً من وتيرة شد

(1) لأجلك غزة ، ص ٤٣٢

(2) لأجلك غزة ، ص ٤٣٢

(3) لأجلك غزة ، ص ٤٣٢

(4) لأجلك غزة ، ص ٤٣٤

الأعصاب ، متمرداً على معاني الصمت والخوف ، داعياً إلى صعود القمم ، وترك الوجل وراء
الظهور ، فيقول :

وارحل إلى الجبل العالي بلا وجل واسلك بصبر دروب العز والتعب⁽¹⁾
حيث أكثر من استخدام أفعال الأمر ، والتي فيها الحث على طلب الفعل ، منوعاً فيها ، ليرسم معالم
الطريق ، ويؤكد على أنها ليست بالسهلة وقد بدأ بعنوان القصيدة (شد) ثم في ثناياها (فاركب ،
ارحل ، اسلك) ويميل الشاعر إلى قلب العبارة ، التي كان يلقيها جبريل - عليه السلام - على سيدنا
محمد عندما كان يتنزل عليه في غار حراء ، فيقول في قصيدته (اقروك السلام) :

يا سيدي

يا آخر المحاربين

والمقربين

من أين أبدأ السلام ؟

والتحية ؟

وليس للبلاد أهلها

لكنني - يا سيدي -

ومن معي

نقروك السلام !!

من أمة

مشنوقة على صليب ظلها⁽²⁾.

حيث لجأ الكاتب إلى أسلوب السرد ، والتحاور مع شخصية ، الرسول - صلى الله عليه وسلم - ،
ويتماهى مع ما كان يتلفظ به جبريل ، ولكنه كما أسلفنا لجأ للقلب على لسانه هو ، من خلال محاكاته
للوامع الأليم الذي يمر به الشعب العربي وهو يفقد كل صفاته النبيلة .

فجبريل في تلفظه بعبارة (السلام يقرؤك السلام) كان للتخفيف على سيدنا محمد ، وحثه على شق
خطاه ، لتجاوز الصعاب ، بينما الشاعر من خلال عبارته ، يلقي بهومومه المثقلة على شخصيته من
أجل المواساة والتعذر ، على ما حل بالشعوب العربية .

فنرى أن هذا التوظيف ، قد أطمأ اللثام ، عما تعانيه الشعوب المقهورة ، وهي في أضعف صورها ،
مقيدة بين برائن الصليبيين ، ساجدة لهم ، فبدأ الشاعر في حيرة من أمره ، في زمن الضياع حتى لا
يعرف من أين يبدأ بالحديث عن حال أمته ، وفي إظهاره لعدم الشفقة ، والأخذ بالتأثر من هؤلاء اليهود
المجرمين .

ويقول يحيى فتلون ، في قصيدته : (صبراً آل غزة فإن الله معكم) :

(1) لأجلك غزة ، ص ٣٤٣

(2) لأجلك غزة ، ص ٤٨٢

فَصَبِرًا آلَ غَزَّةَ فِي مُصَابٍ وَخَطَّ بِكُمْ بِهِ خَطَبٌ جَلِيلٌ
بَشَائِرُ نَصْرِكُمْ لَاحَتْ بِأَفْقٍ يُؤَكِّدُهَا لَنَا طَهُ الرَّسُولُ^(١)

جاء الشاعر مستخدماً تقانة القلب ، حيث نراه تهاهى مع خطاب رسول الله ، لآل ياسر ، وهم في أوج العذاب ، ولكن الشاعر ، قد قلب آل ياسر ، بآل غزة ، لتأكيد عظم المصاب ، الذي ألم بغزة ، فشحصها وكأنها إنسان يُعذب ، مخاطباً إياها بالصبر ، تأسيّاً بصحابة رسول الله ، الذين كان يأمرهم بالصبر ، فنهايته النصر بإذن الله .

وبالتالي يأتي التوظيف بثماره ، في بث روح الأمل ، والسير على هدى الرسول من التصبر ، والتأمل في نصر الله ، ونراه يؤكد علي قطف ثمار النصر ، ولو بعد عناء طويل ، من خلال البشرى بهذا الأمل ، الذي حتما سيلوح في الأفق ، وهذه البشرى جاءت علي لسان سيدنا محمد رسول الله - صلي الله عليه وسلم - من خلال استدعاء لقبه (طه الرسول) ، فنراه قد استخدم لفظة (بشائر) جمعاً ، وليست مفردة ، لإيصال رسالته بحتمية النصر ، والحث علي الصبر ، وعدم استعظام الأمور .

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٨٨

الفصل الثالث

أولاً: _التناص مع الأحداث :

انتكأ الشعراء على استدعاء حوادث تاريخية لها دلالات ، من شأنها الكشف عن واقع تجاربهم التي عاشها البعض منهم في غزة ، أو عاينها وشاهدها بعضهم عبر شاشات الرائي ، وبالتالي هذه الأحداث منها ما هو سلبي لوضع النقاط على الحروف تجاه ما يحدث للعرب ، ودق ناقوس الخطر لديهم ، ومنها ما هو إيجابي فيه من عبارات المواساة ، والحث على بذل الجهد من أجل التذكير بـماضٍ عريق خاض فيه المسلمون أروع معارك البطولة ، وسطروا فيه بدمائهم الزكية طريق العزة والكرامة لأجيال المستقبل .

وسوف نحاول العيش مع هذه الأحداث التاريخية والحضارية ، والكشف عن بعدها ورمزها ، لإيضاح رؤاها ودلالاتها في القصائد ، ومدى ما أحدثته من وقع لإثارة أحاسيس القراء ومشاعرهم . وسيتم ترتيب القصائد المتناصّة مع الأحداث حسب التواريخ المتسلسلة والعصور .

١- التاريخ الجاهلي : فالتاريخ الجاهلي وفير بالعبير والعظات ، سواء السلبية والمتمثلة بالنزعة العصبية والحروب التي كانت تقام لأتفه الأسباب ، أو الإيجابية والمتمثلة بالعزة والنخوة العربية وبالتالي أراد الشعراء بعث الماضي العزيز من جديد من خلال توظيفاتهم لتلك الأحداث . يقول باسل بزرأوي ، في قصيدته (ماذا يقول القائلون ؟؟) :

يا معشرَ الشعراءِ ذودوا فالحمى رهنُ الخطوبِ ومجدُهُ يتصدّع
ذودوا عن الإنسانِ من إنسانهِ وعن الترابِ فقد سَقَتْهُ الأدمعُ
ولهاةُ شعبكمُ تبجُّ ولم تزلْ فينا عمالقةُ البسوسِ تججعُ^(١)

بعد أن يأسَت نفس الشاعر من الأبواق الكاذبة في السنة حكام يعرب ، نراه يطلب من الشعراء الذين لا يملكون سوى أقلامهم ، للدفاع عما يحدث لغزة وتوثيق ذلك من خلال قصائدهم ، فكرر فعل الأمر (ذودوا) مرتين والتكرار فيه الإلحاح على طلب الشيء ، ثم ها هو في محاكاة ساخرة ، يصف هؤلاء الحكام بالعمالقة ، وأي عمالقة ، إنهم على شعوبهم وأبناء جلدتهم في التجبر عليهم وكبت حرياتهم .

حيث استدعى حادثة (حرب البسوس) والتي تناحرت فيها قبيلتي (تغلب وبكر)^(٢) فجاء هذا التوظيف والمحاكي لحال الشعوب العربية وحكامها اليوم ، في إشارة للتعلق العربي على نفسه ، حيث نرى سلبيته من خلال تعبيره عما يحصل اليوم ، حيث وصفهم (باللهاة) والذين يلهون في غمار شهواتهم ، مدعين أنهم عرب .

يقول خالد أبو حمديّة ، في قصيدته (فرقانُ غزّة):

فليت لنا ذي قار أخرى تلمّتا يجلّ بقدس الله نصرأ هُمامها

(١) لأجلك غزة ، ص ٩٣

(٢) انظر : عمر كحالة ، معجم قبائل العرب ، (دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٦٨م) ٥١/١

وليت لنا من ذي الفقار بوارقاً وخيبر في كفّ العليّ خطامها^(١)

يأتي الشاعر بحروف التمني المتكررة ، لاستعادة المجد التليد والماضي الأشم ، حيث يتمنى حدوث المعارك العتيدة ، مثل يوم ذي قار الذي استدعاه الشاعر ، والذي حدث سنة ٦٠٩ م بانتصار العرب على العجم^(٢) ، ثم يرتد بنا ، في مشهد آخر ، وهو غزوة خيبر ، والتي وقعت سنة ٦٢٩ م ، حيث يشير إلى أمنياته بإيجاد أبطال صناديد أمثال (علي بن أبي طالب) الذي رمز إليه (بذي الفقار) حيث قتل عمرو بن ود العامري واستطاع فتح حصن خيبر ، عندما أعطاه الرسول الراية^(٣).

فجاء الشاعر باستذكار هذه الأحداث الجسام ، وهو يأمل بتحقيق أمنياته ، برجوع هذه الأحداث والانتصارات في زمننا هذا ، حيث جاءت التوظيفات متماهية ، مع عنوان القصيدة (فرقان غزة) إذ الحرب التي خاضتها غزة ، تماثل تلك المعارك التي استدعاها ، ليؤكد على صمود غزة وفرسانها . وينتقل الشاعر سعد الدين شاهين في قصيدته (في خاطري وطن وإبريق وماء) إلى مشهد آخر من مشاهد التاريخ ، واصفاً ما كان يحدث من تقطيع أوصال وقتال ، بين القبائل العربية فيقول:

كل يبتني وطناً إلى دمه

رديف

نذر على الحمراء

من يهب الطريق إلى الغزاة

سوى الوشاة

نفلوا حطامي

واستباحوا في الطريق عناكبي

وأنا أشاغلهم

لعل تقوم من وجع وتنسج

خيلها

بكر ووائل ثم تتبعها ثقيف

ورق مناجلهم

وخارطتي على أقدامهم حفر

انهدام

رعوية هي الدمى

منذ أودعت سيف القبيلة ذيل

غيمتها التي هطلت

(١) لأجلك غزة ، ص ١٤٩

(٢) انظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٤٨٢/١

(٣) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢١٦/٣

وأفرغت الجيوب من الكلام^(١)

حاول الشاعر من خلال إشارات دلالية ، انتشرت في ساح القصيدة ، أن يرمي بهممه وأحماله في ذهن المتلقي من خلال خلق جو الشحن والتفكير بهؤلاء المنافقين من أمة العرب ، والذين يحملهم المسؤولية كاملة عما حدث ولا زال يحدث لغزة ، حيث وصفهم بالوشاة والمستبشرين للدماء ، ثم يستدعي أحداث بكر ووائل في قتالهم مع تغلب في حرب البسوس^(٢) ، ثم يتبعها بما صنعتة قبيلة (ثقيف) برسول الله ، عند مقدمة للطائف ، ومحاربتة في (حنين) وكانت في العاشر من شوال للسنة الثامنة من الهجرة^(٣) حيث في محاكاته الساخرة ، يستنجد بهذه القبائل ، للقيام من جديد ، ومواجهة الأعداء .

فنجح هذا التكاثر الدلالي في العبارات ، في وصف حال منافقي العصر ، وخطورتهم على أبناء الإسلام والمسلمين ، متماهين مع أعراب الجاهلية ، فيما كانوا يفعلون ببعضهم من قتال ونسج للشراك ليحقق كل منهم هدفه على حدة .

وفي مقطع قصيدته الأخيرة ، يميل لمحاكاته الساخرة ، من خلال استنجاهه بقبيلة عبس^(٤) فيقول:

ليوم كريهة وسداد ثأر

لبت ندائي عبس مرات

ومرات رفعا نحوها الرايات

كي تأتي على شكوى الصغار

لكن عبلة في الجوار

تزيع عن جسد تهري

شجرة التوت الأخيرة

ثم تستدعي الخريف ليسقط

الأوراق^(٥).

يغوص الشاعر في بحار جاهلية القبائل ، فنراه يستذكر حوادث ومعارك قبيلة عبس ، وتجرو القبائل على بعضها ، حيث مشاركتهم في حروب دامس والغبراء^(٦) .

لينتفت بنا أثناء استنجاهه بهذه القبيلة ، حيث سياق الحديث يرمي إلى أبعاد دلالية تدور في خلد الشاعر ألا وهو استقواء القبائل على بعضها ، وجنبها تجاه الخارج عن بني جلدتها ، ثم يذكر عبلة رامزا

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٠٣

(٢) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥٢٣/١

(٣) انظر : محمود خطاب ، الرسول القائد ، ط ٦ (دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢) ص ٣٦١

(٤) من بطون بني ريث من غطفان ، أسلمت في زمن النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وتفرقت بعد الفتوحات الإسلامية ، من أشهر فرسانها عنزة بن شداد ، وحربها مع ذبيان في داحس والغبراء .

(٥) لأجلك غزة ، ص ٢٠٦

(٦) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥٦٦/١

إلى قصة عشق عنتره لها، ورفض أهلها تزويجها إياه، وكأن اليأس المرتسم في وجه عبلة من أهلها ، هو نفس اليأس والسواد البادي في وجوه نساء العرب من حال أم اليوم، والتي تخلت عن غزة وأهلها. مدلاً في الوقت نفسه على النهاية الموجهة لهؤلاء الأعراب ، فجاءت الألفاظ (سقوط ، ليسقط) دالة على المآل الذي وصل إليه العرب ، من هزيمة وخذلان للذات .

كما وجسدت (عبلة) عندما وقعت في الأسر على يد بني جلدتها من القبائل ، حال أعراب اليوم والذين مهدوا لسقوط غزة ، من خلال استقوائهم على بعضهم البعض ، وغدرتهم في محيط مصالحهم وكأنه يلوح لدولة مصر المجاورة ، والتي شاركت في تعزيز الآلام من خلال إغلاق فتحة الهواء في معبر رفح ، فجاء التوظيف في إطاره الساخر ليعكس الحالة المزرية في نفس الشاعر ، حيث جاءت الموازنة بين أصوات المد بالألف ، وبين الدوال (مرات - رايات - صغار - جوار - أوراق) لتتجلى فاعلية التناسق نغمياً وصوتياً مع المستوى الدلالي للسياق ، حيث هذا الصوت (الألف) ألقى بظلاله الدلالية على القصيدة ، من خلال وصف حال استنجد غزة بهؤلاء العرب المرات الطوال ، ومنهم الصغار وحملهم الرايات ، وشكواهم مما يلاقون من عذاب وويلات ، ليجسد حال الواقع المتردي ، في ظل الصمت الأبدي .

وفي قصيدته (القدس موعداً) ، يذكرنا سميح العمري ، بأحقاد يهود ، وكرههم باجتماع المسلمين ، فيقول :

فُصِّي بَقَايَا قِصَّةِ الْأُمْسِ وَابْكِي عَلَى الْآثَارِ يَا نَفْسِي
وَتَلَمَّسِي مِنْ سِيرَةٍ دَرَسَتْ مَا كَانَ مِنْ شَأْوٍ وَمِنْ شَأْسٍ
وَالْقَوْمُ قَدْ كَانُوا عَلَى شَرَفٍ وَالْيَوْمَ أَسْرَى الذُّلُّ وَالِدَسُّ^(١)

استحضار لحادثة الفتنة، التي كادت تقع بين الأوس والخزرج ، من قبل شاس بن قيس اليهودي^(٢). حيث أراد الشاعر تذكيرنا بكيد يهود ، وسعيهم المتواصل إلى إثارة الفتنة ، والدخائل في قلوب المسلمين .

فجاء توظيفه ، ليكشف عن تعاضد المسلمين إبان عهد رسول الله ، فقد توحدوا على هديه ، وأما أمة اليوم فهم اختاروا لنفسهم طريق الذل والهوان .

ولقد نجح الشاعر في استغلال طاقاته الإيحائية ، لصوت السين ، من خلال التأوهات والجراح في أعماقه ، حيث نرى التجانس بين الدالين (الأمس - نفس) . ليضع المفارقة أمام الملتقى بين الحالتين حالة الأمس المتوج بأثار الفخار ، وحالة نفسه في الحاضر ، وهي خافطة الأضواء من جرح ونكس .

يقول مجذوب المشراي ، في قصيدته (لم أسأل الشيطان .. ؟) :

تَأْوِي إِلَى الْمُدْنِ الْعَقِيمَةِ بَائِسًا وَيَدَاكَ تَلْمِسُ بِالْأَلُوفِ دَسَائِسًا

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٢٧

(٢) هو (يوم بعث) بمعاركه التي نشبت بين قبيلتي الأوس والخزرج ، قبل إسلامهما . انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥٣٨/١ .

مَا سَرَّ أَنْ تَلِدَ الشَّهَامَةُ صَاغِرًا مَا سَرَّ أَنْ تَلِدَ الشَّهَامَةُ نَاعِسًا
 مَا سَرَّ هَذَا الصَّمْتُ..؟ هَلْ بَلَغَ الْهَوَى قِمَمَ الْمُجُونِ فَعُدَّتْ تَعْمَلُ حَارِسًا؟
 هَا أَنْتَ تَحْمِلُ لِلزَّعِيمِ جُمُودَهُ هَا أَنْتَ تَطْرَحُ لِلْبُغَاثِ فَرَائِسًا
 كَمْ رَوَّضُوا (الْغُبْرَاءَ) حَتَّى لَا نَرَى خَلْفَ الْعُرُوبَةِ مَنْ يُرَوِّضُ (دَاحِسًا)
 لَمْ تَخْتَلِفْ لُغَةُ الْمُقَوِّسِ كُلَّمَا نَشِبَتْ مَعَارِكُ مَنْ يُرِيدُكَ فَارِسًا
 فَارْحَلْ إِلَى أَدْغَالِ نَفْسِكَ حَامِلًا وَهَجَا يُقَدِّمُ لِلسَّمَاءِ عَرَائِسًا^(١)

يأتي الشاعر سالكا طريقه بين الدروب الشائكة ، المحشوة بتوَعرات الزمن الحاضر ، وانعكاسها على الشعوب العربية ، حيث يحاول الخروج ، من هذه الجنبات المظلمة ، ليصرخ في وجه المتآمرين العرب ، كفاكم انحطاطاً ، كفاكم صمتاً مقبئاً ، ويستريح في محطة الذكريات ، من خلال استدعاء حرب داحس والغبراء ، مشيراً إلى حال الأمم العربية من كيد ودسائس ، كل يضعها لغيره ليبقى متربعا على عرش الملك ، وليغرقوا الشعب الصامت ، بأحلام واهية وهدوء مستكين ، ويبقى جالسا في بيته منتظراً عيشة هنية ، فالشاعر يدخل إلى النفس المسلوبة ، ويوجه حديثه لمن يطلق عليهم حماة الوطن ، المخدوعين بأكاذيب رئيس الولايات المتحدة ، لأنه راعي النصارى في العالم ، كما كان المقوقس عظيم مصر راعي الأقباط ، فبالتالي فكر ملياً قبل أن تقدم على خطوة يكون فيها هلاكك ويأتي عنوان القصيدة مطابقاً لحال السياق ، بوصفه رئيس الولايات الأمريكية (بالشيطان) ، كما يطلق عليه اليوم ، فهم وراء كل مصيبة تحدث في العالم ، ولكنه في النهاية لا يلومه ، لأنه شيطان بطبيعته ، بل يلوم أتباعه خاصة أبناء جلدتنا ، الذين ينساقون وراءه دون وعي .
 فجاء التوظيف سلبياً ، تجاه أمة العرب ، رافضاً كل أنواع العبودية ، والذل داعياً إلى التخلص من سحر أمريكا ، والرجوع للذات ففيها الخلاص .

٢- التاريخ الإسلامي : والذي يمثل فترة الأمجاد والعزة والكرامة لتلك الفترة التي عاشها

المسلمون ، وتنشقوا منها عقب النصر ، أرادها الشعراء أن تولد من جديد في ظل هذا الحاضر الأليم عليها توقد جذوة الهبة الجماهيرية ، وتستعر من جديد .

فيقول في قصيدته (من شنقيط^(٢)) يا أهل غزة العزة :

أَنْكَأَتْ غَزَّةٌ جُرْحًا فِي ضَمَائِرِنَا مِنْ فَقْدِ أُنْدَلَسِ مَا كَادَ يَلْتَمِمْ^(٣)
 قسوة ومرارة تعتري نفس الشاعر، من خلال بيته السابق والذي يحمل معاني القهر المغروس في ضمائر الشعوب العربية حيث استخدم الضمير المتصل (نا) ، مما واجهته غزة ثم يستدعي على

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٩٨

(٢) مدينة في موريتانيا ، اشتهرت بالثقافة والعلم ، منذ القرن ١٠هـ ، مؤسسها (حبيب بن عبيدة) وأصبحت من المدن المنسية لما تحويه من كنوز التراث الثقافي المنسي .

(٣) لأجلك غزة ، ص ٣٩

طريقته الارتداد ، ما حدث لبلاد الأندلس ، عندما كانت جنة بلاد المسلمين ، ثم سقوطها على أيدي ملوك الكاثوليك عام ١٤٩٢م^(١).

حيث يصف الشاعر ما حدث لغزة بالذي حدث لأندلس العرب ، وكأنه يعبر عن ذات النص بقوله : نحن لم نصح من هذا الجرح الغائر في قلوبنا منذ سنين ، ليأتي لنا جرحك غزة ، ويتقاطع مع عنوان قصيدته (شنقيط) التي عفا عليها الدهر .

فجاء التوظيف ، مخاطباً غزة الجريحة ، والتي جسدها الشاعر بإنسانة يخاطبها ، ليعبر للقارئ عن مدى التحسر والأسى لما حدث لها ، ولهول ما حدث أشار الشاعر بانغراس الجرح في الضمير ، فالجرح يكون في الجسد المحسوس ، فجاء به في المعنوي لإيقاظ عقول وقلوب الغافلين ، لاستفزاز مشاعر النخوة فيهم ، وهو يرجو ألا يكون مصير غزة مثملاً حصل للأندلس .

ويذهب الشاعر في ذاكرته إلى أمجاد مضت ، حقق فيها المسلمون انتصاراتهم الغراء ، فقال :

**تعدو فوارسنا في كل ملحمة ضبحاً فتأبى لها شق الفضى للجم
خيّل المثني تذود الفرس ظافرة من العراقيين و الفرسان تلتمح
و الروم ذاقوا كؤوس الموت مترعة بسيف خالد في اليرموك فاتهموا^(٢)**

جاء الشاعر بالفعل المضارع (تعدو) ليدلل على الإستمرارية التي كانت عليها خيول المسلمين في الملاحم والمعارك ، وبأن المسلمين ما فتئوا بلداً أجنبياً ، إلا وحرروه من دنس الصليبان وأمثالهم . وها هو شريط الذاكرة ، يُعرض في صفحات القصيدة ، في مونتايج ركز فيه على لقطات ومحطات مهمة في تاريخ المسلمين .

حيث استحضر معركة ذات السلاسل ، والتي كانت مع الفرس ويبرز لنا شجاعة وإقدام المثني بن حارثة الشيباني ، في هذه المعركة حيث أشرك معه الخيل في الدفاع عن عرض المسلمين ، كناية عن شجاعتها ، وشجاعة من يركبها .^(٣)

ثم تتوالى اللقطات لينتقل إلى بعد زمني آخر من خلال استدعائه لمعركة اليرموك ، والتي هُزم فيها ملك الروم (هرقل) مع كثرة جيوشه أمام المقاتل الصنديد ، الذي لا يشق له غبار، إنه خالد بن الوليد^(٤).

حيث ذكر اسمه الأول ، لشهرته في معاركه الحربية التي خاضها وخاصة معركة اليرموك فالاستدعاء قد تناسب تناسباً واضحاً مع دلالة السياق .

(١) انظر : محمد عنان ، دولة الإسلام ، في الأندلس ، العصر الرابع . ط٤ (مكتبة الخافجي) القاهرة ، ١٩٩٧)

ص ٤٥٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٩

(٣) انظر : فايد العمروس ، قصص أعلام الإسلام ، خالد بن الوليد ، (دار الشروق ، بيروت د.ت) ص ٢٧

(٤) انظر : السابق ، ص ٣٥

هذا التوظيف جاء متضامناً ، مع نفس الشاعر التائقة لأيام العزة ، فحملت دلالاته وعباراته الأسى والتحسر على بلدان العرب ، فجاء التوظيف سلبياً طاوياً صفحة الماضي خاصة مع ارتداد الشاعر لآخر صفحة من صفحات المجد العريق ، حين فتحت بلاد الأندلس ، على يد طارق بن زياد^(١) في السنة الثانية والتسعين للهجرة ، من شهر رمضان ، فقال :

عبرت طارق للإفرنج أثبت من شم الجبال و موج البحر يلتطم
أحرق كل سفين كنت تركبه فما تفهقر منكم بعد منهزم
كتبت أروع درس في البلاء فما أرى بنيك لذك الدرس قد فهموا
ضاع التراث وضاعت فيه أندلس والقدس ضاعت فهل ينجونا الحرم^(٢)
مال الشاعر لتقانة الاستطراد في حديثه عن فتح الأندلس ليلقى لنا بظلال هذه العبارات ودلالاتها ، في زمن البكاء على أطلال الماضي ، فجاء هذا الاستدعاء لهذا الحديث العريق خاتمة ونهاية لأقول شمس المسلمين ، واضعاً النهاية نصب أعين القارئ ، معلناً نهاية مقاتل .
حيث أعلن الشاعر بشكل صريح ومباشر ضياع القدس وقبلها الأندلس ، ونفسه تتمنى بالألا يضيع آخر معلم إسلامي وتاريخي ، وهو الحرم المكي .

وبالتالي جاء هذا التضخيم والاستطراد ، بين ثنايا القصيدة ، لينمي الشاعر عناصره الدلالية التي يراها حيث أعطى النص أكبر من حجمه ، وذلك لتخفيف مما يجيش به صدره ، مع إشراك القارئ في هذا الهم العظيم .

وفي قصيدته (نداء غزة للعرب والمسلمين) ، يقول أبو صهيبي:

يا هازم الأحزاب ها هم قد أتوا عاثوا فساداً حاربوا التنزيلا
أرسل ملائكة ودمر جمعهم وانصر جنودك منزلاً جبريلاً
صبراً قليلاً إخوتي لا تيأسوا الظلم قَطُّ فلن يدوم طويلاً^(٣)
دعوة إلى الله تعالى بنصر أهل فلسطين ، كما نصر رسوله من قبل في غزوة الخندق (الأحزاب) حيث استدعى هذه الغزوة ليظهر لنا تماهيهام مع غزوة الفرقان وكيف دمر الله هذي الجموع ، والتي تكالبت من كل حذب و صوب ، لحصار الرسول وصحبه ، وها هو الموقف يتكرر بحصار غزة وتكالب الجميع لقهرها والنيل من عزيمتها .

فجاء استحضار الشاعر لهذه الغزوة ليبرهن من خلال سياق حديثه ، أن الظلم سيندحر ولنا في غزوة الأحزاب لعبرة ، حيث نصرهم الله بعون ومدد من عنده ، وهم ملائكته الأطهار ، فأرسل الشاعر استجداءه لله تعالى من خلال أفعال الأمر غير الحقيقية (أرسل - انصر - دمر) ، بأن ينصر المظلومين ، ويحيطهم بعنايته .

(١) انظر : أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨) ص ٣٣٢

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٩

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٢ .

أما آدم فتحي ، ففي قصيدته (لا تساو) ، يستوحي أحداثاً سياسية ، كان لها وقع الأثر الأليم على أهلها ، وهي أحداث تقشعر لها الأبدان من كثرة أعداد القتلى فيها ، فيقول:
عندما ألقى عصا الترحال أو حين تفرُّ الأرنب البيضاء من ذنب الخميّة
ريثما تهلك طبعاً ، وأنا أخدع نفسي منذ قرطاج وروما وهروشيما
وبغداد وبيروت ورام الله والقدس وجنين ونابلس وقانا قبل غزة
بعد غزة

ربما لا يهتدي الموتُ إلى بابي

وينسى بعض أحبابي

ويمضي طائش السهم وما باليد حيلة

ربما آخرُ هذا الموتِ غزة ؟

ربما آخرُ هذا الخزيِ غزة ؟

ربما آخرُ هذا العُهرِ غزة ؟

لا تُساو^(١)

أراد الشاعر بهذا العرض ، التركيز على لقطات معينة حدثت في العالم ، ألا وهي لقطات الوحشية وسفك الدماء ، فنراه لعب على تقانة القطع والمونتاج ، من خلال تعدد اللقطات ، بحيث يتأملها القارئ ويتمعن فيها ويتعرف إلى حقيقة واحدة ، مفادها بأن الذي يقبل بالقليل من أجل راحته ، والقبول بالمساومة على أرضه وشعبه ، فحتماً سيلاقي نفس مصير من قبله ، وقد وجدنا تماس القصيدة مع العنوان الرافض لكل أنواع المحاولات والتي تهدف للنيل من عزيمة المقاومة، فكان عنوانها (لا تساو) وقد أعطى الشاعر لنفسه صفة الناصح ، حينما وصف حال العرب بالأرنب البيضاء ، وحال الغرب بذنب الأشجار المتشابكة والذي ينتظر الفرصة لاقتناص فريسته ، والتي حتماً لن تستطيع الهرب وسط الأشجار المتشابكة .

ثم يرجع الشاعر بذاكرته للوراء ليستدعي حوادث تاريخية منها : سقوط مدينة قرطاج التونسية ، بعد أن كانت إمبراطورية كبيرة تحكم شواطئ المغرب وصقلية وأسبانيا ، أصبحت أسيرة في يد الرومان لأنها كانت تسعى للسيطرة على التجارة في البحر الأبيض المتوسط.^(٢)

وينتقل إلى حادثة إلقاء القنبلة الذرية ، على مدينة هيروشيما اليابانية ، والآثار الناجمة عن هذه الهستيريا الجنونية لقادة الحرب في تاريخ ٦/٨/١٩٤٥م ، ثم تتوالى المشاهد واللقطات المتعددة من سقوط بغداد ، إلى حروب بيروت ، ومجازر اليهود في المدن الفلسطينية ، ومجزرة قانا اللبنانية، فجاءت تقانة المونتاج لربط الاستدعاء بعمق الأحداث التي جرت من خلال شريط سينمائي استذكاري

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٨

(٢) انظر : محمد بن الخوجة ، صفحات من تاريخ تونس ، ط ١ (دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦)

وقد جاء هذا التوظيف لينير الطريق أمام القارئ بأن العالم منذ قرون طويلة حتى يومنا هذا ، يسير على منوال واحد ، ألا وهو الأطماع الإنسانية في خيرات وثروات الدول المتعثر حظها، وها هو الدور قد لحق بغزة ، وفاحت رائحة الموت بين جنباتها ، ثم تدور تساؤلات شتى في خلد الشاعر ، أهذه آخر محطة لقطار القتل والنهب ، حيث كرر ذلك ثلاث مرات ، ولكنه ختم المقطع بـ : لا تساوم .

حيث سار في نهاية كل مقطع بنفس العبارة في محاولة منه للإجابة على التساؤلات التي طرحها ، ألا وهي لاءات المساومة والخضوع ، فحتماً هي الوجهة الصحيحة لبر الأمان . فجاءت هذه الاستدعاءات ، لتخدم سياق النص وتدعمه بالدلالات الموحية ، والتدليل على قوة خطاب الشاعر ، وأثره في نفس القارئ .

ويواصل جهاد الأحمديّة في قصيدته (غزة في القلب) شحذ المشاعر في ندائه لغزة:

يا أهل غزة

كل الدروب وراءكم مسدودة

كل المراكب خلفكم محرقة

وأمامكم مدنُ اللهب .

لا تياسوا يا أهل غزة

قد يحالفنا النخيل

دماءٌ دجلة والفرات

وبحر بيروت العتيد

لا تياسوا ..

سنجيئكم ..

لما يزل فينا بصيصٌ من عرب^(١)

حيث المحاكاة الساخرة في توظيفه لحادثة إحراق السفن ، من قبل المجاهد طارق بن زياد ، واستنكار عبارته " أين المفر البحر من ورائكم، العدو أمامكم ، فليس لكم والله الا الصدق والصبر... " (٢).

فجاء الشاعر متماهياً مع الموقف ، بموقف غزة المحاصرة من جميع الجوانب ، وليس أمامها سوى اختراق اللهب ، لسلك الطريق ألا وهي المقاومة .

فجاء بالمحاكاة الساخرة ، ليعكس مدى قسوة الأيام على هذا الشعب ، الذي يحارب من بني الجلدة قبل العدو ، وفي النهاية ختم عبارته بياس وقنوط ، من خلال المقاطع الأخيرة ، حيث أبان عن ضياع

(١) لأجلك غزة ، ص ١١٥ .

(٢) انظر : عبد الحليم عويس، إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ ، ط١(دار الصحو للنشر ، القاهرة

١٩٩٥) ص ١٨

النخوة العربية ، واندثارها مع طيات الزمن فكان هذا التوظيف سلبياً ، في نفس الشاعر ، ليظهر العار الذي لحق بالأمة العربية ، وهم نيام لا يستيقظون ، مع تذكيرهم بأمجاد الماضي ، من خلال إشاراتهِ للفتوحات الإسلامية التي وصل إليها العرب ، من العراق إلى الشام .

ويقول حسن سباق ، في قصيدته ، (أيها العربي أنت المستباح) :

قَدْ آنَ وَقْتُ الانتقامِ

قَدْ آنَ قَتْلُكَ

والتطلعُ نحو قلْعك من نواحي أرضنا

أولست الأرضُ التي قلبُ الجزيرةِ أرضنا

أولست الأرضُ خبيرَ والنضيرِ وقينقاعَ

ما زلنا نطلبُ ردها

لنعيدَ فيها حدّها

وحُصونها

ونذيقُ قلبك بعد سحقك بأسنا^(١)

يجسد الشاعر في أبياته ، والتي وصفها بأنها على لسان (إيهود أولمرت)^(٢) صورة الانتقام والأحقاد التي يكنها يهود ، حيث حروبهم وقساوتهم تجاه غزة ما هي إلا تماهي مع استحضار الشاعر لتدمير مدن اليهود (خبير ، النضير ، قينقاع) ، والتي دمرها الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - على ساكنيها ، عندما خانوا عهدهم معه^(٣).

فحروب اليهود الحاصلة في يومنا هذا ، ما هي إلا مقدمة لاحتلال البلدان العربية ، وصولاً بمكة المكرمة ، والتي رمز إليها الشاعر (بقلب الجزيرة) .

فجاء التوظيف لإدراك الأبعاد الدلالية ، من هذه الأبيات ، ألا وهي سعي اليهود ، للسيطرة على كافة البلدان العربية ، لتحقيق أحلامهم ، ورد كرامتهم منذ قرون .

حيث أشار لها الشاعر بـ (ما زلنا نطلب ردها) .

ويقول سمير العمري ، في قصيدته (الأخوة نهج) :

كَيْفَ التَّقَاءِ نَدِيمِ الْكَأْسِ مُفْتَخِرًا بِمَا أَصَابَ وَأَتَّبَعَ النَّبِيَّ؟

أَطْلَتَ صَبْرُكَ عَنْ جَوْرِ وَعَنْ جَنْفٍ حَتَّى جَرَى مَا جَرَى فِي يَوْمٍ صِفِينًا^(٤)

في هذه القصيدة الداعية إلى التوحد وذلك خلال تناسق العنوان مع سياق النص ، أراد العمري تذكير المسلمين الذين يقتتلون ، بأن النتيجة هي ضياع فلسطين ، وبالتالي نراه في الأبيات السابقة استوحى

(١) لأجلك غزة ، ص ١٤٠

(٢) رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق، والمسئول الرئيسي عن حرب غزة .

(٣) انظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية ، ص ٧٧ ، ص ٨٥

(٤) لأجلك غزة ، ص ٢٢٦

حادثة صفين^(١)، والتي حدثت سنة ٣٧هـ ، وقد سفكت دماء قرابة الخمسين ألفاً من جند العراق والشام^(٢).

فجاء التوظيف بهذه الحادثة خصوصاً ، لأن الشاعر أراد تذكير المسلمين الذين يختلفون لأجل مصالح دنيوية ، بحروب المسلمين السابقة وكم سالت من دماء تلقاء ذلك .

فلاحظ حزن وأسى الشاعر ، مما هو حاصل اليوم ، ثم يناشد في بيته الأخير ، قائلاً:

يَا مَنْ جَعَلْتُمْ إِلَى الْكُرْسِيِّ هِمَّتَكُمْ خُذُوا الْكَرَاسِي وَأَعْطُونَا فِلِسْطِينَ^(٣)

يقول الشاعر عبد الجبار أبو دية ، في قصيدته ، (احتفالية الانتصار) :

أوقدوا كل الشموع ..

اعمروا كل المساجد

رددوا الله أكبر ..

ارفعوا الشكر لمولانا العزيز ..

هزم الأحزاب ..

وارتدت إلى الخسران خيبر ..

لم تتل خيراً .. ولم تمنع صواريخاً وتقهر ..

كل ما فعلوه .. تدمير .. وتقتيل ..

وأجواءً تعكر^(٤)

ابتدأ الشاعر بأفعال الأمر ، في بداية العبارات ، والتي فيها الحث على البهجة والفرح بنصر الله ، على الطعمة الفاسدة من بني يهود ، متماهياً مع غزوة الأحزاب ، والتي هُزم فيها الكفار ومعاونيهم ، ثم يستدعي غزوة خيبر حيث غادرها اليهود منهزمين^(٥) ، فهذا التوظيف جاء ليعكس خيبة بني يهود من حربهم التي شنوها على غزة ، ولم يحققوا أهدافهم المرجوة ، سوى التدمير والقتل أمام عيون آلاتهم العمياء .

ونرى تماهي العنوان مع الأبيات ، وكأنها كما أرادها الشاعر حفلة بنشوة الصمود الذي بُذل في هذه المعركة ، وجاء بتقانة الترصيع ، ليرصع نهاية العبارات بنقاط ، وكأنه يقول اشكروا الله ، وأوقدوا الشموع إلى أقصى ما تستطيعون ، فهي حقاً معركة عظيمة ، بارتداد أعداء الله على أعقابهم .

(١) هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان ، وحصلت بعد معركة الجمل.

(٢) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٨٩/٣

(٣) لأجلك غزة ، ص ٢٢٧ .

(٤) لأجلك غزة ، ص ٢٧٥

(٥) انظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية ، ص ٨٦

٣- التاريخ الغربي : حيث أراد الشعراء أن يظهروا وحشية الغرب ومدى أحقادهم الدفينة تجاه الشعوب العربية والمسلمين ، وفضح مخططاتهم الاستعمارية في القضاء علي شأفة الإسلام والمسلمين في جميع الأماكن والبلدان ، وكان ذلك واضحا من خلال وقوف الشعراء على أحداث غيرت وجه التاريخ .

ويتواصل جمال مرسي في مدح ملاحم غزة ، والفخر بها ، فيقول في قصيدته (ملحمة العزة) :
يا غزّة الأحرار يا نبض الألى صبرا على ليل الطفلة الجاني
قتلتك إسرائيل؟! لا بل ضعفا وكلاهما يا غزتي سيان
إنك بُرج، دُمّرت بغدادنا أو مات هرج جيء بالغزاني
خسئوا، فإن دماءنا موت لهم سيرونه يا "غز" كلّ أوان^(١)
يشير الشاعر إلى المفارقة بين العرب والغرب ، وإلى رخص الدم العربي ، ونقاء وغلاء الدم الغربي حيث سار في بداية قصيدته على أسلوب المواساة لغزة وأحرارها ، ثم ينتقل بنا إلى الصورة الحسية من خلال استيحائه لأحداث أيلول / سبتمبر ، وتدمير برج التجارة العالمية ، في أمريكا^(٢) ، حيث أدت التراكيب اللغوية دورها في إنتاج الدلالة ، من خلال المفارقة التعجبية ، فعندما دُمّر برج في ولاية من عشرات الولايات ، كان مقابلة تدمير دولة بأكملها ، حيث استدعى حرب العراق واحتلالها ونرى هذا التناقض اللغوي بين ذلك ودمرت ، فالرد كان بالأمثال وليس الأمثل .

فها هو يضع النتيجة أمام القارئ ، ويضعه لاتخاذ قراره تجاه الغرب ، ثم يواصل طرح قضيته من خلال برهنته على الظلم والسادية ، التي يتمتع بها الأعداء ، حيث جاء بـ (الهر) عند نفوقه محملا مسؤولية ذلك لغزة ، ليثري قصيدته بدلالات وإيحاءات ، تذكي جذوة النص، وتستعر نفس القارئ لديها.

فنجح التوظيف في فضح صورة الأعداء المجرمين ، ومدى خستهم ونذالتهم ، حيث يحاولون أن يلبسوا العرب عباءة الإرهاب الذي يمارسون ، ثم يؤكد تماسكه وتماسك الشعوب العربية مع القضية وبأنهم سوف يذيقون العدو ، ذات الكأس التي جرّعها لغزة وأهلها .

ويقول جميل محفوظ ، في قصيدته (أجج دماءك) :

فَم من ركامك وانتفض يا هام
هذا عدوك منذ ألف شهيدة
أجج دماءك في الآتون توهجا
وإذا تقّتل ألف ألف منكم
لبنان حقق قبل ذلك نصرة
واليوم غزّة نصرها المقدام^(٣)

(١) لأجلك غزة ، ص ١١١

(٢) تم تدمير هذا البرج في تاريخ ١١/٩/٢٠٠١ ، وأصبح يعرف بأحداث الحادي عشر من سبتمبر .

(٣) لأجلك غزة ، ص ١١٢ ، ص ١١٣ .

في جوٍ درامي مشبع بالاستفزاز ، أخذ الشاعر ينثر في أفعال الأمر ، عند بداية صدر أبياته ، حيث بدأ عنوان القصيدة بفعل الأمر (أَجِّجْ) ثم توالى الأفعال (قم - أجب) ، فهو يستنهض الهمم ويستفز العزائم ، ثم يستدعي حادثة الحرب لغزة ، ويذكر (ألف شهيدة) ولم يقل (شهيد) ، ليؤكد على حقيقة مفادها أن الحرب كانت موجهة للآمنين في بيوتهم حيث الأطفال وأمهاتهم .

ثم يواصل عباراته الحماسية ، بعدم اللين ولو تقتل آلاف ، ويدعو إلى حث الخطى ، كما لبنان بجنوبها ، فنراه يستحضر انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان ^(١) ، وكان ذلك بفضل المقاومة والاستبسال .

فخدم التوظيف سياق النص ، المتماشي مع الهبة الجماهيرية ، وعدم الاستكانة ، رغم الجرح الغائر في الصدور ، مع تبشيره بظهور نصر غزة المرتقب ، كما لبنان .

ويقول حسام هرشة في قصيدته (أسود الحق) :

لا تركزن إلى الملوك فقد طوى حـب العـروش أعنة الأذهان
شـحنوا اللسان وأترعوه نخيرة واستنكروا في مجلس الشيطان
قل لي بربك هل يضمـد شجبهم جرحاً تفجر فوق كل مكان؟
أترى الخصى من الطبا يقوى على بعث النفير بجذوة العصيان؟
تجد السلاح إذا أطلت رقبوده ألف الهوان وتاق للأجفان
يا أمة الماضي المجيد إلى متى ستظل تخنقنا يد الأضغان؟
إن السبيل إلى العلا جيل يفى بالعهد والميثاق والأيمان^(٢)

يفرغ الشاعر تفاعله مع هذا الحدث التاريخي ، وهو مجلس الأمن والذي أنشئ منذ عقود ، لحماية أمن الإنسان ، حيث نراه قد أسماه بـ (مجلس الشيطان) ، فهو يرمز لأمريكا والمقبة بـ (الشيطان الأكبر) ، فجاء مستخدماً تقانة القلب ، ليظهر هزلية محاولات الحكام العرب ، الذين لا يعرفون سوى الاستنكار ، في هذا المجلس ، ونراه يشحذ دلالاته للتعبير عن ضعف هؤلاء الثلاثة من العرب ، حيث شبههم بالطباء المخصية ، ثم ها هو يستدعي أحداث العزة والانتصار ، والتي أصبحت تاريخاً يروي من خلال قوله : (يا أمة الماضي المجيد) .

ثم يضع الحل الأمثل ، للتخلص من عقدة الخوف والركون ، من خلال بناء جيل يتربى على الإيمان ، والتمسك بالمواثيق وإيفاء العهود .

فجاء التوظيف بسلبية تجاه الحكام ، واحتماؤهم بمجلس الأمن ، عندما يواجهون ضغوطات للتحرك تجاه ما حدث ولا زال يحدث ، لأهل فلسطين والعراق ، مع إيمان الشاعر ، بتخاذلهم وتقاعسهم ، لأنهم جُبلوا على التشبث بالكراسي ، حتى آخر رمق في أنفاسهم .

(١) قام الجيش الإسرائيلي في شهر فبراير لعام ١٩٨٥ ، بانسحاب أحادي الجانب من جنوب لبنان .

(٢) (لأجلك غزة ، ص ١٢٧)

أما الشاعر خضر أبو ججوح في قصيدته (عرس على جمر الفسفور) يحاكي الواقع العربي المؤسف من خلال وصف قادتهم بالهزل والضعف أمام ما هو حادث ، حيث يقول:

فرسانٌ ولي الأمرِ الفاتح لا تغفو

نحلتُ

ذبلتُ

هزلتُ

في أرجاء الصحراء تفتش عن حل!!

(كم جنديا يقف على رأس الدبوس بروما؟)^(١)

حيث يصف جنود أمة العرب اليوم ، في وصف ساخر ، بأنهم فرسان (محمد الفاتح)، فهم ناحلون ، ذابلون ، هزيلون ، ليخرج لنا بشعور الحسرة والمرارة ، من تشرذم أمة يعرب ، وعدم تمسكهم بموقف واحد ، فنراه يصفهم بكهنة روما ، والذين انشغلوا بتوافه الأمور ، مثل انشغالهم في انتخابات الاتحاد الكنسي حيث بحثوا عن مصالحهم أولا ، فجاء استدعاؤه لفتح القسطنطينية^(٢) بقيادة محمد الفاتح حيث استغل لهو وانشغال قادة روما ، بأشياء لا قيمة لها ، فجاء التوظيف ليعكس حال هؤلاء الكهنة والقادة ، بقيادة العرب ، والذين يتمسكون بمبادئ واهية ، وهي التمسك بالسلام ، ولا شيء سواه وهم لاهون ساهرون في ليالٍ ملاح وأمور تافهة .

وأتفق مع الدكتور موسى أبو دقة ، من خلال رؤيته لمكنون الشاعر تجاه أمة يعرب :
" هذا المقطع بمفارقاته و إشكالياته ليس ضرباً من التناص الارتدادي مع التراث، بقدر ما هو تعبير عن شعور بالقهر و الحسرة؛ لتباين المواقف العربية: التاريخية والحالية، فمحمد الفاتح ، القائد العربي المسلم الشجاع الذي فتح القسطنطينية ، يعد أنموذجاً للشجاعة والبطولة حين حاصر القسطنطينية وهو متجه إلى أوروبا ، في حين انشغل كهان الصليب في روما بقضية تافهة ، تنم عن ضعفهم ، وخوارهم، وعجزهم عن مواجهة الفاتح ، وهي : كم شيطان يمكنك أن يجلس فوق رأس الدبوس؟ وما أشبه الحال بالمواقف العربية الآن، فجيوشها ضعيفة هزيلة، يبحث قادتها عن السلام الضائع، وانشغلوا بقضايا تافهة هي أشبه بانشغالات كهان الصليب"^(٣). حيث يرى جمالية هذه المفارقة الزمانية وإثراءها لدلالات النص قائلاً: "هذه المفارقة الساخرة لها سرها الجمالي والتكويني، المعبر عن رؤية واعية لشروط التخلص من جميع العناصر السلبية التي تعيق عملية الخلاص والتحرير"^(٤).
وفي قصيدته ، (نقوش غزاوية) ، يقول زاهر حنفي:

(١) لأجلك غزة ، ص ١٦٥ ، ص ١٦٦

(٢) انظر : نيقولو باربارو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ترجمة وتعليق حاتم الطحاوي ، ط ١ (عين للدراسات والبحوث ، القاهرة) ص ٣٦

(٣) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤية والتشكيل الشعري، ص ٦٠١

(٤) انظر : السابق ، ص ٦٠١

يا راعي الآفاق في زمن التتر

قد قسموا آلامنا

واستفحلوا بحظيرة فيها بقر

والويل إن ساد الغجر

الويل إن قامت خنازير القروء من الحفر

هذا زمان غاب فيه الأسد

فانطلقت ذئاب الغاب والفأر انسعر

هذا زمان صار فيه الجرذ يحكم بيننا

والأجرب المصفوع بالنعل انتصر^(١)

يأتي الشاعر في هذه القصيدة ، متشأ بالسواد القهري لتفرج السريرة بما تخبئ من تمرد على كل قوانين الحياة ، ونراه قد استخدم التناص الخفي اللاواعي ، مع استحضار غزو التتار لمعظم أجزاء أوروبا وآسيا بزعامة المغول في القرن ١٣ م^(٢).

حيث كانوا لا يرحمون أي شيء يواجهونه ، سوى استقباله بالسيف ، ليريحوه من آهات عذاباتهم وويلاتهم ، وها هو الزمن الحاضر ، يأتي اليهود وهم الذين أُلح بهم من خلال (خنازير القروء) ويفعلون نفس التتار ، بحيث استأسد الفأر ، وصار أئفه الناس يتحكم في أمور العامة . فجاء التوظيف ليظهر استهزاء الحياة وسخريتها بالمسلمين ، حيث انقلب الحال ، وأصبحوا هم المطاردين ، كأنهم فرانس تهرب من صياديهما ، ولكنه رغم ذلك يحاول أن يرجع البوصلة التي حادت عن الطريق إلى وجهتها الصحيحة ، فيقول :

هبيء سلاحك مرة أخرى

فقلبي الآن قلبك

كل الذين على العروش تكرسوا

باعوا...

ولم يحفل بهم في الذم سيفك

هبيء فؤادك للجميع

فإن هذا الشعب شعبك^(٣)

يعود الشاعر بثقة ، رغم المقطع السابق والذي يوحي بالنهاية حيث استخدم السلطة العليا من فعل الأمر (هبيء) والذي كرره مرتين ، ليستفز في المتلقي حرقته ، ومحاولة إيقاظ المارد النائم بداخله ، غير أنه بحكام العرب ، حيث أُلح بهم ، فهم الذين انتفخت كروشهم ، وهم جلوس على عروشهم ،

(١) لأجلك غزة ، ص ١٩٢ .

(٢) انظر : أبرار كريم الله ، من هم التتار ، ترجمة رشيدة الصابروتي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤) ص ٧

(٣) لأجلك غزة ، ص ١٩٣ .

فعمد لتقانة الحذف ، من خلال الفعل (باعوا ..) ليدلل للقارئ ، بأنهم ما تركوا شيئاً إلا وباعوه ، فجاء الحذف ليظهر ، مدى الذلة والخسران ، الذي لحق بالحكام ثم يمد يده ، لبدء صفحة جديدة ، تقوم على تآلف القلوب والتعاضد ، بحيث تكون الغلبة للموحدين ، فختتم بقوله :

إن صافحتني يا أخي يدك

فدع النوازل للفوارس يا مفرق جمعنا

واغرب فإن النصر بُعدك^(١)

وفي قصيدته (في خاطري وطن وإبريق وماء) ، يصف سعد الدين شاهين ، صيف مدينة غزة ، والمصائب التي ألمت بها جراء الحرب عليها ، فيقول :

في صيف غزة قبرات لا تغرد

والمدينة شبه حالمة

بما توصي لها الأنفاق من ورد الحدائق

في الليالي المقمرات

فيها الكلام يبيع ريش حمامه

للصيد حمامات تزف هديلها

للنار

نار بثالثة الأثافي لا تضيء

صرخات مئذنة تسد مكبرات

الصوت

تركوا لنحات المعابر أن يجيد

تمحورَ الإزميل في لحم

الصخور لكي يكون للهفة

الفقراء بوذا

أو تسيل نجومهم مطرا

على حرّ الظهيرة في شوارع

كالتى ملأت شوارع قندهار

من أي بوذا يشبع الفقراء

حين يكون للصحراء باب

واحد وحليف؟؟ ، (٢)

(١) لأجلك غزة ، ص ١٩٣ .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٠٢ .

في هذه المشاهد المتعددة والصور المكثفة التي وصفها الشاعر ، نراه يستدعي مشهد غزة في حالة الحرب ، فهي أشبه بالقبر الخرب ، حتى انقطعت عنها سبل الحياة بأكملها ، ولم يتبق لها سوى الأنفاق التي تحفر ، لتسد رمق جوع أطفالها ، وها هي استدعاءاته لمشاهد الحرب عندما قامت طائرات الاحتلال بقصف المساجد والمآذن .

فجاءت هذه الاستدعاءات ، لتكشف عن مرماهم ، ألا وهو تضييع الإسلام ، ونشر الكفر وعبادة الأوثان ، حيث استحضر حادثة حرب أفغانستان الأخيرة^(١) فلقد تعهدت دول أوروبا بتقديم الدعم ، لإعادة بناء التماثيل التي دمرت من قبل مسلمي طالبان عام ٢٠٠١ ، ومنها تمثال بوذا الضخم .
فهنا التقاطع بين حرب أفغانستان ، وحرب غزة ، واشتراكهما في هدف واحد ، ألا وهو القضاء على شأفة الإسلام ، من خلال وعد فقرائهم بمستقبل أفضل مما كان ، قبل مجيء قواتهم الغازية .
ثم يحاول صالح الزهراني في قصيدته (رسالة إلى من لا يهمه الأمر) أن يحافظ على عدم انفصال النص الغائب عن النص الحاضر سياقياً ودلالياً ، فيعود بنا إلى سقوط العراق في حربها الأخيرة ، رامزاً إلى شيعة العراق (بالمجوس) محملاً إياهم المسؤولية عن سقوط العراق ، فيقول:

تهاوى العراقُ

بسيف المجوسِ ،

وكشمير تمشي ،

إلى درب دكا

لنا نصف قرن ،

فلا عاد قدسُ ،

ولا هاب رومُ ،

ولا ذل فرسُ ،

وأنتم تموتون خوفاً وشكاً ،

فشكراً جزيلاً ،

ودمتم طويلاً ،

نريد ضريحاً ،

لهذي البطولات ،

نصباً يُوارُ ،

وحاط مبكى ... (٢)

ثم يستذكر ما آلت إليه دكا^(١) ، بحيث أصبحت تابعة للهند ، بعد أن كانت عاصمة لشرق الباكستان ، وها هو يخاف على مصير كشمير^(٢) ، بأن تنضم للهند وتضعف شوكة المسلمين فيها ، مثلما حدث

(١) قامت بها القوات الأمريكية وحلفاؤها ، في ٧/١٠/٢٠٠١ ، إثر أحداث سبتمبر .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٤١

لذكاً وهو ها يكرر ما استدعاه من قبل ، بمرور السنوات الخمسين على سقوط فلسطين ، وما من منافح بل بقى الحال كما هو عليه ، فالعرب متمسكين بثوابتهم الواهية ، الخوف والركون ، والشجب والتدديد .

ثم يختتم في عباراته الساخرة بأنهم يحتاجون إلى نصب تذكاري يزوره الناس كحائط المبكى^(٣) للبكاء على أمة العرب ، في تقاعسها وهوانها عن نصره أهل فلسطين وغيرهم من المسلمين . وفي قصيدته (غزة تحت النار) ، يقول عبد المولي البغدادي:

فجرى الثورة يا غزة فينا

علمينا كيف لا نخشى سوى الله ولا نحني الجبين

لطغاة ظالمينا

وولاية من لدن - بلفور - ولوا مدبرينا

علمينا كيف نقتص من القوم الذين ... (٤)

جاء الشاعر (بغزة) لتذوب في نسيج النص ، وتثري دلالاته ، وكأنها شخصية حية تعيش بيننا ليخلق منها بطله معلمة ، تنثر تعاليمها وحكمها ، في العيون الحائرة والأجساد الباحثة عن ملاذ الراحة ، فنراه قد استنطق النص ، من خلال الأفعال ، (فجرى - علمينا) والتي تحمل دلالات العزة والإباء ، وعدم الخنوع للمحتل المأفون .

حيث وصف هؤلاء اليهود ، بأسياد بريطانيا ، من خلال استدعائه لوعده بلفور^(٥)، مستذكراً المشاركة الآثمة لبريطانيا ، في جلب هؤلاء اليهود لفلسطين ، ثم ها هو يلعب على استخدام تقانة الحذف (كيف نقتص من القوم الذين ...) فيحث الذاكرة على استرجاع مآسي الماضي وإشعال جذوة الانتقام في نفس المتلقي ، تجاه كل بلد كان لها دور في جلب اليهود لفلسطين ، ومنهم بريطانيا ، فجاءت تقانة الحذف لأن هؤلاء القوم فعلوا بفلسطين أفاعيل كثيرة ، لا تعد ولا تحصى في قصيدة ، لذا ترك الشاعر للمتلقي ، إحصاء المصائب ليلقى بذاكرته للوراء ، ويستذكرها بنفسه .

فالتوظيف جاء ليعكس صورة الغرب ، الذين يتشدقون بعبارات المواساة لغزة وأهلها ، ويخفون نياتهم الغادرة بين ثنايا أضلعهم ، فنجح في شد الأيدي واستعادة الشمل ، رامياً الخوف والرغبة من محتل ، وراء الظهور .

يقول عبد الله خليل شبيب ، في قصيدة (هولوكست) غزة :

(١) عاصمة بنغلادش ، ثم تسليمها للقوات الهندية في ديسمبر عام ١٩٧١ م .

(٢) مدينة متنازع عليها بين الهند وباكستان ، منذ عام ١٩٤٧ ، إلى يومنا هذا ، ويشكل المسلمون فيها أكثر من ٩٠% من السكان .

(٣) وهو حائط البراق ، ويقع من الجهة الغربية للحرم القدسي ، حيث يؤدي اليهود فيه طقوس البكاء حداداً على ما يسمونه (بخراب هيكل سليمان) .

(٤) لأجلك غزة ، ص ٣٣١ .

(٥) ويعرف بوعده من لا يملك لمن لا يستحق والذي خطط له وكتبه (آثر جيمس بلفور) في ٢/١١/١٩١٧م

يا جيش صهيون الجبان .. ويا يهوده الفواجر !
من مال لأوروبا وأمريكا الوحوش والمقابر
جيشكم الجبان يستقوي على العزل والأطفال والنسوان !
ويحرق الجماد والنبات والإنسان والحيوان !
ويعلن الحريق شرعة قد سنها - في زعمكم - (هتلر) والألمان !
يا أيها الغرباء والغربان !
الوافدون من وراء الشمس .. من زوايا الأرض .. من حفائر الجرذان !
يا أيها العميان !

ليس هنا ألمان !!

هنا " فلسطين " وشعب باسل وطيب يهش للضيقات
ويعشق الأرض ويرفض الباطل والعدوان واليهوان
أجدادكم أسموه " بالجبّار " !

لأنه يسحق كل من أفسد في الديار^(١)

جاء العنوان متماشياً مع سياق النص ، فيبحث الشاعر في وجدان المتلقي حادثة ما يسميه اليهود ،
(بالهولوكوست) أو المحرقة ليستطيعوا جلب السلاح ، من خلال دعواهم ، ويقيموا حروبهم
ومجازرهم ، وآخرها حرب غزة .

حيث أحرقوا الأخضر واليابس ، فهم يجلبون الأموال ويبتزون الألمان ودول كثيرة ، في أكاذيب
يدعون حدوثها منذ سنين باسم الهولوكوست^(٢)، ونرى التناسق الصوتي بين (الفواجر / المقابر /
المجازر) حيث تتجلى فاعلية التناسق مع المستوى الدلالي للسياق .

فهذه صفات بني صهيون ، المتجذرة فيهم ، ثم يمتد صوت الألف ليشكل مدلولات متنوعة (النسوان
- الحيوان - الألمان - الغربان - الجرذان)

حيث تشابه الامتدادات الصوتية في توائم تام مع المعنى ، ثم يصف هؤلاء اليهود بالعميان ، فلسطين
ليست لقمة سائغة مثل ألمانيا ، فهم يتمتعون بصفات الطيبة للضيوف ، وأما تجاه الأعداء فهم أتون من
النيران المشتعلة .

ويتواصل في خطابه الموجع لليهود ، فيقول :

ليس هنا " ألمان "

هنا فلسطين وأطفال يحبون الضياء والألوان !

أطفالنا الذين تحرقونهم .. هل حرقوا اليهود !!؟؟

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٣٥

(٢) عبارة عن مصطلح استخدم لوصف أعمال حكومية ألمانيا النازية ، وبعض من حلفائها ، بالاضطهاد والتصفية
العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية .

هل دمروا (الغيتو) على رؤوسكم ؟!

هل غادروا الحدود ؟!

(الهولوكوست) حلمكم .. !

تمزقون كل من يشك فيه

و(تسلبون) باسمه الماركات والدولار !

(هولوكوستكم .. معشوقكم .. معبودكم) .. متحرق لحريقكم !

(مليون هتلر) سوف يحققون حلمكم .. !! (١)

ويكرر الشاعر بأن فلسطين ليست كألمانيا ، ثم يأتي ويتساءل في تعجب ، هل هؤلاء الأطفال الذين

يقتلون ، هم من دمر مخيمات الغيتو^(٢) التي كنتم تسكنون ؟!

ثم يستخدم تقانات التصيع من خلال الإشارة لكل ما يتعلق بكذب اليهود ، وفي النهاية سوف ينقلب

كذبكم على رؤوسكم ، فهذا هي غزة سوف تكون مقبرتكم الحقيقية .

وأكثر الشاعر من استخدام علامات الاستفهام والتعجب ، ليلفت نظر القارئ ، ويحدث لديه اهتماماً

بصرياً لتكثيف الدلالات ، وكشف هؤلاء الملاحين على حقيقتهم .

فجاءت الاستدعاءات التاريخية ، من قبل الشاعر ، لتفريغ ما في جعبته تجاه أكاذيب اليهود وبطلانها

وسفكها لدماء الأبرياء .

ويستعرض محمد المراني في قصيدته (يا أهل غزة) في استذكاراته دول كانت في قمة الهرم ، ثم

اندثرت بقدرة الله تعالى ، فيقول :

أين التتار مع الصليب وروسيا وجحافل المستعمر الفتان
كانوا فبادوا ثم باد سواهمو حاشا الهداة وأمة الفرقان
واليوم أمريكا بدرب زوالها وتمایل كتمایل السكران
والأمة الكبرى ستظهر ثانياً فلترفبوا هذا الظهور الثاني
يا أمة التاريخ والإيمان هلاً انتفضت على العدو الجاني
هبي لغزة والعراق وكابل وكتائب الصومال والشيشان^(٣)

تأتي هذه الاستدعاءات التاريخية ، لتذكير المتلقي بما آلت إليه ، دول كانت في قمة ذروتها ، مثل

التتار والإتحاد السوفيتي^(٤) ، سابقاً ، حيث تفككت هذه الدول والجموع ، وأصبحت تعاني من الفقر

المدقع ، ويستبشر الشاعر بزوال أمريكا ، كما زالت مثيلاتها ، مع تيقنه برجوع المارد العربي

(١) لأجلك غزة الديوان ، ص ٣٣٦

(٢) عبارة عن مخيمات أنشأها الألمان ، ليعيش فيها اليهود في ظروف سيئة ، وعزلهم عن بقية سكان أوروبا ،

وكانت موجودة في (بولندا - الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ، ومحاطة بجدران وأسلاك شائكة .

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٠٢

(٤) كان الاتحاد السوفيتي كياناً ممثلاً لخمس عشرة دولة اتحادية ثم تفكك عام ١٩٩١ م ، وهي الفترة التي عرفت في

التاريخ بالحرب الباردة .

الإسلامي ، بعد رقاذه الطويل ، لتحرير المدن والدول العربية والمسلمة من براثن الأعداء ، فكان الحث منه على الانتفاضة والهبة الشعبية ، من كل الدول العربية لنصرة هؤلاء المظلومين في شتى بقاع الأرض ، ومنها (غزة ، العراق ، أفغانستان ، الصومال ، الشيشان) .
فجاءت التوظيفات ، لجلاء الغمامة من أمام أعين المتلقي ، وتأكيد زوال التلثة الفاسدة ، من دول الغرب الطاغية ، مع الحاجة لشد الأيدي في مواجهة الأخطار الغربية .
أما الشاعر مظفر النواب ، فكان موقفه حازماً تجاه إسرائيل ، ومن يحالفها ، حيث يقول في قصيدته (كفرت بإسرائيل) :

في الوطن العربي

ترى أنهار النفط تسيلُ

لا تسأل عن سعر البرميلُ

والدم أيضاً

مثل الأنهار تراه يسيلُ

خذ مثلاً

ضاعت منا القدسُ

وقامت دولة إسرائيلُ

من المسئول؟

فعل مبني للمجهول

خذ مثلاً

دبابات ست في بغداد

ونشرات الأخبار تقولُ

سقطت بغدادُ

من المسئول ؟

فعل مبني للمجهول^(١)

يأتي الشاعر بالقصيدة الغاضبة ، الناقمة على الأنظمة العربية ، والتي تطبع مع إسرائيل وتؤمن بوجودها ، فجاء العنوان متضامناً رافعاً صوت الاعتراض من خلال (كفرت بإسرائيل) .
حيث يضع الشاعر المماهة بين أنهار النفط والتي يجني من ورائها العرب أموالاً باهظة ، وينعمون في خيراتها ، والوجه الآخر أنهار الدماء والتي تسقط من صدور المنافحين عن ثرى أوطانهم ، مع سيره باستخدام تقانة تغيير مستوى المعنى حيث الكفر عادة يكون بالله - سبحانه وتعالى - أو بالأوثان والآلهة ، فنراه قد حول عبارة (كفرت بإسرائيل) إلى معنى آخر لكرهه لهذه الدولة .

(١) لأجلك غزة ، ص ٥١٧ ، ص ٥٢٨

ويأتي من خلال السياق ليضرب أمثلة حية ، شاهدة على ما آلت إليه حالة الأوطان العربية ، متهماً الأنظمة العربية بصورة غير مباشرة في هذه الأحداث ، حيث استدعى حادثة سقوط بغداد ، على أيدي الأمريكان وحلفائها ، ثم يستذكر حادثة سقوط فلسطين ، من خلال الإشارة بقيام دولة إسرائيل (١). وتأتي توظيفاته للأحداث ، ليس عرضاً تاريخياً فقط ، بل لإثارة التساؤلات المقلقة ، والتي تنتاب الضمائر العربية ، من الجاني ومن المجني عليه ، أهذه النكسات والهزائم من غيرنا ، أم لأنفسنا علاقة بذلك ، ويأتي الشاعر لإظهار تساؤلاته الاستفهامية (من المسئول ؟) في إشارة منه لوضوح الإجابة في نفسه ، ونفس المتلقي ثم يأتي ليصب جام غضبه على إسرائيل ، فيقول :

كفرتُ بإسرائيل

وكفرتُ بكلِّ حوادثنا

المبنية دوماً للمجهول

يا ربَّ

كفرتُ بإسرائيل

هي وهمٌ

كالنملة

والبقة

نحنُ جعلناها كالفيل

وتركناها

تتدحرجُ فوقَ خريطةنا يوماً كالفيل

وتدوسُ علينا مثلَ الفيل

وتدكُّ قرانا مثلَ الفيل

كفرتُ بإسرائيل

الموتَ الموتُ .. لإسرائيل

الموتَ الموتُ .. لإسرائيل

الموتَ الموتُ .. لإسرائيل (٢)

فجاء المقطع الأخير من القصيدة ، للكفر وإنكار هذه الدول المسماة بإسرائيل ، ملمحاً إلى ضعفها ، ولكن العرب هم من صنعوا منها ، هذا الفيل يطأ بقدميه كل أرض عربية ، فكرر الشاعر (يارب) مستجداً بالله ، مظهراً عدم الفائدة من الجري وراء الأنظمة العربية ، لأنها تخلت عن شعوبها . ويؤكد على خيار المقاومة ، وبأنه لا بديل عنه ، أثناء تكراره (الموت الموت .. لإسرائيل)

(١) قامت ما تعرف بدولة إسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨م ، حيث شُرد ما يقرب من ٩٠٠,٠٠٠ فلسطيني إلى مخيمات الدول العربية وغزة .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٥٣٠

مضيفاً جو البغضة والكراهية ، في نفس المتلقي ، محفزاً إياه على سلك هذه الطريق رغم وعورتها فهي أنجح الطرق ، لإزالة هذا السرطان الذي يستشري في الأراضي العربية .

٤- **التاريخ المعاصر** : فالتاريخ المعاصر مليء بأحداث ومآسٍ شتى ، كانت شاهدة على الوجد العربي ، والهموم العربية التي ما زالت تملأ قلوب الناس ، ولا تفارقهم لحظة من اللحظات ، فأثر الشعراء تذكير الذين يتناسون هذه المحطات الأليمة عليها ترسو في عقولهم .

يقول أحمد جنيّد ، في قصيدته (غزة) :

في غزة التاريخ ينسى خطّه،

ومشائق الأوغاد ذاكرةُ الفصول،

جريمة التطهير راجعة

بخارطة تسمّى بالنواة،

تنام قارعة الطريق.

كل الدماء تناثرت،

والصوت كالموت العنيف،

تنازعوا،

لا تسمع الفتك المخيف،

فكن رقيقاً^(١).

يستدعي الشاعر في قصيدته السابقة ، حادثة إعدام الشهداء الثلاثة^(٢)، والذين أعدمتهم الشرطة البريطانية ، بعد ثورة البراق^(٣) .

حيث يعيد للأذهان ما فعلته بريطانيا ، بفلسطين وأهلها والتي كان لها السبب الرئيسي ، في وجود الاحتلال ، ثم نراه يرتد بنا ، ويستدعي ما يعرف (بخارطة الطريق)^(٤)، ونراه يربط بينها وبين حادثة الشنق آنذاك ، لأن الجاني واحد ، فحادثة الشنق مسئولة عنها بريطانيا ، وتطبيق خارطة الطريق مسؤول عنها (توني بلير) رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ، وبالتالي يشير الشاعر في عبارته ودلالاتها إلى خطورة هذه المشاريع تجاه فلسطين وأهلها ، وبأنه من نتائجها تلك الحرب المعلنة على غزة ، وتناثر الأشلاء في كل مكان .

فالتوظيف جاء ليعكس المحاولات الرامية لطمس معالم المقاومة ، والخنوع للمحتل وأعوانه ونراه يرفض كل تلك المحاولات من خلال وصفه إياها بجريمة التطهير العرقي .

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٥

(٢) هم محمد جمجوم ، فؤاد حجازي ، وعطا الزير ، حيث تم شنقهم يوم الثلاثاء بتاريخ ١٧/٦/١٩٣٠ في سجن عكا.

(٣) انظر : محسن صالح ، القضية الفلسطينية (خلفيات وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١) ص ٤٣

(٤) تدعو خارطة الطريق إلى البدء في محادثات للتوصل لتسوية سلمية نهائية على ٣ مراحل ، من خلال إقامة دولة

فلسطينية بحلول عام ٢٠٠٥

وفي الحزن البادي ، على قسَمات الشاعر (محمود التل) ، في قصيدته (أطفال غزة) ، يقول:

أطفال غزة هم في الحرب قدوتنا يا عينا قد هوت وانهارت القمم
كدير ياسين أشلاء مبعثرة فالنار كالغيث تهمي ثم تلتهم
أطفال غزة في الفردوس موعدهم وفي الجحيم سواهم ماؤهم حمم
يا سبي بابل عد في الحال وارم بهم الى جهنم.. لا تُرعى لهم ذمم
يا سادة الأمة المأمون جانبها مواقف الضعف هل فيها لكم حكم
لسنا لنعمان أو عدنان في نسب ما بيننا صلة أو بيننا رحم
في كل ثانية موت يلاحقهم يستشهدون ووجه الطفل يبتسم
يا غزة الشهداء أيقظي أمماً نامت على ضعفها واستأسد اللمم^(١)

إشارات وعلامات ، يلقي بها الشاعر في حجر المتلقي ، ليتلقفها ويعي ما بها ، فعنوان القصيدة جاء باسم (أطفال غزة) ، حاملاً تحته عباءة جُبِن اليهود ، الذين عجزوا عن دحر المقاومة فصبوا جام غضبهم على الأطفال .

فهذه المشاهد والتي رآها العالم أجمع على شاشات الرائي ، كان لها الأثر أن تتحرك جيوشاً جرارة ، ولكنها بقيت في نفوس الأخيار من هذا العصر ، فاستحضر شاعرنا مذبحة دير ياسين^(٢) بتاريخ ٩/٤/١٩٤٨م ليصل من خلال إشارته إلى دلالاته والتي يسعى بها للكشف عما يكابده الشعب الفلسطيني منذ عقود .

فيتماهى الشاعر مع مذبحة دير ياسين ، والتي عادت بأفطع مئات المرات في حرب غزة الأخيرة . ويأتي الاستدعاء الآخر في لهفة الشاعر وأمنيته بأن يعود ما يعرف (بالأسر البابلي)^(٣) حيث ذاق اليهود ويلاته على يد (نبوخذ نصر) ، ونرى هذا النداء يحمل في طياته يأس الشاعر وانتكاسته من هزل الأمة العربية ، حيث تحمل العبارات دلالات مؤداها ، بأنه لا فائدة من شجب وتدنيد ، فهو حتماً لن يصنع نصراً ، وها هو في صرخاته المريرة ، يتكرر من أجداده العرب من عدنان والنعمان ، فعار على العرب أن يكونوا هؤلاء أجدادهم ، والذين يحملون معاني الأنفة والماضي العريق .

وفي (ليل المذبحة) ، يشير ابن الفرات العراقي، إلى هزلة واستكانة الحكام العرب ، فيقول
رباه غزة أصبحت في مأتم أم تشيع طفلها وتواري
ستون والرؤساء لم نسمع لهم حتى ولا من صيحة استنكار^(٤):

(١) لأجلك غزة ، ص ٥١٢ .

(٢) انظر : شريف كنعانة ، الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير ، مركز اللاجئين والشتات (شمل) ، رام الله ٢٠٠٠م ص ١٥٢ .

(٣) حيث يدعي اليهود أن نبوخذ نصر ، دمر هيكلهم في القدس عام ٥٨٦ ق.م ، وسبى عدداً أكبر منهم .

(٤) لأجلك غزة ، ص ٣٦

ففي هذا النص يبدو وجع الشاعر وتألمه ، من خلال عنوان قصيدته (ليل المذبحة) ، حيث تقسيم النص لمشاهد درامية فالمشهد الأول هو مشهد الأم التي توارى ابنها في التراب ، وربما في هذا المشهد إشارة إلى كثرة الشهداء من الشباب والرجال ، بحيث أصبحت الأمهات توارى أبناءهن في التراب بدلاً من الرجال، ثم يردد الشاعر لمشهد آخر وهو (نكبة فلسطين عام ١٩٤٨) حيث يقول الشاعر : (ستون) أي مرت ستون عاماً على احتلال فلسطين ، والرؤساء العرب ، لم يصدروا صوتاً ، ولا استنكاراً .

فنراه في هذا التوظيف ، قد ارتد لبداية المأساة وهي احتلال فلسطين ، وكأنه يحمل مسؤولية ذلك للقادة العرب ، ونراه يؤكد حقيقة هؤلاء القادة ، من خلال إدانتهم بالخيانة المباشرة ، فيقول :
رضعوا الخيانة عبر بارات الخنا وتَشَبَّعوا بأريجها المـوَّار
المدعون عروبة ورجولة باعوا الضمير لسادة الدولار^(١)
حيث هذه المفارقة بين حال غزة المدمرة والتي تعيش في قصف وقتل ، وبين ذوي الكروش المتنعمين في بروجهم العاجية .

ويأتي أبو جهاد الأنصاري في قصيدته (من شنقيط إلى غزة) شاداً على أيدي فرسان غزة وشبابها الذين ما ألوا جهداً في مقارعة أعداء الله ، فقال :

فرسان غزة ما هاتوا وما وهنوا يابى لهم أن يلينوا الدين والشيم
سلاحهم حرقه تذكي قلوبهم لنصرة الدين و الإيمان والهمم
ستون عاماً خطوب الدهر تفجأهم حتى الخطوب اعترها منهم سأم
ستون عاماً ما ملت سواعدهم قَرَعَ الأعادي وما ملوا و ما سئموا
هم الرجال فعين الله تكلاهم نعم الجنود ونعم القادة البهم^(٢)
جاءت عباراته حاملة معاني الفخر والعزة بهؤلاء الجنود الشم ، الذين ما عجزوا أمام الآلة المجرمة وما استكانوا ، ونراه استحضر حادثة النكبة الفلسطينية حيث أشار إليها بـ (ستين عاماً) والتي كررها مرتين ، ليثبت ويدلل بأنه رغم تواصل سنوات التعب والعرق ، والتي كانت قاسية على هؤلاء الأهل ، فهي لم تُلن من عزائمهم ، بل زادتهم صبراً وإصراراً على مواصلة نضالهم.
فجاء التوظيف ليحمل معاني الصمود في وجه الغطرسة الصهيونية ، من أصحاب الأرض المحتلة أنفسهم ، فكان التوظيف إيجابياً ، حاملاً روح البشارة بنصر رباني ، بعيداً عن بني يعرب .
يقول خالد محاميد ، في قصيدته ، (غزة مليون لاجئ) :

غزة مليون لاجئ

سَتَهْدُرُ صَرَخَةُ الطِفْلِ الْمُخَضَّبِ بِالدَّمَاءِ

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤١ .

شِفَاهُهُ لَمْ تُحَلَّ بَعْدَ مِنْ قَطَرَاتِ أَثْدَاءِ الرِّضَاعَةِ

يَدَاهُ تَنَاوَلَتْ أَشْلَاءَهُ الْمُتَرَكَمَةَ فِي

دُمِيَّةٍ شَهَقَتْ عَلَى

اسْتِنَاسٍ مَمْلُوكَةِ الْعَرَبِ لُغَوِ الْكَلَامِ.

كِلَاهُ تَبَعَثَتْ فِي غِيَمَةٍ تَتَنَاوَلُ الْأَطْرَافَ

فِي وَجَلِ الْبُوَادِي

لِلْمَثُولِ أَمَامَ إِمْلَاءَاتِ عَوْدَتِنَا الْفِلَسْطِينِيَّةِ

قُلْ لِي إِذَا هَلْ لَاجئٌ

حَاكِ الْمَنَافِي مَوْطِنًا؟

يَسْتَبْدِلُ الْأَجْدَادَ

فَاعِدِدِ الْيَوْمَ الَّذِي تَزْدَانِ

حِيْفَا بِالْأَهَالِي الْعَائِدِينَ.

أَعْدُوا عَوْدَةَ الْمِلْيُونِ مِنْ مَنْفَى

إِلَى حَقْلِ الزَّهْوَرِ الْمَجْدَلِيَّةِ^(١).

تَجُولُ ذَاكِرَةُ الشَّاعِرِ إِلَى الْوَرَاءِ ، فَهِيَ هِيَ يَسْتَحْضِرُ حَادِثَةَ الْجُوعِ وَالتِّي أُجْبِرَ عَلَيْهَا الْفِلَسْطِينِيُّونَ فِي كُلِّ بَقَاعِ الْعَالَمِ وَمِنْهَا غَزَا ، فَكَانَتْ سِيْمِيَّاتِيَّةً عُنْوَانُ الْقَصِيدَةِ ، شَارِحَةً لِلنَّصِّ وَدَلَالَاتِهِ ، فَقَدْ هُجِّرَ أَهْلُ فِلَسْطِينِ تَعْسَفًا عَامَ ١٩٤٨^(٢) ، وَهِيَ غَزَا تَحْتَضِنُ الْمِلْيُونِ وَأَكْثَرَ مِنَ الْلَاجِئِينَ ، وَلَكِنْ حَالَةُ الشَّاعِرِ فِيهَا الْعَزْمُ وَالْإِصْرَارُ عَلَى الرَّجُوعِ لِلْأَرْضِ الَّتِي هُجِّرُوا مِنْهَا ، وَإِشَارَتُهُ لَتَمْسُكَ الشَّعْبَ بِأَرْضِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، حَيْثُ مِنْهُمْ حِيْفَا وَيَافَا وَعَكَ ، وَإِلَى بَرَبْرَةِ ، وَالْمَجْدَلِ وَالتِّي رَمَزَ لَهَا ، بِحَقْلِ الزَّهْوَرِ الْمَجْدَلِيَّةِ .

(١) (لأجلك غزاة ، ص ١٥٤ .

(٢) وهي الحرب التي نشأت في مايو عام ١٩٤٨ ردًا على قرار تقسيم فلسطين ، وكانت بين مصر والأردن والعراق وسوريا ولبنان والسعودية ، وبين العصابات اليهودية ، وانتهت بتهجير الفلسطينيين ودخلت فلسطين التاريخ تحت اسم (النكبة) .

ويواصل حديثه ، عن حب الرجوع ، والتشبث به :

في كلِّ طفلٍ تقتلون

مليون مولودٍ ينادي عسقلان.

والنأي يبقى صادحا عزف

اللجوء المنتهي في موكب للعائدين.

مهما قتلتم من رجالٍ أبرياء

ألفا وأكثر من نساء

مليونُ ستة لاجئون

في حب حيفا هائمون.

لا يعتريهم شكٌ في

استرجاع قلب الموطن.

هم اللاجئون استعادوا العزائم

لدرب الرجوع المحلّى بنصرٍ لثائر.

هم اللاجئون

هم اللاجئون ^(١)

وينتقل إلى استدعاء حرب الفرقان على غزة ، ويشير إلى أن عدد الشهداء الألف من الأبرياء سيأتي مقابله ستة ملايين لاجئ ، وهم اللاجئون في مخيمات الشتات ، ولسوف يرجعون وكلهم ثقة في العودة حيث عودتهم ستكون في المدن الفلسطينية داخل دولة الكيان الصهيوني ، ثم ها هو يختم قصيدته بتكرار مقطع (هم اللاجئون) للتأكيد على أحقية الرجوع ، واستخلاص الأراضي من أفواه يهود .

تقول الشاعرة دولة العباس ، في قصيدتها (نريدُ دماً جديداً في العروق ... !!!) :

أفي إسرائيل تحقيقُ الأمان؟! برّبك مَنْ يصدّق يا رفيقي..!؟

وهل هي للسلام الحر حق؟ أم أنها للمذابح...والحريق؟!؟

سلوا شهداء (جنين وقانا) سلوا الأوجاع في كل البروق...

(١) لأجلك غزة ، ص ١٥٥

سلوا شهداء غزّة و الثكالى وأطفالاً جِيعاً في الطريق!!
 سلوا كلّ المذابح والمآسي التي مرّت (بأقصانا العتيق)!!..
 سلوا إن شئتم (سيتين عاماً) من الإرهاب، والقتل الصفيق!!..
 سلوا كي تعلموا أننا ظلمنا.. (على كفّ المدلّة الشفوق!!..)^(١)

استنطقت الشاعرة النص ، من خلال تقانة التضخيم ، حيث نمّت فيه العناصر الدلالية ، الكامنة في النص ، والتي جاءت لتعكس الرغبة والإصرار ، على فضح جرائم العدو الغاشم ، وإلقاء اللوم على الذين يوالونهم من العرب .

فجاءت المبالغة في الكلام من خلال استنكارها ، للحوادث الدرامية ، والتي كان سببها اليهود ، فجاءت بفعل الأمر (سلوا) مكرراً في النص خمس مرات ، في محاولة منها لإيقاظ المتلقي ، ودق ناقوس الانتباه لديه ، فاستذكرت مجازر جنين في الضفة ، وقانا في لبنان ، ثم حرب غزة الأخيرة ، ومن ثم ارتدت لعام ١٩٤٨م ، لتصف البداية لهذه المجازر وتسلسلها تباعاً على مر عقود الزمن ، والتجأت لتقانة الترصيع ، من خلال علامات الاستفهام والتعجب ، لتظهر التساؤلات وتعجبها ، مما يحدث ، ولوضع المتلقي على حقيقة الأمر ، فكأنني بعلامات الترقيم هي رموز وإضاءات ، لإنارتها في عقل المتلقي ، وتشعره بعظم المسؤولية ، وقساوة الأعداء .

وترمز الشاعرة إلى إسرائيل (بالمدلّة الشفوق) ، حيث هي ملجأ النكبات والآهات من الذين يسعون لإرضائها بشتى السبل من الغرب والعرب ، هي أشبه بالفتاة المدللة ، والتي يطمع الجميع في نيل رضاها ، علها ترسل لهم ابتسامة عريضة أو إيماءة شكر .

فأتى التوظيف بثماره ، من خلال سلبه تجاه أمة العرب والغرب ، حيث أبان العنوان ، عن السعي لخلق جيل أفضل مما هو الآن ، وحكاماً لا يخافون في الله لومة لائم ، وجاء المضارع (نريد) وليس (أريد) ، أملاً في جمع العرب وتوحدهم ، لمجابهة هؤلاء العقارب والتي التمسّت الأمان ، فخرجت من مخابئها لتلسع كل موحد بالله ، وكل منافع عن أرضه .

ويحمل الشاعر سعد الغامدي ، العرب المسؤولية الكاملة ، عما تكابده غزة ، فيقول في قصيدته (قصف غزة) :

ألا، فاحزن إذا ما جدّ قصفُ فإنّا حالنّا دوماً هباءً
 مصيرُ العُربِ فرقى مع هلاك لأنّ الجهلَ ما رغبوا وشاؤوا
 وكم خانو جهاداً في قديم وما كانت لهم همّ تضاء
 أضاعوا مجدّ قائدهم رسول كريم، وهجّ سنّته المضاء
 وأجلى من صياصيههم يهوداً فما رفعوا بها رأساً، وماؤوا
 أنبكي قدسنا والعُربُ سكرى بخمر الغرب، ما فيهم رجاء
 وليس القدسُ أولّ ما أضعنا وليس القدسُ يرجعُها الذكاء

(١) لأجلك غزة ، ص ٦٠٦ .

وآخرها عراق قد تهاوى فأحياء وأموات سواء^(١)

بدأ الغامدي بـ (ألا) الاستفتاحية ، وكأنه يريد الخوض في محادثة المتلقي ، ليصغي لما يقول ، حيث بداية قائمة سوداء اللون ، ابتدأ بها الغامدي حديثه من خلال الحزن على الكثرة الخاوية ، حيث مآلهم للهلاك ، فنكر كلمة (هلاك) ليوحى لك بنوعيه: الجسدي والنفسي ، ثم ها هو يستحضر الخيانات العربية وتخليها عن فلسطين ، باستنكاره حرب ١٩٤٨ ، وهزيمة ١٩٦٧^(٢) حينها تقاعسوا عن نصره إخوانهم ، وجمعتهم المطامع وحب المناصب على ألا ينافحوا عنهم ، ويردوا كيد الكائدين .

حيث انتشر الامتداد الصوتي ، المتجانس في الدوال (هباء - رغبوا - خانوا - أضاعوا) فكل الدوال السابقة تحمل في ذاتها صفة الامتداد المتوافق وسياق المعنى ، حيث جاء بحرف المد (الواو) لترسيخ هذه الصفة ويؤكددها في ذهن المتلقي ، باجتماع الحكام واشتراكهم ، في هذه الصفات المنبوذة ، من قبل شعوبهم المقهورة .

ويرتد الغامدي ، إلى استحياء معارك رسول الله التي خاضها مع يهود خيبر والنضير وقينقاع^(٣) والذين أجلاهم من المدينة وأسقامهم كأس المنون ، فهذا الاستحضار لهذه الحوادث التاريخية جاء مذكراً بماضي الرجال ، والذين عزوا في زماننا الحاضر ثم يرتد في مشهد آخر ، للتذكير على أن القدس ليست هي التي ضاعت فقط ، بل هذا مسلسل لا ينتهي ، حيث دارت الدائرة على العراق ، مستذكراً سقوطها ، على أيدي الأمريكان .

ولعله نكر كلمة (عراق) ليفضي لنا بما تخفيه هواجسه ، بأن البلاد العربية ستصبح كلها عراق ، فحلقات المسلسل طويلة .

يقول الشاعر عصام ترشحاني ، في قصيدته (إيقاعات الحرب) :

غزة .. عشاء الموت في الزين المباح

قانا تعود الآن في غزة

صبرا تعود الآن في غزة .

هي ذي سماء

من وحوش الجو والرعب المدوي

بالمهالك والذهول

الله .. يا الله ..

غزة تستجير .. ويستغيث

بك المقدس والمنزّه في كتابك ،

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٠٩

(٢) انظر : محسن صالح ، القضية الفلسطينية ، ص ٦٤

(٣) انظر : مصطفى السباعي ، السيرة النبوية ، ص ٨٥

والمدمي والمحاصر والقَتيل^(١)

جاءت الاستدعاءات المتوالية ، لتعيد صورة المجازر السابقة في لبنان (قانا ، صبرا وشاتيلا) إلى ذهن المتلقي ، وتذكره بهذه المشاهد الدرامية ، التي يأن لها القلب ، وتدفع لها العين ، حيث عادت نفس الفعلة وتكررت في غزة ، حيث الوصف الذي يبعث الرهبة (الوحوش ، الرعب ، المهالك ، الذهول) فجاءت هذه التراكيب اللغوية ، لتؤدي دورها في إنتاج الدلالة ، وخلق الإيحاءات ، لتدلل على شراسة العدو وقساوته .

ثم جاءت الدعوات إلى الله ، مع ترديد لفظ الجلالة مرتين واضعاً المتلقي في جو صوفي ، حيث الخشوع والوقوف ، استجارة بالله واستغاثة به ، مما يقع من دماء وحصار وقتال .
فجاء التوظيف ليملاً بياض الصفحات ، بسواد قاتم ، من هذه المشاهد الدرامية ، ليكشف حقيقة غزة ، ومدى الظلم الجائر في حقها ثم يلح الشاعر إلى تخلي جميع العرب عنها ، عندما استجار بالله وحال نفسه يقول : لا نريد مساعدة من أحد ، وكفانا الله .

ويحمل صالح الزهراني في قصيدته (يا ضمير الأحرار) مجلس الأمن المسؤولية ما هو حادث من حروب وصراعات فيقول :

حدثوني عن غزة ، عن هواها

كيف ماتت فوق الغصون الطيور ؟

حدثوني عن برتقالة صيدا

كيف شاخت أغصانها والجذور ؟

حدثوني عن وجه لبنان لَمّا

جف فيه الندى ، وجف العبير^(٢)

توالت الاستدعاءات ، حيث حرب غزة ، ثم انتقله إلى لبنان الذي ما زال حتى الآن ، يعاني من حروب وويلات ومجازر ، مثل مجازر قانا وصبرا وشاتيلاً ، ومن فراغ سياسي بالسلطة ، لتنوع الأديان والطوائف .

فوصف لبنان بالشيخ الهرم ، الخافت من كل معاني الحياة ، وغزة المهجورة فلا أثر فيها للحياة .
فجاءت الاستحضارات التاريخية ، لتؤكد ما يرمي إليه الشاعر بأن مجلس الأمن هو المسئول عن كل هذه المصائب ، وجاء بتكرار الفعل (حدثوني) لتثير القلق والإنصات في نفس الملتقى وبأن الأمر ليس يسيراً .

وجاءت (مات - شاخت) فكان الامتداد الصوتي فيها ، لتثير تهيج النص في نفس المتلقي ، ويلقي الأثر الدلالي فيما يحدث لهذه البلدان .

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٤٧ ، ص ٣٤٨

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٤٥

وفي قصيدته (نداء صارخ) يذكرنا الشاعر بالأمسي التي تحدث للعالم العربي ، وما من يحرك ساكناً فيقول:

صَبْرًا شَتَلًا فَلَا نَسَاهَا أَبَدًا نَبْكِ مَآسِيهِمَا فَاتَتْ وَنَصْطُخِبُ
هَآ غَزَاةَ الْيَوْمِ قَدْ بَاتَتْ مُحَاصِرَةً لَكِن تَحْرِيرَهَا الْمُنْشُودُ مَرْتَقِبٌ^(١)
يرسم الشاعر في جداريته ألوان العذاب والآلام ، والتي اكتوى بهما مخيما صبرا وشاتيلا^(٢) في لبنان داعياً إلى نجدة غزة ، متأملاً ألا يصبح مصيرها كمخيمات صبرا وشاتيلا، حيث نلمس في حديثه التفاؤل لغد جديد .

ويعرج عبد المولى البغدادي في قصيدته (غزة تحت النار) على الزعامات العربية ، ودورها المشئوم في صنع ما يسمى بالصلح مع إسرائيل ، فيقول:

جرجروا قادتنا للصلح قلنا فلنصلح

كلنا جاء يصافح ويسامح

والتقينا بين غادِ لفلسطين ورائح

وتبادلنا التهانى والأمانى والمصالح

فإذا بالصلح غارات وقصف ومذابح

إنه صلح الأفاعي

والأفاعي لا تصلح^(٣)

يؤكد الشاعر الدور العربي الفاعل ، في صنع التطبيع مع إسرائيل ، من خلال استدعائه لاتفاقية أوسلو^(٤)، فابتدأ بالفعل الماضي (جرجروا) حيث حقق الإشعاعات الدلالية المنبتقة من التخاذل العربي ، وقد نجح الفعل في تصوير العرب بالفريسة والتي نصب الصياد شركا لها ، واستطاع إيقاعها في هذا الشرك من خلال المغريات الحياتية ، فأدى الفعل دوره في إظهار محاولة تضييع القضية الفلسطينية ، وكشف زيف الصلح مع اليهود ، رغم الفرحة التي ألمت بالشعب الفلسطيني حينها ، ولكن بان الوجه الحقيقي للاحتلال ، وكشف عن أنيابه ، ليوغرها في صدور الفلسطينيين . فجاء التوظيف ليكشف عن الحلم الجاثم ، في قلوب من يعتقدون بتحقيق السلام مع المحتل الغادر ، فهم واهمون ، لأنهم كالأفعى التي لا أمان لها ، لذا فالطريق واحد لا ثان له ، ومعروف للجميع وهو خيار المقاومة .

(١) لأجلك غزة ، ص ٧٩

(٢) حدثت في شهر ١٧/٩/١٩٨٢ ، على أيدي الجيش الإسرائيلي بقيادة السفاح أرئيل شارون : حيث تراوح عدد الشهداء إلى ٣٥٠٠ شهيد .

(٣) لأجلك غزة ، ص ٣٣١

(٤) تمت الاتفاقية في مدينة واشنطن ، بين إسرائيل ومنظمة التحرير في ١٣/٩/١٩٩٣ م ، وعرفت باتفاقية أوسلو ، نسبة إلى مدينة أسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية عام ١٩٩١ م ، فيما عرف بمؤتمر مدريد .

ويعزف جمال مرسي على أوتار الجرح الذي ألمَّ بمدينة رفح الصمود جراء حرب الفرقان ، فيقول :

عاشت رفح

عاشت ، وما زلنا نغوص ببحرٍ

أحلامٍ عميقٍ .

عاشت ، وما زلنا نشيدُ بسحرٍ

خارطة الطريقُ

يا للطريقُ ،

ضاعت ، وما زلنا ننددُ بالمذابح يا

رفح .

جنين تشهدُ ..

والعراقُ ..

وتكتوي دير البلح .

حتى استجارَ الشجبَ والتنديدُ ..

والصمتُ انشرح^(١)

حيث بدأ الشاعر بإسقاط أحاسيسه ومشاعره بالعجب والاستنكار ، مما هو حادث في زمن التحولات والتقلبات ، فنراه قد كرر الفعل الماضي (عاشت) ثلاث مرات ، ليؤكد على قدسية الكفاح والنضال متخذاً مدينة رفح مثلاً للمدينة الصامدة ويدخل في استدعاء ما يعرف (بخارطة الطريق) ، حيث الدهشة ممن لا يزالون يتشددون بها ويحلمون بتطبيقها ، ثم ها هو يعود لتكرار الفعل ، ولكن بطريقة ضدية حيث ذكر (ضاعت) ، فهو يتحدث عن البعد الزمني في نفس سياق النص ، ولكن شتان بين من يعيش في عزة وكبرياء ، وبين من يضيع وسط أحلام مالها من نهاية .

ثم ها هو يستحضر أبعاداً زمنية أخرى ، حيث مذبحه جنين^(٢) ، واحتلال العراق ، وأشجار النخيل التي اجتثت في أرض مدينة دير البلح ، أثناء حرب الفرقان .

فهذه الأحداث المتوالية تنبئ من الشجب والتنديد ، الذي أصبح روتيناً يومياً على ألسنة حكام هذا العصر ، حتى تعجب منهم الشجب والاستنكار .

فجاء بتوظيفه ليعكس شعوره بالتفتت العربي ، مع امتداد مساحات الآلام في قلبه ، حيث عكست تساؤلاته السوداوية ودلالات عباراته وتراكيبه الحسرة والبكاء وقد عكس ذلك بقوله:

ما عاد في مقدورنا غيرُ البكاء

غيرُ الصياح^(١)

(١) لأجلك غزة ، ص ١٠٤

(٢) وقعت في مخيم جنين، في الفترة بين ٢٩ / ٣ - ٤ / ٩ - ٢٠٠٢ ، حيث بلغ عدد الشهداء ١٠٠ شهيد ، وتهجير ٥٠٠٠ مواطن.

ثم يعود بالخطاب لرفح ، بأن اثبتي وتشجعي ، فإننا معك فيقرر التضامن معها:

فإليك يا رفح الحبيبة فاصلين من

الصياح

(عاشت رفح)

(سلّمت رفح) (٢)

ويتواصل الشاعر خسن سباق في قصيدته (أيها العربي أنت المستباح) ليكشف عن مكنون يهود ، في استباحة الحرمات والكرامات العربية ، دون رادع لهم :

أَوَلَيْسَتْ الْحَانَاتُ فِي خَانَ الْخَلِيلِيِّ وَكُرْنَا

فِيهَا الْيَهُودُ تَوَالِدُوا وَتَكَاثَرُوا

فِي حَارَةٍ كُنَّا زُنَاةَ جُنُودِهَا

وَبُنُوكَهَا

فِيهَا نُعِيدُ لِسَانَكُمْ خَزِيًّا يُلُوطُ حُلُوقَكُمْ

وَنُحِيلُ كُلَّ سِلَاحِكُمْ عَارًا يَزَانِي عَرْضَكُمْ

وَنُرِيكُمْ وَقْتَ اللُّزُومِ سِلَاحَنَا

يَا أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ أَنْتَ الْمُسْتَبَاحُ لَغِينَا

وَلَغِيٍّ مَنْ يَنْحُو لِمَحْوِكَ مَنْ قَرَأْنَا نَحُونَا

قَدْ أَنْ وَقْتَ الْإِنْتِقَامِ

قَدْ أَنْ قَتْلُكَ

وَالْتَطْلُعُ نَحْوَ نَفْيِكَ مِنْ هُنَا...

فَالَ غَزَّةُ الْفَيْحَاءِ أَوَّلُ غَزُونَا

لَا تَنْتَظِرْ إِنَّا سَنَأْتِي فَوْقَ صَهْوَةِ خَيْلِنَا

فِي أَيِّ رُبْعٍ مَا تَكُونُ فَرَبْعَنَا

وَلَقَدْ أَخَذْنَا ذَا الْفُرَاتِ وَسَوْفَ نَأْخُذُ نَيْلَنَا (٣)

فأشار الشاعر في نصه ، إلى تواجد اليهود وتمركزهم ، في خان الخليلي ، بالقاهرة ، حيث أباح الشاعر صراحة عن دلالات الأبيات ، من خلال العبارات الهمجية ، والتي يتعاش بها اليهود ، فهم يعترفون صراحة بأنهم (لقطاع) وأبناء زنا ، وبالتالي لا تاريخ لهم ، ولا وطن لهم ، بل يسعون لأخذ كل شيء بالقوة ، ونرى الشاعر يلح في تناصه الخفي إلى علاقات التطبيع بين مصر والمحتل

(١) لأجلك غزة ، ص ١٠٤ .

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ .

(٣) لأجلك غزة ، ص ١٤٢

حيث أشار الشاعر ، بأنه عند تراجع هذه العلاقات ، فلا مجال لدى اليهود ، إلا استخدام القوة ، فيقول: (ونريكم وقت اللزوم سلاحنا) .

ثم نراه يستوحي مشهداً زمنياً آخرًا ، وهو احتلال العراق^(١) ، والتي رمز لها (بذات الفرات) وصرّح الشاعر باعتراف اليهود ، بأنهم هو وراء كل احتلال ، لذا فإنهم يطمحون إلى حلمهم الأكبر ، بإنشاء ما يعرف بـ (إسرائيل الكبرى) والتي في أعلامهم بين خطين أزرقين، ألا وهما نهر النيل ونهر الفرات .

فجاء التوظيف متماشياً مع حال النص ، والذي يمتلأ بمعاني الحقد والانتقام ، والتطلع نحو غزو الشرق الأوسط ، مع تكرار الشاعر للمقطع (قد آن قتلك) ليدلل على شراهم لرؤية الدماء ، وفي التوظيف دق ناقوس الخطر لإشعار المتلقي بالخطر المحدق بالأمة العربية ، وها هي غزة خير شاهدة على طموحاتهم وغاياتهم .

وفي قصيدته (نداء صارخ) ، يعبر الميلودى الحمدي عن غضبه ، تجاه قيام المسلمين ، وكأن الأمر لا يعنيه ، فيقول:

يا مسلمون لمرفوض تقاعسكم لكم فما حصل المقصود و الطلبُ
بالأمس يا مسلمون الغرب مزقنا واليوم خدامه الأوباش قد نصبوا
ففي العراق فلول الظلم جائرة في أرضنا حربهم طالت وما انسحبوا
ديارنا دمّرت أطفالنا قتلوا ونحن في فرجة يحلوا لنا الطرب^(٢)
يأتي النداء المليء بغصاصة في الحلق ليدخل قلوب وآذان المسلمين ، معبراً عن شعور السخط من قبل الشاعر ، وكأنه يصب جام غضبه على السكوت العربي ، وبالتالي يستدعي ويذكر العرب باحتلال العراق^(٣) ، من قبل أسود الشر ، أمريكا وأعوانها ، ولم ينسحبوا منها كما يدعون ، بل ظلّوا جاثمين على صدور أهلها ، وكأنه يقول : الأيام دول .

فجاء هذا التوظيف ، لتحذير العرب والمسلمين ، بأن دائرة الشر الغربي تدور، وكل حسب دوره ، حيث نلاحظ من سياق القصيدة وإيحائها ، الإشارة الحمراء التي يبيثها الشاعر في عقول الحكام العرب .

وينتقل الشاعر بنا سنوات إلى الوراء ، ليظهر في مشهد درامي جُبِن هذا المحتل ، فيستدعي حادثة استشهاد الشيخ أحمد ياسمين^(٤) - رحمه الله - ولم يشر إلى اسمه صراحة ، بل أشار إلى لقبه ، وإلى

(١) انظر : احتلال العراق ، سلسلة كتب المستقبل العربي (٣٢) ، ط ١ (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤) ص ٧

(٢) لأجلك غزة ، ص ٧٨

(٣) قامت أمريكا وحلفاؤها باحتلال العراق ما بين الفترة ٣/٢٠ - ٢٠٠٣/٤/٩ ولا زالت محتلة حتى كتابة هذا البحث

(٤) هو الشيخ أحمد ياسين ، مؤسس حركة حماس ، استشهاد يوم الاثنين بتاريخ ٢٢/٣/٢٠٠٤م ، عن عمر يناهز ٦٥ سنة بعد مغادرته مسجد المجمع الإسلامي في حي الصبرة بغزة ، وأدائه لصلاة الفجر .

وإلى كبر سنه في إشارة منه إلى دقة عظامه وهشاشتها فجاء هذا التوظيف من خلال ارتداد الشاعر له ، لإظهار وحشية هؤلاء المجرمين ، تجاه هذا الشيخ الطاعن في السن ، وقسوة ما تواجهه غزة هي وأبنائها وشيوخها وبناتها ، بل حتى دور العبادة فيها ، فقال :

فكل بيت قد أمسى قبر صاحبه رباه حتى بيوت الله ما سلموا^(١)
فعمد الشاعر لاستخدام تقانة التضخيم والاستطراد لبيان الحقيقة ، التي يحاول أن يخفيها العدو ، بجرائمه البشعة والقذرة ، وفضحه أمام العالم ، وإبراز صورته على حقيقتها .
ونرى أسطر القصيدة شديدة السواد ، مشبعة بجو من الإحباط ، وجاءت الأفعال الماضية في (ضاع ضاعت) لتؤكد الحقيقة المرة ، بتيقن الشاعر من عدم عودة ما قد سلب ، مع تردي حال الشعوب العربية ، وضياح موافقها في بحر الشجب والاستنكار .

يقول الشاعر عصام ترشحاني ، في قصيدته (إيقاعات الحرب) :

ويقول فينا الماء

حين من المحيط إلى الخليج ..

تذوب صيحات الدماء ..

سنكون يا شعبي

ثلاثة أنبياء ..

بيروت .. قامات البطولة في الجنوب

بيروت (بنت جبيل) (عيتا الشعب) جسر القارعة

لهب .. يرصع أرضنا بالأوسمة^(٢)

يتماهى الشاعر مع حرب لبنان الأخيرة^(٣) ، حيث قام باستدعائها من خلال الإشارة للمدن التي خاضت قتالاً بطولياً ، مع الجيش الإسرائيلي (بنت جبيل ، عيتا الشعب) .

فيتقاطع مع غزة في صمودها الأسطوري ضد اليهود ، وبالتالي جاءت كلماته معبرة عما واجهه اليهود من صمود ، فانقلبت مدن لبنان وغزة إلى ألسنة اللهب تزين الأرض في كل مكان تواجد فيه الأعداء .

ويدعو الشاعر إلى الوحدة من خلال رسالته إلى المسلمين والمسيحيين العرب ، والوقوف في وجه الغطرسة الصهيونية ، ولعله يشير إلى توحيد لبنان بلد الطوائف والديانات المختلفة ، والذين وقفوا وقفة رجل واحد ، في مواجهة بني صهيون .

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٩

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٤٤

(٣) وتسمى بحرب تموز ، والتي بدأت في ١٢/٧/٢٠٠٦ ، بين قوات حزب الله اللبناني ، وقوات الجيش الإسرائيلي حيث استمرت ٣٤ يوماً ، ثم بدأت اتفاقية وقف إطلاق النار من كلا الجانبين ، من خلال قرار مجلس الأمن ١٧٠١ ، ونشر قوات اليونيفيل على الحدود بين البلدين .

وفي قصيدته (تعلم) ، يقول محمد عبد المطلب جاد:

هنا قلبُ غزّةِ درسُ الزمان
وسخرُ العظمتِ العجيبُ المعظم
توقفَ فيومِ انتخاباتهم
تعري به زيفُ ظلمٍ منظم
ومرّغَ أعناقهم في التراب
وما قدسوه إلى أن تصنم
فما قدسوه هنا أنكروه
وصار الحصار حلالاً وشرعاً
وما عاد قتلُ الجياع محرّم
نعلم فطوبى لمن يتعلم^(١)

يستذكر الشاعر ، حادثة فوز حركة حماس ، في الانتخابات التشريعية^(٢)، حيث انعكس هذا الفوز على سابقهم والذين صُدموا بهذا الفوز ، حيث وصفهم الشاعر بالزيف المظلم ، حينها أحكم الحصار على غزة ، رداً على نتائج الانتخابات ، والي اختارها الشعب .
فجاء هذا التوظيف متماشياً مع سياق القصيدة (تعلم) وكان يرددها في نهاية كل مقطع ، حاثاً المتلقي ومذكراً إياه ، بما يحدث ، وموازنة عقله أمام ذلك ، ليميز الغث من السمين .
وفي قصيدة (ويأتي الحسابُ إلى غزة الصابرة المنتظرة ..) يقول محمد لطفي :

لا تكثري اللوم.. ومُرّ العتاب فالיום يا "غزّة" فصلُ الخطاب
فشمسُ "تموز" ... وأنوارُها قد مزقتُ بالأمسِ أعتى حجاب
يا أمتي.. هذا ثرى "غزّة" يدعوك للساح.. فكوني الجواب
وجردي ما اسطعت من قوةٍ وأنقذي "الأقصى" .. وخُضرَ القباب^(٣)
يتماهى الشاعر في خطابه لغزة مع لبنان ، من خلال استدعائه لحرب لبنان ، حيث رمز إليها بشمس تموز ، نظراً لوقوعها في هذا الشهر ، حيث التقاطع بين غزة ولبنان ، من حيث الصمود والمقاومة حتى دحر الاحتلال ، وتحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، وسار باستخدام تقانة الخطية من خلال وضع (تموز - غزة) بين علامتي تنصيص للموازاة بينهما ، ثم حثه العرب على شحذ قواهم وتحرير (الأقصى) وطن الصراع العقيدى

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٦٧

(٢) حققت حماس يومها فوزاً ساحقاً في انتخاباتها التشريعية ، والتي تمت في ٢٥/١/٢٠٠٦ م.

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٩٣

فنجح التوظيف في التقليل من قيمة العدو الصهيوني ، وإظهار هشاشته ، حيث هُزم في لبنان وها هو ذا يذوق الهزيمة في غزة ، تلك التي وضعت النقاط على الحروف ، وجردت الشعوب العربية من شبح هذا العملاق الزائف ، التي ترتجف لمجرد ذكر اسمه .

ويستحضر الشاعر في قصيدته (نداء غزة الصارخ) ما حدث داخل غزة ، من الخلافات التي دارت بين أكبر تنظيمين في فلسطين ، حركتا حماس وفتح^(١)، حيث دعا إلى توحيد الصف ، فقال :
ففي فلسطين إخوان قد اختلفوا خلافاً يخدم الأعداء يا نخب فوحّدوا الصف إن الله ينصركم هبوا جميعاً إلى التحرير يا عرب^(٢)
ونراه في حديثه عن الخلافات التي قامت بأنها خدمة مجانية للعدو ، الذي يتبع سياسة (فرق تسد) ثم يدعو إلى الهبة العربية الصادقة لتحرير فلسطين ، بقلوب صافية متوحدة .

يقول الشاعر تميم البرغوثي ، في قصيدته (بيان عسكري وسنغلبهم) :

**سَنَغْلِبُ وَالَّذِي رَفَعَ الضحايا مِنَ الْأَنْقَاضِ رَأْساً لِلجَنَانِ
صَلَاةُ جَمَاعَةٍ فِي شِبْرِ أَرْضٍ وَطَائِرَةٌ تَحُومُ فِي الْمَكَانِ
تَنَادِي ذَلِكَ الْجَمْعُ الْمَصْلِي لَكَ الْوَيْلَاتُ مَا لَكَ لَا تَرَانِي
فَيُؤْمِنُ فِي تَجَاهُلِهَا فَتَرْمِي قَنَابِلَهَا فَتَغْرُقُ فِي الدُّخَانِ
وَتُقْلِعُ عَنْ تَشْهَدٍ مَنْ يُصَلِّي وَعَنْ شَرَفٍ جَدِيدٍ فِي الْأَذَانِ^(٣)**
في هذا المشهد الدرامي المؤثر ، ينقش الشاعر كلماته في قلب القارئ ، في جوٍّ مختلط بأحزان وأفراح ، حيث هذا المقطع يستحضر صلاة الجنازة على الشيخ الشهيد نزار ريان وعائلته^(٤) .

فقد مال الشاعر لاستخدام تقانة التوسيع والاستطراد ، لرسم هذا المشهد المهيّب ، حيث قطعت طائرات الاحتلال العسكرية ذلك الصمت الذي يحيط بالمكان ، أثناء التشهد الأخير من صلاة الجمعة ، وأثارت عاصفة من أصواتها الخارقة ، ولكن هذا الأصوات لم تثر شيئاً تجاه المصلين الخاشعين لأنهم يؤمنون أن كل شيء بقدر . حينها رجعت الطائرات خائبة ، من حيث أنت فأحدث هذا التوظيف بعداً دلاليّاً لهذا المشهد ، للتأكيد على صلابة قلوب الفلسطينيين ، الذين أبوا إلا أن يشاركوا في صلاة الجنازة على الشيخ وعائلته ، رغم الخطر الذي كان يحيط بكل شارع وبكل بيت في غزة ، وهي تتعرض لأقسى أنواع القصف والتدمير .

وفي خطابه لأهل غزة ، يقول جهاد الأحمدية ، بعنوان (غزة في القلب) :

عينٌ على غزة

(١) في إشارة إلى سيطرة حماس على قطاع غزة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١٤ .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٧٨ .

(٣) لأجلك غزة ، ص ٩٨ .

(٤) استشهد الدكتور نزار ريان هو وثلاث عشرة من عائلته ، خلال غارة إسرائيلية على مخيم جباليا بقطاع غزة ، في

يوم الخميس ٢٠٠٩/١/١م

وعين أبرقت
حزناً على امرأة
تلملم ما تناثر
من تفاصيل ابنها
المنشول من بحر الركام .
عين على طفل يفتش
بين أشلاء الضحايا
عن بقايا ثدي أم ..
عين على أم تنادي
سبعة الأطفال
كي يتجمعوا
حول لهفتها
ولكن ... لا أحد
هي لا تصدق أنهم
ماتوا جميعاً
تحت أنقاض البلد^(١)

عيون جمة ، حارت أي المشاهد تصف ، لسان عجز عن الكلام ، عقل توقف عن التفكير ، فجاء القلب واعتصر كل هذه المشاهد بين جوانبه ، هي نفس الشاعر مرسلةً هذه العبارات ، وكأنها سهام تخترق قلب الملتقى ، لتفيقه من غفلته ، فلقد انسب عنوان القصيدة مع النص انسياً طبيعياً ، حيث تفجرت دلالات النص وتشظت ، لترسل آهات وأوجاع الأهل ، واصفة تلك المشاهد التي يندى لها جبين كل عربي ، حيث ينتقل بين مشهد وآخر من مشاهد حرب الفرقان ، والتي أبيدت في إثرها أسر بأكملها ، أمثال عائلة ريان ، والسموني ، وغيرهم فجاء هذا الاستحضار لهذه الحرب ، ليضع نقاط التفكير والرجوع من قبل بني يعرب وحكامهم ، ويسلط الضوء على جريمة سكوتهم الشنيع تجاه ما حدث .

وفي قصيدة (غزة .. الكرامة والعزة) يصف حسن التميمي ، المشهد المأساوي ، لضحايا الحرب ، وكأنك تشاهد نشرة الأخبار ، والتقارير يصف لك حالة هؤلاء الناس ، فيقول:

جثث مفحمة هنا
جثث مقطعة هناك،،
جرحي بلا أيدٍ هنا
جرحي مشوهةً هناك،،

(١) لأجلك غزة ، ص ١١٣ .

أمّ تضمّ صغارها القتلى هنا
وأبّ يفتش في ركام البيت
عن أبنائه فلعلّ بعضهم
على قيد الحياة فهاله
أن الجميع بلا حراك،،
طفل قضى بقذيفة حمقى هنا
ورضيعة لم تنج من قصف
ومن نسف جنوني هناك،،
يكفيك غزّة هاشم فخراً بأن
العالم الغربيّ هبّ لنصرتك
وبأنّ أمة يعرب ضخت دماها
في عروقتك وانتشت ببطولتك
وكفاك عزاً أن جيش الاحتلال
انهار سيدتي أمام بسالتك^(١)

تتفاعل نفس الشاعر مع أحداث الحرب على غزة ، حيث بدا وكأنه صحفي يتابع الأحداث ، ويوثقها أولاً بأول مستعرضاً شدة المواقف التي مر بها ، حيث كرر لفظة (جثث ، جرحى) للبرهنة على كثرتهم ، مع وصفه المتواصل لحال الجثث والجرحى ، لإثارة أحاسيس المتلقي ، وغرس المشاهد في خياله ، ثم انتقل بنا إلى حال النفوس القلقة والمتوترة ، من الآباء والأمهات ، وهم يبحثون عن ناجين من القصف الوحشي ، ثم استعراض الضحايا من الأطفال والرضع ، حيث يمثل هذا المقطع حكاية وسرداً ، ومفارقات عجيبة ، لايتخيلها عقل بهدف إدانة هذه الحرب القذرة .

ونراه كرر لفظة (هنا ، هناك) حيث كان ينوع بين اللفظتين ، وذلك لمبالغته في وصف الأحداث والأماكن المنكوبة ، وكان يسكن نهاية الكلمات (هنا - هناك - حراك - قصف) ليوحي لك بهذا المشهد الدموي ، حيث يحتاج وقفة لبرهة من الزمن في ذهن القارئ ، وكأن الزمن توقف عند رؤية هذه المشاهد التي تقشعر لها الأبدان .

ثم يستدعي حادثة وقوف العالم الغربي وتضامنه مع الشعب الفلسطيني ، وكأنه يرمز إلى قوافل شريان الحياة ، والتي انبعثت من البر والبحر ، لكسر الحصار ، والوقوف بجانب غزة بقيادة جورج غالوي^(٢).

(١) لأجلك غزة ، ص ١٣٦

(٢) جورج غالوي ، سياسي بريطاني ، معروف بمواقفه المؤيدة للقضية الفلسطينية ، حيث قاد مشروع قافلة (شريان الحياة) ، كما قاد من قبل (قافلة مريم) لرفع الحصار عن العراق عام ٢٠٠٢م

ومن ثم استدعائه للمسيرات التي جابت أركان الشوارع العربية تضامناً مع غزة ، وفي النهاية استحضاره لتقهقر العدو ، وعدم تحقيق أهدافه من خلال الحرب التي خاضها .

وبالتالي جاءت هذه التوظيفات ، لتظهر أنه رغم يؤس الشعب الفلسطيني ، إلا أنه صمد في وجه رياح اللهب ، التي أرسلها الجيش الصهيوني عليهم ، ولم ينل من عزمته بفعل جرائمه البشعة .

يقول صبري أحمد الصبري ، في قصيدته (رسالة إلى بان كي مون " الأمين العام للأمم المتحدة ") :

لـ (بان كي مون) لم يشهد (جنينا) و(دير ياسين) والأسرى بـ (سينا)
ولم يشهد كذلك يوم (قانا) ومن بقروا بساحتها البطونا
ومن قتلوا الضحايا دون ذنب ومن قتلوا بمقعده (يسينا)
إذا ما كنت لم تشهد رزايا فسل يا (بان) تاريخاً حزيناً
وسل (أوثانت) عن ماضي البلايا وسل (خافير) أو (سلمي) و (لينا)
وسل في غزة الآلام شيبا وأطفالاً نساءً أو جنيناً
وسل جرحى (بفسفور) شنيع وقد فقدوا بحرقة العيون
وحتى من لجا عند (الأنوروا) بغزة يرتجي سكوناً أميناً
تلقى من لظى النيران قصفاً وكان مؤملاً فيها المعيناً
وب(الفاخورة) الأهوال شبت وقتلت الذي قصد (الأميناً)!!^(١)

عكست كثافة الدلالات في المتناصات ، الذكريات المتتابعة والتي انفلتت دفعة واحدة من ذاكرة الشاعر ، لتتناسب مع الدفعات الشعورية الرافضة لكل أنواع الظلم والاضطهاد ، والتي تمارس ضد العرب والمسلمين .

فها هي رسالته ل(بان كي مون) تستدعي مجازر ومذابح حدثت والتاريخ شاهد على ذلك ، فمن مذبة جنين إلى مذبة دير ياسين ، ثم ارتداده لحرب ١٩٦٧ مع هزيمة الجيش المصري ، ووقوع بعضهم أسرى في أيدي اليهود ، والذين بدورهم استقبلوهم بأسلحتهم الرشاشة ، وأوقعوا منهم مئات الشهداء^(٢)

ثم تتزاحم المتناصات المليئة بحقد اليهود والأسود ، فنراه يستدعي مذبة قانا في لبنان ، ثم حادثة اغتيال الشيخ أحمد ياسين في غزة .

ونراه في هذه الرسالة ، يدعو بان كي مون ، لسؤال من قبله عن وحشية اليهود ، فذكر أوثانت^(٣) و(خافير)^(٤) ، ثم انتقل إلى أطفال المخيمات الفلسطينية ، ليسألهم (كي مون) عن جرائم اليهود ،

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٥٥

(٢) انظر : مصر من الثورة إلى النكسة ، ممدوح فتحي ، ط١ (مركز الإمارات للدراسات ، الإمارات ، ٢٠٠٣)

ص ٣٠٧

(٣) يوثانت ، الأمين العام الثالث للأمم المتحدة من ١٩٦١ - ١٩٧١ م

(٤) خافير بيرز دي كويلار ، الأمين العام الخامس ، ١٩٨٢-١٩٨٦ م

ومنهم سلمى ولينا ، لأنهم خير شهود على قساوة المحتل . وكرر الشاعر (سل) مرات عدة ، للإلحاح بطلبه (لبن كي مون) بالسؤال والتتقل بين أوجاع الماضي ، وآلام المستقبل المظلم لهؤلاء الأطفال .
ثم يسترجع مشهداً درامياً ، إبان حرب غزة ، وهو إلقاء الفسفور على غزة ، وإليك أيها الأمين رسالة رأيته بأمر عينيك ، إن أنكرت ما حدث قبلك ، مذبحه الفاخورة^(١) ، فلقد حدثت في عهدك ، حيث التجأ مئات الأشخاص بمؤسساتكم ، ولم يكن لهم إلا الموت مستقبلاً ، فنتجلى في التوظيفات فاعليه التأثير ، وتوظيف دلالات المكان من خلال التعددية ، عند ذكر المذابح وأماكنهم .
فاستطاع الشاعر بخياله وفكره ، توظيف أقصى طاقات التناص ، لإثارة القارئ واستتطاق حسه الوطني عله يدرك الحقيقة المغيبة عن عيون كثير من الناس ، بأن هذه المؤسسات وغيرها ، سوى جدار وحماية للجرائم المرتكبة .

ويقول عبد الرحمن العشماوي ، في قصيدته (نصرٌ بين حصارين) :

هذا حصارُ الشعبِ كان تألقاً وحصارُ غزّةِ صورةٍ لم تبعد
ظلمٌ لمن قالوا نريدُ حكومةً فيها بأحكامِ الشريعةِ نهتدي
ظلمٌ لأطفالٍ صغارٍ أصبحوا يتشوقونَ لشمعةٍ لم توقد
ظلمٌ لشيخٍ مرَّ شهرٌ كاملٌ لم يلقَ كرسيّاً ولم يتوسّد
ظلمٌ وصمتُ المسلمين حكايةً سوداءُ تخبرنا بسوءِ المشهد
يا غزّةُ الأبطالِ صبركِ إنني لأرى انبلاجَ الفجرِ أقربَ موعد^(٢)

ركز الشاعر في قصيدته على المماهة بين حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في شعب أبي طالب ، وحصار غزة الظالم ، فالحصارين سيان ، من حيث وحدة المبدأ والهدف ، حيث يشير الشاعر من خلال استدعائه للحصارين إلى الهجوم على الدين ، فالدين هو الذي يحاصر كي لا يخرج إلى الأرجاء ، ويرمز الشاعر بهذا إلى رفض أناس لاعتلاء حركة حماس سدة الحكم .
ونراه يتوجع ويتأوه على ما حل بالشعب جراء الحصار ، حيث ردد لفظة (ظلم) خمس مرات ، منتقلاً بين آلام الأطفال ، وعذابات الشيوخ ، ووجع المرضى ، في مشهد سوداوي قهري يعكس غضبة الشاعر ، والتي حاول أن ينقلها للمتلقي عله يتوحد والشاعر لنصرة هؤلاء الأهل بأي شكل كان ، ونراه في ندائه لغزة ، يصبرها ويهون عليها بلاءها ، فحتماً طريق النور آخذة في المسير .
فجاء التوظيف ، لتعزيز وتأكيذ الوجهة التي تسير بها سفينة الإسلام في غزة ، وبأن ما يحدث ما هو إلا غمامة وستزول كما زالت عن رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من قبل .

أما عبد الرحمن الأقرع ، فقد حشد المتناصات التاريخية ، والدينية والشخصيات ، لتكثيف دلالات خطابه ، لشعوره بعظم المصائب ، محاولاً رسم الصورة كاملة للمشهد المأساوي لأهل غزة ، تاركاً

(١) هي مدرسة الفاخورة التابعة لمنظمة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، في مخيم جباليا بقطاع غزة ، ارتكبت فيها مذبحه بتاريخ ٢٠٠٩/١/٦ راح ضحيتها ٤٣ شهيداً ، من الذين كانوا يلتجئون بها .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٩٤

لها الله فهو المعين من خلال تخلي الجمع العربي والمسلم عنها ، يقول في قصيدته والمؤلفة من أربعة عشر مقطعاً (لك الله يا غزة الشهداء):

لك الله يا غزة الشهداء

لك الله يا شعبنا الممتحن

لنا الله إذ خذلتنا الجموع

نهار حزين

تماماً كأي نهار يطل

فللشمس في جوتنا

لونها المدلهم:

سواد يجلل أقدارنا

فستون عاماً من الليل

لم نلحظ الشمس فيها

يساقط غيم من الموت

قتلاً على شعبنا

لينبت من أرضنا القهر

يغشى الدروب

أشبعونا ملاماً

ومع كل كيس طحين

وبعض دواء

يمدون

نلمس بين الطحين

اتهاماً لنا^(١)

جاءت الزفرات والتنهدات الحارة ، والتي تغلي في صدر الشاعر ، مرسلة إشارات مؤداها تشرذم الأمة العربية ، حيث تركت غزة وحدها في الملعب ، ولكن إذا كان الله معك فمن عليك ، أطلقه الشاعر ليؤكد لغزة بأن الله حاميتها ، وكفاها ذلك ، ويدور حبل الذكريات في خلده إذ استدعى ذكرى نكبة فلسطين ، والتي وصفها بليال قاتمة ، لم تشرق فيها شمس النور في حر الصيف ، ولم يسقط عليها الغيم ماء العذب في برد الشتاء ، بل أسقط وابل الرصاص والموت ، وألمح إلى أن لائحة الاتهام دوماً لصالح غزة ، حتى الذين يمدون الشعب بالمساعدات ، في إشارة منه إلى (الأونروا) .

فغزة هي الجاني ، والذي يستحق التنكيل والضرب حتى الموت ، ويتماهاى مع احتلال العراق ، مهوناً من أسى غزة ، إذ استذكر حرب العراق ، فقال:

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٩٧ ، ص ٢٩٩

نهار حزينٌ لعيني غزة

تبكي لها

منذ أذن بالقصف

جيش العلوج^(١)

فلا تحزني غزة ، فأنت والعراق في الهم واحد ، ولا من نائح وبالكٍ عليكِ ، سوى مآذن القدس
والحرم الإبراهيمي ، ونابلس ، وجنين ، مشيراً إلى أن الجرح لا يشعر به سوى صاحبه ، وبالتالي
فكل المدن في فلسطين ، لها نفس الوجد والمصاب ، فيقول:

وفي القدس ناحت مآذننا

وشقت ثياباً جنيين

ونابلسُ صاحت

ووجه الخليل تقنّع بالصمت^(٢)

ويواصل في قصيدته ، لإبراز حقيقة التخاذل ، ليس العربي فقط ، بل والغربي ، تجاه القضية
المضيعة ، فيقول :

قرارٌ هزيلٌ

يساوي بين القتل وقتله

اليومُ يصدُرُ

عن مجلس الأمن

ذاك الذي نشرَ الفلتان

وأسس للبغي

في شرقنا المتوسط

ومع كل هذا الهراء أقولُ

لمجلسهم : ألفُ شكرٍ

فقد أتقن الالتئام

بدون شجار

وقرروا أمراً

فهل ستسيرُ على خطوه

القمة العربية؟^(٣)

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٩٨ ، ص ٢٩٩

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٩٩

(٣) لأجلك غزة ، ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩

استنكار واستهجان تجاه مجلس الأمن ، من خلال مساواته بين الجاني والمجني عليه ، فيأتي الشاعر ، باستحضار قرار مجلس الأمن بعد الحرب الأخيرة على غزة ، والذي ساوى بين الهمجية ووحشية اليهود ، والمقاومة الشريفة الباسلة ، من خلال إدانته الطرفين وتحميلهما المسؤولية .

فجاءت العبارات غضبية ناقمة ، على المجلس الذي كان له الدور الرئيسي ، في زعزعة الشرق الأوسط ، وعدم نشر الاستقرار فيه ، ثم تأتي النفس المتشائمة للشاعر ، وطرحه سؤالاً يعرف إجابته جيداً ، هل سيكون حال القمة العربية ، بأفضل من حال مجلس الأمن ؟

فجاء التوظيف بسلبيته ، من خلال دلالات النص وجاءت لفظة (ألف شكر) لتعبر عن المحاكاة المحشوة بسخرية مريرة ، تجاه بني يعرب وزيف مجلس الأمن ، المتآمر على القضية الفلسطينية . ويحاول عبد الله السلامة ، إيقاظ حرقه المشاعر ، في نفس المتلقي ، ومد يد العون لغزة ، في قصيدته : (غزة ، وقريظة .. والجار الأشم !) :

ضحايا الجور والكرب الملمّ سحائبُ غمكم أمطار همي
فذا ، إن لم يكن خالي .. فخالي وذا ، إن لم يكن عمي .. فعمي
وذي ، إن لم تكن أختي .. فأختي وذي ، إن لم تكن أُمي .. فأُمي
قريظة قد عرفناها ، فماذا عن الجيران ، في البلد الأشم؟!
أيفني الجوع شعباً ، في مزادٍ لتجار الشعار...؟! ولا أسمى!
وأَيّ جريـرة ، أو أيّ ثـارٍ على الطِفـل المدمى .. للمدمى!
وأَيّ سـخيمـة في صدرٍ وغدٍ تطير من الأخصّ ، إلى الأعم؟! (١)

فقد جمع بين ثلاثة أماكن ، فصرحَ بغزة مباشرة ، ورمز لليهود بقريظة ، استبشاراً من الشاعر ، بأنهم مندثرون ، كما حدث مع بني قريظة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قُضي عليهم ، ثم التلميح لدولة مصر ووصفها بالجار الأشم ، حيث جاءت هذه البلدان الثلاثة في عنوان القصيدة متماسة مع النص ، لكشف الظلام المخيم على غزة .

فجاءت القصيدة لإشعال نار العتاب تجاه مصر الشقيقة ، فهي التي تغلق معبر رفح ، المتنفس الوحيد لغزة ، وتمنع دخول قوافل المساعدة إليها ، لذا فهي مشاركة في الحصار المفروض من قبل اليهود ، واستخدام الشاعر تقانة الترصيع ، حيث رصع نهاية عجز الأبيات بعلامات التعجب والسؤال ، في محاولة منه للوقوف ملياً أمام عباراته والتفكير بها ، أملاً في الوصول لبناء أفكار وحلول ، تسعف غزة وتنشلها من براثن الاحتلال .

فجاء تتابعه خفياً قائماً على الامتصاص والتفاعل النصي ، لشعوره بعظم المصاب ، فاليهود وكلنا يعرفهم ، فما بال مصر ؟ حيث كرر أسماء الاستهزام ، مراتٍ ثلاث ، لإيقاظ الضمير الغافي وسط زحمة الناس .

يقول محمد الرنتيسي : في قصيدته (نكفور وقذائف الفسفور) :

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٢٧

فجنودُ العزة في غزة
قد رسموا لوحات تحدي
في جبل الكاشف وخزاعة
بشواظ النار النزاعة
طيران الغاشم متجة
نحو المدرسة ليقصفها
يضرب صاروخاً والثاني
يقتل عائلة بثواني
يخلط أشلاءً ودموعاً
يستغرب عزاً وشموخاً
لا يلقي ذلاً وخضوعاً
بل يقتل عائلة بثواني
يخلط أشلاءً ودموعاً
لا يلقي ذلاً وخضوعاً
بل يلقي عزاً وصموداً
صاروخ يقصف "أسدوداً"
يتوعد ندلاً وجحوداً
ليذوق من الثأر ردوداً^(١)

يأتي الشاعر ليعزف سيمفونية الحرب الوحشية ، ويصورها في مشهد درامي مؤثر ، فكثف دلالاته من خلال وصفه لهذا المشهد ، والذي يبدو بثاً حياً ومباشراً ، فالشاعر عايش هذه الأحداث ، لذا تبدو الكلمات والألفاظ أكثر فاعلية ، فحشد الاستدعاءات والأحداث ، ليبلغ النص أوجه وتتجلى فاعليته ، فاستدعى لوحة من لوحات المقاومة من خلال منطقتي (جبل الكاشف ، خزاعة) واللذان سطرنا أروع الملاحم وجها لوجه مع العدو ، وشهدتا محاولات خطف للجنود .
فجاء المشهد ليبارك لهذه الأيدي ، المتوضئة فعلتهم ، ثم ينتقل إلى مشهد دموي ، من فعل طائرات العدو ، مجزرة الفاخورة واستشهاد أبناء ذيب ^(٢) ، حيث سقط إحدى الصواريخ في منزلهم .
ليصف لنا هذه الهجمة المسعورة ، والبربرية الصهيونية ، واستقوائهم على الناس العزل .
وكرر الشاعر (يخلط أشلاءً ودموعاً) ليوحي بعظم المشهد ، حيث اختلطت أشلاء الشهداء ، بدموع الشهود . ولكن في النهاية ، جاء التركيب (لا يلقي ذلاً وخضوعاً) في إشارة منه ، إلى عدم قدرة

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٠٩

(٢) حيث استشهد ١١ فرداً من ذات العائلة ، بمخيم جباليا ، جراء سقوط صاروخ وسط منزلهم، أثناء الحرب علي غزة

طائرات العدو إسكات صواريخ المقاومة ، والتي كانت كما الألعاب النارية ، موجهة للمدن المحتلة ومنها (أسدود)^(١) .

ويقول هلال الفارع ، في قصيدته ، (سيدون التاريخ ما يأتي) :

في ذات صبح ،

لم يفتق أطفال غزة

-مثل عادتهم -

عل وقع الندى والضوء فوق

صفيحهم

لم ينهضوا حين استوى شهق

الحليب

على فم الأتداء

ظلوا عارقين بفائض الصمت

ناموا كثيراً

لم يفيقوا

ناموا أخيراً

بينما تمتد في أحلامهم

خلف الصفيحة " بقعة الزيت " !

ويصيح في أعراقهم ،

رهق الفجيرة

واستطالة هجمة الموت

سيدون التاريخ :

أن الجمعة الخرساء ،

قد سقطت من التاريخ سهواً ،

كي تدون صفحة " السبت " !!^(٢)

يبدو الشاعر ، وكأنه يتقمص شخصية المؤرخ المتابع للأحداث ، لترسيخها في أذهان الناس ، فهي ليست بأحداث عادية مر بها سكان قطاع غزة ، فلقد شهدت المدينة بساكنيها أعتى أنواع الظلم والإجرام المرتكبة بحق أناس عزل ، وجاء الشاعر بقصيدته ، وكأنه يحيك سرداً درامياً ، من خلال عنوان قصيدته ، حيث ركز على الحالة المزرية التي انتابت أطفال غزة ، جراء تلك الحرب ، فلقد

(١) مدينة ساحلية فلسطينية تقع على البحر الأبيض المتوسط شمال مدينة المجدل بناها الكنعانيون ٣٠٠٠ ق.م ، تأسست

مكانها مدينة يهودية اسمها (أسدود) بعد احتلالها من قبل اليهود ، عام ١٩٤٨م

(٢) لأجلك غزة ، ص ٥٧٥ ، ص ٥٧٦

ركزاً على حالاتهم النفسية القلقة في جو مشحون بآهات وآلام ودخان ، يندى له جبين القارئ العربي ، وتقشع له الأبدان ، فلم تسكتهم أنداء أمهات ، ولا هزهم في السرير ، بل رافقتهم الصرخات الهستيرية ، والكوابيس الممزوجة بأزيز الرصاص وهدير الطائرات .

ثم يأتي لاستنكار هذا السبت الأسود أول أيام الحرب على غزة ، مشيراً إلى أنه مع خصوصية يوم الجمعة وشهرته ، بالنسبة للمسلمين ، فإن السبت أصبح أهم وأرسخ لأنه لن يُمحى من ذاكرة المسلمين والعرب ، بسبب فجاعة هذا اليوم بالنسبة لغزة ، مع الانتباه إلى الثنائية الضدية ودلالاتها بين الجمعة رمزاً للمسلمين والسبت رمزاً لليهود .

فجاء التوظيف حاثاً على تذكر هذه الأيام الصعبة ، مستشعراً معاني الأخوة والتعاون بين المسلمين ، لأن الأيام دول ، وهذه الدائرة لا بداية لها ولا نهاية ، مؤكداً على حفظ التاريخ جيداً ، كي لا ينسى العرب ، ما حدث وما سيحدث لهم ، من هذا العدو الغاشم .

وفي قصيدته (يا ضمير الأحرار) ، يقول صالح الزهراني:

يا ضمير الأحرار .. أين الضمير

وبلادي مجازر وقبور

كيف يخفى يا مجلس الأمن جرحي

يا ضمير الأحرار .. دهرك ظلم

ودهور الظلام يوم قصير

كل يوم تمد كف حنون

بالعطايا ، وأنت كلب عقور

في ربوع الصومال فرقت أهلي

فأفاقوا .. ومجدهم زمهرير^(١)

حشد الزهراني مجموعة من العبارات بما فيها من ألفاظ ذات دلالة متمردة (مجازر - قبور - ظلم - كلب) ليؤكد أن الكلمات التي تتشوق بها دول العالم في مجلس الأمن ، ما هي إلا أكاذيب واهية ، وخداع وظلم للدول النامية ، حيث استدعى تاريخ الصومال المليء بالحروب والصراعات ، منذ القرن التاسع عشر ، والتي يخطط لها الاستعمار ، حتى هب المارد الإسلامي من يقظته بتاريخ ٢٠٠٩/١/٣١م، حيث استطاع الإسلاميون الوصول إلى السلطة ، بقيادة شيخ شريف أحمد^(٢) .

فجاء بهذه الألفاظ ليكشف حقيقة هذا المجلس الذي يتلاعب بالدول النامية ، ويعبر عن محاكاة الشاعر الساخرة منه ، حيث يسميه (بضمير الأحرار) .

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٤٣

(٢) انظر : عارف علي العمري ، من حكم العسكر الدكتاتوري إلى قبضة الإسلاميين الحديدية ، مجلة الحوار المتمدن

عدد : ٢٥٤٨ ، بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٥ www.alhewar.org/debat/sg.w.art

ثانياً: - الشخصيات التاريخية :

تأتي الشخصيات التاريخية في استدعائها لإعادة قراءة التاريخ ، وتوظيفها في صورة هادفة ، حيث إن الشخصيات مليئة بأبعاد ورموز شتى ، يأتي بها الشعراء في محاولة منهم لبعثرة أوراق الماضي والتفتيش بين جنباته ، كاشفين عن أزمان وبطولات مضت ، وبالتالي إنارة هذه الشخصيات في جو مشبع بعبق المجد والبطولة ، أو العكس حيث يغير الشاعر في دلالاتها ، رامياً إلى تصوير الواقع المرير ، وبالتالي يعكس سلبية الشخصيات على الزمن الحاضر ، ليظهر صور الشر والخذلان المنتشرة في أرجاء العالم العربي والغربي .

" ويدلل على هذا إمكان استدعاء مبدع واحد لشخصية تراثية معينة ، في سياقات مختلفة ، للدلالة على معان متعددة " (١)

وهذا ما سينجلي عند تحليلنا للنصوص الشعرية في الديوان ، حيث سنبحر في ثناياها ، متلمسين أبعادها وجوانبها لإيضاح ما بها .

وبالتالي هذه الشخصيات لا تنتهي بمجرد انتهائها الطبيعي ، بل تظل حاملة دلالات باقية . والتي يستثمرها الشاعر في النص ، بحيث تبقى لها دلالاتها التراثية ، وقد يتدخل الشاعر لتوظيفها بحيث تصبح لها دلالات جديدة معاصرة ، حيث تلعب هذه الشخصيات دوراً أساسياً في القصيدة ، لأن حضورها يستدعي مجالات فكرية ونفسية داعمة لدلالات النص .

يقول الشاعر ، إبراهيم نصر الله في قصيدته (تحت زيتونة تشتهي أن تعيش) :

إلى آخر الأرض خُذني

يهمسُ غصنُ لرفّ طيورٍ غريب

خُذني، يقولُ السَّحابُ لريحٍ، فلا شيءَ في هذه الصَّحراء

خُذني، يقولُ الجنونُ لأغنيةٍ عابرة

خُذني، فلا شيءَ في مدنِ الصمتِ إلا الحقيقة والعقلاء

خُذوني إلى الضوء، يهتفُ نايٌّ لشـعـبٍ من العجرِ العابرين

خُذني إلى الشرق، يهتفُ حلمٌ لقبرةٍ لا تحبُّ الضباب

خُذني إلى ما تبقى هنالك من أبيض،

للنَّوارسِ يهتفُ هذا الغراب

إلى شِعْرِ طاغورٍ خُذني، تهمسُ عصفورةٌ، فجأةً، للصباح

إلى المتنبي تقولُ الخيولُ التي علقتْ في سهولِ الجراح

خُذني إلى السَّقْح، يهمسُ بابٌ لنافاذة

منذ عامين تؤلمني العتبات!

(١) انظر : أحمد مجاهد ، أشكال التناص ، ص ١٩١ .

خُذْنِي إِلَى زُرْقَةٍ لَيْسَ فِيهَا انْحِنَاءٌ، يَقُولُ لِقَافِلَةٍ تَعْبُرُ الدَّرَبَ مِنْهَكَةً فِي الظَّلَامِ، النَّخِيلِ
أَعْدَنِي لِبَيْتِي، يَهْمَسُ لِلْمَوْتِ، طِفْلٌ قَتِيلٌ^(١)

جاءت مجمل الرغبات متمثلة في الفعل (خذني) أو (خذيني) المتكرر ، يؤكد حرص أصحاب
الرغبات على الفرار إلى آخر الأرض ، معبرة عن النفور والرغبة إلى الفرار للحياة الحقيقية ولو
كانت آخر الأرض .

وجاء هذا الاستنتاج للنص ليتجه بنا نحو ملامسة رؤية الشاعر في مطلع النص ، لإدانة ما هو قائم
في هذا العالم ، من اندحار القيم الموجبة ورحيلها .

"ونرى ارتباط العنوان بالقصيدة ، إذ أتى خبراً لمبتدأ محذوف ؛ لنتساءل ما تقدير المحذوف .. هل هو
أشياء، أم أشخاص أم أحداث تجري، أم أنه زمن يتوالى بأحداثه (تاريخ) ، أم أنه الموت الذي يفرض
وجوده بقوة اشتهاه العيش؟ ثم لماذا هي زيتونة ولم تكن نوعاً آخر من الأشجار؟ هل هو اختيار دقيق
مقصود يشير إلى شجرة معمرة، مقاومة لعوامل التصحر والجفاف، أو بمعنى آخر: عوامل إفنائها"^(٢)
فالعنوان أثار الكثير من التساؤلات في بال القاريء ، ليحفزه علي الغوص بعمق للوصول الى الحقيقة
المرجوة .

وجاءت الحقيقة في نهاية الأبيات ، في قوله :

هنا تحت زيتونة تشتهي أن تعيش طويلاً كأغنية^(٣)

فالعنوان يتوازى ويتقاطع مع سياق القصيدة ، ليلتفت بنا لواقعه النفسي الذي يحياه في ظل زمن القتل
والظلم ، مشيراً في قوله :

وهنا في ظلال الكلمات على كتف ناعم كالهواء قتيل^(٤)

حيث الإشارة إلى الموت المنتشر في أرجاء العالم وصانعيه ، وفي مقابله الآخر إلى الإنسان المنتمي
للمكان (تحت زيتونة) ثم يشير الشاعر لوضع العالم المقلوب ، وإدائته لما يحدث ، من خلال قوله :

خُذْنِي إِلَى زُرْقَةٍ لَيْسَ فِيهَا انْحِنَاءٌ ، يَقُولُ لِقَافِلَةٍ

تَعْبُرُ الدَّرَبَ مِنْهَكَةً فِي الظَّلَامِ ، النَّخِيلِ^(٥)

فهذا العالم غير مهياً لاحتقان شموخ النخيل ، وجاءت العصفير هاربة من هذا العالم إلى شعر طاغور
، وخبول المتبني ، فجاءت هذه الاستدعاءات للشخصيات السابقة ، لتعطي مدلولات كثيرة منها دلالة
الخيول ، عائدة لنا إلى الانتصارات الماضية ، وتحن بدورها إلى المتبني كشخصية رامزة إلى
فروسية الشعر وفروسية العرب في الآن ذاته ، وقد أضحى الوقت غير مناسب لاحتضان هذه القيم ،

(١) لأجلك غزة ، ص ١٩

(٢) عبد الجواد خفاجي ، من العتبة إلى مضمرات النص (مقارنة سيميائية لقصيدة : زيتونة تشتهي أن تعيش)

/watan.com/10/opinion/85-2009-12-19

(٣) لأجلك غزة ، ص ٣١

(٤) لأجلك غزة ، ص ٣١

(٥) لأجلك غزة ، ص ٢٠

حيث علقت القيم في سهول الجراح ، ولها دلالتها المشيرة إلى ضعف هذه الخيول التي لم تعلق في الجبال أو الوعر ، بل علقت في سهول متسعة ، وهذا رمز المتنبي من حضارة الشرق القديم ، أشار بقلبه دوناً عن اسمه ، لشهرة اللقب (١).

ويأتي طاغور (٢) رمزاً آخرًا من رموز حضارة الشرق الحديثة ، مشيراً باسمه، والداعي إلى السلام والحرية إلى الارتباط بالفقراء ، حينما كانت بلاده محتلة من الإنجليز . فجاءت التوظيفات لهاتين الشخصيتين ، تمجيداً للبطولات والفروسية في وقت عانت منه الحضارة العربية ويلات الروم ، وعانت منه الحضارة الهندية ويلات الإنجليز ، في مقابل حضارة غربية لا زالت تتحكم في مصير الأرض ، بضميرها الميت .³

ودعوة من الشاعر ، إلى نبذ الظلم الواقع ، كما نبذه المتنبي وطاغور ، كما وفيه الانطلاق من هذا الفخ المحكم والمنصوب للدول النامية ، والتشوق واللهفة إلى قيم الحضارة الشرقية المفقّدة لدى العرب ، فالقصيدة لم تكن مختصة بالواقع الفلسطيني لوحده ، بل متجهة نحو الأمة العربية وحضارتها وتاريخها وأمجادها ، أملاً من الشاعر في رجوع هذه الكنوز الثمينة والتي افتقدت في عصرنا هذا . وفي تعليقه على المقطع ، يقول د/ موسى أبو دقة " يلاحظ أن هذا المقطع ينبئ عن اختلاف رغبات الأشياء ، ولكنها جميعاً تتفق في أسلوب تحقيق الرغبة ، وهو أسلوب الأخذ ، باستثناء الرغبة الأخيرة التي تمثلها العودة وهي رغبة الطفل القتيل. أحسب أن هذا الطفل فلسطيني، لان هذه القصيدة قيلت في محرقة غزة التي قتل فيها عدد كبير من الأطفال، ومع ذلك بقيت رغبتهم بالعودة للوطن، وهذه الرغبة اشارة معيارية لقيمة الوطن"^(٣)

يقول الشاعر آدم فتحي ، في قصيدته (لا تسام):

من أنت ؟ أنقي من مياه النيل ؟ أنقي من ينابيع الفرات ؟

ارجع بخفي قيصر الروم إذا أخفوا حنيناً .. لا مناص

من أن يعود الملك الضليل مسلوب الذخيرة^(٤).

تأتي تساؤلات شتى ، يلقيها الشاعر في خلد المتلقي ، ليثير في ذاكرته الاستخفاف الغربي بعرب هذا العصر ، والذين تَهَقَّروا إلى الوراء مختبئين وراء عباءة استسلامهم .

ونراه قد صور هذا الإنسان العربي من خلال تقانة القناع ، حيث توحد الشاعر مع شخصية امرئ القيس ، والذي رمز إليه بقلبه (الملك الضليل)حيث عاش حياته لاهياً عابثاً ، وعندما واجه حادثة مقتل

(١) انظر : عبد الجواد خفاجي ، من العتبة إلى مضمرات النص (مقارنة سيميائية لقصيدة : زيتونة تشتفي أن تعيش)
/watan.com/10/opinion/85-2009-12-19

(٢) رابندرانات طاغور ، شاعر وفيلسوف هندي ، كتب أكثر من ألف قصيدة ، ونال جائزة نوبل عام ١٩١٣م

(٣) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٥٧٩

(٤) لأجلك غزة ، ص ٥٦

أبيه ، عزم على الأخذ بالثأر ، وأصاب ثأره من قاتل أبيه ، ولكنه واصل رحلة التشرّد في الحياة طلباً للمزيد من الثأر^(١) .

فنرى استدعاء الشخصية قد جاء متماشياً مع حال أعراب اليوم ، من خلال عدم وحدة الهدف لديهم ، فهم مشتتون، كل منهم يدور وراء مطامحه بلا هدف واضح ، وبالتالي سيظلون سائرين في دوامة غير مستقرة ، تؤدي بهم في نهاية المطاف إلى ما آل إليه امرؤ القيس ، فهو في النهاية لم يعرف وجهته الحقيقية سوى القتل بلا هوادة .

فجاء التوظيف موازياً لحال الأمة ، مظهراً السلبية من خلال دلالات العبارات وإيحائها ، عاتباً على من يقف في وجه المقاومة ويسخر منها ، فنراه في نهاية كل مقطع كرر لفظة (لا تساو) ، متمسكاً بحق الصمود والمواجهة .

ويقول أشرف حلبي ، في قصيدته (أشرفيات .. غزة .. للأبطال تحية) :

قتل القضية يا رهين المحبس

أعمى فكيف ترى امتداد القتل بالعينين

وظل رصاصة في نور عينيك تفقأ الأخرى

ظلام دامس في الاثنتين!

هل تستوي تلك الشظايا يوم تبصر في الحديد حديدها

وبجمر قبضتها سلامة سيرك الأعشى انداراً

نحو وأد المهلكين

ما عاد للجلاد من داع لشحذ السيف يبتريها الحذيم بضربتين

فلتضرب الأعناق من الجدوى

أيقتل مرة أخرى القتل نيابة عن مقتلين^(٢)

يتخاطب الشاعر مع أبي العلاء المعري ، من خلال لقبه المستدعي (رهين المحبس)

ووصفاً سوداوية الأيام رامية بظلمها على القضية الفلسطينية ، فهي تسبح في ليل سرمدي

لا نهاية له فهذه القضية من رؤيا الشاعر ، لا نور يتبدى فيها ، مثلما الأعمى الذي لا يبصر لنهاية

حياته ، فجاء بشخصية المعري والمشهور عنه بتشؤمه من الحياة ، ومن كل ملذاتها حتى النساء فيها

، لا يأمل منها شيئاً مع فقد بصره ، ليعكس دلالات عباراته على واقع فلسطين الذي نعيش ، فهو

مظلم قاتم ، وعبرت لفظتا (رصاصة - شظايا) عن هذا السواد المخيم في أرجاء غزة ، والتي

ذكرها في عنوانه ، فليس بعد ما حدث لها سوى موت الضمير العربي ، ومعاناة الذين ذاقوا ويلات

الحرب ، خاصة من فقدوا عيونهم ، وعبر عنه الشاعر بقوله :

ظلام دامس في الاثنتين^(١)

(١) انظر : ابن لأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٠٩/١

(٢) لأجلك غزة ، ص ٧١

فهذا الظلام يحمل ظلام قلوب العرب وهو معنوي ، والأخر حسي وهو ظلام العيون التي فقدت ، وعبرت كلمة (دامس) عن كثافة هذا الظلام .

فجاء الشاعر متوحداً ، مع شخصية المعري من خلال تقانة القناع ، ليعكس شعوره باليأس والإحباط من هذا الواقع الأليم .

وجاءت تراكيبه (ما عاد للجلاد ، فلتضرب ، أيقئل مرة أخرى) مغموسة بجو الإحباط للشاعر . فجاء التوظيف محاطاً بسلبية وسوداوية ، وغمامة منتصبه أمام العينين ، حتى كأن الشاعر يفضل أن يظل معصوب العينين ، على رؤية حاضر الألم والشقاء .

وفي قصيدته (أحقاً أنكم عرب) ، يقول أيمن العتوم :

أحقاً أنكم عربٌ ؟!!!

تواطأتم على ذبحي ...

وجاءتكم لتلمي رأيها (ليفني)

وتبصقُ في وجوهكم وتنسحبُ

ومالي منكمُ إلا الخنا والرجسُ والكذبُ

أحقاً أنكم عربٌ ؟!(^٢)

تأتي هذه التساؤلات الاستكبارية ، والمرصعة بعلامات الاستفهام والتعجب ، من قبل الشاعر معلنة غضبته من هذا التقاعس المخزي لدى حكام العرب ، وفي إشارة منه لإظهار ركوعهم لإسرائيل ، استدعى شخصية منبوذة وهي تسبيبي ليفني(^٣) تلك الشخصية والتي مجرد ذكرها، يثير اشمئزاً في النفوس لما كان لها من مشاركة آثمة في حرب غزة .

فجاء الاستدعاء محاطاً بسخرية مريرة ، من هؤلاء الحكام والذين يستكينون لهذه المرأة طواعية ، حيث نشاهد قسوة الشاعر واستخدامه (تبصق ، تنسحب) ليظهر مدى الجبروت والتكبر لهذه المرأة ودولتها ، وفي المقابل الخنوع والعار اللاحق بهؤلاء العرب .

ثم يخاطبهم الشاعر بأنه لا حاجة للشعب المغلوب بكم ، ولكنه يريد منكم السكوت ، وعدم التدخل لإضعاف المقاومة ، فقال (^٤):

أنا ما قلت : هاتوا لي مدافعكم ... ولا حتى مدامعكم

ولكني أريدُ كلابكم أن ترعوي عني

وأن يتوقف التنديد والتحقيقُ والتهم

(^١) لأجلك غزة ، ص ٧١

(^٢) لأجلك غزة ، ص ٨٠

(^٣) وزيرة خارجية إسرائيل وزعيمة حزب (كاديما) وملاحقة قضائياً من دول أوروبا بتهمة ارتكاب جرائم حرب ضد الفلسطينيين.

(^٤) لأجلك غزة ، ص ٨٠ ، ص ٨٣

في إشارة منه للذين يدينون عمليات المقاومة ، وصواريخها المطلقة على اليهود .

يقول الشاعر أيمن العتوم ، في قصيدته (من بحر غزة يطلع الثوار) :

مِنْ بَحْرِ غَزَّةٍ يَطْلُعُ الثُّوَارُ وَالْمَوْتُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْإِعْصَارُ
يَتَسَابِقُونَ إِلَى الشَّهَادَةِ حَفًّا وَكَأَنَّهُمْ وَرَدُّوا إِلَيْهِ سَارُوا
هَذَا (سَعِيدُ صِيَامٍ) أَوْفَى عَاشِقٍ لِلْخُلْدِ يَسْبِقُهُ هُنَاكَ (نِزَارُ)
(يَاسِينَ) حَفَّ بِهِمْ وَرَنْتَيْسِي) اشْتَهَى أَنْ يَلْحَقَ (إِسْمَاعِيلُ) (وَالزَّهَّارُ)
أَرَأَيْتَ قَادَةَ أُمَّةٍ أَمْثَالَهُمْ رَخِصَتْ عَلَى مَنْ بَاعَهَا الْأَعْمَارُ
مِنْ بَحْرِ غَزَّةٍ يَطْلُعُ الثُّوَارُ وَبِحُجْبِهِمْ تَتَفَجَّرُ الْأَشْعَارُ^(١)

جاء الشاعر مستدعياً شخصيات بأسمائها ، ومن الملاحظ أن ما يجمع بين هذه الشخصيات هو القوة والشجاعة ، فلقد وصف هذا الشخصيات (بالثوار ، الموت ، الإعصار ، والطوفان) وفي هذا دلالة على بأس هؤلاء الأشخاص ، وحبهم لثرى الوطن ، وتقانيهم في خدمته ، ولو كان على حساب أرواحهم .

فشخصية (سعيد صيام) تعكس القائد المناجح ، والذي قضى شهيداً في ساح الوغى ، وقد سبقه الشهيد نزار ريان ، ثم تتوالى الكثافة التكرارية لاستدعاء الشخصيات ، حيث نلاحظ أثرها في نفس المتلقي ، والتكرار هو معنوي وليس لفظي ، فهؤلاء الناس قد شغفوا قلوب الناس ، من خلال أعمالهم وبطولاتهم ، وبالتالي كثف الشاعر من تواجدها ، كي يترك بالغ الأثر في النفوس ، وها هو يستدعي شخصية الشهيد أحمد ياسين ، ومن بعده الشهيد عبد العزيز الرنتيسي ، في جو وكأنه يشهد زفة عرسان جماعية ، محاطين بجموع الناس يمينة ويسرة .

ثم يواصل حشد الشخصيات التي لا زالت حية ، مصوراً شوقها ولهفتها للحاق بركب قادتهم وأحبابهم ، فيستحضر شخصيتا إسماعيل هنية ومحمود الزهار ، ليظهر الصورة الحية لهؤلاء القادة ومن سبقوهم من خلال ندرة أمثالهم .

ونراه ردد (من بحر غزة يطلع الثوار) ثلاث مرات ، مؤكداً على أن درب الثورة والقتال ، هو درب الأوحاد لتحقيق النصر فجاء توظيف الشخصيات إيجابياً ، متناغماً مع سياق النص ، حملت عباراته دلالات الفخر والعزة ، بهذه الشخصيات ، راسماً طريق الخلاص في نفس المتلقي من تسلط العدو وتصلبه ، ألا وهي نهج المقاومة .

أما بإسـل بـزراوي فنراه يقف في وجه رياح الذل ، مشجعاً على الصمود في وجه المؤمرات ، قائلاً في قصيدته ، (سنعيش رغم الداء والأعداء) :

طُيُورُ النُّورِ الْغَضْبَى تَهَاجِرُ فِي لَيْالِي الصَّيْفِ

عَبْرَ رِبْعِنَا الْخَضِرَاءِ

وَتَحْمِلُ زَهْرَةَ النِّيرَانِ مَوْرَقَةً بِكَأْسٍ مِنْ دَمِ طِفْلِ

(١) لأجلك غزة ، ص ٨٦ ، ص ٨٧

يفور كأنه يغلي بأحد مراحل التاريخ في ذكرى اصفرار الأفق .

في تعמיד نيرون...

ويرثي دمة مزجت برويا النور يُطفأ في العيون الرانيات إلى الهوى البكر

تموج في ربا وطني

وفي طرقات قربتنا

برغم الشوك والعقبات والجزر^(١)

جاء الشاعر في عنوان القصيدة مستخدماً حرف السين أحد حروف التوسعة والتنقيس ، في دلالته على العيش والصمود ، ولم يقل سوف ، لأن السين تشير إلى القصر الزمني وقربه بعكس سوف .

ثم ها هو به يرمز لحال الإنسان الفلسطيني المهاجر ، بطائر النورس ولكنه جاء مستخدماً تقانة قلب العبارة ، فمن المعروف أن طيور النورس تهاجر في فصل الشتاء ، هاربة من ثلوج القطب الشمالي ، إلى حرارة ودفء المناطق الحارة والمعتدلة ، ولكن هجرتها نهاية فصل الصيف ، حملت دلالات الحرب الصهيونية المشتعلة في نهاية صيف ٢٠٠٨ .

وفي تصويره لمشهد الحرب الدرامي ، هاجرت الطيور حاملة زهور النيران الموقدة بدماء الأطفال الذين تثاروا جثثاً هنا وهناك .

ثم يتواصل في وصف هذه الحرب المشتعلة ، من خلال استدعائه لشخصية (نيرون) آخر أباطرة روما ، ذلك الذي أحرق روما ، وجلس يراقبها من برج له لمدة أسبوع ، وعندما هاج الشعب وثار عليه لم يجد بداً من كبش الفداء ، ولم يكن أمامه سوى المسيحيين ، حيث استغل معتقداتهم في تعמיד أطفالهم وطقوسهم المختلفة ، في تحريض شعبه عليهم ، وبالتالي تعذيبهم وحرقتهم حتى الموت^(٢) .

واليهود في زمن الحرب هم صورة طبق الأصل لنيرون ، فعندما لم يحققوا ما سعوا إليه ، أحرقوا الأهل والأطفال بقذائفهم ونيرانهم ، متهمين الناس بأنهم هم سبب ذلك .

وجاءت (يفور ، يغلي) لتؤكد دلالات الأبيات وقسوة ما شاهده الناس في غزة .

فجاء توظيف الشخصية من خلال إبراز دورها السلبي ، عاكساً الصورة على العصر الحالي مظهراً هيجان النص ودرامية الأحداث في نفس المتلقي ، حيث جاءت العلاقة بين نيرون والعدو الإسرائيلي قائمة على التوافق والتوازي ، في هذه المساحة النصية .

ثم يؤكد على الصمود الأسطوري ، رغم ما حدث وسوف يحدث:

ألا فلتأتِ إني ها هنا شعب من النيران للنيران ممتد

من الإعصار للإعصار للإعصار

ستبقى أرضنا الخضراء خمرًا في شراييني

(١) لأجلك غزة ، ص ٨٨

(٢) انظر : تشارليز ورث ، الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة : رمزي جرجس (وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩)

سببى اللون فى تاريخ أمتنا فلسطينى

فلسطينى ..

فلسطينى .. (١)

حيث تكرار لفظة (فلسطينى) تمسكاً بحق العودة وتقرير المصير ، دون التخلي عن الجنسية ، والتي حاول أعداء الله هضمها من خلال التآليب على الهجرة والشتات ، هرباً من جحيم المحتل . يقول باسل بزاوي ، فى قصيدته (ماذا يقول القائلون ؟؟):

إن الظلام أمامكم ووراءكم "كوم" من التاريخ لا يُسترجع
تاريخنا المغزول من دم سادة قهرُوا الظلام ولم يجف المنبع^(٢)

يستهل الشاعر قصيدته بعنوان تساؤلي ، ملقياً بعلامات استفهام تعجبية ، وكأنى به يلقي بنبرة عتابية عالية على ما آلت إليه أمور العرب ، وهذه الصورة جعلته يستدعي المقولة التاريخية لشخصية طارق بن زياد (البحر من أمامكم والعدو من خلفكم)^(٣) حيث لعب على تقانة الاستدعاء بالدور ، فذكر الدور الذي لعبته الشخصية ، دون التصريح باسمها .

فنراه قد استغل العبارة ليلقي بظلالها فى جو مشحون بالقلق والتشاؤم ، حيث تميل نفس الشاعر للتفكير للوراء ، والتباكي على الماضى المحاط بالانتصارات والفتوحات ، ومنها خطبة طارق بن زياد لجنوده ، أثناء فتح الأندلس .

فعبرت هذه الكلمات عن إطار التجربة الشعرية ، بين ما كانت عليه حال العرب ، وبين منطق اليوم . ويواصل تكرار العبارة ، فيقول:

إنّ الظلام أمامكم ووراءكم إرثٌ نضاليٌّ وجرحٌ مُوسع^(٤)

حيث لومته للمقصرين فى حق القضية الفلسطينية ، وبأنهم رغم إرثهم تاريخ جدير بالاعتزاز ، إلا أنهم ورثوا للشعوب آهات وأوجاع مستمرة .

فجاء التوظيف ليعكس ضيق الشاعر ، وهز المتلقي ليفق ، وينظر عن كثب لما هو جارٍ ، حيث بدا الأمر بجو درامي فجائعي ، لتصوير هول ما يحدث .

ثم يواصل استغاثاته ونداءاته ، ولكنها هذه المرة ليست لحكام أو مسئولين ، بل لملوك القلم ، فنراه يقول:

درويشُ هل ماتَ القصيدُ ولم تُعدْ فيه الحروفُ كنارِ قلبك تسطعُ؟؟
أبكىك أو أبكى سميحاً كلما صالت عيوني فيكم تتطلّع
حاشاكم رمز المقاومة التي أجّت عقوداً والقصيدة مدفع

(١) لأجلك غزة ، ص ٩١

(٢) لأجلك غزة ، ص ٩٢

(٣) انظر : عبد الحليم عويس ، إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ ص ٢٥

(٤) لأجلك غزة ، ص ٩٢

يا معشر الشعراء ذودوا فالحمى رهن الخطوب ومجدّه يتصدّع^(١)

يبدو الشاعر في استكانته وصلاته على من تبقى من حكام العرب ، يخلّق في فضاء الشعراء فهم الملاذ الوحيد بالنسبة لديه ، للتعبير عن وجع الشعوب ، فجاء ملاذه موسوماً بدرامية حادة ، من خلال استدعائه لشخصيتي محمود درويش ، وسميح القاسم ، ليجعلهما حاملين هموم الناس وأوجاعهم حيث ناداهم بالدفاع عن الأرض المنتهكة ، والتراب الذي ابتل بدموع الثكالي ، فما ظل في الميدان من منافع سواكم .

ونراه قد اختار رمزين من رموز الشعر الفلسطيني سميح ودرويش ، ليرمز لأهل المقاومة والصمود أهل فلسطين ، حيث لا مساعد لهم سوى الله وأنفسهم ، وبالتالي يشير بذلك للخذلان العربي لهم . فجاء التوظيف يحمل في طياته الحسرة والألم بهذا الاستتجاد من هؤلاء الشعراء ، وهذا الاستتجاد لم يكن خاصاً بالشعراء فقط بل كان دعوة لكل مخلص وشريف ، بالذود عن الحمى ، فاستطاع التوظيف جعل النص أكثر فاعليه وتأثيراً في نفس المتلقي وصولاً للفكرة المنشودة ، وهي تفعيل الحس الوطني والثوري على الظلم .

أما تامر زكارنة فيأتي منادياً المدينة الشامخة ، بأن لا رادع لعدوك سواك أنت ، قائلاً:

ناديت غزّة والعدو يلفها	والموت ينهش لحمها ويمزق
ناديت يعرب أين عز بنودكم؟!	أولم يعد علم الحمية يخفق
أين المروءة والشهامة والإباء؟!	أين الجبين الشامخ المتألق؟!
بل أين دينك؟! أين عز محمد؟!	أين البراءة والكتاب المشرق؟!
إنني رأيت الحاكمين أذلة	وبأرضنا ساد الوضع الأحمق
حاشا هنيئة والذين تبوؤوا	عرش الكرامة كي يسود الأصدق
هذا الذي في وجهه ألق التقى	وجبينه بالعز دوماً يشرق
والأسد تزار حولته في عزّة	فتدوس أعناق الضباع وتسحق
فاستبشري يا قدس إن أسودنا	بثرى فلسطين تهيم وتعشق ^(٢)

إن من يمعن النظر في النص السابق ، يجد أن الشاعر قد استلهم شخصية الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - القادمة من الماضي ، وشخصية إسماعيل هنية في الحاضر ، حيث وازى بين أهداف الشخصيتين ، بإقامة الدولة القائمة على الإسلام والهداية - فهو تأثر اللاحق بالسابق - فتساءل عن الدين النخوة والتي ضاعت في الواقع الحالي ، حيث أسسها سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ثم ها هو هنية يسير على إثر ذلك - وحيداً - بين كومة من الحكام الأذلاء ، غير لآبه بالتنازلات والهزائم فجاءت المحاولات الدلالية ، لتعبر عن التمسك بالحق التاريخي والثابت ، حق التحرير للأقصى وفلسطين ، بفعل الأيدي المتوضئة .

(١) لأجلك غزّة ، ص ٩٣

(٢) لأجلك غزّة ، ص ٩٦

فجاء التوظيف محققاً مراد الشاعر ، وكيفية رؤيته للأحداث ، حيث أفضى إفضاءً مباشراً ، بما تدور به خلجات صدره ، من تمرده على الواقع الصعب للحكام العرب ، داعماً طريق الثوار ، فهم السبيل الأوحى لتحقيق المطامح ، حيث استبشر بخلق واقع أفضل مما هو عليه ، فأثبت التوظيف فاعليته وآثاره ، ليلقيها في عقل وقلب المتلقي ، من خلال العزوف عن حكام العرب الضعاف ، ومعاوضة القادة الأوفياء فهم الطريق المرجو سلكها .

وفي قصيدته (في الهم غزة) ، يقول تركي عامر:

فَلِسْطِينُ الْعُرُوبَةِ سَوْفَ تَبْقَى وَطُزًا فِيكَ يَا مُحْتَلُّ طُزًا
تَذَكَّرُ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ يَدْعُو لَكُمْ أَنْ تَشْرَبُوا مِنْ بَحْرِ غَزَّةٍ^(١)
عمد الشاعر لتقانة التشويق ، من خلال إدخال (طز) وهي كلمة عامية لإثارة المتلقي ، وجعل المحتل هو البؤرة الدلالية ، والتي تنصب عليها العين ، أملاً في رسم مظاهر السخط والغضب من هذا الوحش الجاثم على الصدور ، حيث كررها الشاعر مرتين تأكيداً منه على بقاء فلسطين في قلوب وعقول محبيها من ساكنيها ومريديها ، وسخرية من هذا العدو .

وجاء الشاعر في تشويشه ، من خلال ذكره لقب (سيد الشهداء) ولأول وهلة سيتبادر إلى ذهن المتلقي الصحابي (حمزة بن عبد المطلب) ، ولكن الشاعر يستدعي شخصية الزعيم الراحل ياسر عرفات ، من خلال تقانة الاستدعاء بالدور فهو الذي كان يسخر من أبناء يهود ، في مؤتمراته الشعبية حيث كان دائم التردد لعبارة (إللي مش عاجبه يشرب من بحر غزة) .

فالشاعر يتوحد مع تلك الشخصية ، متهمكاً هازئاً من هذا المحتل ، في محاولة منه لإيصال الصورة للمتلقي ، بألا يخنع لهذا المتعملق بالشعب الفلسطيني لحمه مر ولن يستسلم بهذه السهولة .

فنجح التوظيف في إبراز رؤيته المتفائلة ، في الوقوف وجهاً لوجه أمام العدو ، ليكسب نصه الجديد الفاعلية والتأثير والطاقة من طاقات النص القديم ، وخلق واقع جديد ، يلوح في أفق التعالي على الجراح ، والجنوح للتوحد ، حيث دلالة العنوان أفضت بما تميل إليه نفس الشاعر من حمل مشاعر الجراح في الصدور ، والتفكير بأهات الآخرين ، عل هذه المشاعر تحمل أطياف العزة مستقبلاً .

يقول تميم البرغوثي ، في قصيدته (سنغلبهم):

وَهَنَّا نُهُمْ بِفِرْعَوْنَ سَـمِينٍ كَثِيرِ الْجِيْشِ مَعْمُورِ الْمَغَانِي
لَهُ لَا لِلْبِرَايَا النِّيلُ يَجْرِي لَهُ الْبَسْتَانُ وَالثَّمَرُ الدَّوَانِي
وَأِنْ رَاهَنَتْ أَنْ الثَّأْرَ يُنْسَى فَإِنَّكَ سَوْفَ تَخْسِرُ فِي الرَّهَانِ
نَحَاصِرُ مَنْ أَخٍ أَوْ مِنْ عَدُوٍّ سَنَنْغَلِبُ، وَحَدَّنَا، وَسَيَنْدَمَانِ^(٢)

(١) لأجلك غزة ، ص ٩٧

(٢) لأجلك غزة ، ص ٩٨

مال الشاعر في قصيدته لتتناص الخفاء ، من خلال استحضار شخصية عربية مشهورة ، حيث رمز لها (بالفرعون السمين) في إشارة منه للرئيس المصري ، متهماً إياه بالتواطؤ مع اليهود في ذلك الحصار المشدد على غزة ، ساخراً من جيشه كثير العدد .

وجعل الرئيس مرآة منعكسة لأفعال اليهود ، مهدداً الاثنين بالغلبة عليهما في نهاية المطاف . وهكذا يضع القارئ أمام الحقيقة المرة ، تاركاً إياه يعمل عقله ، داعياً إلى المعية (سنغلب) . فجاء توظيفه ليعكس حال الحكام ، في شخص الرئيس المستدعى ، فهم متآمرون يراهنون على هذه الدماء الزكية ، أملاً في طلب الرضا من أسيادهم ، وربما كانت الخاتمة في العنوان (بيان عسكري - سنغلبهم -) .

حيث جاء العنوان عسكرياً رامزاً بأن المقاومة والثورة ، هما السبيلان الوحيدان لمجابهة الأعداء ومن يُعتقد بأنهم إخوان ، حيث أفضت دلالات (بيان عسكري) إلى تاريخ الثورات الماضية وتجمع حركات التحرير ، والدعوة للثورة من خلال البيانات المحرصة لردع الأعداء يقول جمال مرسي ، في قصيدته (قف حداداً) :

قف حداداً

واسكب الدمع الغزير

.. لا علينا ..

أيها القط العزيز

كيف لا تبكي على " إندي "

وقد أسكنتها عشرين عاماً بيتك الأسود

حتى أصبحت فرداً من البيت الكبير

ها هنا كانت " إندي "

تشرب " الدم " المصفى

من يدي جزار أمريكا الخطير

وكانت .. عنوة .. تأكل من لحم الضحايا

في رُبا بغداد

في غزة

كيف لا تستخدم " الفيتو " على الموت الذي أودى بإندي ؟

كيف لا تفرض عقوبات على كل القبور ؟

كيف لا ترسل جيوشاً

طائرات

بارجات

كيف لا تبكي عليها

ودموع الأم " لورا " وابنتيها
لم تزل تجري على الخد وفاءً ..
ومعزة

ودما (إندي) لديكم

يا دعاة السلم أغلى من دما أطفال غزة (١).

تجسد هذه المقاطع رثاءً ساخرًا على لسان الشاعر ، مريراً في قلبه ، لقطة ابنتي الرئيس الأمريكي
الأسبق (جورج بوش) فلقد نفقت هذه القطة عمر يناهز العشرين عاماً ، وقد فاضت الدموع أنهاراً ،
والتاعت القلوب حسرة وكمدًا عليها ، من هذه العائلة المصابة فالأم
(لورا بوش) وابنتيها في بكاء مستمر تجاه المصاب العظيم .

وتزامن موتها مع حرب غزة الوحشية ، فجاءت نفس الشاعر خارجة عن طوعها ، لترسم لنا هذه
الكلمات النادبة لهؤلاء المساكين ، حيث لم يستتكر بوش أو غيره ما حدث لهم ، وفي نفس الوقت يقام
في البيت الأبيض عزاء للقطة (إندي) فجاءت هذه المفارقة العجيبة ، لتلقي كاهلها على القارئ ،
عله يجد حلاً لهذه المعادلة الصعبة .

فحياة قطة أغلى بألف مرة ، من حياة آلات الأطفال والنساء من بني البشر، فجاءت الرؤية المركزية
مسلطة الأضواء على هذا المشهد الدرامي في محاولة لإيضاح الحقيقة المرة ، وهي إظهار الظلم الواقع
على غزة والعراق وغيرها ، وكأن دماهم مثل الماء الجاري في الطرقات ، لا يأبه له الآخرون .
ثم تأتي السخرية من هذه الشخصية الممقوتة (لبوش) من خلال تساؤلات الشاعر الرامية إلى
فضحه ، بعدم استخدامه الفيتو والحروب ، لمحاكمة وقتل المسئول عن موت (إندي) فجاء التوظيف
ليبرز سلبية الشخصية المستدعاة ، من خلال الظلم الذي يوقعه بشعوب الأرضي المسلوقة ، وإهانتته
لكرامة الناس ، وعدم العبء بأرواحهم الثمينة .

وفي النهاية يصور لنا نجاسة وخسة هؤلاء القوم ، قائلاً :

ربما راودتها عن نفسها يوماً

وداريت الفضيحة

ماتت المسكينة السوداءً قهراً

فضلت حرية الموت على العيش المرير

فعراني ورثائي

أيها القدم الكبير(٢).

حيث استخدام الشاعر للتلويح بشخص من قبله (بيل كلنتون) وعلاقاته المشبوهة مع (مونيكا
لوينسكي) ، حيث يطلب من بوش أن يراجع نفسه ، فربما راود القطة المسكينة ، والتي في النهاية

(١) لأجلك غزة ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٧

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩

سئمت من ألاميه وأكاذيبه ، ففضلت الموت عن هذه العيشة المرة ، ثم يختتم قصيدته بتعزية ساخرة مستهزئة ، من هذه الشخصية والتي تشبه القدم .

فأبرز الشاعر من خلال تناصه ، ندالة وخسة هؤلاء الأقوام ، فكلهم في فساد الأخلاق والوضيعة واحد مرسلأ برسالة لأمة العرب وحكامها ، بعدم الجري وراء أناس غارقين في أوحال القذارة. وفي قصيدته بعنوان (ملحمة العزة) يستجد جمال مرسى بشخصيات لها كل مواطن الحب والاحترام ، في خلد المسلمين ، فيقول:

أَسْيَافُنَا أَضْحَتْ دُمَى أَثَرِيَّةً نَقِشَتْ بِأَتَقَانِ عَلَى الْجُدُرَانِ
ظَمِئَتْ فَمَا شَرِبَتْ دِمَاءَ عَدُوِّهَا جَاعَتْ فَمَا مُدَّتْ يَدٌ بَحْنَانِ
مَنْ لِي بِسَيْفِ ابْنِ الْوَلِيدِ أَضْمُهُ وَ أَجْذُ رَأْسِ مُخَادَعِ شَيْطَانِ
مَنْ لِي بِجَيْشِكَ يَا (رَشِيدُ) وَعِزِّهِ لِأَدْنَى حِصْنٍ مُخَنَّنٍ وَجَبَانِ
مَنْ لِي بِرَمْحِ سَمْهَرِيٍّ شَامِخٍ مَنْ لِي بِسَيْفٍ مُصَلَّتٍ وَحِصَانِ
سَأَعْلَمُ ابْنِي، رُبَّمَا مِنْ صُلْبِهِ يَأْتِي (صَلَاحُ) مُحَطَّمُ الصُّلْبَانِ^(١)
يشكل هذا المقطع بانوراما عريضة للشخصيات الإسلامية ، والتي تم استدعائها بعد خيبة الأمل من عرب اليوم ، والذين أصبحت أسلحتهم وسيوفهم مجرد أشكال مزخرفة ، لتزيين جدران المنازل ، فنرى في لجوء الشاعر واستنجاهه بالشخصيات حسرة وكمداً وهماً في جواه بعد أن وصل به اليأس موصلة في هذا الجيل الواهي .

فاستدعى خالد بن الوليد ، حيث لقبه المشهور (سيف الله المسلول) ، والخليفة (هارون الرشيد) والذي كان كثير الجهاد والغزوات ، والمشهور بمواقفه المتصلبة تجاه الأعداء ، وربما يشير الشاعر إلى موقف هارون الرشيد من ملك الروم (نقفور) الذي نقض عهد الملكة (إيريني) مع الخليفة ، فأرسل إليه الرشيد قائلاً : " بسم الله الرحمن الرحيم : من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا بن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام " ^(٢)

ثم تأتي الشخصية الثالثة (صلاح الدين الأيوبي) قاهر الصليبيين ، داعياً الأجيال القادمة ، أن تكون على نفس ثبات مواقفه الراضية لكل أنواع الاستعمار الأجنبي ، حيث وصفه بـ (محطم الصلبان) . فجاءت التوظيفات صريحة ، في نفص يد الشاعر ، من هذا الجيل المتقاعس ، داعياً لإشعال جذوة المقاومة ، والسير على نهج السابقين ، حيث يقول في نهاية المقطع :

سَأَعْلَمُ ابْنِي أَنْ يَكُونَ مُجَاهِداً بِالنَّفْسِ ، لَا بِمَشَاعِرٍ وَلِسَانِ
وَأَقُولُ يَا وَلَدِي: أَبُوكَ وَجِيلُهُ عَجَزُوا، فَخُذْ ثَارَاتِ جِيلِ فَا^(٣)

(١) لأجلك غزة ، ص ١١١

(٢) انظر : شوقي أبو خليل ، هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، ط٤ (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٩)

ص ١٣٢

(٣) لأجلك غزة ، ص ١١١

فنراه قد قرأ الفاتحة على شعوب اليوم ، مختما ليسوا هم الجيل المرتقب ، داعياً في الوقت نفسه ، لتعليم الصغار المبادئ والأسس النضالية التي تناساها الكبار .
يقول الشاعر حسام هرشة ، في قصيدته (أسود الحق) :

يا أهل غزة إن في شهدائكم عزا يصوغ كرامة الإنسان
يا جيل سعد والزبير ألم يحن فجر اجتثاث الليل و السرطان؟
إن السبيل إلى العلا جيل يفي بالعهد والميثاق والأيمان
يرنو إلى شمس الخلود يقوده زيد بـزاد الصبر والإيمان⁽¹⁾
يحلينا الشاعر من خلال ندائه لغزة وشهداءها الذين سقطوا، لشخصيات إسلامية جاهدت وناضلت في سبيل رفع راية الحق والإسلام ، فحاضوا معارك عدة ، وهم سعد حيث يحمل هذا الاسم في طياته أسماء صحابة كثر منهم (سعد بن أبي وقاص ، سعد بن معاذ ، سعد بن عباد ، سعد بن مالك ... إلخ) وأيا كان يعني الشاعر ، فإن هذا الاسم له من الوقع في أذن المتلقي ، حيث يحمل معاني الإباء والمنعة.

ثم يواصل استدعاء شخصيات مثل الزبير بن العوام ، وزيد ابن حارثة ، أو احد الذين يحملون هذا الاسم مثل (زيد بن ثابت ، وزيد بن الدثنة ... إلخ) وربما أراد الشاعر بذكر الاسم لهؤلاء الصحابة إظهار توارده هذه الشخصيات الكثر في فكر المتلقي ، أملاً في الصحوة والهبّة الثائرة والحلم بشخصيات كهذه ، تعود لتحقيق ما ترنو إليه الأنفس وتطمح .

فكان التوظيف أكثر إيغالاً في النفس من استدعاء الصورة الاعتيادية للشخصيات السابقة ، ونراه قد ربط هذه الشخصيات بعنوان القصيدة (أسود الحق) ، فهم أسود كثر ، يروجهم الشاعر كما كانوا في عهد مضى ، حيث مارس العنوان سلطته الدرامية لما له من علاقة وانسجام بينه وبين النص .

أما حسام خليل فيطلق صرخة مدوية ، ملأ بها أفق النص، من خلال (صرخة غزة) :

الحر في دنيا الذئاب صريعٌ والذيل فيها متصرفٌ ورفيعٌ
لا تعجبي يا أم تلك سياسة فالذل في عين اللئام بديعٌ
ورأيت في سوق الكرامة أنجما وقفـت تبـدل دينها وتبيعُ
عشقوا المناصب عشق عترة عبلةً في حبها خرط القتاد ربيعُ⁽²⁾
في هذه القصيدة نلاحظ سخط وعتاب الشاعر على أصحاب الكروش والعروش فوصفهم بذيول الغرب فهم غرقوا في وحل الذل ، بحيث توحدوا معه ، وكأنه فخر لهم طأطأة الرؤوس وربما يميل في عتابه إلى رجال الدين ، حيث منهم الذين باعوا دينهم بعرضٍ من الدنيا ، وكأنه يلمح إلى شيوخ الأزهر في مواقفهم الجامدة تجاه القضية ونضالها .

(١) لأجلك غزة ، ص ١٢٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٣١

وبالتالي يصور هذه الشخصيات وعشقهم لحب الكراسي والمناصب ، بحب عنتره بن شداد لعلبة ، حيث جاء هذا الاستدعاء ليلقي بظلاله على تثبيت الحكام وزبائنتهم بالعرش ، فعنتره العبسي كما صورته الشاعر ، وكما هو معروف ، قد هام في عبله هياماً واجه الصعاب والمتاعب ، من أجله ، حتى أنه قد جعل من شجر القتاد^(١) المليئة بالشوك ربيعاً أخضراً مثمراً ، فنزع النفس القتالية والفروسية من عنتره ، من خلال تقانة القلب ، ليظهر سلبية المنعكسة على حكام اليوم ، فرسم الشاعر في توظيفه لوحة تشكيلية ، لبيان انتشار مساحات الطمع والجشع اللذان يملآن قلوب فئة من العرب ، لبيان تفضيل الذات على حساب شعوب بأكملها .

يقول الشاعر ، حسان الصاري ، في قصيدته (غزة هاشم لم تركع) :

قَسَمًا بِغَزَّةَ بِالشَّهِيدِ بِدَمْعَةٍ بِتَرَابِ (أَحْمَد) مُقْعَدًا يُغْتَالُ
بِالْقَابِضِينَ عَلَى الزَّنَادِ بِوَثْبَةٍ الْمَوْتُ فِيهَا طَائِفٌ جَوَّالُ
يَا غَزَّةَ الْأَحْرَارِ أَنْتِ كَبِيرَةٌ وَسَوَاكِ فِي تَدْبِيرِهِ مُحْتَالُ^(٢)
استهل الشاعر قصيدته بالقسم بمدينة غزة الثائرة ، وشهادتها ودموع أبنائها ، بأن هذه المدينة لن تهدأ ولن تستكين ، إلا بتحريرها من رجس يهود ، وحمل العنوان هذه العلامات من خلال نظرة الثأر البادية بعدم الركوع ، حيث أكد من خلال ربط غزة بهاشم جد النبي - عليه الصلاة والسلام - أن غزة عربية منذ القدم ، وجذورها عائدة إلى نسل سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ثم يأتي في قسمه بدماء الشهيد ، حيث استدعى شخصية الشهيد أحمد ياسين في إشارة منه إلى صمود هذا الشيخ الكبير ، الذي ما لان ولا استكان ، سائراً على درب الماضين ، رغم أنه كان مقعداً ، لتحمل هذه الكلمة أسطورة التحدي والنضال ، المغروسة في قلوب هؤلاء الناس .

فهذا المقطع بمشهديته يقدم حقيقة لعقل المتلقي ، حيث حملت المفردات (القابضين - الأحرار)

صفة هؤلاء القوم المنبثقين من نسل أجداد العزة والكرامة ، فهم الرجال في زمن عز فيه الرجال .

وفي قصيدته (يا غزة الأبطال) ، يقول حسن سباق :

أَلَا يَا غَزَّةَ الْأَبْطَالِ إِنِّي بَكَيْتُ عَلَى الْبُطُولَةِ كَالثَّوَاكِ
وَهَبْتُ اللَّهُ يَسَائِي حِمَاكِ وَحَمَّى الْجُبْنِ تَسْرِي بِالِدَخَائِلِ
وَلَكِنْ تَسْمَحِينَ عَلَى حِيَاءِ أَقُولُ الشَّعْرَ مِنْ بَابِ الْوَسَائِلِ؟؟
وَحَزِيئاً يَقْتَفِي وَجْهَ النَّشَامِيِّ إِذَا اتَّمَرُوا عَلَى قَتْلِ الْمَسَائِلِ
وَصَاغُوا فِي الْخِتَامِ بَيَانٌ ذُلٌّ إِذَا الصَّدَامُ مُعْتَنِقُ الْحَبَائِلِ
وَصَاغُوا صِيحَةَ الذَّعْرِ اعْتَرَفْنَا: يَحُوزُ الْأَرْضَ مَنْ مَلَكَ الْقَنَابِلِ
فَدَعْنِي يَا جِهَادُ إِذَا يَرَاعِي تَصَايِحَ فِي الْقَوَافِي: الْعِزُّ زَائِلُ
وَكَانَ الْعِزُّ يَحْمِيهِ كَلْبٌ وَقَدْ قُتِلَ الْكَلْبُ بِسَيْفٍ وَأَيْلُ^(١)

(١) القتاد : شجر شائك صلب ، ينبت بنجد وتهامة ، لا تأكله الإبل إلا في عام جذب .

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٣٤

يصور لنا الشاعر مفهوم حب الذات في النفس البشرية ، التي تتتابها مشاعر الطمع والجشع ، إلى حد يمكن أن يفرط الإنسان فيه بكرامته وعرضه ، وهذا ما آل إليه حكام العرب ، حيث ألمح إليهم الشاعر في لفظة (النشامى) في جو مليء بالسخرية المحاكية لجبن هؤلاء الحكام ، وعدم غيرتهم على أعراض شعوبهم ، فجاء النداء لغزة وحدها من خلال العنوان وكأنه يواسي غزة ، بأن تغسل يديها من نخوة العرب ، وجاءت عباراته (صاغوا - صاحوا - انتمروا) بصيغة الجمع ، لتوجيه التهمة إلى الحكام كلهم ، دون استثناء حاكم منهم .

وضاقت نفس الشاعر عن هذه الرموز والتي تمثل الشعوب ، والمفترض بها حامية أعراضهم ، فإذا بها تصطدم بواقع المال وحب الشهوات ، نافضة أيديها مما حدث لغزة ويبعث الشاعر في وجدان المتلقي قصة (حرب البسوس) والتي دارت بين قبيلتي بكر وتغلب ، حيث استدعى شخصية كليب بن ربيعة والمعروف ب(وائل) ^(٢)، مصوراً ضياع غد المسلمين وكرامتهم ، في شخص هذا الرجل ، عندما قتل طمعاً وجشعاً للذات العربية، وهو يحمل لنا قتل العرب لأبنائهم فالقاتل والمقتول عربي ، وها هو التاريخ يعيد نفسه ، فلا عزّ كما أشار الشاعر ، إلا عز الشهوات والأطماع الخاصة وكأن البيت الأخير في القصيدة ، يعلن نهاية العرب ، وبأنهم ماتوا كما مات كليب ، فجاءت النهاية درامية ، مصورة التخلي التام عن الجهاد والمقاومة ، وبيع دماء المسلمين ، وفتح القصور أمام بني صهيون ، فما ظل من شيء يأسف عليه الإنسان ، وحاول الشاعر خلخلة نفس المتلقي ، واستفزاز مشاعر الأنفة فيه ، فقال :

وَبَاعُوا مَكْرَمَاتِ كُنْ عِزًّا بِرُخْصِ الْبَوْلِ تَسْفَحُهُ الْهَوَائِلُ
فَفَتَّشْ فِي الثِّيَابِ تَرَى عَجَابًا مِنْ الْبَلَلِ الْمُدَارَى بِالْحَوَائِلِ ^(٣)

فجاءت الأبيات صارخةً مصرحةً بالحقيقة المرة ، حيث حملت دلالاتها السلبية المفرطة ، للمواقف العربية المخزية ، وقممها التي تعقد ، فكأنها سوق تباع وتشتري فيه السلع بأرخص الأثمان ، حيث باعوا قضايا الأمة -خاصة فلسطين- ، وقبضوا ثمنها دناوة ورخصاً وطأطأة للرؤوس غير آبهين بمشاعر بقية الشعوب إرضاءً لنزواتهم .

يقول خالد أبو حمدة ، في قصيدته (فرقان غزة) :

سَقَتْنَا هَدِيلَ الْفَقْدِ فَهُوَ مُدَامُهَا وَأَسْرَى بِسَكْرَاتِ الْحَنِينِ حَمَامُهَا
فَكَمْ دَانَتْ الْأَرْضَ الْحَرُونَ لَطْبَعْنَا وَصَارَ رَخِيًّا فِي الْيَدَيْنِ زَمَامُهَا

(١) لأجلك غزة ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤

(٢) هو كليب بن ربيعة بن الحارثة بن زهير وكان سيد ربيعة في زمانه ، وقد بلغ من عزه أنه كان يحمي الكلأ فلا يقرب حماه ، وغلب عليه اسم وائل حتى قيل : أعز من كليب وائل ، وهو الذي قتله جساس بن مرة الشيباني حيث ذكرت قصته عند قولهم (أشأم من البسوس) . انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محي الدين عبد الحميد (مكتبة السنة المحمدية ، ١٩٥٥) ٤٣/٢

(٣) لأجلك غزة: ص ١٤٤

وَعَفْنَا عَلَى الْأَطْلَالِ قَيْسًا إِذَا بَكَى ضِيَاعَ لَيْلِيْلَاهِ الْعَتِيقِ غَرَامُهَا
فَمَا عَادَتِ الْأَنْسَابُ تُعَلِّي حَمِيَّةً وَلَا جَنَّةَ الْقَرْبَى وَفَاءَ ذِمَامُهَا
صَرَخْنَا وَمَا فِي الْأَفْقِ مَعْتَصِمٌ صَحَا وَلاَحَتْ عُرُوشُ الذَّلِّ يَخْزِي نِيَامُهَا
فَلَا ظَلَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مَرَابِطًا تُسَاقُ لَهُ الدُّنْيَا وَتُصْغِي مَسَامُهَا
وَمَنْ ظَلَّ مِنْ مِرْوَانَ، عَبْدٌ لِمَلِكِهِ وَعُثْمَانُ دُقَّتْ لِلْيَهُودِ عِظَامُهَا
وَمَا عَادَ حَبَاجُ الْوَلِيدِ مُحَارِبًا سِوَى أَهْلِهِ، مَذْصَارُ يَقْضَى غَلَامُهَا
فَغَزَّةٌ فِي عَيْنِ السَّمَاءِ سَحَابَةٌ تَغْشَى صَحَارَى الذَّلِّ جُودًا رِهَامُهَا
وَعَزَّةٌ مِرْوَانَ وَعَبَّاسُ هَاشِمٍ وَغَزَّةٌ حَمْدَانُ يُلُوحُ حَسَامُهَا
وَعَزَّةٌ - إِذْ تَزْهَوُ - كَنَانَةُ أَحْمَدٍ تُقِيلُ بَنَحْرَ الْمُعْتَدِينَ سِهَامُهَا
أَعِيزَ سَمَا الْقَسَامِ مَنْ كِيدٍ يَعْرِبُ إِذَا زَغَرْدَتْ فِي الْأَفْقِ يَحُلُو انتِقَامُهَا^(١)

يعنون الشاعر قصيدته باسم الحرب على غزة ، في إشارة منه لصمود هذه المدينة وصبرها وثباتها ، والتي عجزت رياح الكفر والشرك ، عن انتزاع جذورها المتأصلة فيها ، فيظهر الشاعر ممثلياً خيلاً يجوب بها أروقة التاريخ ، باحثاً بين ثنايا السنين عن شخصيات إيجابية مستتجداً بها ، رغبة في إذكاء شعلة النص ، من خلال تصفح كتب التاريخ والعودة للماضي ، ليحث المتلقي للتعرف على الشخصيات المضيئة والتي وهبت المنعة والعزة للعرب، وضدها الشخصيات الهزيلة والتي فرطت في ثوابت الأمة إرضاءً لذاتها .

فنراه يستذكر أمجاد الماضي ، المليئة بصفحات النور ، تاركة عواطفها وأهواءها وراء ظهورها ، وانشغلت بتحرير بقاء الأرض ، فيستذكر شخصيتا قيس وليلى ، هذا المحب الذي أطاع هواه وهجر دنياه ، أملاً فيما تمناه ، حيث أظهر سلبيته ، القائمة على الأنثى ، وبالتالي جاء توظيفه لإيضاح حقيقة من بعده ، فتركوا هذه المشاعر محبوسة بين ثنايا صدورهم ، وفتحوا المجال لمشاعر النخوة والعزة . ثم يرتد بنا إلى شخصية ناصعة البياض كالثلج ، مشهورة بين الشعراء ، فغالبيتهم استدعاها ، وكل شاعر حسب رؤيته للمشهد الموظفة فيه ، وهي شخصية المعتصم بالله.

أما شاعرنا خالد أبو حمدي فجاء استدعاؤه سلبياً ، من خلال ندرته في هذا الزمن فهو يصرخ عليه يجد شخصاً يغير على العرض المهتوك ، وما من ملب .

ثم يرتد بتقانة الفلاش باك ، عبر شخصية أخرى كان لها وقعها في التاريخ المسلم ، حيث نشرت الإسلام وتعاليمه ، مكلمة طريق من سبقوها ، هي شخصية الخليفة هارون الرشيد ، والذي كان يخاطب السحابة : " أمطري حيث شئت فإن خراجك آتيني " ذلك الذي كان يحج عاماً ويغزو عاماً فسار باستخدام ثقافة قلب القيم الرمزية ، حيث منح دلالة هارون الرشيد دلالة ضدية مارسها على الشخصية وصورها بصورة سلبية .

(١) لأجلك غزة ، ص ١٤٨ ، ص ١٤٩

فجاء الاستدعاء مرمياً بظلال السلبية والانهازامية ، في الواقع الأليم ، متذكراً عزاً مضى ، فجاءت عبارات النفي (ما في الأفق - فلا ظل) حاملاً هذا الهم ، والذي يحاول الشاعر أن يلقيه على عاتق المتلقي ، ويرتد إلى العصر الأموي ، مشيراً إلى ضعف حكام العصر ، والذين باعوا هواهم ، ابتغاء مرضاة نفوسهم ونزواتهم متوازيين مع عبيد العرش الدنيوي ، من حكام العصر .

ويواصل حشد الشخصيات ، ليظهر حيرته بأي يستجد و يستجير ، فاستحضر شخصية عثمان بن عفان ، ذلك المنافح عن دينه والذي ضحى بأمواله ، لإسعاد المسلمين ، والذي قتل على يد مجموعة من الفرق ، والتي أرادت من الخليفة التنازل بسبب الشبهات التي أثارها اليهود حول سياسته في الحكم وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهود في الأصل (١)

ثم يستدعي شخصيتين جعلهما وكأنهما شخصية واحدة ، وهما الحجاج بن يوسف الثقفي ، والوليد بن عبد الملك ، حيث بعد موت عبد الملك بن مروان تولى ابنه الحكم بمباركة الحجاج ، والذي كان يدير بواطن الأمور ، ليبين لنا ضعف هذا العصر وموازاته بعصرنا الحالي (٢).

ولكن الشاعر يحدوه الأمل في غزة وجنودها ، حيث استدعى شخصية مرموقة في حركة حماس وهو أسامة حمدان ، مشيراً إلى دور الحركة في إشعال جذوة المقاومة ، والاستبسال في الدفاع عن الحقوق فغزة ترجع إلى الأصول العربية من نسل سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث ذكره (أحمد) ثم يشير إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام من خلال لفظه

(القسام) ، حيث دلالاته حملت معنى عزيمة هذه الكتائب في المنافحة عن الدين ، والوطن ويأمل أن تتكسر هذه الشوكة ، جراء المؤامرات التي تحاك ليل نهار ، للنيل من عزيمة المقاومة .
فنجح توظيفه وحشده لهذه الشخصيات ، في إظهار البؤرة الدلالية وهي الضعف العربي ، ونذالة حكامها ، وفضح حقيقتهم أمام المتلقي .

يقول خضر أبو ججوح ، في قصيدته (العذاب الجميل) :

لماذا تطلُّ من الموت فوق الركام لتبكي ..

ونصلك في مقتلتيها ؟!

وهذي أصابعُ كفيك تشهد

وبحر الدماء يحني جبين الليالي

لتصعد (ليفني) عليها

ألفني الزنيمة أغلى من القدس

حتى تمرغ وجهك بين يديها

وتبكي على قدميها ؟!

(١) انظر : مأمون غريب ، خلافة عثمان بن عفان (مركز الكتاب للنشر ، القاهرة ، د.ت) ص ١٤٩ .

(٢) انظر : ت.ج جوينبول ، خلافة الوليد بن عبد الملك من كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، (الهند ١٩٩٦)

(ص ١ .

فَقَبْلَ ...

وطَاطِي ...

تبسم ...

وقبل ...

لعلك تحظى بدفع الأفاعي

إذا قربتك إليها ! (1)

يحمل العنوان في طياته علامات الدهشة والاستغراب ، أيعقل أن يكون العذاب جميلاً ؟ هذا ينطبق على نوع العذاب ، فإن كان عذاباً معنوياً ، كعذاب المحب بعشق محبوبته ، فربما يعذب قلبه وعقله شغفاً بها ، ولكن الشاعر هنا ، هل كان يقصد العذاب المعنوي ، أم المادي ؟ يتأتى هذا المفهوم ، من خلال مفاتيح القصيدة السياق ودلالاته ، فالشاعر يشير إلى العذاب الحقيقي ، بكل ما تحمل الكلمة من معنى فيقول :

وصرخات طفل بريء

يغطيه طن من الصخر والنار تحت الرماد

ونظرات طفل رضيع

يمزق طائرتين بلحم طري وعظم مفتت(2)

وربما مع هذا الدمار ، وهذه الوحشية السادية ، فإن العذاب كان قاتلاً ، ولكنه في ذات الوقت ربما يكون جميلاً ، مفضلاً لديهم على رؤية زعماء العرب ، والذين كانوا الأمل لهذا الشعب المكلوم ، يستقبلون تلك الأفعى المستدعاة (تسيبي ليفني) والتي استقبلت بحفاوة بالغة في قطر وغيرها أثناء فترة الحرب المشتعلة ، فأى منطق هذا ؟! وأي جريمة تلك الغير مغترة ؟! وأي ذل هذا ؟! مع تبدل الأحاسيس والمشاعر تجاه أطفال رضع يقطعون لأشلاء متناثرة ، وبيوت الله تدمر ، وبيوت تقصف على رؤوس ساكنيها .

أهناك بلاء أشد وأعظم من هذا ؟!

فكأن نفس الشاعر مالت إلى العيش وسط غمار القصف والقتل على رؤية الوجوه الضاحكة والكروش المنتفخة ، والقلوب الميتة من بني يعرب ، وهم رغم سكوتهم ، يرتكبون أبشع الجرائم باستقبالهم لأعداء الله ، وفتح التطبيع معهم .

وإن ترديد الشاعر لفعل الأمر (قَبْلَ) تعكس شعوراً بالسخرية المريرة ، وإلحاحاً على متواليات دلالية ، وامتداداً لمساحات الألم ، التي تغص بها نفس الشاعر . وربما بياض الصفحة يجعل بصر القاري يركز على العبارات الأربع (فقبل - وطأطي - تبسم - وقبل) ، حيث تخيل الموقف المذل

(1) لأجلك غزة ، ص ١٥٦

(2) لأجلك غزة ، ص ١٥٨

لهؤلاء الفئة من الناس ، وهم يقبلون ويستقبلون ويتمرغون تحت الأقدام ، عليهم يشعرون بدفع
الأنفاس ، وحرارة الأيدي الناعمة ، وإن كانت ممرغة بالدم الفلسطيني .

يقول الشاعر خضر أبو جحجوح ، في قصيدته (نقوش على قذيفة فسفورية) :

(آفي) يمسك جوالاً مبتلاً كان يخبئه في جيب السروال

" آلو " darling

آني أو هبتج راحاب

i love you darling

وأحبك أكثر يوم تحنيني بدم الزنبق والنرجس

وتطوق عنقي بقلادة مريم

ووشاح سعاد

وتعود على عجل من غزة

تحملني بيديك إلى عشي المهجور

في اليوم التالي

كانت غزة تغسل كفيها من دم آفي ورفاقه⁽¹⁾ .

يقوم الشاعر في هذا المقطع على أسلوب السرد الحكائي ، فالضابط الصهيوني (آفي) ، كان يتحدث
مع محبوبته عبر جوال مخبأ في جيب سرواله ، ونظراً للأوامر العسكرية بمنع الاتصالات المدنية
أثناء المعركة ، وهذا الرمز يمثل تشبث هؤلاء الناس بحب الحياة ، فهم لا يستطيعون الانقطاع عن
أحبابهم وعائلاتهم ، ثم يمثل الجبن الصهيوني ، من خلال تبوله في بنطاله ، حيث طال البول جواله ،
هذا الضابط الذي يبدو في حالة الفارس الهمام ، وهو يعد محبوبته بالعودة بأقصى سرعة بعد النيل
من الفلسطينيين ، وذكر الشاعر مريم وسعاد ، كرمز إلى الطهارة هذه الشخصيات ، والتي تود
محبوبته أن تلبس حاجياتهن ، بعد قتلهن على يد فارسها ، وهذا يشير إلى خسة هؤلاء القوم ، والذين
يستأسدون على النساء والأطفال في معاركهم . ولكن الشاعر في نهاية المقطع ، يبدد أحلام المحبوبة
من خلال زيف أسطورة الجيش الذي يقهر ، حين قتل (آفي) ورفاقه في غزة .

حيث يلمح الشاعر ، إلى استعصاء تلك المدينة على الغزاة وتصوير ضراوة الحرب التي كانت دائرة،
فيها فأماط توظيف هذه الشخصية السردية اللثام عن حقيقة وواقع هؤلاء الجنود ، حيث يحملون
علامات الرعب والارتجاف ، لمجرد سماعهم بغزة ، حيث جاء التركيب الأخير (تغسل كفيها من دم
آفي) حاملاً معاني الثأر والرحمة التي اتسمت في الدور ، بعد النيل من هؤلاء الجبناء جراء
أفعالهم المشينة في غزة .

وأوافق الدكتور أبو دقة ، حيث قال : " تقوم سردية هذا المقطع على أسلوب حكائي، له خصوصيته
وأبعاده الدلالية ، وعلامته البنيوية المتميزة، ومفارقته المتخيلة التي لا تشط كثيرا عن حقيقة ما حدث

(¹) لأجلك غزة ، ص ١٦٦

في يوميات العدوان الصهيوني علي غزة وفي نهاية المقطع تأتي المفارقة لتبدد التوهم الصهيوني بالانتصار ، حين يقتل (آفي) ورفاقه في غزة " (١)
وفي مقطع آخر من ذات القصيدة ، يقول أبو جحجوح :
كانت تعشق بناءً

عربياً في بيت الجيران
تتمنى أن ينظر (شوقي) في عينيها
لكن شوقي كان يصلي ويتمتم
ويردد كلمات لا تفهمها الشقراء
ويعد الساعات ليرجع من رحلته
في كفيه المهر
يا مريم مدى كفيك إلي كفيه ..

ظلت في حسرتها
والبولوني الأشقر يقتات أنوثتها كل مساء
تتمنى أن تقتل ما كان يسلي شوقيا عنها ..
وأخيراً بعد سنين
ها هي تقتل مريم والأطفال وشوقي والجيران
وتسوى بالأرض منازلهم ومساجدهم (٢)

يوصل الشاعر حكاياته السردية ، ولكنه هذه المرة يشير إلى جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية وهو جانب القيم والأخلاق ، حيث يضيء صورة بنات اليهود ، من خلال تجنيدهن للعمل في أجهزة الموساد ، وزرعهن في شباك العمالة ، فهذه الشقراء وربما هي (تسيبي ليفني) تلك النني كانت ضابطة في الموساد ، ومسئولة عما يعرف بـ(البيوت الآمنة) في العالم ، والتي يستخدمها رجال المخابرات لتحقيق مهامهم .

حاولت إسقاط (شوقي) العامل الفلسطيني ، ولكنه كشاب مسلم كان يلجأ للصلاة . وفي النهاية باءت محاولتها بالفشل ، فلقد اختار طريق العفة بزواجه من مريم .
ويلمح الشاعر بأنه على الرغم مما فعلته هذه الشقراء بضحكتها الصفراء ، خلال جولاتها في العالم العربي والغربي ، إلا أنها فشلت في دعم موقف إسرائيل ، بهذه المجازر والوحشية المرتكبة بحق الشعب الأعزل .

(١) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٦٠٢

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٦٧

ثم يأتي الشاعر في نهاية المقطع ليوضح لنا وحشية هذه المرأة بقتلها مريم والأطفال وشوقي ، في إشارة منه لتحميلها جزءاً من إثم حرب غزة ، فهي المحرصة في أي مكان تذهب إليه ، على قتل الشعب وإبادته ، متهمة إياهم بالإرهاب .

ويدخل الشاعر شخصية (بولوني) والذي يقتات أنوثتها ، في إشارة لتشيت هؤلاء اليهود ، فهم مجرد جماعات مفرقة من (بولونيا ولتوانيا وروسيا) ، ولا هم لهم سوى إرضاء نزواتهم وشهواتهم وفي قراءة للدكتور أبو دقة " ومن الواضح أن الشاعر تناول في حكاية سرده جانباً آخر من جوانب الرغبة في الانتقام من الفلسطينيين ، وهو الجانب القيمي، والأخلاقي، والعقدي ، فهذه اليهودية العاشقة ولعله قصد (تسيبي ليفني) وزيرة خارجية إسرائيل، كما يتضح من خاتمة المقطع ،فهي تتحمل جزءاً كبيراً من وزر الحرب الأخيرة على غزة...ولكنها فشلت على الرغم من احتضان العالم الغربي برمته لهذه اليهودية، بصفتها رمزاً لدولة إسرائيل، وعلى الأخص موقف الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي المهاجر اليهودي من أصل بولوني الذي يقدم دعماً كبيراً للكيان الصهيوني " (١).

فجاء التوظيف لهذه الشخصية غير المرغوب فيها ليظهر فساد خلق اليهود ، وأطماعهم المادية ، فجاءت النقوش المحفورة على القذيفة الفسفورية ، لتنتشر لنا فسادهم وضياع ذمهم ، وحقدهم الأعمى والدفين ، تجاه هذا الشعب الأعزل .

ويتواصل أبو ججوح ، في استدعاء شخصيات أخرى ، في ذات القصيدة ، في محاولة منه لإكساب القصيدة الأبعاد الدلالية المرجوة ، فيقول :

هوغو شافيز

بازلت أحمر

نبتت في كفيه النخوة إبراً فبكى

ودماؤك تنساب على الطرقات

والصالح إسماعيل

وعبيد الرومان

مازالوا ينتظرون الحفل الأحمر

في قصر القيصر

هذا زمن البسفور

وزمن الفاتح والأستانة

فافتح أهداب الشيطان على الصحراء

في زمن الفسفور

هل تمسح دمعته؟! (٢)

(١) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٧٠

وفي هذا التنوع الدرامي الرائع من قبل أبو جحجوح ، ينتقل بنا إلى توثيق المواقف السياسية وخاصة الأجنبية ، والتي وقعت سداً للفلسطينيين ، خاصة رئيس فنزويلا (هوغو تشافيز) ذلك الذي انتفضت مشاعره ، وجاشت عيونه من البكاء ، مما دفعه لطرد السفير الإسرائيلي من بلاده ، في الوقت الذي جمدت فيه مشاعر العرب والمسلمين ، عائمين في ذهول الخوف والرهبة .

فجاء ليعلن وقفته الهامة واستنكاره للمجازر المرتكبة بحق غزة ، حيث شكل الموقف مفارقة دلالية ، حيث الضعف المستشري بين الأنظمة العربية ، وضياح النخوة فيهم ، فرمز إليهم بشخصية الصالح عماد الدين إسماعيل من بني أيوب ، والذي قام بقتال ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، حاكم مصر ، مما أدى بالصالح لموالة الصليبيين (١).

وعاد يشبههم بعبيد الرومان ، والذين رضوا على أنفسهم أن يكونوا عبيداً لكل جبار وقوي . فجاءت هذه الاستدعاءات والاستحقاقات التاريخية ، لإعطاء هذا الانهزام العربي المرجع التاريخي ، لأنهم غير مختلفين عن سابقهم ، حيث يتوجون انتصارات الأعداء ، بحفاوتهم وإكرامهم ، بإحياء الليالي الحمراء والكؤوس المدارة ، لتوزع عليهم قبلات الخيبة والإنكسار ، خانعين في قصورهم ، وبين أحضان أعدائهم .

وفي قراءة الدكتور أبو دقة " أصبح (هوغو شافيز) رمزاً كلياً دالاً لجميع أحرار العالم ، لموقفه البطولي ضد المجزرة التي ارتكبها الصهاينة في غزة ، وهو رجل يساري ، يختلف معنا: عقيدة ، وهوية ، ولغة ، وتراث ، ومع ذلك كله ، وقف موقفاً إنسانياً مشرفاً ... هذه المواقف شكلت مفارقة ذات بعد دلالي عميق ، حيث كشفت عن مدى الضعف والخذلان الذي أصاب الأنظمة الرسمية العربية ثم (٢) يُشير الشاعر إلى تركيا ، مواقفها الداعمة للفلسطينيين ، من خلال التركيب (زمن البسفور) فهو المضيق الموجود في تركيا ، والذي يشهد على المواقف المشرفة للأتراك ، وعلى رأسهم رئيس الوزراء (رجب طيب أردوغان) ، حيث يعود الشاعر بذاكرته للوزراء ، مستذكراً المجد التليد للدولة العثمانية ممثلين بالسلطان محمد الثاني ، فاتح القسطنطينية .

مظهراً المواقف المشرفة للعثمانيين في الدولة التركية ، واستقبال تركيا لجرحى البسفور . وعلق الدكتور أبو دقة قائلاً : " إن الصيغة الافتتاحية إلى زمن البسفور لها دلالتها الإشادية ، ورؤيتها الاحتفالية بمواقف تركيا الداعمة للحق الفلسطيني ، والرافضة للسياسة الإسرائيلية الهمجية على غزة ... ولعل خاتمة المقطع تجسيد نصي لصور أردوغان وهو يزور جرحى غزة ، الذين أصابته القنابل البسفورية الإسرائيلية ، ومن بين هذه الصور فتاة فلسطينية جريحة في المستشفيات التركية . كما يضيف استحضار المرأة الجريحة المقهورة شعوراً مؤلماً بالاستلاب والعجز والفجائية " (٣).

(١) انظر : المكين جرجس بن العميد ، أخبار الأيوبيين (مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد) ص ٢ ، وانظر : في تاريخ

الأيوبيين والمماليك ، أحمد العبادي (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥) ص ٨٧

(٢) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٦٠٧

(٣) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٦٠٨

يقول رأفت عبيد ، في قصيدته (هنا غزة):

هنا غزة ..

أدام الله آمالَ الورى فيها ...

هنا غزة ..

كرامتنا التي عادت وتاهت في الدنيا تيهها ..

هنا غزة ..

صمود في مبانيها ..

هنا غزة ..

هنا تافت إلى الهيجا مغازيها ..

صلاح الدين عزّاها وواسى في مآسيها ...

وفي الأفراح فرحانٌ نياجيها يهنيها ..

هنا غزة ..

أدام الله عزتها ...

أدام الله واليها ...

أدام الله نصرتها ..

أقام الله دولتها ... (١)

يحمل عنوان القصيدة ، علامات العناد والتحدي ، والتمسك بالأرض الطيبة ، وإن جالت عليها الخطوب ، ونزل الدمع من مآقيها حيث كرر الشاعر التركيب (هنا غزة) أربعة عشر مرة ، فهذا الكم الهائل من التكرار يحمل في طياته الدلالية الجمالية عزّة الأهل ، وتعاليمهم على الجراح ، رغم التأوهات الفجائية التي مروا بها .

ويبدد الشاعر متشجاً بحلة الفخار ، رافعاً هامته ، تشفياً وانتقاماً بما فعلت غزة باليهود ، حيث رجعوا على أعقابهم خائبين ، رغم المآسي التي خلقت فيها ، فهي عنوان الكرامة المفقودة في شتى البلدان العربية ، وكأنى بالشاعر يوجه خطاباً تاريخياً ، للأمة العربية ، أن أفيقوا من غفلتهم ونومكم الطويل أن لكم أن تتحركوا كما تحركت غزة ، فهي المدينة الثائرة على سُبُل الذل والهوان ، الصامدة في وجه طوفان الاحتلال ، ويدخل الشاعر في أثناء الأبيات شخصية

تحن إليها الأفئدة وتدمع لفقدائها العيون وترجو جميع الأنفس في تكرار هذه الشخصية المستدعاة ، إنه صلاح الدين الأيوبي ، قاهر الصليبيين فكان الاستدعاء محط حزن شديد ، من واقع الأمة المأسوف عليه من خلال عزاء صلاح الدين الأيوبي لغزة ومواساته لها ، وأنه لا يلوح في الأفق ثائر آخر ، يهب هبة صلاح وأمثاله ، لعسر الحال العربي .

(١) لأجلك غزة ، ص ١٧٧ ، ص ١٧٨

ثم يتواصل الشاعر تكرار الفعل الماضي (أدام) ثلاث مرات ، حيث يبدو التكرار وكأنه الضوء اللاشعوري ، والذي بدوره يضيء ما تخبئ النفس ، فيظهرها للمتلقي ، ليهب المشهد الشعري عمق الدلالة .

فأبان التكرار عن نفس الشاعر عاطفته التائقة لإحتضان غزة ، وتقبيلها في جوٍّ ملؤه البهجة والسرور ليرسخ هذه القيم النبيلة ، حب غزة واحترامها ، في نفس المتلقي ، ثم يشير إلى توحده مع (إسماعيل هنية) حيث لفظة (واليها) ، ورضائه عن نظام الحكم فيها ، والداعي إلى شرع الله ، وإقامة حدوده فنجاح التوظيف في تثبيت الأسس الثورية والنضالية ، كاشفاً عن الوجد العربي ، داعياً حذوها في الجهر بلاءات المساومة والتفريط بالحقوق والثوابت .

ويقول رفعت زيتون ، في قصيدته المعنونة بـ (رسائل غزاوية إلى أبي الهول المصري وإلى نيل العرب) :

سقوط السد

يا غزة قلنا بالأمس

ونعيد القصة .. نحكيها

لن يصمد سد في وجه الثوار .. حتما

لن تبقى أغلاك أبداً

يا غزة أبداً لن ترضى

أهرام الجيزة بالإذلال فثارت تلعن باتيها

لكن أبا الهول المصري

لا يأبه بالنزف وقهري

لا بد وأن يرجع يوماً للبيت العربي

ويشرب من نهر الأردن ويغدو

ملك الأحلام وراعيها^(١).

يأتي الشاعر في هذه القصيدة على هيئة ديالوج ضمني ، بينه وبين أبو الهول ، من خلال مخاطبته ، حيث استدعى هذه الشخصية والتي تعد رمزاً من رموز الحضارة المصرية ، وصمودها في مواجهة عوامل الزمن على مدى عصور طويلة ، فنراه يستصرخ الشعب المصري ورمز إليه (بأهرام الجيزة) ، بأنهم أصحاب النخوة والشهامة ، ولن يرضوا عن الحصار المفروض على غزة ، وحتماً سيندحر أمام هبات الثوار

ثم رمز للرئيس المصري بـ (أبي الهول) في تكبره وعناده ، وإهماله لحال القضية الفلسطينية ، داعياً إياه للعودة إلى رشده والرجوع للصف العربي ، فكل البلاد العربية كتلة واحدة .

(١) لأجلك غزة ، ص ١٨٢

فحمل الاستدعاء في طياته الخفية رسالة تجمع بين الترهيب والترغيب ، من هذا الشعب المحاصر ،
فالحال لن يبقى كما هو عليه ، وحتماً ستتقلب المعادلة رأساً على عقب ، وحملت حروف النفي (لن
يصمد - لن تبقى) هذه الدلالات الخفية .

ثم يتواصل في رسائله ، موجهاً هذه المرة رسالته إلى نهر النيل ، حيث عنون ثلاث فقرات (يا نيل
إلى متى ؟ ، استغفر يا نيل ، احمل يا نيل لواءك) فجاءت العناوين بالتدرج ، ففي الأولى بدأ
باستعطاف النيل من خلال ندائه ، وفي الثانية بدأ بفعل الأمر حاملاً الدعاء ، وفي الثالثة جاء بالأمر
ويحمل معنى الحث والدفع (أملاً منه في الاستجابة لرسائل الحياة الكريمة ، التي يدعو إليها ، وبها
تصان الحقوق ، وتحفظ دماء وجه العرب ، فيقول :

يا نيل مياهاك تحرقنا

فأجبنى من ذا يشفينا ..؟

هل جفَّ الحبُّ بوادي التوبة فعطشنا .. ؟

ووهبت مياهاك للأغراب

ولص جاء ليشقيننا ..!

يا نيل سألتك بالله .

هل ترضى للجهة الأخرى

أن نظماً وتجوع وتعري ؟

فافتح أبوابك واستغفر

لقرار بالمنع وكفر

عن ذنوبك وخطايا الأمس

أدخلنا قصرك واطرد خوفك

واجمع شملك واكسر قيدك

واحمل يا نيل لواءك⁽¹⁾.

فجاءت النداءات والصرخات من ضجرة الشاعر ، ليعكسها يراعه في بياض الصفحات ، أملاً منه
في حث الهمم عن النهوض من عجزها المعهود ، مشركاً المتلقي في هذا العبء الجسيم ، فالمصاب
عظيم ، إغلاق ومنع وموت ، فأى حياة تلك التي يحياها أبناء غزة ؟! فجاء تجسيده لشخص النيل ،
والذي هو شريان حياة المصريين ، بأنكم هل ترضون هذا القمع الذي يمارس بحق هذا الشعب
الأعزل ، ولعب الشاعر على ممارسة سلطاته داخل النص من خلال تقانة الترصيع والتي تترد
بصرياً على المتلقي ، ومن خلال أفعال الأمر المتكررة ، ومن خلال الوقع على السمع للتراكيب (
قصرك - خوفك - شملك - قيدك) (بمائك - سمائك)

(¹) لأجلك غزة ، ص ١٨٤

حيث نوّع الشاعر في التراكيب اللغوية ، لتظهر تحولات خطابه الشعري وتخلق الإيحاءات ، لتبين الحالة الشعرية التي تلبست الشاعر أثناء الخطاب ، فوفق الشاعر في هذه المقاطع الثلاثة ، حيث بناها على شكل رسائل للنيل ، مخاطباً قلوب الشعب المصري ، مستجدياً الدفاع والذود عن حمى الشعب الفلسطيني ، مستغلاً التشكيلات الجمالية في تعميق الدلالات ، منيراً العتمة الجاثمة في عقل المتلقي ومستنهضاً مشاعره وأحاسيسه وكأنه يوجه خطبة حماسية بعنوان (ثورة على الظلم) .
يقول سعد الغامدي ، في قصيدته (مجازر غزة وحصارها) :

إذا ما الكاهن الأكبر

تفرد بالجرائم

في (عراق) الخير

حتى ضاقت الآفاق

بالقتلى

وبالجرحي

وبالجوعى

وآلاف القوافل

نازحين

إلى فجاج

لم تعد تقوى

على هم النزوح

فمن ذا يمنع الحاخام

أن تصلي قذائفه

سماء العز في غزة

قذائف ساقها الكاهن..

فيزهق روح (رادينا)

وتصحبها (هنا)

وأخوهما (صالح) و(مسعد)

ويذهل للجرائم⁽¹⁾.

يتجول الشاعر في أفق النص كالصحفي الباحث عن الحقيقة ، حاملاً كاميراته لتثبت الحقائق والجرائم فيمتحن الشاعر هذه الحرفة ولكنه حاملاً يراعه ، لوصف وتصوير هذه المشاهد ، بروية درامية ، فها هو يستحضر الرئيس السابق لأمريكا جورج بوش ، حيث رمز إليه بالكاهن الأكبر ، نظراً لدعوته أن تكون الحروب على العراق وأفغانستان حرباً صليبية ، فهو الذي دعا إلى الحرب وجعل جنوده

(¹) لأجلك غزة ، ص ٢١٦ ، ٢١٧

يخوضونها ، مشردين الآلاف ، تاركين وراءهم القبور الجماعية ، وآهات التكلّى والأرامل ، هذه الصورة تسير في خط متوازي لمدينة أخرى ، ومجتمع آخر ، ولكن العرق والدين واحد ، هي صورة رئيس وزراء إسرائيل (إيهود أولمرت) حيث رمز إليه بالحاخام ، تبعاً لمولاته للحاخامات اليهود ، وموافقته لآرائهم الداعية للتطهير العرقي لأبناء غزة .

فالاثنتان يشتركان في نفس النهج ، القتل ثم القتل ثم القتل ، حيث يأتذر كل منهم تحت أوامر رجال الدين والكهان ، والحاخامات .

وجاء التصوير الدرامي ، مصوراً إنارة سماء غزة بحمم القذائف والتي نشرت المآسي والمذابح بين الناس ، حيث سرد الشاعر في مشهد حسي استشهد الكثير من الأطفال ، الذين لا حول لهم ولا قوة ، نذكر صعود أرواح (رادينا ، هناء ، صالح ، مسعد) على سبيل المثال لا الحصر ، لإظهار جبروت المعتدي ، وقسوة قلبه ، على أطفال الوطن الذبيح .

فوقعت غزة والعراق تحت مجهر الشاعر ، والذي بدوره عكس إلينا هذه الدراما ووقائعها ، عاتباً على خذلان الأمة لهذه الشعوب المنكوبة ، مدلاً بقوله:

ونحن بصمتنا

عن كل ما يفعل

نسانده لكي يقتل

لأننا ... نرهب الحاخام ..

وهبة عمه الكاهن ..

وننسى

أننا

سنجنى

بعض ما نفعل^(١)

مرسلاً رسالة الخطر ، لكل الدول العربية ، حيث الدور قادم ، والأيام دواليك .

يقول سلامة خليل سلامة - في قصيدته (من قال لا ولم يقل اللهم نفسي):

أيها الغزّي .. يا يوسف هذا

العصر

أيها المصنوع من حبر جميل

نحن من ألقاك في الجب وباعك

نحن من مزّق باليأس شراعك

نحن سمناك للذنب لكي يرحمنا

ثم جهزنا المناديل لنبكي وتنادي يا أبانا

(١) لأجلك غزة ، ص ٢١٧

إنه الذئب ولا دخل لنا^(١) .

يرتكز الشاعر في المقطع السابق ، على رمز تاريخي ذكر في القرآن الكريم ، وفي قصص السيرة ، هذا الرمز الذي عانى وتشرد وظلم من إخوته ، جراء الغيرة المفرطة تجاهه ، ولكن الشاعر حوّر الشخصية ، من خلال تقانة قلب الوضع الدرامي ، حيث الغزي المتماهي مع شخصية يوسف ، الذي تأمر أخوته علي قتله ، حيث الزمان يعيد نفسه ، فسار الشاعر بنمطية السرد الحكائي ، لقصة يوسف ، فيها هو المواطن الغزي ، الذي قال : لا في وجه الطغيان ، حيث توازى مع عنوان القصيدة (من قال لا) .

ولكنه دفع الثمن باهظاً ، حيث تخلى العالم أجمع عن هذا الشعب وحكومته ، وربما هنا إشارة إلى شخص (إسماعيل هنية) ممثلاً للشعب الغزي ، الذي رفض التطبيع وطمس الحقائق والوقائع ، فكان نصيبه طعنات الغدر والتآمر من قبل حكام العرب ، ومناوئتهم حيث يجلون ويحترمون من يدوسونهم بأقدامهم ، ويقابلونهم بالأحضان والابتسامات العريضة .

فأوضح التوظيف الغدر العربي ، والأطماع المادية التي طغت على المروءة والشهامة ، وتخليهم عن شعب أعزل، كل مصيبتة أنه وقف صامداً ، في وجه رياح الذل ، حيث انفرد بقولته " لا " خارجاً عن "اللهم نفسي" .

وفي قصيدة (القدس موعداً) يقول سمير العمري :

فُصِّي بِقَايَا قِصَّةِ الْأَمْسِ وَابْكِي عَلَى الْآثَارِ يَا نَفْسِي
وَتَلَمَّسِي مِنْ سِيرَةٍ دَرَسَتْ مَا كَانَ مِنْ شَأْوٍ وَمِنْ شَأْسِ
الْمَجْدُ كَانَ النَّجْمَ مَنَزَلُهُ وَالْيَوْمَ بَعْدَ الْهُونِ فِي الرَّمَسِ
أَصْلِي إِلَى الْأَمْجَادِ مُنْتَسِبٌ إِنِّي أَنَا الْعَرَبِيُّ مِنْ عَبَسِ
إِنِّي أَنَا شَدَادُ عَنْتَرَةٍ يَشْكُو مِنَ التَّمْيِيزِ فِي الْجِنْسِ
إِنِّي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ بَطْلٌ مُتَاهَبٌ بِالسَّيْفِ وَالتُّرْسِ
كَالْبَيْنِ بَانَ الزُّورُ فِي فَمِهِ فَالْبَيْتُ لَا يُبْنَى بِبِلَاسٍ
إِنْ جِئْتَ تَسْأَلُ مَا أَعَدَّ لَهَا يُخْبِرُكَ عَنْ لَيْلَى وَعَنْ قَيْسِ
لَا رُشْدَ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ هُدًى فَاصْدَعْ بِذَلِكَ يَا "أَبَا الْعَبَسِ"^(٢)

يأتي الشاعر بقصيدته على شكل سرد حكائي ، يهدف من خلاله للوصول للدلالات والتي جسدها عبر استدعائه لشخصية اليهودي (قيس بن شاس) ، ذلك الذي حاول إيقاع الفتنة بين قبيلتي الأوس والخزرج ، حيث يرجعنا الشاعر عبر ردهات الماضي مذكراً بعصية العرب ، والتي ربما استطاع اليهود نشرها اليوم من خلال إشاعة الفرقة بين أبناء يعرب ، ثم ينتقل الشاعر لشخصية عنتره حيث سار باستخدام تقانة قلب القيمة الرمزية فمنح عنتره دلالة الجبن وكثرة الكلام لا الأفعال ، مظهراً إياه

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٢٢

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٢٩

بالعابث اللاهي ، الباحث عن قصص الحب ، أمثال قيس وليلى ، وفي هذا إسقاط على الشباب العرب الذين يغرقون في الأحلام الوردية ، هائمين في بحار الشوق والحنين ، ثم يستدعي شخصية الرئيس الفلسطيني من خلال لقبه (أبا العبس) مطالباً إياه بالتخلي عن أحلام السلام حيث كان هو مهندس مفاوضات أوسلو ، لأنها لم تحقق الغايات المنشودة للشعب الفلسطيني ، بل ألقت عليهم المآسي والتكتيلا، فجاء فعل الأمر (فاصدع) حاملاً علامات الرفض لكل أنواع المفاوضات الجارية مع الكيان الصهيوني ، فهذا المحتل لا يعرف سوى لغة المقاومة ، إن أراد إرجاع الحقوق لأهلها . فجاءت التوظيفات المتعددة في تعميق دلالات النص وإثرائه ، مجسدة رؤية الشاعر وإظهار مشاعره المفعمة بالحزن واليأس من هذا التقاعس العربي عن نصره القضية ، داعياً لترك التطبيع مع يهود ، واستخدام لغة اليد لا لغة اللسان .

ويقول سمير العمري ، في قصيدته (راية المجد) :

أَرْتِيكَ يَا زَمَنَ الْأَمْجَادِ مُحْتَسِبًا حِينَ اسْتَقَامَ لَنَا التَّارِيخُ وَانْتَحَبَا
بِسَيْفِ خَالِدٍ فِي الْأَعْدَاءِ قَدْ رَضَخْتَ لِلْحَقِّ أَفْنِدَةً وَاسْتَنْطَقْتَ أَدَبَا
وَبِالْعَدَالَةِ فِي الْفَارُوقِ قَدْ حَكَمْتَ رُوحَ الْأُخُوَّةِ قَوْمًا سَادَةً نُجَبَا
لَمْ يَنْزِلِ الذُّلُّ حَيًّا حَيْثُهم أَبَدًا لَمْ يَرْتَضُوا الضَّيْمَ مَهْمَا كَانَ مُحْتَرَبَا
فَعُدَّ بِسَيْفِكَ يَا مِقْدَادُ فِي أَنْفِ وَاضْرِبْ بِعِزِّكَ فِي نَحْرِ الْعَدَى عَقَبَا
وَقُلْ لِّخَالِدٍ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جُبُّوا وَأَغْضَتِ الْعَيْنُ وَالْيَرْمُوكُ قَدْ سَلَبَا
وَأَكْثَرُ الشَّعْبِ لَا نَفْعَ وَلَا ضَرَرَ مَنْ يَأْكُلُ التَّمَرَ أَمْ مَنْ يَعَصِرُ الْقَصَبَا
هَلَّتْ بِشَائِرِ رَبِّ الْعِزِّ فِي وَطَنِ مَا زَالَ يَرْفُضُ فِي الْإِذْلَالِ مُنْقَلَبَا
طِفْلٌ يُلَاطِمُ دَبَابَاتِهِمْ بِيَدٍ وَتِلْكَ أُخْرَى بِعِزٍّ تَرْجُمُ اللَّهَبَا^(١)

يسقط الشاعر شخصياته التاريخية على الزمن الحالي ، من خلال مونولوج يعكس تأسي الشاعر ونفسه من هذا الواقع المعتم، فيأتي مستحضراً (خالد بن الوليد) رمز البطولة والإباء ، مستذكراً إياه وملتمساً عودته بصولاته وجولاته المعهودة ، حيث جاء باسمه المباشر ، معتمداً على دلالة السيف المشهور به ، لتعريف المتلقي به ، ثم يستحضر شخصية عمر بن الخطاب ، من خلال الاستدعاء باللقب (الفاروق) الذي نشر العدالة في أرجاء البلاد ، فهذا الرمز نادر في زماننا هذا ، وهو القائل " أحبُّ الناس إليَّ من رفع إلي عيوبي " ^(٢).

فكيف بهذا العهد حيث الظلم والطغيان ، يحلان في شتى الأماكن العربية فهذه الإشارات تسعى إلى ربط الحاضر بالماضي ومحاولة استخلاص العبر والتجارب ، والإفادة منها في هذا العصر ثم يستدعي الشاعر المقداد بن الأسود أحد الصحابة الذين كان لهم باع في معركة اليرموك ، حيث

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٣١

(٢) انظر : محمد رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب (المطبعة المحمدية ، مصر ، ١٩٣٦) ص ٦٨

يستصرخ المارد العربي الكامن في قلوب مسلمي هذا العصر ، الذين تقاعسوا عن نصره إخوانهم في فلسطين .

فحملت (فعد ، وقل) إحياءات مكتنزة في ذات الشاعر ، حملها للمتلقي في ذلك الشعور المتبدل لدى العرب ، فأراد الشاعر أن يفجر طاقات النص لخدمة تجربته المعاصرة فأشار للشعوب الخليجية (بأكلي التمر) ، ثم إلى مصر (بعاصري القصب) فكل بلد حسب شهرته . وجاء بهذه التراكيب ليوضح عدم فائدتهم ، فهم يفكرون ببطونهم فقط ، ولكن الشاعر لم يغلبه الإحباط من تغيير هذا الواقع ، فاستبشر خيراً في غزة وجيلها القادم ، وربما قصد في (طفل يلاطم دبابة) إلى ذكر الشهيد الطفل فارس عودة ، والذي ملأت صورته الشوارع حاملاً حجراً في وجه دبابة ، مظهراً سموه هذا الشعب وجبروته رغم مآسيه .

يقول صبري أحمد الصبري ، في قصيدته (أبشرْ لؤي) :

أبشر (لؤي) بصبحنا الوضّاح أبشر بنور ساطع بصباح
حتما سنصحو يا (لؤي) بالعاديّات سيوفنا بسراح
صبرا (لؤي) فلن تخيب ظنونكم فينا سنصبح كلنا برباح
صبرا لؤي يا بن صبح إتنا بالحزن صرنا في شتات مناحي
وأبوك يروي للخلّاق ما جرى في (غزة) من نكبة وصياح
رباه كرما دعوتي يا سيدي ل(لؤي) يحيا في سرور براح⁽¹⁾

تحمل هذه القصيدة في عنوانها وطيّاتها ، تصوير فاجعة من الفواجع التي ألمت بغزة وقاطنيها ، حملت صورة مأساوية تكررت عشرات المرات في أطفال ونساء ، إنها مآسي الفسفور الحارق الملتهب ، فالشاعر مواطن ككل المواطنين الذي شاهدوا هذا الطفل على شاشات الفضائيات ، وقد فقد بصره واحترق وجهه ، جراء فسفور الجحيم ، إنه الطفل (لؤي صبح) ، من سكان شمال غزة ، ذلك الذي أدمع عيون الكثير ، وعيناه لا تشاهدهم ، فهما تسبحان في ظلام سرمدي ، تبحثان عن نقطة ضوء ولا نجاة .

بأنّي الشاعر مجسداً أحاسيسه ومشاعره ، عبر ديالوج بينه وبين لؤي المستدعي ، ليحمل له المواساة والتكاثف معه ، فكرر اسمه خمس مرات ، مخاطباً إياه بالصبر والثبات مصوراً هذه الشخصية الدرامية لتحمل دوال التآوهات الفجائية التي أصابت الغزيين ، مُمثّلين في لؤي ، فهو يحمل كل هم شهيد ومصاب وأسير ، ويحمل فواجع هدم البيوت وتدمير مساجد الله ، يحمل صراخات أمهات تكلّى وأرامل ، وأطفال يُتموا منذ الصغر .

فالتوظيف أراد تسليط الضوء ، على الرؤى المركزية من خلال خيبة الخائبين ، الذي لم يمنعوا مثل هذا الأذى والضرر اللاحق بالناس ، داعياً الله أن يكون معيناً لهذا الشعب ، وأن يحيا أطفاله أمثال (لؤي) في راحة وهناء .

(¹) لأجلك غزة ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠

يقول الشاعر صبري أحمد الصبري ، (جلعاد شاليط):

عجا لـ (جلعاد) الأسير النَّادي بالأسر يحيا وافر الإِغْدا
يحتل أضواء الصحافة كلها بالغرب هتفت بالفكاك تنادي
(جلعاد شاليط) أسيرٌ يرتجي إطلاقه من قبضة الجَلادِ
(جلعاد) غَضُّ المنكبين بقلبه شوقُ التحرر من قيود أعادي
عجا لـ (جلعاد) الأسير..تذكروا دوما حكاية نجمهم (جلعاد)!!⁽¹⁾

في هذه القصيدة يستلهم الشاعر شخصية (جلعاد شاليط) ، الجندي الإسرائيلي الأسير في غزة ، في عبارات شاحبة ومدينة لهذا الوضع العالمي المقلوب ، فجاء العنوان باسمه ، وقد تكرر اسمه خمس مرات في سياق النص ، الذي له أثر في حاضرنا ، حيث قامت الدنيا ولم تقعد تجاه فك أسره في حين أن آلاف الأسرى والمعتقلين في السجون ولا منافع لهم ، ويبرز الشاعر المفارقة بين المسلمين واليهود ، في تعاملهم مع الأسرى .

فجلعاد يتمتع بكل سبل الراحة ، عكس ما يحدث لأسرى العرب ، فجاء هذا الاستدعاء لجلعاد مبرزاً دناوة الدم العربي ، بينما الإنسان الغربي روحه أغلى من مئات الأرواح العربية ، وقد رأينا ما حدث إبان أسر شاليط ، كيف أن اليهود صبوا جام غضبهم على غزة ، فالمتأمل في المقطع يدرك أن الشاعر قد استدعى هذه الشخصية ، لتحمل دلالات غنية تصف ما آلت إليه الشعوب العربية من نكسة وهوان ، ثم يختم قصيدته بسخرية مريرة ملؤها الحزن والإحباط ، من هؤلاء الأعداء الذين يحفظون حقوق أبنائهم ويطالبون بهم، فيما العرب لا يأبهون لشعب بأكمله يقتل ويشرد وتنتهك حقوقه ، وما من مجيب .

ويقول صبري أحمد الصبري ، في قصيدته (رثاء الشهيد سعيد صيام):

شهيدٌ شاقه طيب المقام بروضات السعادة والسلام
شهيدٌ روحه حنَّت لروضِ بفر دوس المسرة للكرام
سعيدٌ مشرق الوجنات يسمو بأهداف التـصـدي للنام
وكنـت الفارس المقـدام منهم (سعيدُ) الحق من آل الـ (صيام)
فعش بالخلد مسرورا منيرا جميلا باسم حلو التنامي
ففيها يا (سعيدُ) الأجر حقا من الرحمن ذي الجود السلام⁽²⁾

يأتي استحضار هذه الشخصية العظيمة ، في إطار الرسالة السامية ، والتي تحملها نفس الشاعر ، موصلاً إياها للمتلقي ، ألا وهي رسالة التضحية والفداء لهذا الشعب المقدم ، الذي ما توانى لحظة في تقديم أرواح أبنائه ، فداءً للدين والوطن ، إنه الشهيد سعيد صيام⁽¹⁾.

(1) لأجلك غزة ، ص ٢٥١

(2) لأجلك غزة ، ص ٢٥٣ ، ص ٢٥٤

حيث رغم شخصه ومنصبه ، إلا أنه ما لان ولا استكان إبان الحرب ، وربما هي رسالة خفية للقادة والوزراء العرب ، الذين يعيشون في بروجهم العاجية ، بعيداً عن الناس وهمومهم ، فهو القائد والمعلم والإنسان ، والذي كان له باع في الجهاد والدعوة ، فها هو يرتقي إلى الباري شهيداً ، حاملاً رسالة مؤداها بأن الجهاد ، ليس مقصوراً على الشباب فقط فبالرغم من كبر سنه ومرضه ، إلا أنه ما توانى لحظات وما تقاعس عن خدمة الوطن .

فجاءت عبارات الشاعر مدخلة ، المتلقي في جوّ الخشوع والعظمة أجواء الشهداء ومراتبهم عند الله ، حيث يجعل الحنين إلى الجنان بدور في خلد المتلقي .
وكرر (شهيد) مدلاً الوصف الكريم لهذه الشخصية ، مفتخراً بها ، حاثاً في الوقت نفسه على تلمس خطر السابقين من الشهداء ، لإنارة طريق الحرية .
يقول الشاعر طارق الساعي ، في قصيدته (زئير غزة):

ألا يا أرض غزة إزئرينا ولا تبقي اليهود الغاصبين
فإني أبصر القعقاع فيهم وبيض الهند تحملها اليمين
وخنديد يدك الأرض دكاً عليه رجال زين العابدين
ومقداداً وحساناً وزيداً وكراراً وصديقاً أميناً
فهذا الجيل جيل النصر حتماً وهذا البطش بطش الزائليين⁽²⁾

اعتمد الشاعر أسلوب حشد الشخصيات وتواليها ، في هذا الزئير لمدينة غزة ، وكأنها أسد جريح يزأر في وجه المعتدين ومن المعروف علمياً أن الأسد إذا كان مجروحاً يصبح أكثر شراسة من ذي قبل .
حيث جاء التحريض من الشاعر ، بعبارات التحدي في وجه هذا المحتل الغاشم ، مخاطباً العالم أجمع ممثلاً في غزة الصمود ، ليجعل المتلقي يتخلى عن صمته ويتسم بالتفاعل والتأثير ، حيث حملت (إزئرينا) هذه الدلالة المناسبة في القصيدة . فجاءت الشخصيات مصورة زمن العزة والكرامة ، مستتهضة همم الحاضر ، في تمثل القيم والسير على خطاها ، فالقعقاع بن عمرو أحد رموز البطولات ، ذلك الذي أرسله أبو بكر لخالد بن الوليد ، الذي طلب المدد في فتح فارس ، فاستغرب الصحابة من هذا الفعل ، فقال في حقه أبي بكر (لا يُهزم جيش فيه القعقاع)⁽³⁾ .
ثم زين العابدين (علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) الفقيه والعلامة وما لقب بزین العابدين ، إلا لكثرة عبادته ، فجيلنا حتماً يحتاج الفروسية ويحتاج التقوى والورع ، في سبيل نصره المسلمين .

(1) سعيد محمد شعبان صيام ، مواليد ١٩٥٩/٧/٢٢ م ، وزير داخلية في أول حكومة لحركة حماس ، أحد قادة حماس

اغتالته إسرائيل في ٢٠٠٩/١/١٥ م

(2) لأجلك غزة ، ص ٢٦٥ ، ص ٢٦٦

(3) انظر : محمد أمين الميداني ، القعقاع بن عمرو ، مجلة التراث العربي (عدد ١ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،

١٩٧٩) ص ٢

ثم تحتل الشخصيات الأخرى مساحة في النص وهي : المقداد بن عمرو الفارس والهمام ، والمنافح عن رسول الله حسان بن ثابت ، وحب رسول الله زيد بن حارثة ، حيث وصفهم بصفات هي (الكرار للمقداد ، والصديق لحسان ، والأمين لزيد) فهم جيل الأمانة والفروسية والدفاع عن رسول الله ، مظهرًا الشاعر بشارته بعودة هذا الصنف من الرجال ، في الجيل القادم ثم يواصل الحشد المتتابع للشخصيات ويأتي لجيل النساء الذي يأمله أمثال : عاتكة بنت عمرو بن نفيل ، والتي استشهد جميع من تزوجها فصبرت ونالت ، ومنهم (عبد الله بن أبي بكر ، عمر بن الخطاب ، الزبير بن العوام) متماهيا مع نساء فلسطين ، واللاتي فقدن أزواجهن في الحرب الأخيرة .

وها هي أسماء بنت أبي بكر ، والتي ضحت بروحها فداءً للرسول والدعوة ، عندما كانت ترسل إليهم الطعام سرًا ، وهند بنت أمية (أم سلمة) زوجة رسول الله ومطيعته الأمانة ، وفاطمة بنت رسول الله حيث ذكر لقبها (الزهراء) ، وعائشة زوج رسول الله (أم المؤمنين) فهؤلاء النساء هن القدوة لنساء اليوم ، في جهادهن وصبرهن على البلواء .

فالدلالة هنا واضحة ، إذ يشير الشاعر إلى تلمس الخطى في تتبع آثار الرسول وصحابته وأهل بيته ، كي ينمو عندنا جيلًا راسخ الذهن ، واثق الخطوات ، فعملية الاستحضار تمت بطريقة انتقالية ، خاضعة لطبيعة المواقف والتي أرادها الشاعر ، كما أن معظم شخصياته دينية ، وهذا يعود لأصالة الشاعر وثقافته ، متماشيًا مع ثقافة المتلقي ، حيث ربط الغائب بالحاضر ، لإثارة المتلقي ومحاولة تضيق الهوة بين الماضي والحاضر ، فكان الشاعر أكثر صدقًا وفاعلية مع الرموز والشخصيات الإسلامية المستمدة .

يقول الشاعر في قصيدته (أرضُ الأجداد):

أَرْضٌ تَسْلَمُهَا الْفَارُوقُ مُصَالِحَةٌ	وبسيف صلاح الدين عتقناها
فيها رماحُ الرومان كسرناها	وعليها جحافلُ المغلِ قهرناها
ولما تسابقتُ إليها حملاتُ	أوربا.. إلى أوربا أعَدناها
وما كان بونابرتُ بأوفرِ حظٍ	حين وصلتُ جُندهُ إلى عكا.. رددناها
وجيوشُ صاحبةِ الجلالةِ دَمِينَاها	فرحلتُ تلوي أذيالاً دَعَسْنَاها
الكلُ دَخَلَهَا غَازِيَا مُفْتَخِرًا	فخرجَ بمهانةٍ على جبينه طبعناها
أقسمَ القسَمُ أنْ يَفْـدِيَهَا	وياسينُ أهداها شهادةً شَهِدْنَاها
هَلْ عَرَفْتُمْ مَنْ هِيَ	الأرضُ التي نحنُ بذكرها
فِلِسْطِينُ مِنَ النهرِ إلى البَحْرِ	عَربِيَّةُ القلبِ واللسانِ رُبَاهَا ^(١)

يحاول الشاعر بإمكاناته الفنية المتوفرة أن يوظف الشخصيات توظيفاً وفق رؤيته الشعرية ، حيث انتكأ على الانبعاثات المشعة من لفظة (أرض) فهي تحمل الزمان بلفظة (الأجداد) ، وتحمل المكان في نهاية المقطع حيث ذكرها الشاعر مباشرة (فلسطين) ، فحمل العنوان الحضور الدائم ، مما جعل له

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٦٧ ، ص ٢٦٨

سلطة على النص فجاء محفزاً على فعل القراءة ، والعنوان الرئيس للقصيدة ينتمي للمقطع الأخير (هل عرفتم من هي ؟ فلسطين) ، ولكن الشاعر لفت للجذور العائدة إليها فلسطين (الأجداد ، الزمان) حيث أراد الولوج للبعد الزمني ، ثم بعد ذلك الانتقال للبعد المكاني ، ليوصل إلينا مفهوم التمسك بقيم وعادات ورموز السابقين ، فهي حتماً طريق خلاص الأرض من براثن الاحتلال .

ويأتي الشاعر معتمداً على السرد الحكائي ، وكأنه راوٍ لسير تاريخية ، حيث استلهم شخصية عمر بن الخطاب ، من خلال لقبه (الفاروق) ليظهر أحقية الأرض بنا ، فلقد استلمها عمر من (صفرونيوس) في ١٥ هـ ، فيما يعرف (بالعهد العمري) ، حيث كانت راحة تحت الاحتلال الصليبي (١).

ثم يستحضر الشاعر في سياق حشده للشخصيات المناهضة عن فلسطين ، شخصية صلاح الدين الأيوبي ، وتحريره للمقدس في ١١٨٧م بمعركة حطين الشهيرة (٢) حيث لفظة (سيف) دلت على بذل الجهد والنفس والمال ، في سبيل عتق هذه المدينة من نير المحتل الصليبي .

ثم يواصل استدعاءاته للرومان والمغول ، الذين واجهوا عواصف نارية لدى دخولهم لهذه البلاد ، وتحطمت طموحاتهم وانكسرت شوكتهم ، ولعل الشاعر يشير إلى معركة عين جالوت الشهيرة ، والتي وقعت في الجليل ، حيث انتصر المماليك على المغول ، وكذا ملوك الرومان من هيرودوس إلى نيرون وهرقل ، والذين هزموا شر هزائم ، في الفتوحات الإسلامية أمثال معركة (أجنادين واليرموك) ثم يستذكر الشاعر وكأنه مؤرخ يروي لأحفاده تاريخ بلادهم بالتفصيل والتسلسل الزمني ، وهذه المرة ينتقل إلى شخصية طالما صالت وجالت في معظم بلاد العالم ، حيث تحطم غرورها ، وجبروتها على عتبات أسوار عكا ، إنه نابليون بونابرت الفرنسي ، والذي هزم شر هزيمة بإرادة وصمود أهل عكا ، بقيادة أحمد باشا الجزار (٣) .

ثم يرتد الشاعر في حديثه لبريطانيا ، حيث ألمح لها (بجيوش صاحبة الجلالة) في إشارة إلى ملكتها إليزابيث الثانية ، ورحيل البريطانيين عن فلسطين عام ١٩٤٨م ، بعد مواجهاتهم مع الثوار والفدائيين فجاءت هذه الحشودات للشخصيات التاريخية ودورها الفاعل لتوجيه دلالات للمتلقي ، بأن هذه البلاد عصية على المحتل ، حيث طوال الحقب التاريخية كان لها الغلبة في نهاية المطاف ، ثم يشير لترسخ جذور المقاومة فيه حيث الإشارة إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام ، ذلك الشهيد الذي خرج من سوريا واستشهد على أبواب فلسطين ، ثم تلاه (أحمد ياسين) مقدماً نفسه التي أجهدتها التعب والمشقة فداء لفلسطين .

لذا فالشاعر فجر طاقات النص بشخصياته واستغلها لخدمة تجربته المعاصرة ، فلم يغلبه الإحباط من تغيير هذا الواقع المؤلم ، مستبشراً بتحرير البلاد من دنس اليهود .

(١) انظر : عبد الحكيم الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي - عصر الخلفاء الراشدين - ط١ (دار أسامة للنشر

والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ٢٠٠٣) ص ١٣٤

(٢) انظر : عبد العال الباقوري ، حطين طريق الانتصار ، ط١ (دار الهدى ، المنيا ، ١٩٩٨) ص ٧٤

(٣) انظر : يوسف سعد ، نابليون بونابرت ، ط١ (المركز العربي الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٨) ص ٣٣

حيث أدت الشخصيات المستدعاة دورها في إنتاج دلالة النص ، وخدمة الخطاب الشعري ، متلائمة مع واقع الشعب الفلسطيني ، في ظل حربه الأخيرة والتي خرج منها رافعاً هامته ، رغم آلام الروح والجسد والمادة .

يقول عبد الإله أبو صلاح:

شـارون بـسات محنّطاً ودماغه ذاقَ العطـب
ابقـاه ربّي عبـرة ووريثه لـم يحـتـسب
شُـلّت يـمـين سـاعدت فـي قـتل أبـناء نُجـب
فـأبو رـغـال جـدّهم كـان الدـليل بـلا عـتب
دلّ العـدا وبفـضله عـرفـوا الطـريق المـقتـضب
جـاؤوا بأفـيال لـهم كـي يـهـدموا رـمز العـرب
بـيت الحـرام بأرضـنا بحـمايـة مـمّن وـهـب
طـيـرٌ أبـايـلٌ أـتـت أسـرابـها فـوق السـحب
تـرميهم بحـجـارة مـثـل النـيـازك والـشـهب
الـكـل خـرّ مـجنّـداً صـرّ عـراً بـرأس مـنقـب
كـفّ فـدـمـوعـك يـا اخـي لـم لـم جـراحـك واحـتـسب^(١)

يستعيد الشاعر في هذا المقطع ، مشهد رئيس وزراء إسرائيل الأسبق (أرئيل شارون) ، ذلك المجرم الذي عاث فساداً في فلسطين ، وكانت عاقبته من الله وخيمة ، حيث لا زال أسير السرير ، فهو جسد بلا روح ، ليكون عبرة لغيره ، ثم يأتي بعده (أولمرت) الذي شن الحرب على غزة ، غير معتبر مما حدث لشارون ، فالشاعر يستدعي هذه الشخصيات متمنياً لها نهاية مأساوية ، بفعل انتقامهم من الشعب الفلسطيني ويكونوا عبرة لأبناء جلدتنا من العرب ، محذراً إياهم من الانتقام الإلهي بسبب سكوتهم وتواطئهم مع المحتل ضد إخوانهم في غزة .

فالدلالة واضحة ، حيث الاستدعاء ينصب في رسالة التحذير التي تحملها مشاعر الشاعر ، وحرصه على إيصالها للمتلقي ، ثم يستمر الشاعر في استحضار الشخصيات لعكسها على موقف الحكام المذل فيأتي لنا بشخصية منبوذة تقشعر الأبدان لمجرد سماعها ، لأنه يُنعت بها كل خائن عربي ، إنه (أبو رغال) رمز الخيانة العربية ، والذي دل جيش أبرهة الحبشة على مكان الكعبة ، فكان جزاؤه بأن كانت العرب بعد شعيرة الحج كل عام ترحم قبره ، وكان ذلك قبل الإسلام فكان جزاؤه من جنس عمله^(٢) .

فالشاعر في هذا التوظيف يرمز بين خفايا السطور ، وينعت حكام العرب ب(أبي رغال) ، لأنهم شاركوا في هذه المصيبة التي ألّمت بغزة ، ولكن الشاعر باستخدامه لتقانة الاستطراد وصف حال

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٧٢

(٢) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٤٢/١

الجيش الحبشي ، وما آل إليه من خلال انتقام الله منهم بالطير الأبابيل ، وكأنه يصير أهل غزة ، بأن الله يمهّل ولا يهمل ، فحتماً العاقبة وخيمة لهؤلاء اليهود ، كما حدث مع سابقهم .
ويأتي بعبارات المواساة ، حيث جاء بالفعل (ككف) لبعث الصمود في قلوب الملتاعين ، ثم يأتي الفعل (لملم) لمدارة الأوجاع واحتسابها عند الله ، فشهداؤنا في الجنة ، وقتلاهم في النار بإذن الله ، كما أخبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من ذي قبل .
فالشاعر انزاح لهذه الشخصية ، لإثارة التساؤل من قبل المتلقي ، لماذا فعل بنا حكام العرب هذه الأفاعيل ؟

فقصّد الكشف عن الحقائق التي يتستر بها هؤلاء النّلة من الناس ، وتعريتهم وكشف زيفهم بطريقة الرمز والتلميح .

يقول عبد الجبار دية ، في قصيدته (احتفالية الانتصار) :

فهنيئاً للجموع .. للجماهير الركوع

وهنيئاً للجياح .. خلف جدران الحصار .. ومصاريع المعابر !

وهنيئاً لحماس .. ولياسين الشهيد .. ذلك الشيخ القعيد .

نصرنا نصرٌ مؤزر .. رددوا الله أكبر

وهنيئاً (أبو العبد) المثل وللزهار البطل

للرجال الأوفياء .. ولموسى ولمشعل

حادي الركب المبجل^(١)

يشدو الشاعر في قصيدته بأناشيد الفرحة المرتسمة على وجهه بهذه الصمود الأسطوري ، الذي لاح في سماء المدينة ، رامياً التهاني للأفراد والجماهير ، فجاءت (هنيئاً) متتالية أربع مرات ، ناثرة دلالات السعادة بنشوى النصر ، ومثل خطاب التحدي الذي أنتج خطاباً موازياً . حيث وظف الشاعر الدلالات المتعددة لهذه التركيب ، فربطه بالعديد من الشخصيات السياسية المحتشدة في النص ، وكأنه بث حي ومباشر ، ينقل كرنفال الانتصار ، والجموع تتلقى التهاني في وجود قياداتها .

فكان استحضار روح الشهيد أحمد ياسين ، ليسطر رمز المقاومة المتأصلة في نفوس الشعب الفلسطيني ، حيث كلمة (قعيد) قد أثرت الاستدعاء ، من خلال تصوير هذه الإرادة الفولاذية لهذا الرجل الذي ما أقعده كرسيه عن نداء الواجب ، ثم كان استدعاء شخص إسماعيل هنية ، حيث ذكر كنيته ، والمشهور بها بين أبناء شعبه ؟ ، دالاً على تواضع هذه الشخصية ، رغم مكانتها الكريمة ، حيث يمثل رأس الهرم السياسي لغزة .

ويتبعه الدكتور محمود الزهار ، القائد المجاهد حيث نعتة (بالبطل) كيف لا ، وقد تعرض لعدة محاولات اغتيال ، واستشهد نجله وقصف بيته ، مشيراً إلى عدم تخلي القيادات عن الشعب ، وتضحياتها بفلذات أكبادها ، ذوداً عن الوطن .

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٧٦

وينتقل الشاعر في استدعاءاته للشخصيات المناهضة عن الوطن ، رغم كونها خارجه ، حيث نعتهم بـ (الأوفياء) ، فهم الحمالين لهموم الوطن والقضية ، والساعين لتقديم العون والمساعدة ، بأقصى طاقاتهم ، فكان منهم (موسى أبو مرزوق) و (خالد مشعل) رؤساء المكتب السياسي لحركة حماس فأراد الشاعر باستحضاره شخصيات الداخل والخارج ، الإشارة إلى تعاضد أبناء الشعب الواحد ، رغم تشتت الأماكن .

فجاءت الرموز الموظفة ، مفسرة لحال أبناء الشعب وتبوح بموقف الشاعر ورؤيته لها ، بإجلالها واحترامها ، مؤكداً للمتلقي بأن طريقهم التي يسلكونها رغم وعورتها فهي الأصوب ، في ظل انتشار الضيم العربي ، والمساومة بالأعراض .

وفي قصيدته (تواطؤ) ، ويقول عبد الجبار دية :

عادت الأحزاب تبغي قتل غزة

عاد فرعون ينادي بالشبور

وأبو جهل ينادي بالسلام

أجمع القوم الملام .. وحد القوم الكلام

اقتلوا غزة والشعب .. أبيدوا كل ثائر

لا تبالوا بالصغار

ليس في القوم صلاح^(١).

جاء العنوان لابساً عباءة سوداء ، تحمل معاني التآمر والتهاون على الشعب المكابد ، ومن المعلوم أن العنوان يلعب دوراً هاماً ، في الدخول إلى النص ، حيث أدى غرضه قبل ولوج النص ، وجاءت (تواطؤ) بدل (تخاذل) لأنها أعمق في الدلالة ، فهي مع سبق الإصرار والترصد ، بينما (تخاذل) تحمل التقاعس والتهاون ، دون المشاركة في الدسائس .

فبدأ الشاعر المقطع بالجملة الفعلية (وعادت) مشيراً إلى تكرار هذه المشاهد الدرامية على مر التاريخ ، ثم يبعث شخصية فرعون من الماضي متماهية ، مع فرعون الحاضر (الرئيس المصري) ففرعون مصر كما قال لموسى في القرآن الكريم : "وإني لأظنك يا موسى مثبوراً"^٢ أي هالكا ، يعيدها فرعون نفس البلد ، ولكن في زمن آخر ، حيث شارك في هلاك وتدمير هذا الشعب من خلال حصاره ، ومنع الدواء والمساعدات عنه ، هذا حال الشخصية الناقمة على غزة ، أما الشخصية الثانية (أبو جهل) فهو رمز لشخصية (الرئيس الفلسطيني) الداعي إلى السلام ، في ظل حرب الإبادة الصهيونية ، وربما جاء بهذا اللقب ليتماهى مع عمرو بن هشام ، في المعادة لإقامة الحكم الإسلامي من جهة ونعته - بالجاهل الذي لا يدرك حقائق الأمور ، وانخداعه بكذبة اسمها السلام .

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٧٨

(٢) سورة الإسراء ، آية ١٠٢ .

فحملت العبارات التشاؤم والسواد في نفس الشاعر (اقبلوا ، أبيدوا) حيث لا صناديد أمثال (صلاح الدين الأيوبي) المستدعى ، مشيراً إلى تقشي داء الضعف والهوان بين أبناء الشعوب العربية ويواصل في مقطع آخر من ذات القصيدة:

غزة تحترق اليوم فما جدوى الكلام ! ؟

والأعريب .. جدالٌ وخصام !

نلتقي .. لا نلتقي ..

أي جدوى في لقاء ؟!

والزعامات جفاءً .. وغباء !

لا نلتقي

يرفعُ الأمرُ إلى نيويورك

فلعل الحلَّ يأتي من هناك

من بلاد العم سام .. فهو صديق همام !

يتوخى العدل في كل زمان .. ومكان

ويروم الخير يسعى للسلام ..

همه الإصلاح في كل مرام (١).

تشتعل نار الوجد والحسرة ، متمثلة في عبارات النص ، حيث التركيب (والأعريب خصام) حاملة المرارة والإحباط في قلوب الشاعر ، لينقلها بدوره إلى المتلقي ، فـ (الأعريب) رمز إلى قادة وحكام الأنظمة العربية ، ولم يقل (العرب) ملقياً اللوم على قادة الدول الغنية بآبار البترول ، دول الخليج بالأخص ، لأن لهم وزنهم في العالم ، ولهم فاعلية في التأثير على دول الغرب من خلال نفطهم وغازهم .

ونراه في السطر الأول (فما جدوى الكلام) مقدماً علامة التعجب على الاستفهام مخالفاً القاعدة النحوية ، مظهراً ضجره وكده من عجائب الزمان وتقلبه ، منكئاً على تقانة التشويش لإثارة القارئ وحثه على التمعن في النص .

ثم يكمل في وصف المشهد الساخر لهذه الشخصيات المتجادلة على اتخاذ قرار عقد قمة أو فضئها ، حيث جاءت (جفاء ، غباء) لزيادة تقرير المعنى الساعي إليه الشاعر ، من هؤلاء الحكام ، فقلوبهم غُلف ، وعقولهم بسيطة ، فأنى يأتي الخير على أيديهم ؟

ثم كسابق المرات ، يتهافت العرب ويذهبون في استئناس مجلس الأمن ، كي يريحوا أنفسهم من أحمال القضية ، أو هي فرصة للمراوغة والهروب ، والمجلس يوجد في مدينة نيويورك الأمريكية ،

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٨٠

حيث أشار لها ببلاد العم سام^(١) والذي حوَّره في شخص رئيس أمريكا حينذاك (جورج بوش) ، الذي وصفه في مشهد ساخر بصديق العرب ، المخلص لهم ، فحملت التراكيب (يروم الخير ، همه الإصلاح) المحاكاة الساخرة لهذا الأفاق ، المسئول عن معظم الحروب والمذابح في معظم أرجاء العالم .

فجاءت التوظيفات سلبية تجاه هؤلاء الأقوام من عرب وغرب داعية المتلقي لعدم الانخداع بالسنتهم الدبلوماسية ، فهي تخفي وراءها السم الزعاف ، منتظرة اللحظة لغمسه في أفئدة الشعوب المقهورة . فكان التوازي بين النص وتوظيفاته ، وبين العنوان لتكامل الفكرة ، ونشر الدلالات في فضاء الصفحة مرصعاً نهاية الجمل والعبارات بعلامات الذهول والدهشة ، فإن الذي يحدث يندى له جبين الأمة العربية جمعاء .

يقول عبد الرحمن العشماوي ، في قصيدته (حصار غزة):

آه من أمتنا كيف استحالت كفراش في لظى النار تفحم
آه منها تمنح الأعداء شهداً وهي لا تشرب إلا كأس علقم
تطلب العدل من الباغي عليها وتتادي من إذا جاوب تتم
أي عدل يرتجى ممن تغابي ولم يصنع شارون يفهم
لم يزل يعلن ليلاً ونهاراً أن شارون من الأطفال يظلم
آه من باء وواو ثم شين رسمت صورة وجه يتجههم
يعلن العطف على الباغي ويأبى أن يرى المأساة في أجفان يتم^(٢)
سبع أهات توجت في القصيدة ، جلست على عرش القلوب الدامي ، تبعث في النفوس الرحمة رهفة ، وفي الأجساد قشعريرة ، فلقد صار الجاني مجنباً عليه ، وانقلبت موازين العدل ، حتى خجلت العدالة نفسها وفكت العصاة السوداء التي على عينيها ، وتكشف زيف الأمة العربية ، التي ساوت بين الظالم والمظلوم ، فجاء استدعاء شخص شارون لصدم المتلقي بالحقيقة ، وهزة من نومه العميق ، فهل هذا القاتل المأجور ؟ صانع صبرا وشاتيلا ، ومدنس الأقصى ؟ مظلوم ؟!

فجاء التركيب (أي عدل يرتجى) متمرداً على كل القيم المنادى إليها ، رافضاً لكل أنواع الضيم الممارس ، فمارس الشاعر سلطته على النص ، في جو مشحون بدلالات الإباء والمنعة مستذكراً وجوه الإجرام في العالم ، فمن شارون ينتقل بنا إلى الشخصية المهرجة شكلاً ، المجرمة مضموناً ، حيث عمد لتقانة التشويش على المتلقي ، فذكر اسم (جورج بوش) في ثلاثة حروف منفردة (آه من باء وواو ثم شين) ليقف المتلقي ملياً أمام الحروف الثلاثة ، والتي تحمل في طياتها دلالات شتى،

(١) الاسم مأخوذ من اسم جزار محلي يدعى (صموئيل ويلسون) وكان يزود القوات الأمريكية في ولاية نيويورك

بلحم البقر وكان يطبع براميل هذا اللحم بحرفي (U.S) الولايات المتحدة ، فأطلقوا لقب (العم سام) على التاجر

فحرف U = Uncle / S=Sam .

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٨

فالباء = البأس ، الواو = وقاحة ، الشين = شراسة ، فهذه الصفات مجتمعة في هذا المجرم ، ذو الابتسامة العريضة .

حيث الحقيقة الجلية لهذه الرموز الموظفة ، لكشف زيفهم وكذبهم على شعوبهم وشعوب العالم ، فهم يصمتون جراء المذابح المرتكبة بحق المهجورين ، وإذا مسهم الضر ، قاموا ولم يقعدوا ، وعبر الشاعر عنهم فقال :

غارق في صمته حتى إذا ما هبت الأحداث بالجور تكلم^(١)
وفي ذات القصيدة تستمر خلجات الشاعر ، في الإشعاع والتواصل من جدير ، للوم العرب وعتابهم ، فيقول :

قل لمن يروي لنا آثار لخم وجذام والعـمـاليق و خـثـعم
إنما المجد إباءً وشـمـوخ وبطولات أمام القدس ترسم
حرك المعتصم الجيش انتصاراً لفتاة صوته الباكى تظلم
خاضها معركة كبرى أعادت هبة في نفس من خان و أكرم
أنضج السيف جلود الروم فيها قبل أن تنضج أعناب و تصرم^(٢)
تأتي هذه المشاعر المخنوقة ، لتعبر عما تجيش به صدر الشاعر ، فأهل العروبة الحاضرين ، يفتخرون بأجدادهم من قبائل لخم وجذام و خثعم والكنعانيين ، هؤلاء القبائل الأصلية ، كان لهم باع في إيصال العزة للعرب ، ولكنهم الآن مجرد تاريخ يحكى ، للتسلية وملء أوقات الفراغ ، فنفس الشاعر تستنكر مثل هذه الأفعال المشينة ، حيث يؤكد الشاعر بـ (إنما) أن صعود القمم لا يتأتى بالأقوال بل الأفعال ، وهذا ما دعاه لتقفي آثار الماضي ، واستحضار شخصية اتكأ عليها أغلب شعراء العصر إنه المعتصم بالله ، ذلك الذي جاشت مشاعره ، وأنفتت نفسه عن الراحة ، حيث دوت صرخة امرأة أسرها الروم في أذنه ، فجيش الجيوش وخاض قتالاً عنيفاً ضد الروم ، وفتح عمورية ، تاركاً أقوال المنجمين وراء ظهره ، الذين نصحوه بعدم القتال ^(٣).

فجاءت التراكيب (حرك - خاضها - أنضج) تحمل دلالات القوة والسرعة والعزة ورفض إهانة الكرامة فمجرد سماع المعتصم لتلك الصرخات ، ثار إعصار الغضب والانتقام فجاء التوظيف مفارقاً بين عصرين ، عصر العزة والكرامة في ماضٍ ذهب ، وعصر المهانة والاستكانة في حاضرٍ لازال أهله يعانون آثار حكاهم . فجاءت دعوة الشاعر للمتلقى ، لنفض يده من برائن القيد والإرهاب اللذين يمارسان بحق سياسة تكميم الأفواه ، والخروج عن طابع القنوط ، تلمساً لخطوات السابقين ، وتتبع آثارهم فكانت الدعوة صريحة في دلالتها ، حيث " تتحرك الدلالة الصريحة تحركاً أفقياً تتطلق من

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٨٨

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٨٨

(٣) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٤٠/٦

المرسل متجهة إلى المرسل إليه وهي تمثل رسالة ذات معنى مرجعي هو سياقها ، وعليه يستند المتلقي لإدراك مرامي هذه الرسالة " (١).

يقول الشاعر عبد العزيز العزاز ، في قصيدته (العالم بين كأسين):

أولمرت يلهو بالمدافع يلعب والعرب ألهاها الهوى والملعب
كم من سلاح للعدو مصوب وشبابنا بين الشباك يصب
صفى اليهود ليحصدوا كأس الدما ولنا وراء الكأس حظ يندب
أعداؤنا قد سجلوا أهدافهم ولقومنا فرص تضيع وتذهب
أهزيمة في ملعب نبكي لها؟! ونظل نهتف بالضياع ونشجب
فإلى متى ولقومنا خلف الهوى مال يبدد .. أو غراب ينعب؟! (٢)

جاءت الأبيات للمفارقة بين حال الشعب العربي ، وحال اليهود ، حيث استلهم شخصية (إيهود أولمرت) راعي حرب غزة ، وتصويره باللاعب الذي يلهو بلعبة ، لكنها ليست كمثيلاتها من اللعب ، إنها لعبة الموت ، يشترك فيها أعتى مجرمي العالم ، فجاء تصويره بـ (اللاهي) في إشارة إلى تفرده في ساحة الشرق الأوسط ، دون رادع له ، وتأتي الصورة الثانية ، عرب اليوم المنشغلين بهوموم الرياضة ، وإحراز الكؤوس حيث تدمع العيون لها ، وتستتفر البلاد ، ويصرخ الناس في هلوسات متفاعلين مع الأحداث الرياضية ، فيما يتفرد الأعداء بكيل أهداف القتل والانتقام الموجهة نحو صدور الفلسطينيين .

فتأتي استفهامات واستكارات الشاعر (أهزيمة ، فإلى متى ؟) حاملة دلالات البؤس والشقاء لهذا الوضع الخرب .

فانظر أيها القارئ ، وأمعن بصرك إلى أي الكأسين تميل ، كأس المرارة والنكسة أم كأس الظفر والنشوة ، فحمل العنوان في طياته أوجاع فلسطين وهمومها ، فلسطين هي العالم المحاصر بين كأس الهم العربي ، وكأس الجبروت اليهودي ، فكأنها الكرة في الملعب والتي يتقاذفها اللاعبون يمناً ويسرة ولا مناص لها إلا الاستكانة ، حتى ينتهي وقت المباراة .

فحمل التوظيف في حواشيه ، الصورة المؤلمة ، لرؤية الشاعر ما آل إليه الوضع الفلسطيني ، حيث وضعت المفارقة النقاط على الحروف ، فلا اتباع لهذه الأهواء والنزوات العربية ، لأنها تسير بنا نحو هوة الموت ، فأنت أيها المتلقي وحدك في الملعب لتقرر ، إلى أي الفريقين سوف تميل ؟

وفي قصيدة (جراح غزة) يشدو عبد الله الخليوي بعبارات الثناء لهؤلاء الشجعان ، وصمدوا في وجه الباطل ، فيقول:

ماذا أقول وجرحكم أبكاني والنوم في زمن الغناء جفاني
فتيان غزة قدموا أرواحهم ساروا بعزم ثابت وجنان

(١) عبد الله الغدامي ، الموقف من الحادثة ، ط٢ ، ١٩٩١م ، ص٩٦

(٢) لأجلك غزة ، ص٣١٦ ، ص٣١٧

"ريان" أقدم والكتائب أقسمت والشعب قاوم صولة الطوفان
ما أرهبتهم "فتح" حين تأمرت كلا ولا جيش اليهود الجاني
الله أكبر في اللقاء وقودهم وقذائف القسام في الميدان
الله أكبر والجهاد سبيلنا هيا هلموا معشر الإخوان⁽¹⁾

هي جراح وليست جرحاً ، كما أشار لها الشاعر ، حيث يلقي نظرة ذات حدين ، الجرح الخارجي
ممثلاً بـ (الأعداء) ، والجرح الداخلي ممثلاً بـ (أبناء الجلدة) ، فبدت آفاق الحيرة ظاهرة عليه ،
وعلى ماذا يقول ؟ في ظل وقوع فلسطين ، وغزة بالذات بين المطرقة والسندان ، ويصبرُ القارئ
باستحضار شجعان المدينة ، فالقائد الشهيد نزار ريان الذي صمد هو وعائلته ولم يخرج من بيته ،
مثالاً يقتدى به كل فلسطيني ، ثم وازته كتائب المقاومة خاصة (كتائب الشهيد عز الدين القسام) ،
فهذا الشعب لم يلن ولن يستكين ، فعزيمته فولاذية ، رغم التضحيات الجسام .

ويرمز في سياق النص إلى القيادة السياسية لحركة فتح ، بالتركيب (ما أرهبتهم فتح) حيث يشير إلى
تأمر هذه الرموز الموجودة في الضفة الغربية ، على إسقاط حكومة حماس في غزة ، فيشير بإصبع
الإتهام لهم ، بمباركتهم لهذه الحرب ، ومؤازرتهم لها .
ثم يردد بصيحة (الله أكبر) قاصداً ضالة المؤامرات مهما تشعبت أمام عظمة الخالق ، كما حملت
دلالات الحث والإستفار والهبّة ، لمواجهة كيد العدا .

فجاءت الرؤية الدرامية للشاعر ، لتضع التفسير أمام المتلقي ، وتدعوه للتأمل ملياً ، في معادن الأرقام
ثم تفعيلاً للحس الوطني فيه .

يقول الشاعر عبد الملك الحديدي ، في قصيدته (أخت شارون .. واستمرار الطاغوت) :

انعمي يا أختَ شارونَ ونامي في فراش المخزيات العربية
احرقني غزّة إن شئتِ فإنّا ملأناهوى حروف الأبجدية
مزقي الأطفال يا أخت الأفاعي واقبريهم واحفظي عنهم وصية
لا تصالحِ يا إلهي من علينا أوقدوا النار بأخدود المنية
لم يعدْ للموت معنى حين يأتي إنما المعنى فلسطينُ الأبيّة⁽²⁾

يبدو أن الشاعر يقر بالعجز السياسي ، حيث أراد لنا إبراز موقفه من مجريات الأحداث ، وصمت
الوطن العربي ، جعلته وكأنه رافض للنبرة الخطابية الفعالة ، والتي تحفز المشاعر ربما أراد أن يثبت
للقارئ عجز انفعالاته عن الخروج ، في ظل هذا الصمت المطبق والمخيم في أرجاء المنطقة .

فجاء مستدعياً أخت شارون ، لأن الاثنين يتشابهان في صفة الأجرام والتوحش ، إنها الشقراء الماكرة
(تسيبي ليفني) حيث جاء استحضارها مع استمرار الحصار عليها ، فجاءت تراكيبه (انعمي -
احرقني - مزقي) مكسوة بثياب العجز والحداد ، وانتظار ما يخبئ المستقبل ، فنفس الشاعر محشرجة

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٢٢

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٢٨

لا تقوى على الانفعال ، في ظل أوضاع العرب السيئة ، فيبدو الشاعر في ظل العاجز الذي لا يعبأ بالحياة ، متمنياً الموت الصامت جريرة أفعاله ، والتي عكسها في قوله (لم يعد للموت معنى) هذه النبيرة وتعدد دلالاتها أوحى باستسلام الشاعر لما آلت إليه الأمور ، ولكنه في آخر المقطع حاول خلق حالة من التوازن بين مشاعره المتخبطة قائلاً : إنما المعنى فلسطين الأبية .

فربما حاول التوظيف إيضاح جلبات المشاعر ، وإخفاقاتها مع استمرار هيجان الوحش الإسرائيلي ، ولا ند له ، حتى مع العنوان (استمرار الطاغوت) فجبروت اليهود مستمر غير منقطع ، ولكن يحدوه بصيص من الأمل في قيام المارد الغزي من جديد ، بعد ما واجهه ، تاركاً كل الألسنة العربية ، تصيح في فضاء الإنهزام .

يقول عيسى الشماس ، في قصيدته (كرنفال غزة .. من الميلاد إلى رأس السنة) :

القدس تسبى ، والخطوب

وقطاع غزة يستباح

بين الحرائق والدمار

" صهيون " حال معربدا..

" باراك " صال مهددا ..

كل الخطايا والذنوب

مغفورة ،

عند الطغاة وشرعهم

والحق نار ..! (١)

يصور عيسى الشماس لا أخلاقية أبناء يهود ، وعربدتهم وسطوتهم على مقدرات الشعب الفلسطيني ، فتحدث الشاعر بنبرة غاضبة عن هؤلاء الملاحين ، بادياً ساخطاً متذمراً ، وكأن الشاعر أراد أن يعيد المتلقي إلى بذور هؤلاء الأشرار من خلال " صهيون " (٢) وطن العبرانيين ورمزاً لآمالهم القومية ، في السيطرة على بلدان العرب ، ثم يأتي شخصية (إيهود باراك) وزير الحرب الصهيوني ، الذي يهدد ويتوعد ، ولا من صدى صوت يخرج ليسكته ، فجاء الاستدعاء معقياً بأحاسيس الضياع والتوتر الذي يسري في العروق ، جراء مشاريع أبناء صهيون في التوسع الأفقي لحلمهم بـ (إسرائيل الكبرى) فكلمة الرحمة منزوعة من قاموسهم ، حيث استبدلوها بالطغي والتجبر والحقْد ، هذه المعطيات والنتائج دفعت الشاعر لاستخدام لغته الانفعالية :

الموت فخر للبطولة .

والنضال

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٦٠

(٢) صهيون : هو أحد التلين اللذين كانت تقوم عليها مدينة أورشليم القديمة ، حيث أسس داوود عاصمته الملكية ، ووضع على التل تابوت العهد ، فأصبح أرضاً مقدسة ، أمام التل الآخر فيعرف باسم (مريا)

الموت بعث للحياة ، وعندها

سيكون حفل الكرنفال .. ! (١)

فجاءت اللغة لتؤدي وظيفتها في المقطع الأخير ، حيث عبرت عن دراماً الهم المتفاقم ، فكان الموت هو الملاذ الآمن للتخلص من المأساة الحاضرة .

يقول غازي طليمات ، في قصيدته (لا يُلَامُ الذئبُ):

أين (عياش) و (ياسين) ومن

ضحوا لتحيا ؟

أين ذكراهم ؟

ألم يبق من الكبار للأبرار بقيا ؟

أبهم تعاض (أولمرت) و (ليفني)

أم على أجسادهم صرّح يبني

سوف يهوى صرّح هامان

لفروعون

نثاراً من تراب

سوف يهوي

وغدا تشمخ غزة (٢)

تتوالى الاستفهامات الاستنكارية ، في هذا المقطع داعية إلى استحضار شخصيات كان لها وزنها ، في تغيير موازين القوة ليمنحها أبعادها الدلالية الحقة ، فجاء بالشهيد ، (يحيى عياش)

المشهور بلقب (المهندس) ، والذي أُرعب المحتل على مدى سنوات من خلال تجهيزه للعمليات الاستشهادية والأحزمة الناسفة ، لجلب محط أنظار القارئ ، داعياً إياه للرجوع لتاريخ هؤلاء الشخصيات ، وتقييمها القيمة الفضلى ، ثم يأتي لشخصية رأس الهرم الإسلامي الشهيد (أحمد ياسين) باحثاً عن رجال مثل أولئك الرجال ، ولكن تراكييه جاءت بحسرة الضياع ، فلم يتبق إلا (أولمرت وليفني) في وجه الساحة ، محتلين أنظار العالم ، واحترام حكام العرب هنا ، إذ يشير إلى فكرة الروح العربية المهترئة ، جراء تراكم أنفاس اليهود القذرة عليها ، فهاتان الشخصيتان ، تجسدان الظلم والشر الباغي ، مع إهمال معنى الإنسانية وطمسها من جذورها .

ولكن الشاعر بعد أن خارت قواه ، نتيجة التساؤلات المتهاكة يقوّي جسده ، ويحثه على البعث من جديد ، إذ به يستذكر شخصيتي فرعون ووزيره هامان ، إذ بلغ بهما التجبر لبناء ذلك الصرح العظيم لرؤية الله سبحانه وتعالى ، حيث انهال ذلك الصرح بقدرة الله العظيم .

(١) انظر : الديوان : ص ٣٦٣

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٦٧

فكما هوى هذا الصرح ، سوى تهوي أحلام أولمرت وليفني وتصيح في مهب الرياح ، فالشاعر وازى بين شخصيات الماضي وشخصيات الحاضر ، لاشتراكهما في الظلم والطاغوت ، حيث يؤكد التوظيف بزوال الغمامة عن السحاب ، ولسوف تسقط أمطار الحرية ، غاسلة كل القذارة في سماء فلسطين ، باعثة إياها إلى أقاصي الأرض .

يقول الشاعر تحت الاسم المستعار (فارس عودة) ، في قصيدته (اهرب خبيبي خلفك القسم) :

يا غزاة الأحرار يا علم الأبا شهدت لعز ترابك الألفام
داراً بها الزهار محمود الخطى ومشيرها وهنية وصيام
يمضي بنا للخلد فيها مشعل ولكل درب مشعل وإمام
هذا دم الشهداء قد روى الثرى وله بساحات الفداء عرام
صنعت صواريخ الكتائب عزة فاستبشر المختار و القسام
وتبسم الشيخ الجليل وصحبه وفؤاد و العيشاش و العزم
تمضي كإعصار الرياح جموعهم ويولول الجندي والحاخام
ويصيح من بطش الأباة كبيرهم اهرب خبيبي خلفك القسم(١)

يبدأ عنوان القصيدة بعبارة فيها أمر بالهروب من خطر محقق ، وحملت هذه العبارات اللهجة العبرية (خبيبي) ، داعية لمعرفة من يتلفظها ، ومن سواه الجندي المذعور دوماً ، عند سماعه بكلمة (القسم) فهو يشكل لديه كابوساً جاثماً على صدره ، في إشارة إلى الكتائب المقاومة (كتائب الشهيد عز الدين القسام) .

أما عند دخول النص ، فنرى الأجواء محتشدة بشخصيات كثر ، يبعثها الشاعر في نفس المتلقي ، ليستظل بظلها في وقت امتلأ بحرارة الأجساد والعقول التي تغلي ، وتقذف بحمها الهائجة في وجه المتلقي ، من حسرة وألم واكتواء بنار الذل والاستسلام .

فجاءت الشخصيات المستذكّرة لتتير شمعة الحرية ، وتبديد ظلام العبودية ، فاصطفت صفّاً واحداً ، دالة على توحيدها في مواجهة التقاعس العربي ، فها هو محمود الزهار ، ومشير المصري ، وإسماعيل هنية ، والشهيد سعيد صيام ، في قافلة واحدة ، يقودهم خالد مشعل إلى شاطئ النجاة .

فحملت هذه الشخصيات دلالات الأمكنة حيث مهما اختلفت الأماكن فالقلوب متوحدة ، وحملت الثورة فهي الوسيلة الوحيدة للتحرر ، وحملت القوة من خلال التضحيات أمثال الشهيد صيام .

وينتقل للمفهوم الأوحى للتعامل مع العدو ، إنها الأيدي المتوضّاة الضاغطة على زناد السلاح ، حيث هي الأمل الذي يلوح في أفق التحرير ، مشيراً إلى رمزين من رموز المقاومة ، واللذان صنعنا الثورة رغم كبر سنهما ، إنهما (عمر المختار وعز الدين القسام) من جيل التنصل من الاتفاقيات ، ورفض الواقع الأليم ، فيعود بنا إلى أزمانهم ، ليأخذ منهما الحكمة العظيمة ، وتصوير نشوة التلاحم والغوص في أغوار لحظة الحق المراد ، ثم يبارك هذه الصنائع لكتائب المقاومة ، من خلال رضا شهداء

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١

المقاومة وتبسمهم وهم (أحمد ياسين ويحيى عياش وعبد الله عزام) فهذه الجموع من الشهداء قد أشعلت زيت التحرير ، وأعطته لمن خلفها من أبناء الصمود ، والذين بدورهم أذاقوا العدو ، ويلات جسام ، جعلتهم لا يحلمون إلى بعبارة الهروب ، حيث جاءت التراكيب (يولول ، يصيح ، اهرب) حاملة دلالات الجُبن المرسوم في جبين هؤلاء الحفنة من المشتتين ، ولا هم لهم إلا النجاة بأرواحهم فأثر التوظيف الإيجابي ، في طيف أفكار المتلقي ، والتي اشتعلت حائمة حول الشوق واللهفة لهذه الرموز الأبية ، داعياً الشاعر نفس المتلقي للهيبة المشاعر ، وصدق الشعور ، وعمق النظر ، والتفكير ملياً ، بهذه الفئة من الناس ، والتي تقدم أرواحها رخيصة فداءً لدينها ووطنها.

وفي قصيدته (غزة .. اليتيمة ! ..) يقول فيصل الحجي:

قاتلي وحدك يا أم حماس قد بدا المخفي من غير التباس
فأبو جهل دعا ابن العلقمي للقاء الروم من أجل التماس
ليظلا فوق كرسِيَّيهما بأمان وخمول ونعاس
تذهب القدس؟ أجل! ما شأننا؟ وسواها.. وعلى هذا القياس! (١)

هذه النبرة الحزينة ، المغطاة بمشاهد درامية ، تجيش لها نفس الشاعر ، من خلال عنوان قصيدته (غزة اليتيمة) حيث تحمل دلالات الحزن والوحدة ، ثم جاء النص مشتعلاً منذ بدايته ، حاملاً غضبة الشاعر على أبناء يعرب ، حيث (قاتلي وحدك) تعني تخلي الكل عن حكومة حماس في غزة ، وتركها في ساحة المعركة لوحدها.

فعبر الشاعر بمونولوج ضمنى ، عن حالته النفسية المتأزمة تجاه الفرقة والضعف ، ثم يبدأ في إشعال جذوة النص من خلال استدعائه لشخص (الرئيس الفلسطيني) ملقباً بإيه بأبي جهل جاعلاً إياه نسخة مماثلة لشخصية منبوذة في التاريخ الإسلامي ، إنه وزير المستعصم (ابن العلقمي) الذل كان سبباً رئيسياً في سقوط بغداد على أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ (٢) فنراه بيد ابن العلقمي ، قد جعل الشخصيتين متوازيتين في دورهما ، فكما سقطت بغداد سقطت غزة .

فاتسم هذا المقطع برؤية واضحة لمجريات الأحداث ، فنراه عاتباً على العرب وبالذات على الرئيس الفلسطيني ، فلقاءاته باليهود والنصارى ، قد توجت بحرب غزة ، أملاً في القضاء على حكم حماس ، وإعادة السيطرة عليها مرة أخرى .

فجاء إحساس الشاعر بالاغتراب وضياح الحقوق ، حيث حملت التراكيب (تذهب ، ما شأننا) تبليد الشعور القومي العربي ، وضياح النخوة والشهامة ، فكان الشاعر مديناً لهذه الممارسات السياسية القهرية الممارسة بحق الشعب الفلسطيني ، من داخله ومن خارجه .

يقول الشاعر مأمون جرار ، في قصيدته (رسائل إلى غزة):

يا غزة

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٨٤

(٢) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق برار أبي حيان ، ط ١ (دار أبي حيان ، القاهرة ، ١٩٩٦) ٢٦١/١٣

نحن الزيتون الضارب في أعماق
الأرض جذوراً في التاريخ
والغازون هم الغرقد
جاؤوا من قبل ومروا وانطمست
آثار المحتل
ولم تخلد
وأذان بلال ما زال صداه
منذ الفتح العمري إلى يوم البعث
صداه يتردد^(١)

يجمع الشاعر في قصيدته ثلاث عشرة رسالة ، موجهة إلى غزة ، حيث جسدها بإنسان خاض غمار الصعاب ، ولكنه صبر واحتسب ، فجاءت الرسائل حاملة المواساة ومدارة الأوجاع ، صوبت إلى قلب غزة النابض بروح الأمل ، تبتسم رغم جسدها المثخن بالجراحات ، لتلقي الغيظ في صدر يهود بأن عزيمتها لن تلين .

وفي الرسالة الأخيرة يرسل الشاعر البشرى العظيمة ، بزوال هذا الكائن السرطاني ، المتفشي في ديار فلسطين ، فرمز لغزة بالزيتونة رمز الصبر والثبات ، ثم يرمز إلى اليهود بـ (الغازين) الذين سيأتي عليهم يوم لا يجدون ملجأ لهم سوى شجر الغرقد ، حيث ستكون عاقبة الظالمين ، كما كانوا من قبل وآذانه ، بأن أصوات الحق سوف تظل صداحة إلى يوم يبعث، في إشارة منه إلى ما لاقاه بلال من عذاب وسط الصحراء القاحلة ، ولكنه أبى أن يحيد عن كلمة الحق وراية التوحيد .
فالتوظيف فيه أبعاد دلالية ، أراد الشاعر أن يوجهها للمتلقي ، في أن النصر صبر ساعة ، ومهما تكالبت قوى الشر ، فحتماً الفجر آت ، مستذكراً في ذلك شخصية عمر بن الخطاب ، من خلال تقانة الاستدعاء بالدور حيث دور عمر في فتح القدس ، بعدما عانت على مر العقود ويلات الصليبيين .
يقول محمد دركوشي ، في قصيدته (غزة العشق والتلاشي) :

صبي بلا دمية أو هدية
تشظى ولم تزل الروح منه عصية
أبو الحنّ بالعشّ معتصماً لم يزل
قصّ جنح الرّحيل خلاف البقية
يهشّ لدفع الربيع وبرد الشتاء
أثار لديه الشهية^(٢).

يندفع الشاعر في هذا المقطع ، راسماً صورة الصبي المتشطي ، الذي لم ينكسر ولم يهن ، بالرغم ما

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٩٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤٠٦

أصابه من تشظي إنساني ، من خلال المواقف السيئة للأنظمة العربية ، ورغم ذلك ظلت عزيمة الروح مستعصية على الكسر .

حيث استحضّر الشاعر صورة الطائر (أبو الحن) الذي يصر على التمسك بعشه ، رغم تقلبات مناحي الحياة عليه ، سواء الربيع أو برد الشتاء القارس ، ولا يعلن الهجرة مثل باقي الطيور ، هذا التوظيف يشير للفلسطينيين المتمسكين بأرضهم رغم صعوبة الحياة ، ورغم توفر فرص الهجرة أحياناً خارج الوطن .

فجاء التوظيف ليترك آثاره في نفس المتلقي ، الأثر الإنفعالي الذي بلغ أوجه وقوته ، من مشهد الطفل الثابت ، " فالنص هو بآثره وليس بمضمونه ، ومدخلنا لقراءة أي نص أدبي يجب أن يكون من خلال ذلك الأثر الذي به يتحقق (الفعل أي الإنفعال) " (١)

فالشاعر حقق مراده ، من خلال التصوير الدرامي لصورة الطفل ، واستجداء مشاعر العطف للمتلقي ومشاعر الاحترام لهذا الصمود لأطفال غزة ، رغم مصابهم الأليم .
يقول محمد دركوشي ، في قصيدته (غزة وغانيه وكافور) :

رُغْمَ الْمَجَازِرِ تَكْبِيرِينَ
رُغْمَ اصْطِفَافِ الْعَهْرِ أَنْتِ الْعُفْوَانُ
أَنْتِ الْأَمَانُ
الْمُسْلِمَاتُ بِلا رِسَالَةٍ
وَالْيَعْرَبِيَّاتُ الْحُثَالَةُ
يَزَيْنُ جَهْرًا فِي ضَوَاحِي " تَلْ أَبِيبْ "
يَشْرَبْنَ كَاسَاتِ الْخِيَانَةِ
حَتَّى الثُّمَالَةِ
لَا خَالِدٌ فِي الْحَيِّ مُنْتَفِضٌ
وَلَا جُنْدُ الدِّيَانَةِ (٢).

تأتي القصيدة المزركشة بهذا العنوان ، وكأنه اسم لفيلم حديث يعرض في شاشات السينما ، فهو يحمل في خفاياه شخصيات ومواقف ، لن نتبينها ، إلا إذا خضنا في بوابات النص ، حيث يحمل التساؤلات المثيرة للهِفَة ، عما تعنيه هذه الأسماء الثلاثة وفي المقطع السابق يوجه الخطاب لغزة ، فرغم ورغم المآسي ، فهي صمام أمان للشعب العربي ، حيث استحضّر صورة نساء العروبة في تصرّيات واضحة ، وعبارات قلقة تصطدم بها نفس المتلقي ، وتبعث الرعدة في أوصاله ، لتحقيق الهدف المرجو فالشاعر أراد كشف الأوراق على الطاولة جهراً ، في إشارة لهؤلاء النسوة واللاتي جنن من شتى أقطار الدول العربية ، ويعملن في مهنة القذارة (بنات ليل) ، ولعله يلقي بأصابع الاتهام للعرب

(١) انظر : عبد الله الغدامي ، ثقافة الأسئلة ، ص ٧٣

(٢) الأجلك غزة ، ص ٤١٣

عامة ولمصر والأردن خاصة ، حيث الكثير من بناتهن ، يذهبن لإسرائيل بحجة العمل في مصانع الخياطة والمطاعم ، ثم يمتهن حرفة الدعارة ، فجاءت انتفاضة الشاعر المتفاقمة ، حيث نراه يلعب على تقانة قلب القيم الرمزية ، فقلب شخصية خالد بن الوليد المستدعاة ، من فارس مقداد ، إلى جبان ديوث ، فمنحه دلالات ضدية ، رامياً بذلك في أوساط العرب الذين انعدمت منهم الغيرة على العرض ، واختفت قيم الأخلاق والشرف ، وحلت محلها قيم السفور وشرب الخمر .

ويتواصل الشاعر في الكشف عن لثام شخصيات ، فيقول :

فِي غَزَّةٍ مَهْوَى الْقُلُوبِ

أُخْتَاهُ أُيْتَهَا الْقَتِيلَةُ

كَافُورٌ قَدْ بَاعَ الْجُنُودَ

لِلذَنْبِ يَذْبَحُهُمْ بِأَوْهَامِ الْوَعْدِ

وَبِحَفَنَةٍ مِنْ رَائِعَاتِ الْغَيْدِ

وَالْأَلْقَابِ وَالرَّتَبِ الثَّقِيلَةِ

بَاهَى الْقَبَائِلَ فَهُوَ عُمْدَةُ حَارَةٍ

فِي وَسْعٍ مَقْهَى لِلْيَهُودِ

دُكَّانَةً، خَمَارَةً

قَصْرُ الرِّئَاسَةِ دَوْلَتُهُ

وَسَعَادَتُهُ

نَشْوَانٌ فِي مَلْهَى يَهُودِيٍّ

تُزَيِّنُهُ النَّهْودُ^(١) .

وهذه المرة يستمد شخصية إخشيدية قوية ، إنه الملك كافور الإخشيدى ، حيث حوله الشاعر بقلب قيمته إلى شخص خائن ، تخلص عن جنوده ووطنه ، في سبيل مطامعه المادية ، وربما يشير الشاعر إلى صورة الحاكم العربي ، الذي لا هم له سوى إرضاء نزواته ، ويلمح إلى شخصيات السلطة الفلسطينية المسؤولة ، والذين لا يكفون عن الاجتماعات السرية في إسرائيل ، محاطين بالغانيات ومعاقرة الخمر ، لينسوهم مصالح شعبهم بزينة الحياة ، حيث يقول الشاعر :

إِنَّ الْحَيَاةَ دَرَاهِمٌ، نَخْبٌ، نِسَاءٌ^(٢) .

حيث ضحوا بأبناء غزة ، وتركوهم طعماً للذنب اليهودي ، لأنهم غرقوا في وحل التاريخ والقذارة ، ذلك الوحل الملتصق فيهم ، وإن اغتسلوا بمياه البحار .

فجاءت العبارة وكأنها زلزال ، ليوقط القارئ من نومته ، قلقاً فزعاً ، ليهرب إلى مكان آمن ، ينجو فيه من هذا الزلزال .

(١) لأجلك غزة ، ص ٤١٤

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤١٥

وتتواصل سهامه الموجعة المنغرسه في أعماق القلوب ، تاركة إياها تنزف دماء الحزن ، عليها تغسل عار الحكام ، فيقول:

أُخْتَاهُ أَيَّتُهَا الْعُرُوسُ
فِي عَصْرِنَا الْبَالِي الْقَدِيدُ
لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالْكُؤُوسِ
وَدَمِ الرِّسُولَةِ وَالنَّبِيدِ
لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْوَلِيدِ
وَأَبِي لَهَبٍ
مَا بَيْنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَغَيْرِهِ
لَا فَرْقَ كُلُّهُمْ عَرَبٌ^(١).

إن بنفس الشاعر متبلدة الشعور ، تخاطب غزة بمشاعر الجمود ، والانتكاس ، حيث السلبية البادية في العبارات والتراكيب ، مظهرة العجز والتقهر للوراء ، وجر أذيال الخيبة ، فإذا به يساوي بين السلب والإيجاب ، بين الخير والشر ، بين الذل والكرامة ، وهذا ما عبر عنه في تصوير الشخصيات بجو فجائعي ، فساوى بين الصنديد خالد بن الوليد وبين الرعديد أبي لهب، ثم استحضر هارون الرشيد الخليفة وسأواه بغيره من المتقاعسين والجبنا .

فجاء هذا القلب الرمزي ، ليظهر تساوي الحاضر في حكامه وشعوبه ، فالكل يأكل لقمته ، ثم يهوى إلى فراشه ، فجاءت التراكيب موازية بين (السلاح وكأس الخمر) .

وبين دم الرسل والأنبياء الذين قتلهم بنو صهيون ، على مر الأزمان ، وبين الخمر المراق في أجواف بني يعرب دلالة على غرق هؤلاء العرب ، في شهواتهم وأطماعهم ، وتاريخ العروبة يغتال ، والمدن تهوى فوق ساكنيها ، لأن الأمر لا يعنيه ، ولا يضر بمصالحهم الشخصية .

فجاءت التوظيفات في شكلها ومضمونها ، متهمة الأنظمة العربية ، بالتقصير المقيت ، تجاه قضايا شعوبهم ، وبالذات شعب فلسطين ، حاملاً معاني الكراهية والتذمر ، من هذه الرموز المستشرية في وجع الناس .

ولكنه في مقطعه الأخير من القصيدة ، قرر ألا يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وأن يستعين بالعقول الناضجة والمتفتحة ، هادياً إياها طريق الخروج من جحيم الحكام ، فقال :

يَا أُخْتُ قُولِي لِلْعَرَبِ
لِلْأُخُوَّةِ الصَّيْدِ الْعَرَبِ
الْوَصْفَةُ السَّحَرِيَّةُ الطَّبِيبَةُ
هِيَ قِصَّةُ عَرَبِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ
مَكْتُوبَةٌ بِالنَّارِ ، بِالدَّمِ ، بِالْحَدِيدِ

(١) لأجلك غزة، ص ٤١٥

فِيهَا صَلَاحُ الدِّينِ يُؤَلَّدُ مِنْ جَدِيدٍ (١).

فتخيل الفارس العربي قد عاد من جديد ، ممطياً فرسه ، ممسكاً سيفه ودرعه ، موغلاً في الأعداء الدماء والقتلى ، وحملت التكرارات (عرب ، عربية) التأكيد على موطن التحرر ، فهو عربي بحت فجاء الاستجداد بشخصية صلاح الدين الأيوبي ، رغم أن صلاح الدين كردي وليس عربياً ، حيث بثها في وجدان المتلقي ، ليلقي بالنواح في أعماق البحار ، ويركب خيل صلاح ، مقدماً ليس مدبراً نحو الأعداء .

وجاءت الألفاظ (النار ، الدم ، الحديد) لتعلن ميلاد جيل جديد ، يسترجع أمجاد الماضي ، بمفاتيح العودة الفياضة ، فحينها ستجهش القلوب ، وتدمع العيون ، لرؤية الواقع الجديد ، فقال (٢):

يا قدسُ عندئذُ

ستمطر من هناءتها العيون

يا قدسُ عندئذُ

فقط يرضى الإله

يا قدس إن فض الجميع

فأنت عذراء العرب

إذاً فالقدس المتكررة ، هي مجمع انتصارات العرب ، ورمز عزتهم ، بعد أن فضت بكارة جميع الدول العربية ، وظلت القدس عصية على المنال ، ترعاها عناية الله ، نظراً لمكانتها الدينية والعقدية وتاريخها الممزوج بدماء آلاف الشهداء الذين سقطوا منافحة عنها . يقول محمد براح ، في قصيدته (شد الزناد):

عادت قريش فهذي دار ندوتها	تدعو إلى عودة الأوثان والنصب
بلال يجلد في الرمضاء متئدا	تبت يداك قديماً يا أبا لهب
إني أبرئ في أيامنا * هبلا*	واللات ترقبهم في غاية العجب
تقول عنهم أنا ما صرت أعرفهم	أهؤلاء بنو قومي من العرب؟
إذا أتى العام نادوا عقد مؤتمر	ليكتبوا فيه ما صاغوه من كذب
شهر الحرام وأعياد ومذبحة	ولن يثوروا بشوال ولا رجب
والخيل لا لاحتدام الحرب مسرجة	والسيف في اليد رمز الرقص و
وعيد توت ورممان وأحمرة	وربما رشف أكواب من النخب
فزلزي يا حماس المجد وانتفضي	واستأصلي ورما، دقي على الشغب(٣)

(١) لأجلك غزة ، ص ٤١٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤١٦

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٣٤

اعتمد الشاعر في قصيدته للمهااة بين واقعين بأزمان مختلفة زمن جاهلية العرب قبل الإسلام ، وزمن الجاهلية بعد الإسلام وهو الحاضر ، حيث تسلح الشاعر بشخصيات تعكس في مضمونها انحدار القيم الاخلاقية وتشطي الجذور الاجتماعية والطبقية ، فقبيلة قريش العتيقة قد عادت بحلتها الجديدة ، داعية إلى عودة الأوثان والأصنام ، ولكنها ليست جماداً كما كانت ، بل هي أوثان حية من نفس الجنس ، تطاع دون عصيان .

حيث جسد بلال بن رباح الذي استلهمه الشاعر ، رمز الإنسان العربي، المعذب في فيافي العرب ، ويمثل أبو لهب شخصية الحاكم المتسلط ، الذي ما زال يحمل سوط الجلد ، مسلطاً إياه على رقاب العباد .

فجاءت هذه التعددية من الشخصيات ، لتظهر الطقوس الممارسة والتي هدمت القيم الصادقة في المجتمعات التحررية .

ثم تتواصل النبرات العتابية الممارسة في النص ، من خلال (هبل ، اللات) الأصنام التي كانت تعبد من دون الله ، حيث عند الشاعر لتقانة الحوار التفاعلي ، والذي تعالق مع الشخصيات الجامدة ، فخرجت عن صمتها، وتبرأت من هؤلاء القوم فهم ليسوا كعرب الماضي .

فسار الشاعر في الجانب السردى لمهااة الحاضر بالماضي ، من خلال تصوير الشخصيات الدرامية حيث أراد من المتلقي التركيز على البنية الكامنة للسرد .

" لقد درج الباحثون على القول بأنها مؤلفة من بنيتين فرعيتين ، تركيبية ، واستبدالية ، والأولى تعادل الحكاية ، والثانية تقابل الشخصيات والموضوع ، على أن هذه البنية الاستبدالية تتألف من عناصر متقابلة ، مما يسمح بتمثيلها في مجموعات ثنائية ، تقدم في جملتها الشخصيات الدرامية " (١)

ثم يتواصل في توجيه الاتهام لهذه الشخصيات العربية الهزلية في مواصلة أكاذيبها بمؤتمراتها المنعقدة والتي تختتم باللون الأحمر ، فجاءت التراكيب (توت ، رمان ، أحمر) دالة على هذا اللون المحبب لهؤلاء العرب ، حيث يغرقون في لياليهم الحمراء ، بعد المشقة والتعب ، اللتين يشعرون بها في مؤتمراتهم .

فجاءت العبارات حاملة الغضب منهم ، فهم لم يفكروا ولو مجرد التفكير ، بالمقاومة ، كيف يفكرون ؟ وقد تحول السيف إلى عصا الرقص واستحال الحصان للرقص على الجراحات .

فجاءت المناشدة والتحفيز لشعب غزة ، ممثلاً في المدافع عنه (حركة حماس) برجالاتها ، أن تظل ضاغطة على الزناد ، فلا منفعة من الآخرين ، لذا فقد جاءت العنوان نصاً موازياً نجح في مقاربة النص ووصفه .

يقول الشاعر محمد البع ، في قصيدته (غزة رمز العزة):

كـم مـن مـسـجـد قـد قـصـفـوه فـوق مـن صـلى لـمـولـانـا وأحـرم

(١) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، مجلة عالم المعرفة ، (المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، أغسطس ١٩٩٢) ص ٢٨٨ .

دفنوا أحياءنا في كل حيٍّ منعوا الإسعاف جرحى تتألم
جرّفوا الأشجار والأسوار دكوا كل شيء وأقاموا ألف مأتم
فنزّار عالم فذّ شجاع وسعيد قائد للأمن ملهم
مزق الصاروخ أشلاءً كباراً وصغاراً لمّها أحبابها لم
ونساءً مزقت بالقصف حتى رضع أطفالها ألبانها دم
سبقونا للمعالي شهداء إنهم في الدين عند الله أكرم^(١)
ارتكز الشاعر في قصيدته ، وتواصله مع القارئ ، في تجديد الهدف حيث الاعتماد على الدلالات التي
تسعى لإيصال النص وتحقيقه ، فجاء العنوان حاملاً السجع بين (غزة - العزة) ، والعزة لا تتأتى
بدون غزة .

فجاء الهدف الذي يسعى الشاعر لإيصاله للمتلقي ، بتسليط أضواء الكرامة والعزة على هذه المدينة ،
لأنها رمز الصمود الأسطوري ، في زمن أسطورة الرهبة والتقهقر العربي .
فارتكز إلى حالة الإقناع العقلي ، والتفكير بمنطقية ، حيث استخدم (كم) الخبرية ، للتدليل على كثرة
ما فعله اليهود بغزة ، من قصف للمساجد ، ودفنهم الناس الأحياء لا الأموات ، مع تمردهم على قيم
الرجولة والأخلاق في منع طواقم الإسعاف لديهم .
ثم يتكأ على حالة الانفعال التأثري ، ليثير أحاسيس المتلقي حيث التراكم (أقاموا ألف مأتم) في
إشارة إلى أعداد الشهداء الضخمة .

ثم ها هو يستلهم شخصيتين مؤثرتين ، كان لهما باع في المقاومة والنضال ، فالشجاع (نزار ريان)
الذي قضى هو وعائلته والقائد الملمم (سعيد صيام) والذي جاد بروحه وروح أقاربه في قصف
الطائرات لبيوتهما ، فالتركز جاء على عاطفة الجسد والعقل أيضاً ، فالجسد لدغدغة المشاعر ، والعقل
للتفكير ، بدمار الآلة الصهيونية ، والتي لا ترحم أحداً في سبيل تحقيق أهدافها .
" هذه هي الشاعرية الجديدة إمكانية إبداع جديد تفرض نوعاً من التلقي الجديد ، فالنص قام إبداعاً على
علاقات جديدة ، ولا بد للقراء أن تقوم على مستويات جديدة ، تستجيب لغايات النص الجديدة ،
وهذه هي حالة الإنفعال العقلي " ^(٢)

فالشاعر وفق في استلهامه لهذه الشخصيات ، كرمز للقيم البطولية ، والتي يعتز بها كل فلسطيني ، مع
تصويره الدرامي والتوثيقي ، من خلال تقانة الاستطراد ، ووصف المشاهد الفجائية ، والتي تدمع لها
العيون حزينة ، وفيها الفرحة بوصفهم شهداء يتسابقون إلى جنان الخلد مع تلميحه لتخاذل وضعف
أبناء يعرب ، حيث يقول:

هذه غزة تبني صرح مجد ضاع من جنب وخذلان ومأتم^(٣)

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٤٥

(٢) عبد الله الغدامي ، تشريح النص ، ط ٢ (المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٦) ، ص ٥٦

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٤٥

حيث كرر التركيب (هذه غزة) خمس مرات متتالية ، قاصداً المفارقة بين غزة وغيرها ، معتمداً على آلية البولوفونية اللغوية ، القائمة على تعدد المنظورات واختلاف الشخصيات في الوعي والأصول الاجتماعية ، حاثاً في الوقت نفسه على تلمس العبر والعظات ، فقال:

هذه غزة رمز العزة الكبرى فخذ منها دروساً وتعلم^(١)
أي تعلم أيها العربي - الحاكم والمواطن - فكلكما في الهم واحد .

وفي نعتة لأهل العزة غزة ، يقول محمد الحليبي ، في قصيدته (إلى فرسان غزة الحرة):

يا فارس غزّة هاهي ذي أمّتك الآن

تهفو لقدمك منتصراً بين الفرسان

فاضربْ بيمينك وتعلمْ

وعدّ الرحمن

منصورٌ أنت ولن تهزمْ

رغم الطغيان

واقذفها حجراً يتلظى فلك الميدان

وازارْ أعلنها : لا نامت عين لجبان^(٢)

هفت نفس الشاعر ، لزمن البطولة واستعادة الكرامات حيث حملت (فارس) عبق الماضي برائحة الفرسان مجلجلين فوق خيولهم صرخة الحق ، حيث يصور هذا الغزي ، بفارس عاد من الماضي ، مستنهضاً الهمم اللينة والعزيمة الخائرة ، ويتلج صدور الأرامل والأيتام .

فجاءت التراكيب محفزة خاصة مع تعدد الأصوات ، حيث حملت الألفاظ (الآن ، الفرسان ، وعد الرحمن ، رغم الطغيان ، لجبان) الشحنة الإيجابية ، محققة وعد الله ، بنصر هؤلاء الرجال ، ونراه قد تماهى والماضي لاستخلاص زفرات النصر من أفواه الرجال ، فاستحضر شخصية القائد خالد بن الوليد ، من خلال ذكر مقولته (هأنا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء)^(٣) ليضيف العزيمة الفاعلة ، والروح القوية ، حتى آخر رمق لرجال الحق فهم المقبلون على الموت لا المدبرين ، حيث حمل نهاية المقطع التواصل الحماسي وإشعاله لدى المتلقي، فقال:

فانهض للثأر انهض للثأر انهض

للثأر !!^(٤)

ففي التكرار الرغبة في رفع القيم الاجتماعية والدينية المنذرّة هذه الأيام ، فجاءت دلالاته استقرازية المشاعر والإصرار على هذه الفعلة ، لئلا يعود وينام من جديد ، وكأنني بهذه

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٤٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤٩٨

(٣) انظر : فايد العمروس ، خالد بن الوليد ، قصص أعلام الإسلام (دار الشروق ، بيروت ، د.ت) ص ٤٤

(٤) لأجلك غزة ، ص ٤٩٨

العبارات الحازمة ، بيد الشاعر ممسكة بتلابيب المتلقي تنفضه نفصاً ، ليستفيق من غفلته ، فقد حان موعد اللقاء ، وتهيات الفرص التي لا تعود كثيراً .

وحملت علامات التعجب ، الدهشة والاستغراب من هذا الانتظار الطويل ، حيث التعبيرات القوية قاصدة إحداث ردة فعل لدى المتلقي ، وتحويلها لأفعال لا أقوال .

يقول محمود الرنتيسي في قصيدته (دماء ونداء):

انظر إلى الأمواج كيف تميل وإلى السعادة في الوجوه تزول
وعلى الرمال دماؤهم مسكوبة يا قوم أين الصارم المسلول
هذي هدى تجد الردى مدّاً يبدأ وعلى الوجوه ترى الدماء تسيل
نادت أباهال لم يجب نادت هدى حسبته في كنف الرمال يقيّل
نادت أبي وجرت إليه بلوعة لكنّ والدها الحنون قتيّل
قتلوه مع أبنائه في بقعة فيها أمان والسلام نزيّل
وقعت هدى فوق الرمال حزينة "ملهوفة لم تدرك كيف تقول"^(١)

يأتي هذا الأسلوب التوثيقي في تصويره لمجزرة بشعة ، أدمت قلوب الناس ، وحرقت العيون ، فهذا التصوير الدرامي لمجزرة عائلة هدى غالية^(٢) ، لا يتخيله العقل ، فجاء هذا الاستلham لهذه الفتاة التي فقدت عائلتها في ثوان، ليعكس حال فتيات فلسطين ، وأطفالها ، فكل ذنبهم أنهم ذهبوا إلى شاطئ البحر ، المتنافس الوحيد لهؤلاء المحرومين سعادة الآخرين ، فكان الرد أعنف على ابتسامات الأطفال التي أزعجت هذا الكيان ، تناثرت الدماء واختلطت برمال البحر ، شاهدة على هذه الجريمة النكراء ، ولقد ركز الشاعر على الأثر المتجه للنص ، ليفضي به للمتلقي فجاء ، معتمداً على الحكي السردى ، المزحوم بتفاصيل المشهد الدرامي ، محاولاً المطابقة بين العالمين ، عالم الواقع وعالم النص ، لذلك جاء العنوان ، (دماء ونداء) فاتحة النص " لأن العنوان هو بمثابة الهوية للقصيدة لأنه يحمل لنا صورة من صور تفسير الشاعر لقصيدته " ^(٣) .

فكان العنوان مغرباً للقارئ لاستقبال النص والدخول فيه ، حيث يتماشى العنوان وسياق النص ، مظهراً دلالات اللفظة والحزن ، على الشخصية المنادية بلا مجيب ، والصارخة بلا صدى ، تشوش عليها أمواج البحر المتلاطمة .

وقد عمد الشاعر لتقانة التضخيم ، ليجسد لنا الحدث بكامل صورته ولا يهمل مشهداً من مشاهد ، لأن الخطب جلال ، فهذه العائلة صورة منعكسة لمئات العائلات التي قضت وتركت أبناءها يجولون في ردهات الزمن الهاوي .

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٩٩

(٢) فقدت هدى سبعة من أفراد عائلتها ، بتاريخ ٢٥/٦/٢٠٠٦م في قصف بحري لهذه العائلة المصطفاة.

(٣) عبد الله الغدامي ، ثقافة الأسئلة ، ص ٤٧

وقد دفعت المشاعر المجنونة ، نفس الشاعر إلى الاستجداد بخالد بن الوليد ، من خلال التركيب (أين الصارم المسلول) ، طالباً الثأر من هذه الأحقاد الدفينة ، فقال:

والله يا بنت المساجد إننا سندكهم ويُدمر الأسطول^(١)

حيث الإشارة لمصدر المجزرة ، قذائف الأسطول البحري ، والذي يرمز لحالة الحصار المستشري فلم يقفوا في حصار البحر والجو ، بل والبحر أيضاً ، للتأكيد على حياة الناس أينما ذهبوا . فهذا المشهد انفتح على التجسيد الحي لما آلت إليه عائلة هدى ، باعثاً في النص قشعريرة وغضباً في نفس الوقت ، مرشداً إلى المعاملة بالمثل ، والكيل بمكيالين ، حيث حقق السرد الوقائي الصورة المشهدية الدرامية ، والتي حملت بالغ الأثر ، تاركة الكرة في ملعب المتلقي.

يقول الشاعر محمود حمود ، في قصيدته (غزة):

كلُّ يومٍ يُشنقُ الوردُ

يموت السعد

يفنى العرضُ

تبكي الأرضُ

ينهضُ هلالٌ وتسوَّى

في ركام الأرضِ قبهُ

يستقي نيرون من نيران

هذا الغدرِ قُوَّة

كلُّهم نيرونٌ يستحلي ومن في صفِّهم

أوصال طفلة^(٢).

يأتي الشاعر بالقصيدة المعنونة بـ (غزة) وكأنها جالسة وحيدة على قارعة الطريق ، منتظرة قطار العودة ، ولكن يبدو أنها جاءت متأخرة ، فعليها التحامل على نفسها ، وإرهاق قدميها ، فهما الملاذ الأخير للوصول المرتجي .

ونلاحظ في هذا المقطع تكرر أفعال المضارعة ، والتي تدل على استمرارية (البكاء - الموت - التهيدة الحارة - الشنق) فجاءت ملتحفة أوراق الخريف الصفراء ، رامزة للشحوب والذبول محاكية حال المدينة الخاوية ، فأراد الشاعر من المتلقي أن يجعل بصره ثلاثي الأبعاد ، ليرى المكان بصورته الحقيقية ، وقد تقنع بقناع نيرون ، الملك الروماني الذي حرق المدينة وهو جالس ينظر إليها ، وهو بهذا يرمز للمسح الصهيوني (إيهود أولمرت) الرأس المدبر لحرب غزة ، حيث يسانده أهل الغدر في حربه ، في إشارة للأنظمة العربية ، والتي ألقت بسهام غدرها ، في قلوب الغزيين .

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٩٩

(٢) لأجلك غزة ، ص ٥٠٤ ، ص ٧٠٥ .

حيث جاء التركيب (كلهم نيرون) ملقياً أصابع الاتهام إلى هؤلاء الحكام في تواطئهم وغدرهم المعلن ، وهم يشاهدون غزة مشتعلة ، ولا يحدثون أثراً .

فجاء التوظيف رابطاً بين ماضي روما المشتعلة ، وحاضر غزة المحترقة ، فالاثنتان في المصاب واحد ، وتماهي الحكام العرب مع نيرون في بوتقة واحدة .

فالحادثان واحد ، والزمان والمكان مختلفان ، وبالتالي لجأ الشاعر لهذا الرمز لأنه مرتبط بالتجربة الشعرية التي يعانيتها الشاعر ، حيث يعبر عن المعاني التي لا يستطيع التعبير المباشر أن يلحق بها أحياناً .

ويتواصل الشاعر في استمداد الشخصيات التاريخية ، وهذه المرة يعود إلى العصور الإسلامية والتي شهدت فتناً داخلياً فيقول:

وحديثاً ضيعوا تاريخ عزٍّ

ونسوا أصلاً وفصلاً

ونشيد العز نصرُ الله إذ

(هيهات منا الذلة)^(١).

فالشاعر يطرح السوداوية والسلبية لدى الوعي الجمعي للقارئ ، حيث يستدعي شخصية الحسين بن علي بن أبي طالب من خلال آلية الاستدعاء بالدورة ، قالباً المقولة التي نادى بها الحسين في خطبة عاشوراء ، خلال الحرب مع معاوية^(٢) (هيهات منا الذلة) ، فجاء قلبها ليوظفها في زمانها الإيجابي فهيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعْدَ ، فالشاعر يستبعد الذل والخذلان أمام منافقي العرب وأصدقائهم الغرب ، حيث حملت المقولة دلالات التحدي والصمود ، في وجه تيارات الغدر والخيانة ، فدماء الأطفال سوف تحرقهم كالزيت المشتعل ، ليغسلوا عارهم المتفشي بين أوجاع الشعوب .

يقول محمود الرنتيسي في قصيدته (نكفور وقذائف الفسفور):

أطفال تغرق في الدم

وعيون يملؤها الهم

أطفال في عمر زهور

حرق أعينها الفسفور

وأرى طفلاً بين المرضى

بمصيبته يقظاً يرضى

يدلي تصريحاً لفتاة

في ثقة ينطق بأناةٍ ذكرني هذا بزمان

كان أمير الناس ينادي

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٥ .

(٢) انظر : مرتضى المطهري ، الملحمة الحسينية ، ط ٢ (الدار الإسلامية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢) ٣/٣١٩

ويخاطب علياء الغيم
إنك للدولة عائدة
لو أمطرت بأرض الضيم
فيرد على الصوت غريب
في شكل عتو ونفور
لن ندفع مالا وخراجا
وأنا مولا هم "تكفور"
خذها مني وافهم قولي
حرفان وأغلي وافور
أستبدل أول حرفين
بحرف الفاء وحرف السين
فأصير قذيفة فسفور (١) .

تأتي هذه الكلمات الانفعالية ، لتطفأ الانفجار النفسي المنبعث في صدر الشاعر ، "لأن الكتابة هي
البديل عن الانفجار النفسي، بما أنها انفجار لغوي يوازي بل يفوق درجات الانفعال الذاتي، وإذا فرغ
الشاعر من كتابة قصيدته، راح يبحث لها عن عنوان سوف يكون خلاصة دلالية لما يظن الشاعر أنه
فحوى قصيدته" (٢).

وهذا العنوان الذي في اعتقادي قد بلغ درجة أرقى من بلاغة النص ، لأنه يحمل مفارقة تاريخية ، بين
الماضي والحاضر ، نكفور يمثل حالة الملك الطاغية الذي انكسرت أشروته بأيد المسلمين ، والفسفور
لا زال يتربع على العرش ، رامزاً إلى هيمنة اليهود ، دون رادع لهم .
ومال الشاعر لتقانة الاستدعاء بالدور ، من خلال ذكر مقولة الخليفة المسلم هارون الرشيد (أمطري
حيث شئت ، فإن خراجك آتيني) في خطابه للسحابة .

ثم يأتي فجأة ويلقي بنكفور ملك الروم ، مصوراً عناده في دفع الجزية وتجبره ، مماهياً الواقع العربي
الخانع للنظام اليهودي ، فلعب الشاعر على تقانة التشويش ، لإثارة ذهن القارئ ، حيث استبدل (
نكفور) بـ (فسفور) عاكساً الصورة الحالية لليهود متماهياً مع زمن نكفور ، في إشارة إلى الظلم
والجبروت الممارس بحق الشعب الأعزل ، حيث حرق غزة بقذائف الفسفور الملتهب ، مستدعيّاً حالة
الطفل (لؤي صبح) والذي أصيب بالعمى ، جراء الفسفور ، مصوراً إياه صابراً مرابطاً رغم عظم
الجرح .

ويكمل الشاعر مقاطع القصيدة السردية فيقول:

وصل القائد صوت العاتي

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٠٨

(٢) عبد الله الغدامي ، ثقافة الأسئلة ، ص ٤٨

فأعاد بعز موفور
فلتخساً يا كلب الروم
لن يرعبنا صت كفور
سنجوس هرقله برجال
وتصير ككلب مذعور
إن حاصر هارون هرقله
وأغاظ الملك الموقور
فرجال الحاضر أفذاذ
أمثال نزار المتصدي
أمثال سعيد المغدور
لون دماهم لون الدم
والريح كريح الكافور^(١).

يأتي الاستدعاء بالدور مرة أخرى ، من خلال رسالة هارون الرشيد إلى نكفور المتجبر ، يقول فيها :
" من هارون أمير المؤمنين إلى نكفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه
ليس ما تسمعه ، لأرسلن إليك بجيش أوله عندك وآخره عندي "

حيث خرج هارون بنفسه في ١٨٧هـ ، حتى وصل مدينة (هرقله) ، واضطر نكفور إلى الصلح
والمواعدة وحمل مال الجزية إلى الخليفة ، ثم عاود قتاله بعد نقضه للعهد في ١٨٨هـ وهزمه شر
هزيمة ^(٢) .

فجاءت هذه الاستدعاءات ، أملاً في إيجاد شخصيات قادرة على الوقوف في وجه المحن والمصائب ،
ولقد حشد الشاعر عدة شخصيات فلسطينية وازاها بالخليفة هارون ، من خلال الثبات على مبادئها ،
فنزار ريان دفع حياته ثمناً للتصدي ، وإغاظه بني يهود ، وسعيد صيام الذي قضى نتيجة غدر
الغادرين ، مسطرين بدماهم الزكية ، لوحة الأمل المضئئة في ليلة بلا قمر ، وبالتالي جاءت
التوظيفات والمتمثلة في الجانب السردي ، ذات طابع خاص ، حيث " تحرك نوعاً من الثقة في
المذكورة التفكيرية ، وهي تستبدل دوماً النسخة البسيطة المحصنة للأحداث المروية ، فمن غير المتوقع
ألا تسبق الجلوس دعوة إلى الحلول في المكان ، وهذه الوحدات في سياق السرد متجاوزة من وجهة
نظر تكتيفية ... وهكذا ينشأ نوع من الزمن المنطقي الذي يمت بصلة ضئيلة مع الزمن الواقعي "^(٣)

(^١) لأجلك غزة ، ص ٥٠٩

(^٢) انظر: جمال الدين بن الجوزي ، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر ، لبنان

١٩٩٥/٥/٩٤٠

(^٣) رولان بارت ، النقد البنيوي للحكاية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، ط ١ (منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٨)

يقول هاشم صديق ، في قصيدته (الجلد ... والحريق) :

آه يا (بن رواحة)

يا (حسان)

يا قلة غلبت

عدد الرمل

على الصحراء

من لي بجواد لا يكبو

في عصف الزحف

إيقاع حوافره

أفصح

من كل غناء الزعماء

يا (حمزة)

اخرج من قبرك

عانقني

لم يتبق غير التاريخ

وهذا السيف الأثري

وشربة ماء

في جوف (السعن)

لم تتلوث

ببصاق الحلفاء

وهذا الجمل الأعرج

يحدق كالمعتوه

في قلب الصحراء

يجتر هوى ناقته

(الجرباء)^(١)

يتبادر إلى ذهن السامع عند قراءة مفتاح القصيدة ، منظر اللهب المتصاعد ورائحة الجلد المحروق ، حيث قصد الشاعر هذه الدلالة وأخرى ، حيث يرمز الشاعر للإنسان العربي المدعي العروبة ، وهو يشاهد إخوانه يحرقون أمام ناظريه ، وما يحرك ساكناً ، فأراد أن يشلح هذا الجلد لأنه عربي ، معبق برائحة الخزي التي تفوح منه ، فهنا انتفاضة المشاعر وتمردها على أرتال الخيبة .

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٤٦

فجاء المقطع يحمل آهات وعذابات الواقع ، حيث ما توانى الشاعر بكل أفكاره الهائلة الاستعانة بصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت هؤلاء الذين نافحوا عن الدين والرسول بأجسادهم وألسنتهم ، وما انفكوا حتى ارتفعت رايات المجد التليد ، فوق أسوار المدن حيث يدعو الشاعر أصحاب الضمائر الحرة والشعراء ، لبذل أقصى طاقاتهم ، في الذود عن ثرى فلسطين الحبيبة ، وتحويل يراعاتهم لرصاصات مصوبة إلى قلوب الكيان الصهيوني ، ثم يستسقي شجاعة الجسد ، وقوة البأس ، حمزة بن عبد المطلب ، الفارس الهمام ممطياً ظهر جواده ، محدثاً صراخ وتوجع أعداء الله ، وكأنني بحرف (الحاء) الذي يجمع الشخصيات الثلاث ، حمم بركانية منتفضة وثائرة في وجه الغاصب .

هنا تأتي الحسرة ، فلا ظل سوى آثار هؤلاء الذين مضوا ، وسيوفهم معلقة رغم أنفهم يكسوها صداً الرقاد الطويل ، وقرقة الماء (السعن) تذكرنا برياح الماضين ، والجمال التي مالها تفكير سوى رضا ناقته .

فجاء (السيف ، القرقة ، الجمل) مذكراً بالانتصارات التاريخية للمسلمين ، وما كان معهم سوى تلك الأشياء ، مفارقاً واقع اليوم فهم يملكون الطائرات والدبابات والعتاد العسكري ، ولكن دون جدوى . فالتوظيف حاول أن يجر الواقع إلى الوراء ، ليفسر حقيقة التخاذل ويستفيد من دروس الآخرين ، ويقتفي آثارهم ، وإشغال ذهن القارئ برغبة السفر لحياة الصحراء ، وتذوق خشونتها ، وممارسة تقاليدها كي تصنع الفارس ، الذي ينتظره جواده بفارغ الصبر .

ويستمر الشاعر في هديره العاصف ، ويسبح هذه المرة إلى العصور الغربية ، فيقول :

(هاملت)

ظل يفكر في مأساة الذات

ثم تخصص في مأساة الكون

ومضغنا جملته

وخزناها مثل (القات)

بصوت الذات

لم نفهم أبداً

كلمة نحت

وكيف نكون

حتى نصبنا

(الليث الأبيض)

رباً

لم يخرج من فيلم

(الكارتون)

بل (البنتاغون)

....

سيقول السفهاء

دعوه (يخرّبش)

وجه الكون

(ولنلعب نحن على المضمون)^(١)

يدخلنا الشاعر في المتاهات الفلسفية ، من خلال استلهامه لشخصية هاملت في مسرحية للروائي (ويليام شكسبير) ، والذي صور هاملت بأمرير الفلاسفة التأمليين ، حيث ابتعد عن التفكير في الثأر لوالده من عمه (كلوديوس) ، وأخذ يفكر في بشاعة الجريمة فكانت علقته هي أن يفكر لا أن يفعل^(٢) . حيث جعلته الشهيرة (أكون أولاً أكون) والتي دائماً يناجي نفسه فيها .

فهذه العبارة قد غرقت في عباب البحار العربية ، بل وتم لفها في ورقة القات^(٣) حيث تمّ مضغها لنسيان الحاضر ، فذابت وسط الألسنة التي تلوّكها يمنة ويسرة . فالشاعر مال بتقانة النص الموازي ، إلى توحد شخصية ، هاملت والإنسان العربي ، من خلال التردد والتشكيك في تقرير المصير ، حيث حملت العبارة المستدعاة حيرة وقلق العرب من اتخاذ القرار ، وما سيتبع ذلك .

وبالتالي عندنا أوشكوا على تلمس الذات العربية ، والهم العربي ، أثبت عقولهم إلى أن تسيطر على مشاعرهم ، من خلال عبادتهم (للبيت الأبيض) والرامز إلى رؤساء أمريكا ، فحملت كلمة (الليث) الهيمنة والسيطرة على الأنظمة العربية .

ثم تلتها (البنتاغون) والتي تنير الرعب في أوصالهم مجرد السماع بها. وقد رمز لهؤلاء الحكام العرب (بالسفهاء) ، استهزاءً واستخفافاً بهم ، والذين لا يحركون ساكناً تجاه ما يحدث لغزة وغيرها خوفاً من مستقبل مظلم ، يتخلون فيه عن مناصبهم وعروشهم .

فنجح التوظيف في إبراز الصورة الحقة لمضمون هؤلاء الحكام وكشف حقائقهم التي يخفونها عن شعوبهم .

يقول الشاعر هلال الفارع ، في قصيدته (أنت تمضي فوق حقلٍ بالممالك ملغم) !!:

أَنْتَ فِي كُلِّ حُلُولِ الْمَوْتِ تَمْضِي،

فَوْقَ حَقْلِ بِالْمَمَالِكِ مُلْغَمٌ

فَتَعْلَمُ

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٤٨

(٢) انظر :هاملت ، ترجمة أمير دانمركة، ط٣(جامعة الدول العربية ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت)

(٣) شجرة خضراء أوراقها بيضاوية مدببة وتقطف للمضغ حيث تضعف الشهية والشهوة والنوم وتعتبر اليمن من أكثر الدول التي تستخدم هذه النبتة

كَيْفَ تَحْتَالُ عَلَى الْمَوْتِ،
وَفِي السَّاحِ " بَرَكَ " ، وابنُ مُلْجَمٍ
لَمْ تَكُنْ تَدْرِي بِمَا يَجْرِي،
فَمَا الْإِشْكَالُ فِي الْجَيْشِ الْعَرَمَرَمِ
إِنَّمَا الْإِشْكَالُ فِيمَنْ،
أَمْ فِي النَّاسِ طَوِيلًا،
بَعْدَمَا أَجْرَى دِمَاهُمْ، وَتَيَمَّمْ
ثُمَّ صَلَّى، ثُمَّ سَلَّمَ (١).

حاول الشاعر من خلال عنوان القصيدة ، والذي يتحدث فيه عن المماليك الذين جلبوا من آسيا الصغرى والقفقاس ، من قبل الصالح أيوب ، ليستعين بهم ويدعمون أمن المملكة (٢) ، وها هي الصورة نفسها تتكرر في الحاضر ، فإسرائيل تحشد الأشخاص من شتى بقاع العالم ، وتربيههم على الطاعة والولاء لمساندتها في حروبها على غزة ولبنان وغيرها من الدول التي لم يحن دورها . فعليك أيها المتلقي أن تنتبه ، وتتعلم جيداً من هؤلاء الأشخاص فجاء استدعاء (إيهود باراك) تلك الشخصية التي لا أصل لها أمثال بقية شعبه ، والذي يُسأل عن اغتيال زعماء فلسطينيين في بيروت سنة ١٩٧٣ م ، كما ويُسأل عن قتل الشهيدة دلال المغربي ، ثم عن حرب غزة ، يأتي في مقابله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي والذي اغتال علي بن أبي طالب في صلاة الفجر سنة ٤٠ هـ . فهاتان الشخصيتان تمثلان الإجرام والطغيان الممارس بحق شعب فلسطين ، وهما وجهان لعملة واحدة في أزمان مختلفة .

فجاء التوظيف ليلقي بظلاله على حكام الأمة ، والذي يجهزون الجيوش ، للاحتفالات والاستعراضات ، ويدعون الإسلام والعروبة ، بتفرجهم على ما يحدث لغزة فلجنة التاريخ تطاردهم على مر الأزمان . وفي قصيدة (يحدث في غزة) يقول خلال الفارع:

يَا أَبَاءَ الْغَيْطِ مِنَ الْقَحْطِ الْأَرْدَلِ،
يَا إِخْوَةَ "بَرَكَ" وَ"لَفْنِي" فِي الْإِرْضَاعِ،
بِتَنْدِي "النَّبْدُو"
يَا عَشَاقَ الْغَرْقَدِ وَالْكَأْسِ، تَعَسْتُمْ
مَا أَجَبْنَكُمْ!
سَتَشْبَعُ أَفْوَاهُ الْعَالَمِ مِنْ:
عَرَبٍ عَرَابِينَ،
وَأَعْرَابٍ عِبْرِينَ،

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٥٣

(٢) انظر : أحمد العبادي ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ٨٢

وَ "عَسْرَائِيلِيِّينَ"

صَرَخًا... وَعَوِيلاً! (١)

يأتي الشاعر منادياً عبث العابثين ، والمطأطين الرؤوس والأقدام تدوس ، حيث تماهوا مع أعداء الله فاستدعى باراك وتسيبي ليفني ، فهم إخوة معهم في الرضاعة ، ولكن ليس بثدي الأمهات العربيات ، لأنهن أنقى وأظهر من أن تمس هذه الشفاه أئداءهن ، ودلل على ذلك (النيدو) ، لأنه من يرضع من أمه يخرج قوياً شجاعاً ، لا مستكيناً ضعيفاً ، أمثال هؤلاء النثلة .
وتمادى الشاعر في وصف حبهم وعشقهم لليهود ، فهم يعشقون شجرتهم المفضلة الغرقد ، والتي تحامي عنهم .

فجاء الوصف الآخر بأنهم قطاع طرق ، من خلال لعبه على تقانة الخطية من خلال (عسراييليين) ليؤكد على توأمة العرب المتخاذلين مع الإسرائيليين ، فكأنهم شخص واحد ، وهذا التركيب أدى إلى بون الدلالة ووضوحها في رؤية الشاعر التجسدية لهؤلاء المتواطئين بهذه الصورة .
فكان التوظيف لغرس المشاعر في جسد المتلقي ، مشاعر الكراهية والبغض لهؤلاء الأشخاص ، بطريقة التوظيف منتقاة ، خاضعة لطبيعة الأفكار والمواقف التي أراد الشاعر إظهارها ، معتمداً على التلميح البعيد عن الغموض ، والمتماشي مع ثقافة المتلقي ، فحمل السلبية المعجونة بآلام وبأس الشاعر ، وتخوفه من مصير معتم .

وفي قصيدة (الكبار ... يتبرعون بالدماء !!) ، يقول هلال الفارح:

يُضْحِكُنِي تَبَرُّعُ "الكبار" بِالْدمَاءِ

مَنْ أَيْنَ يَنْزِفُونَهُ،

وَلَيْسَ فِي عُرُوقِهِمْ،

سِوَى خِيَانَةٍ، وَبَعْضِ مَاءٍ

وَبَعْضِ كَازٍ وَرَثَ الثَّرَاءِ

وَبَعْضِ عَهْرٍ فَاحِشٍ،

يَسْتَبْدِلُونَهُ بِمَا قَاوُوهُ مِنْ حَيَاءٍ

لِلَّهِ يَا "زَيْدِي" ،

كَمْ أَحْرَجْتَنَا،

فَلَمْ نَعُدْ نَقْوَى عَلَى امْتِهَانِهِمْ،

بِفِرْدَةٍ وَاحِدَةٍ،

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْلَيْتَ دُونَهُمْ

كِرَامَةَ الْحِذَاءِ !! (٢)

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٥٨ ، ص ٥٥٩

(٢) ١ لأجلك غزة ، ص ٥٦٧

تحمل القصيدة منذ مفتاحها عبارات الاستهزاء والسخرية ، بمن يفهم (الكبار) وهم عكس ذلك ،
فعلامات التعجب تحمل دلالات الاستخفاف بهؤلاء الحكام الذين يظهرون أمام شاشات الرائي بالأبطال
المضحين بأعلى ما يملكون -دماهم- في سبيل رفع الضيم عن الشعوب المقهورة .

كما ويرى الشاعر أن دماءهم استبدلها الجسد بالنفط والعهر المنقشي فيهم ، فلا يحملون الحياء
والكرامة ، بل مطبوع بين أعينهم (إلا أنا) .

ثم يستحضر شخصية (منتظر الزيدي) ذلك الصحفي العراقي ، الذي لم يرق له رؤية (جورج بوش)
مستحقراً دماء المسلمين ، والحامي لمريقيها ، فما سكنت مشاعره إلا عندما توجهت يده بحذائه ،
ملقياً به في وجه الطغيان العالمي ، جاعلاً إياه ألعوبة ، في وجه الشعوب المطحونة ، منتقماً لشرف
الأمة المهانة بفعل حكامها .

فتوحد الشاعر وهذه الشخصية ، ليلقي بظلالها أمام عيون المتلقي ، طارحاً رؤيته السلبية لأمثال
هؤلاء ، داعياً في الوقت ذاته للسير على نهج الزيدي ، رغم أنه مسالم لا يملك سوى يراعه ليحارب
فيه .

تقول الشاعرة (جودي العريبي) ، في قصيدتها (مهرة الريح .. عزّة):

يا يوسفُ العربيُّ
أُسرَجُ خيلها
ما عادَ يُجدي الانتظارُ
ماذا نُؤمِّلُ ميتاً
دون الحصار؟!
يا يوسفُ العربيُّ
ليلٌ قاتمٌ
غطى النوافذ والدروبَ
وصارَ في عتم الغيابِ
أُسرَجُ خيولك
إنَّ خيلَ الشَّمسِ تأبى
ملعباً قد هانَ
يا يوسفُ العربيُّ
أضحى العُهرُ يُرشفُ
تحت عينِ الشَّمسِ
ما عادَ دربٌ للحياءِ
يا يوسفُ العربيُّ نفَضْ
عن جناحكْ

لَيْلَ غَفَلَتْنَا

فَإِنَّ الْفَجَرَ آتٍ ثُمَّ آتٍ (١).

من خلال رؤيتنا لعنوان القصيدة (مهرة الريح ... عزة) يتضح أنه ينبثق منه خيوط كثيرة ممتدة ، يقف أمامها المتلقي ، ويعمل ذهنه فيها ، ليستطيع بذلك الولوج لعالم النص . ونقف عند التساؤلات ، هل المهرة تسابق الريح ؟ وما نوع هذا السباق ؟ وإلى أي خاتمة سوف ينتهي ؟ وما العلاقة بين المهرة والعزة ؟ ولم جاءت كلمة (عزة) نكرة ؟ إذن لا شك أن العنوان مليء بالتساؤلات ، وبالتالي يكون محفزاً على فعل القراءة ، وبلوغ متعة الاكتشاف .

والشاعرة ارتكزت في القصيدة لاستلهاام شخصية سيدنا يوسف - عليه السلام - مؤكدة على عروبتة بـ (يوسف العربي) حيث تستجدي الغلبة من أبناء يعرب ، رغم حلول الهوان ، وفي ظني أنها ساقطت لنا هذه الشخصية لربطها بالحاضر ، حيث عانى يوسف غدر وخيانة الأخوة الذين انتمروا على قتله ، ومن ثم تشرده وتعرضه للفتن والسجن ، ثم لاقى جراء صبره ، الخاتمة السعيدة ، بثباته على المحن والبلواء .

فالشاعرة تحاكي الواقع من اجتماع القادة العرب ، على وأد غزة ، بسبب غيرتهم العمياء ، فهم يقفون تماثيل جوفاء ، أمام إشعاعات العزة المنبعثة منها ، وما حصارهم المشارك إلا حقداً عليها ، وتجدر الإشارة لرمي أصابع الاتهام لكبرى الدول العربية (مصر) ، فلم تختار الشاعرة شخصية يوسف عبثاً لأنه واجه المتاعب والصعاب على يد عزيز مصر ، وكأن دائرة الزمان تدور من قبل (الرئيس المصري) ليتعب هذه المسكينة - غزة - وتقع في شرك ظلمه وطغيانه .

فجاء صراخات الشاعرة ، منادية العرب عامة ، ومصر - خاصة - بالتمرد على الضيم والطغيان ، وأن ينفضوا أيديهم من هؤلاء الحكام الذين يزينون حياتهم بالفحش والعهر . ورغم فداحة الأمر الحادث وفجاعته ، فإن بشریات تحملها الشاعرة وتلقيها أمام ذهن المتلقي ، من خلال عبارتها (فإن الفجر آتٍ ثم آتٍ) حيث استخدمت حرف التوكيد ، وتكرار آتٍ ، مؤكدة على قرب العودة ، وانبلاج الفجر .

فأيها العرب ، أسرجوا خيول العزة نحو الغالية غزة ، وحرروها من أسرها ، واتركوها في فضاء الله تغدو مجارية الريح لتتوج نصرها على الباغي .

فنجد التوظيف في كسر الرهبة المرسومة في عيون أبناء الشعوب ، من قبل حكامهم داعية المتلقي لنشر هذا التحدي في القصيدة ، على صفحات النور والحرية ، حيث تقول :

ما بعد هذا السيل إلا

أن تغني واقفاً للمهرة الشعواء

في المطر الغزير

(١) لأجلك غزة ، ص ٦٠٣ ، ص ٦٠٤

حيًا على مزح الرماح^(١)

فلا شك أن هذا المشهد يتجه نحو الواقع الفلسطيني ، والدعوة لفك قيوده من براثن الاحتلال .
تقول (دولة العباسي) في قصيدة (نريد دماً جديداً في العروق ... !!!):

أفيقي أمتي الغفلى أفيقي من الأوهام والخلم الرقيق..
وهبي من رقادك واحملينا إلى تاريخ أمتنا... العريق..
ألا واسترجعي كبر (المتني) (ويوسف) والسنا الحلو العبيق^(٢)

صرخات قطعها الشاعرة بإرادتها جيلاً جديداً يفيض بدماء الحيوية والشباب ، دمه أحمر متورد ،
دائم التجديد ، بهذه الكلمات توجت الشاعرة عنوان قصيدتها ، " هذا كشف لشرف الكلمة وعجائبها ،
انبساطها - انقباضها ، تقدمها وتأخرها ، تتحرك الكلمة ولكنها ساكنة قاطعة ، من خلال الحرف
يعيش المرء على الحافة ، لا سهو ولا غفلة ، لا يصعد الجبل بالحركة المستمرة ، التصعيد هو قوة
التوقف والابتلاء ، أن تقول فلا تعرف ، أن تتنطق فيكون النطق صمتاً يندمج الكشف والستر " ^(٣)
حيث بدأت الشاعرة بتكرار الأمر (أفيقي) لتصحو الأمة من سباتها العميق وأحلامها الزائفة ، ثم
توالت أفعال الأمر (هبي ، احملينا ، استرجعي) حاملة الشعلة والثورة فقد آن الأوان لأن ترسو
سفينة الأمل في شاطئ الأمان ، وبالتالي عادت الشاعرة كسابقها من الشعراء المعاصرين إلى
الرموز التاريخية ، لعلها تتلج قلب المتلقي ، وتعيد النبض إلى قلبه من جديد ، فاستلهمت شخصية (
المتنى الشيباني) ، والذي اشتهر برجاحة عقله ، وإدارته المتميزة في المعارك ، وشجاعته سواء في
الجاهلية أو بعد إسلامه .

فالأمة تحتاج قائداً ملهماً ، رائد العقل ، سديد الرأي ، تفوح منه رائحة الكبرياء تجاه أعداء الله ، ثم
تواصل استدعائها وهذه المرة سيدنا يوسف بن يعقوب ، صاحب الأمانة وصواب الرأي ، والذي
استأنه عزيز مصر ، على مال المملكة. فهذه دعوة صريحة من الشاعرة ، بحاجة هذه الشعوب
العربية إلى حكام يتصفون بالشجاعة والرأي السليم والأمانة ، فحتماً هم الطريق الأوح لنيل الأمان
وتحقيق الرغبات حيث جمعت هاتان الشخصيتان هذه الصفات ، وتمثلها في ذهن المتلقي .

فنجح التوظيف في قطف ثماره المرجوة ، والمنادية بقائد روحاني يعمل بكتاب الله وسنته ، ولا يخشى
في الله لومة لائم .

وهذه محاولة موفقة من الشاعرة في الكشف عن مدى خفة عقل الحكام وجبنهم ، وابتعادهم عن كتاب
الله وسنة نبيه .

(١) لأجلك غزة ، ص ٦٠٥

(٢) لأجلك غزة ، ص ٦٠٥

(٣) مصطفى ناصف ، محاورات مع النثر العربي ، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة ، الكويت

١٩٩٧، ص ١٠٣

(الفصل الرابع)

أولاً:- التناص مع الفولكلور :

مما لا شك فيه - إن أي أمة يحكم عليها من خلال تراثها ، حيث يصوغ سلوكهم وعلاقاتهم . كما أن التراث بمفهومه العام لم يكن نتاج زمن قصير أو عدد قليل من الناس ، فلقد جاءت الأعمال الفلكلورية نتيجة تراكم معرفي طويل ، ونقل متواتر من جيل إلى جيل . فالفولكلور هو صدى الماضي البعيد وصوت الحاضر المدوي ، حيث تكمن أهميته الفكرية والتربوية في إلهام الشعوب بالمثل العليا والتطلعات السامية كحب الوطن ، والتفاني في سبيل رفع شأنه ، فيأتي الفلكلور مصوراً المدافعين عن الوطن في صورة أبطال ، داعياً للافتخار بهم ، كما انه يعبر عن الطموح في الحياة ، ويعكس آراء الشعب الجماعية ، ويزيح الستار عن كل جمال خلاب في الطبيعة وفي الإنسان .

ويحمل أكثر من مسمى ، فهو التراث الشعبي ، المأثورات الشعبية ، الفلكلور ، والأدب الشعبي . حيث يمثل التراث الشعبي بالنسبة لأي أمة الخيار الوحيد لتعبير عن تلقائيتها المطلقة بكل حرية وتجرد فالأدب والتراث الشعبي هو التعبير الفطري الصادق لأحلام الأمة وآمالها وشقاها^(١) " ولما كان الأدب مقياساً لوجود الأمة بشكل عام ، فإن الأدب الشعبي واحد من فروع تراث أي أمة من الأمم ، فهو العمود الفقري في الموروث الشعبي " (٢).

لذا فالتمسك بالموروث الشعبي ظاهرة صحيحة ، حيث يلجأ إليه الشعراء ، لدعم قضاياهم الوطنية والأخلاقية والاجتماعية فهو عبارة عن مرآة تعكس عادات وتقاليد وثقافات الشعوب والبلدان ، والمساهمة في توظيفها بأشعارهم للتعبير عما يرمون إليه .

وهكذا " بات الأدب مرآة تعكس آمانيات الأمة وأمانيتها ، وانتماءها الوطني ، وتفاعلها مع الأحداث القومية فالقائد والأغاني الشعبية تحت قادة الأمة وأبطالها ، على استلهاهم الماضي المجيد ، وإعادة الوحدة للتخلص من الواقع الراهن الأليم " (٣).

وسنحاول إلقاء نظرة عن قرب لاستحضارات شعراء الديوان للتراث الشعبي بأنواعه : الأمثال ، الحكم ، والأغاني الشعبية ، " وهو مجال يتعاضد فيه وعي الشاعر للماضي وصدوره عن المعاناة في الحاضر ، ومن ثم إدراك التجربة الشعرية الحاضرة للتجارب الإنسانية في تلك النصوص ، ومحاولة فتح أبواب القصيدة على أصول إبداعية متعددة " (٤).

(١) (انظر : عمر نمر ، الملحمة الشعبية الفلسطينية ، منشورات الجمعية العلمية الفلسطينية ، (الدار الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٠) ص ٥

(٢) (محمود دهن ، الأدب الشعبي العربي ، مفهومه ومضمونه (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢) ص ٩٢ .

(٣) (أحمد جبر شعث ، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط ١ (مكتبة القادسية ، غزة ، ٢٠٠٢) المقدمة ص ٥

(٤) (حسن أبو عليوي ، الشعر الشعبي الفلسطيني ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، مج ٤ ، ط ١ (بيروت ، ١٩٩١) ص ٦٧ .

أما عن بدايات الفولكلور ، فيعتبر (وليم جونز) أول من صاغ هذا المصطلح عام ١٨٤٦م ، وتم الاعتراف به من قبل جمعية الفولكلور الإنجليزية عام ١٨٧٧م ، والذي اختلف النقاد في وضع تعريف دقيق له حتى عام ١٨٩٠ ، عندما ظهر أول مختصر للفولكلور بأنه (دراسة مخلفات الماضي الذي لم يدون) .

كما حددته جمعية للفولكلور الانجليزية بأنه مقارنة وتحقيق الموروثات من المعتقدات القديمة والعادات والمأثورات والتي ما تزال باقية حتى الآن .^(١)

ويتألف المصطلح من مقطعين Folk = الناس ، lore - معرفة أو حكمة ، ويعني المصطلح معارف الناس أو حكمة الشعب ، أي أنها علم يعنى بعادات الشعوب وحكاياتها . وهناك خلط وבלبلة تدور حول تعريف ماهية الفولكلور .

فيقول (آلن دنديز) : " ليس فقط علماء الفولكلور في البلدان المختلفة يفهمون الفولكلور بطرق مختلفة ، بل إن علماء الفولكلور في نفس البلد يحملون وجهات نظر مختلفة جدا حول طبيعة الفولكلور " ، وأما (جوزيف ريان) فيقول : " يمكن تعريف الفولكلور بأنه التجسيم الجماعي للعواطف الإنسانية مثل : الرهبة ، البغض ، الاحترام " .

ومن تعريفات علماء العرب للفولكلور ، يقول محمد الجوهري : " هو علم ثقافي يختص بقطاع معين من الثقافة التقليدية أو الشعبية ، وان اسم الفولكلور يطلق على التراث الروحي للشعب خاصة التراث الشفاهي " ، أما نبيل علقم فيقول : " هو مجموعة من المعارف والخبرات والفنون ، عبر الإنسان بواسطتها عن أحاسيسه ورغباته وتجربته " ^(٢)

وتتخذ (ارميني فوجلين) استخدام الأنثروبولوجيين الأمريكيين الشائع لمصطلح الفولكلور ، على أنه يدل على الأنواع المتعددة من الشعر والنثر المنقولة شفاهةً بين المجتمعات البدائية كالأسطورة والحكايات .

ومن ثم فهي ترى أن الفولكلور لا يشمل المادة الشعرية والنثرية فحسب ، ولكنه يشمل كل الفنون المصقولة الماثورة أيضاً والصناعات الفنية الماثورة أو التقليدية ، وجزءاً من المعتقدات الدينية والعادات ، مما يعرف بـ (إثنوجرافيا) ^(٣) . ولقد ساند هذا الرأي (براتانيش) ^(٤) حيث قال : " إنه

^(١) (انظر : خليل حسونة ، الفولكلور الفلسطيني ، دلالات وملاحم ، ط١) المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي ، رام الله فلسطين ، ٢٠٠٣) ص ١٠، ص ١١

^(٢) (انظر: عيسى خليل الحسيني ، دراسات في الفولكلور الشعبي الفلسطيني ، ط١ (دار جرير للنشر ، عمان ٢٠١٠) ص ٢٥، ص ٢٨

^(٣) (انظر : Erminie w.vogelin في (معجم فنك) ص ٤٠٣ عموداً نقلاً عن : أحمد علي مرسي ، المأثورات الشعبية .

^(٤) (ايكه هولتكرانس ، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهري ، حسن الشامي ، ط١) (دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢) ص ١٨

لا يوجد - من ناحية المشكلات والمناهج - أي فارق بين الفلكلور volkskunde والإثنولوجيا volkerkunde " (١).

وفي هذا الصدد لا يتسع المقام لذكر أقوال العلماء والآراء حول هذا المصطلح ، بل ما يعيننا هو استدعاء الشعراء له في أشعارهم ، ناظرين له كأدب شعبي ، يعكس الحالة النفسية للشعراء ، وتفريغ همومهم ، وانفعالاتهم من خلاله وأياً كان المسمى ، حيث سينظر له من حيث المضمون وليس من حيث الشكل ، بغض النظر هل يشمل الأدب والنثر فقط ؟ أم شتى المعتقدات والعادات والتقاليد . وقد قام الباحث بتقسيم الأنماط الفلكلورية التي تناس معها الشعراء إلى ما يأتي:

١ - **المثل العربي** : حيث قام الشعراء بالنهل من منبع العروبة الأصيلة والانتفاع بروافدها وأمثالها وتوظيفها بشكل يوائم سياق النصوص .

يقول الشاعر ابن الفرات ، في قصيدته (ليل المذبحة):

والموت يزحف للبيوت يشلها وهم عصابة كائد ومجاري
والكفر داهمنا .وقد بلغ الزبي حيث اليهود من الأحرار
وطني نزي فيا جراح تقيحي والقاتل المقتول من سماري^(٢)
في هذه القصيدة المعنونة بـ (ليل المذبحة) نكر كلمة ليل ولم يقل (مذبحة الليل) في إشارة منه إلى اشتداد المذابح والفواجع ، حيث أفاد التكرار استمرارية المذابح والمجازر ، والتي كانت تحاك في ليل بهيم ، وأفادت بطول فترة الحرب على غزة ، حيث شعور الناس بأنهم في ظلام حالك ، لم يشعروا بتجدد الأيام فيه .

ثم جاء مصوراً الموت بالسيل الجاري ، والذي يزحف لبيوت الناس خلصة بقصد قتلهم - وهكذا كان حال أهل غزة فلقد انتشر بينهم القتل والقصف ، ولم تفارقهم ابتسامة شبح الموت لحظة من لحظات الحرب ، واصفاً تلك الحرب بالكافرة ، كيف لا وهي بأيدي اعتادت أن تغسلها بدماء المسلمين في شتى بقاع الأرض .

ثم بلغ الغضب موقعه في نفس الشاعر ، فجاءت عباراته نائرة متمرده ساخطة ، على كافة الأنظمة العربية ، صارخاً صرخة مدوية نشرت شظاياها بين أرجاء القصيدة ، لتعلن الهبة الثورية في وجه تلك المكائد العربية ، حيث استحضر المثل القائل^(٣) : " بلغ السيل الزبي " (٤) ، ليعلنها صراحة بملء فيه كفى .

(١) يعني مصطلح (إثنوجرافيا) وصف الشعوب عامة أو ملاحظة المادة الثقافية وتسجيلها من الميدان ، كما يعني (وصف أوجه النشاط الثقافي كما تبدو من خلال دراسة الوثائق التاريخية) وهو عند البعض (دراسات وصفية لثقافات مختلفة أو لقطاعات ثقافية معينة) . انظر : السابق ، ص ١٥ - ص ١٧

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٧ .

(٣) انظر : محمد مبيض ، الحكم والأمثال الشعبية ، ط ١ (دار الثقافة ، قطر ، ١٩٨٦) ص ٧٣

(٤) الزبي جمع زبية ، وهي حفرة تحفر للسباع لاصيدها ، لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً .

حيث إن الكيل قد طفح ، وجاب الكفار شوارع غزة متجبرين ، وكأنهم هم أصحاب الحق المدافعين عن حريتهم ، فجاء توظيف المثل ليوضح الموقف المأساوي لتاريخ الأمة العربية الذي طالما تشدق به الكثيرون ، فهذا هو الآن واقع مُر ، حيث أعطوا ظهورهم لإخوانهم المنكوبين بل والأدهى من ذلك ، ناصروا الأعداء عليهم .

يقول آدم فتحي في قصيدته (لا تساو) :

ما الذي يعنيه أن يغتصبوا أرضك أشجاراً وأحجاراً

وأن ينتهكوا عرضك أطفالاً وشيباً ونساءً؟

ما ذا ترى في الأكل بالتدبير؟ لا تجزع

وكل واشرب هنيئاً بالشفاء

ما الطهر؟ ما معنى الشرف؟

إخفِضْ لَهُمْ ظَهْرَكَ واهجع

وانبطح لست وحيداً لا تخف

لست وحيداً دعك من عزّة نفسك

واحم رأسك

وارفع الساقين ذي شارة نصرك

لا تقاوم^(١).

تتوالى الأسئلة حتى تصل إلى مركز الثقل الشعري ، وكان مفتاحها الدلالي ، هو الرمز للمثل العربي " تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها " (٢) والذي يحمل أبعاده الدلالية المتكئة إلى ضرورة صمود الشعب العربي ، في وجه المؤامرات والشهوات ، فلقد سار الشاعر بتقانة القلب المعنوي ، حيث قلب معنى المثل متماهياً مع الواقع الحالي ، فالقيم النبيلة والأخلاق العالية قد هاجرت من قلوب فئة من الناس ، حتى صاروا معدومي الشرف ، وأصبحت أجسادهم بضاعة تباع وتشترى ، في الحانات والبارات ، وربما يلمح الشاعر إلى حال النساء في بعض البلدان العربية ، حيث أخذ الفقر منهن أغلى ما يمتلكن وشرفهن وكرامتهن ليبقين على حياتهن وحياة أولادهن .

ويشير أيضاً إلى المخازي العربية والتي تحطمت جراء انتهاك أعراض بنات المسلمين في شتى البلدان -خاصة- البوسنة والهرسك وأفغانستان والشيشان ، وليس سجن أبي غريب ببعيد عنا في العراق .

فجاءت العبارات مرصعة بأشواك لتحفز عقل وجسد القارئ ، وتوقظ النخوة والشهامة في صدره ، حاملة بؤس ومرارة الشاعر من هذا المصير الأسود ، الذي خيم على بقاع البلدان العربية ، لذا فإن

(١) لأجلك غزة ، ص ٦٦

(٢) انظر : أحمد الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد عبد الحميد (مكتبة الصفا المحمدية ، ١٩٥٥م) ١٢٢/١

وانظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ١٢١ .

الشاعر ، ختم مقطعه بـ (لا تقاوم) ، في إشارة منه إلى حجم الأثقال الملقاة على عاتق الإنسان العربي .

يقول حسام خليل في قصيدته (صرخة غزة) :

الحر في دنيا الذئاب صريعٌ والذيل فيها متصرفٌ ورفيعٌ
لا تعجبي يا أم تلك سياسة فالذل في عين اللئام بديعٌ
ورأيت في سوق الكرامة أنجما وقفست تبذل دينها وتبيعُ
عشقوا المناصب عشق عنتر عبلةً في حبها خرط القتاد ربيعٌ^(١)
يصور لنا الشاعر انقلاب الموازين ، فالحر ذليل ، والعبد سيده ، هذه المفارقة الأليمة يأتي بها شاعرنا ليظهر الظلم الواقع على رؤوس العباد ، من وراء الساسة العرب ، الذين باعوا دينهم ووطنهم بعرض من الدنيا .

وجاءت التراكيب المسجوعة المتضادة (صريع ، رفيع) لتؤكد على تهاوي الأوضاع الإنسانية والقيم ونرى في حرف المد وقعا صوتياً في نفس المتلقي ، حيث لفظتهما تحتاجان إلى طول نفسٍ ، لتؤدي دلالتها في عقل القارئ من خلال ترديدها والتأمل ملياً فيها .

وفي التراكيب (الذيل ، الذل) الجناس الناقص وإن حملت اللفظتان معاني الهزيمة والانكسار ، فحمل حرف الذال المشدد في كليهما عند نطقه وقع النكسة والصاعقة ويستدعي الشاعر المثل العربي " دون ذلك خرط القتاد " ^(٢)

ليتماهى مع الواقع المؤلم ، حيث نصَّب هؤلاء الحكام أنفسهم على العرش ، بشتى الطرق الملتوية والوسائل الخبيثة ، وبالتالي يعتقدون أنهم وصلوا إلى لحكم بمشقة وصعوبة لذا فإنهم يفعلون أي شيء مقابل عدم تخليهم عن كراسيهم ، ولو كان ذلك على حساب دماء الشهداء ، وصرخات الثكالي، وأنين الأيتام، فالتوظيف أشار إلى نقطة غاية في الأهمية ، حب الذات وعشقها فالنفس الإنسانية جبلت على عشق الشهوات والملذات ، وجاء ذلك على لسان سيدنا يوسف - عليه السلام - في القرآن الكريم " وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ " ^(٣) فالإنسان في غمار نشوته المادية ينسى قيماً وأخلاقاً ومبادئ جمة أو يتناساها في سبيل تحقيق أطماعه ورغباته ، فانعكس التوظيف سلباً على هذه الفئة من الناس .

ويقول الشاعر سلامة:

نحن سمناء للذئب لكي يرحمنا

ثم جهزنا المناديل لنبكي

وتنادي يا أبانا

(١) لأجلك غزة ، ص ١٣١

(٢) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ١/١٦٥ ، ويضرب للشيء الذي لا ينال إلا بمشقة عظيمة .

(٣) سورة يوسف ، آية ٥٣

إنه الذئب ولا دخل لنا^(١)

يأتي هذا المقطع موضحاً حقيقة أبناء يعرب ، فهم الموالين لشياطين الإنس من اليهود وغيرهم مظهراً فسادهم وكذبهم ، مماهياً حالهم بإخوة سيدنا يوسف - عليه السلام - مستدعياً المثل القائل " من استرعى الذئب ظلم "^(٢)

فهؤلاء ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ، عندما قدموا غزة قرباناً لذئاب البشر ، فجاء الشاعر بمقطعه الديالوجي ليبرز معالم الخيانة المتجذرة في حكام هذا الزمان ، حيث يتباكون وهم في غمرة الكذب يخوضون .

لذا فالجريمة متشعبة شارك فيها الجميع من عدو و خليل ، ودلت (نحن ، جهزنا ، لنا) على اجتماع الكفر والنفاق في بوتقة واحدة ، مصوبين هدفهم نحو غزة ، ليزيقوا أهلها الأوجاع لأنهم وقفوا في وجوه الرياح العاتية ، وقالوا : لا .

وحتماً النهاية ستكون وخيمة لهؤلاء المنافقين الذين يقابلون صمود الأهل وعزتهم ونصرتهم للأمة العربية ، بالجحود والنكران ، وكما قال المثل " سمن كلبك يأكلك "^(٣) يقول عاطف كامل في قصيدته (قمم غزة):

يا قمة سخرت من عجزها الأمم فكيف لو لم يكن أن المصاب دم!
كم قمة خذلت آمال أمتنا فزادت الطين بلاءً تلکم القمم! ^(٤)
يتفاعل النص مع التراث المستدعى ، من خلال المثل " زاد الطين بله " ° فهذه القمم وليست قمة كما عنوان القصيدة ، رغم تواليها وتكرارها ، إلا أن ذلك لم يزد شيئاً على واقع غزة ، بل جاءت بالمضاد ، فعقدت الأمور وزادت من شدتها .

فالسخرية المريرة ارتسمت على وجه الشاعر ، والذي بدوره رماها في ملعب المتلقي ، ليعاين الواقع السياسي والاجتماعي ، فلقد وضع الشاعر يده على الجرح ، وهو هزلية القمم وتعقيد الأمور . ولعل العنوان أبان عن مدلول النص الناقد على هذه القمم ، " فالعناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص ، وتؤدي وظيفة تناسية فتعمل كعلامات مزدوجة "^(٥) .

واستخدام الشاعر لـ (كم) الخبرية التعجبية دعم سياق النص وأوضح الدلالة ، فحمل توظيفه السلمي علامات الدهشة والاستغراب من هذه الأدوار التسلسلية الهشة التي لا تحرك ساكناً .

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٢٣

(٢) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٣٠٢/٢

(٣) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٣٣٣/١

(٤) لأجلك غزة ، ص ٢٧٠

(٥) يضرب لمن يزيد شدة على شدة ويعقد الأمور ، انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ١٥٥ ويقابله المثل

القديم (ضغثٌ على إبالة) ، انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٤١٩/١ .

(٦) نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٢٨١

ويتواصل في وصف هؤلاء القادة المجتمعين جسداً والمتفرقين روحاً ، فيقول :

وقادة العرب حين الخطب أرقهم عادت بخفي حنين منهم الهمم^(١)
فالحكام تائهون في زحمة جمع المال والشهوات ، غلبت عليهم لذة الجسد والجوارح ، وذهب العقل في طريقه .

فجاء وصفهم على لسان الشاعر وهم يعودون من قممهم خائبين حيرانين لم يحققوا شيئاً ، ولم يتخذوا قراراً ، بحال الأعرابي الذي فقد راحلته وبضاعته ورجع بخفي الإسكافي (حنين) ، فتماهى مع المثل القائل " عاد بخفي حنين " ^(٢) .

فجاء النص متقاطعاً مع التوظيف السابق ، حاملاً العلاقات والدلالات المشيرة بسخرية القدر لهؤلاء العرب ، وهم خالين الوفاض ، لا يملكون نفعاً بل يمارسون ضرراً .

فجاء التوظيف كولاجاً وتعليقاً موجزاً لقصة الحكام الممتدة منذ قرون حيث استثمره الشاعر داخل النص ، معطياً القوة الدافعة المحركة لعقل المتلقي ، فلا أقل من نفص أيدينا من هؤلاء المهرجين ، ومغادرة مسرحهم العابث ، فقد آن التشمير عن السواعد المباركة ، فهي سفينة النجاة لشاطئ الأمان .
يقول عبد الإله أبو صلاح:

أبطال غـزة صـابروا فالصبر مفتاح الأرب
أبطال غـزة صـابروا أنتم حمـاة للعرب
أبطال غـزة رابطـوا فعدوكم ليـل وقـب^(٣)
حملت القصيدة في هذا المقطع تكراراً ملحاً من الشاعر ، يظهر فيه التأكيد على شجاعة رجال غـزة ، وصبرهم ، " فالنص يعتمد على مشاركة المتلقي في الدخول الإيجابي والتفاعل ، ذلك أن الإيقاع العروضي والتوتر النصوي ... هو من القوة إلى درجة تجعل النص يشتبك مع القارئ اشتباكاً مهيجاً ومثيراً... " ^(٤) .

فالقارئ يتحمس لقراءة الأبيات ، وكأنه يشدو نشيداً حماسياً يعبر فيه عن وطنيته وغيته على هؤلاء الأبطال مع الذود عنهم وقد استحضّر الشاعر الحكمة القائلة : " الصبر مفتاح الفرج " ^(٥)
مصبراً مهوناً هؤلاء الأعداء ، داعياً إياهم لمواصلة رباطهم على الثغور ، كي يحموا عرض العرب .

(١) لأجلك غـزة ، ص ٢٧٠

(٢) يضرب فيمن خاب سعيه وضاع جهده - انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٢١١

(٣) لأجلك غـزة ، ص ٢٧٣

(٤) عبد الله الغدامي ، ثقافة الأسئلة ، ص ١٧٤

(٥) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ١٨١ ويقابله المثل العربي (صبراً وإن كان قترأ) انظر : الميداني

مجمع الأمثال ، ٤٠٣/١

فكأنني بالتوظيف يفجر طاقات الثقة بالنفس ، والتمسك بالثوابت الرئيسية ، ولا يأتي ذلك إلا بالشعر ، " فالشعر هو الحمم البركانية للخيال ، وانفجار هذه الحمم يمنع وقوع زلزال مدمر^(١) علّ المتلقي أن يخرج من دوامة الرهبة والركون ، وألا يطيح به زلزال الخوف ، فيثنيه عن هدفه المرجو . يقول الشاعر غازي طليمات في قصيدته (لا يلامُ الذنبُ) :

قل لمن صافح (أولمرت)

و (باراك)

وأحبار يهود :

(تاب عرقوب) وما تابوا عن

الغدر

وإخلاف العهود^(٢)

صور عدة ومسميات احتشدت في المقطع السابق ، حملت كلها الوجه القبيح للعدو الصهيوني فيما الوجه الآخر للعملة ، صورة العربي المصافح المهادن له .

فنراه قد رسم لما صورة كارثية وجنائزية ، وتجلّى ذلك في المشهد الدرامي الجامع بين يد ملطخة بالدماء ، وأخرى تدّعي العربية ، فتماهى والمثل " أخلف من عرقوب "^(٣) أو " مواعيدُ عرقوب "^(٤) لأن الاثنين تجتمع فيهما شيم الغدر والكذب ، فجاءت صرخات الشاعر المستفزة للمتلقي ، بأن عرقوب قد تاب عن الكذب والغدر بينما اليهود جُبِلوا على ذلك ، فنراه قد استخدم تقانة قلب موقف العبارة ، في محاكاة ساخرة ، ليظهر موقفه الساخط من الذين يحبونهم ويشدون على أيديهم . يقول الشاعر محمد الحريري ، في قصيدته (ركام غزة) :

من بين أشدّاق الحصار

ومأتمّ الكلمات ، تجتازُ الدروبَ

عادت جهينة باليقين ، وحدثت عما رأت^(٥)

تمثل الأبيات المعادل الشعري لعنوان القصيدة ، شارحة له من خلال ديالوج حوارى بين الشاعر وجهينة ، والتي ترمز للوجع العربي البائس ، والعقول المقتنعة بأن طريق السلام هو المخلص للشعب الفلسطيني من براثن الاحتلال ، فهم متيقنون بأن الخبر اليقين عندهم لا عند سواهم . لذا فجاء الشاعر مستدعياً للمثل العربي " عند جهينة الخبر اليقين "^(٦)

(١) عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، ص ١٩٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٦٦

(٣) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٢٥٣/١

(٤) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ٣١١/٢

(٥) لأجلك غزة ، ص ٤١٧

(٦) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٣/٢

ساخراً من الألسنة المتشدقة بالطرق السلمية، رغم الصورة الحية للدمار والقتل في غزة إبان الحرب وما هو يستتق جهيئة بكلام يعرف حقيقته ، ولكنه يريد بثه للمتلقي ، ليفتح الباب على مصراعيه في كشف وجوه الباطل ، فيقول:

قولي جهيئة فالكلام يجرُّ للجيل الخيام

كل الدروب إلى المهانة تبتدي

وتعود حاملة قوائمها على ظهر السلام

إما نتيجتها الطلاقُ من الكرامة أو بتيس مستعار

نامي جهيئة عن أقاويل العروبة واحملي للنوم ألعاب الصغار^(١)

فيتمثل الخطاب انفتاحاً على الخارج وإثارة الانتباه حاملاً لدلالات إيجابية بارزة في النص ، حيث حملت التراكيب (قولي ، نامي) اليأس الممزق والمطلي بتبدل المشاعر العربية وجمودها تلقاء ما يحدث .

فتمثلت جهيئة البؤرة المركزية التي انبثقت منها الدلالات ، ويواصل الشاعر رمي أعبائه الثقيلة على ظهر جهيئة .

حيث لجأ لتقانة القناع بتوحده معها ، فقال:

هل بعد هذا يا جهيئة موقد يحكي لمائدة الطفولة قصة معجوبة بدم الظروف

ماذا أضيف وفي عيوني يستطيع الموت تشييع الكلام

نامي جهيئة تصبحين على شام^(٢)

فحملها دلالات جديدة ، لتعزية الواقع وكشف سلبياته وزيفه ، نافضاً يده من أحلام العودة ورجوع الكرامة ، فليس بهذا الجيل من الرؤساء والمسؤولين تحرر غزة ، فنلاحظ التشاؤم المرتسم في حال الشاعر ، والذي يبدو كالعاجز الذي لا يملك شيئاً يقيمه ، واتضح ذلك من خلال (ماذا أضيف ؟!) . وفي النهاية التجأ لتقانة تغيير مستوى المعنى ، من خلال (تصبحين عل شام) بدلاً من (تصبحين على خير) ، " حيث نقل المعنى إلى صعيد آخر ، محولاً العبارة مع شحنة واضحة من الدعابة المرة إلى أفق معاق بموانع عديدة إليها تتوجه سخرية الشاعر "^(٣)

ويقول الشاعر هلال الفارح في قصيدته (يحدث في غزة):

يا حصّة غزة في الجنّة ،

هذا فيض من غيض

فأميطي كلّ الأبواب عن الحوض،

فما زالت قافلة الحجاج بغزة تمضي

(١) لأجلك غزة ، ص ٤١٧

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤١٨ ، ص ٤٢٠

(٣) نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٢٩٥

وتشدُّ الحيلَ إلى الله
وتسجد في الدّم طويلاً^(١) .

نداء ملؤه الحسرة على قلوب مكسورة ، وأجساد منهمكة وأرواح مزهقة ، تقطعت بها الآمال ، فما من مجيب لها ، وما من ذائد عنها ، سوى رحمة الله التي رجاها الشاعر لغزة وأهلها ، مسترسلاً في استطراده ليبين لنا حجم الكارثة التي ألمت بها ، فعنوان القصيدة حمل جذب انتباه المتلقي وإثارة فضوله لمعرفة ما الذي يحدث ، فاستدعى المثل العربي " غيظ من فيض"^٢ حيث قلبه الشاعر وقال : فيض من غيظ لإظهار الأهوال التي كابدها الشعب الفلسطيني في غزة ، مستعيناً بتقانة التضخيم لفصح جرائم العدو ، داعياً الأهل إلى مواصلة سعيهم الحثيث بالتصدي لهذه الآلة القاتلة ، من خلال تركيبه (فما زالت ، وتشد ، وتسجد) حيث فيها الاستمرارية والتلاحق إلى أبواب الجنان ، فحتماً هي حياة أفضل كثير على العيش تحت رحمة الأعداء .

٢- **المثل الشعبي** : حيث اعتمد عليه معظم الشعراء في أشعارهم ، رغبة في إيصال مشاعرهم

وأفكارهم بلغة سلسة بسيطة ، محببة إلى قلوب الناس وشائعة فيما بينهم ، إنها الأمثال الشعبية التي تحمل إيجاز القول ونفعه .

يقول آدم فتحي في قصيدته (لا تساوم) :

سوف تنجو...إن يكن بالرغم عن أنفك...تنجو ذات يوم

دونما حرب...لماذا الحرب؟

أمسكْ ظلكَ الساقط

وأمشِ الحائطَ الحائطَ^(٣) .

نلاحظ أن الشاعر في هذا المقطع قد لونه بالسخرية المريرة ، حيث لا تحمل استهزاءً بالمواطن العربي ، بقدر ما تحمل من خيبة الأمل واليأس من تردي الوضع العربي ، وسياسة تكميم الأفواه ، فنراه قد دعا العربي المغلوب على أمره للتستر بالحيطان ، من خلال استلهامه للمثل الشعبي : (امشِ الحيط الحيط وقول يا رب الستر)^(٤) .

فجاء التوظيف ليزيح الغمامة من أمام عيني القارئ ، وإثارة مشاعره القلقة تجاه حكام الأنظمة العربية الذين جبلوا شعوبهم على (الأنأة) الفردية ، وهو توظيف يختلف عن الاستخدامات التقليدية ، وربما لو مزجه الكاتب بالعامية لأضفى دلالات مكثفة ولما شعر القارئ بانقطاع في النص ، حيث يضيف الصفة الدرامية على الشعر ، ويظهر لسان حال الشاعر باللغة العامية ، المحببة لقلوب البسطاء ، ويؤكد على حملة لهمومهم وشكواهم .

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٥٨

(٢) انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٦٠/٢

(٣) لأجلك غزة ، ص ٥٤

(٤) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٧٧

وتستمر الحشودات الفولكلورية في قصيدة (لا تساوم) ، فيقول :

رَبِّمَا لَا يَهْتَدِي الْمَوْتُ إِلَى بَابِي
وَيَنْسَى بَعْضَ أَحْبَابِي
وَيَمْضِي طَائِشَ السَّهْمِ وَمَا بِالْيَدِ حِيلَةٌ
رَبِّمَا آخِرُ هَذَا الْمَوْتِ غَزَّةٌ؟
رَبِّمَا آخِرُ هَذَا الْخَزْيِ غَزَّةٌ؟
رَبِّمَا آخِرُ هَذَا الْعُهْرِ غَزَّةٌ؟
لَا تُسَاوِمُ^(١).

حيث يأتي تصويره الدرامي لأحداث غزة ، والموت يطرق كل باب فيها ، وينزع الطفل من بين أحضان أمه ، أو يسقط البيت على العائلة كلها ، فسار الشاعر في مونولوج ضماني عسى ألا يعثر الموت فيه ويهمل أحبابه ، ولكن هذه الأمنيات سلكت طريقاً مفخخاً ، فلقد اصطدمت بأزيز الرصاص وهدير المروحيات ، حيث جاء استحضر المثل (ما باليد حيلة) ليظهر وحشية وقذارة الحرب الصهيونية ، والتي طالت كل بيت وشارع ومستشفى وجامعة في غزة ، فأبت إلا رميهم بسهام الموت المسمومة .

فأتى التوظيف بثماره المرجوة ، وهي فضح وكشف هذا الإجرام الأخلاقي واللامعقول ، حيث تكررت عبارات التمني بأن تكون غزة آخر محطة لقطار الموت المسرع ، فجاء المقطع (ربما آخر هذا مخاطباً كل ذي عقل أن يتعلم من تجربة غزة ، وألا يطأطئ رأسه أمام هذا الجبان ، حيث ختم المقطع بعبارته التقليدية (لا تساوم) .

ويقول آدم فتحي في مقطع آخر :

كَلَّ مِنْ قَاوَمٍ مَاتَ
هَكَذَا قَالُوا وَمِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
شَرَعُوا فِي قَصْفِ رُوحِي بِالْهَرَاءِ
أَحْمِ رَأْسُكَ
وَأَحْمِ كَأْسُكَ
وَالْتَزِمِ بَيْتُكَ
وَقُلْ إِنِّي نَائِمٌ^(٢)

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٨

(٢) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ١١٣

(٣) لأجلك غزة ، ص ٦٥

ويبدو أن الشاعر في قصيدته الطويلة والمؤلفة من عشرين مقطعاً قد تعدد أن يتوج معظم مقاطعها بالاستدعاءات الشعبية ، لإيصال فكرته إلى ذات المتلقي بانسيابية جذابة ، رغم مضمونها الصعب ليسهل له القرار في سلك الطريق الصحيحة .

حيث يتواصل بسخريته المعهودة في القصيدة ، فيشير بأصابع البنان إلى شخوص الجبن والإكراه ، إلى الألسنة المتشدقة بأوهام السلام ، فقد نشرت شريعة الاستكانة والمهادنة وقول (أنا مالي) فنسج توظيفه (حط رأسك بين الرؤوس وقول يا قطاع الروس)^(١) من مقطعه (احم رأسك) فأنت لا دخل لك بما يحدث من تغيرات حولك ، فعليك أن تلتزم بيتك وتحضن كأسك وتغطي رأسك ، وتسبح في أحلام سرمدية لا تصحو منها أبدا .

فحمل التوظيف دلالات وإيحاءات أسقطها الشاعر لدى المتلقي ، رامزة إلى وهن الشعوب وجبن أفرادها ، فهي بسكوته عن جرائم غزة آثمة مشاركة في الجريمة ، ولكنها مخدوعة بأقوال القائلين ، الزم بيتك تحم رأسك ، حيث حملت أمثال الأمر المتلاحقة (احم - التزم - قل) السيف المسلط على رقاب الناس ، سيف الخوف والخنوع ، فحماية النفس من هؤلاء الذئاب البشرية ، أصبحت مطمع الشعوب المغلوبة على أمرها ، ولو على حساب شرف الأمة.

يقول تميم البرغوثي في قصيدته (بيان عسكري سنغلبهم):

وإن رَاهَنَتْ أَنْ الثَّأْرَ يُنْسَى فَإِنَّكَ سَوْفَ تَخْسِرُ فِي الرَّهَانِ
سَنَنْغَلِبُ وَالَّذِي جَعَلَ الْمَنَاسِيَا بِهَا أَنْفَ مِنَ الرَّجُلِ الْجَبَانِ^(٢)
يأتي الشاعر في هذا المقطع ليبرز لنا قوة وجبروت الشعب الفلسطيني ، وجاء ذلك من خلال منعه وأنفته باستحضاره للمثل الشعبي " لا يموت حق وراءه مطالب " ^(٣)

إذ نراه يقابل رهان الأعداء بخسارة هؤلاء المقاتلين ونسيانهم حقوقهم مع مرور الأيام ، بالعناد العربي المتمسك بحقوقه وثوابته وعدم تخيله عنها ، وأنها سوف ترسخ في ذاكرة الأجيال تتلوها أجيال .

وأكد الشاعر من خلال عنوان قصيدته على الروح الثائرة من خلال تركيبه (سنغلب) وكرره في المقطع السابق . لذا فهي بشارات لأهل غزة المقاومة لئلا يحيدوا عن طريق الحق لأنها هي المثلى في ظل أوضاع التردّي والانحطاط المنتشرة كالريح وفي قلوب وعقول أبناء يعرب - إلا من رحم _ .
فحمل التوظيف عبارات التصميم والإرادة الصلبة ، من خلال سياق النص ، وأشعلت دلالاته نيران العزة في عقل المتلقي ، وحثه على عدم نسيان الحقوق ، فهي لا تسقط بالتقادم .

يقول الشاعر جهاد بكفلوني في قصيدته (والعين بالإيمان تهزم مخرزا) :

يَا غَزَّةَ الْجَرْحِ الرَّغِيبِ تَقَحَّمِي آذِيَهُ عَزْمًا بِهِمَّتِهِ نَزَا
قَاوَمْتِ بِالْبَأْسِ الْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ وَالْعَيْنُ بِالْإِيمَانِ تَهْزُمُ مَخْرَزَا^(١)

(١) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ١٢٢

(٢) لأجلك غزة ، ص ٩٨

(٣) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٣٥٢ .

تحاول الأبيات أن تكسر حاجز الخوف الذي ترسمه الأقاويل والأمثال ، للنيل من عزيمة الناس ، وتهيئهم عن النضال ، وفي هذا المشهد الدرامي استحضّر الشاعر المثل الشعبي " الكف ما يواجهه مخرز " (٢) حيث سار بتقانة القلب ، فأكد على مواجهة المخرز من خلال التسليح بالإيمان وغرسه في قلوب الناس .

فالشاعر رفض الانصياع لقانون الغاب ، ورفض أن يخسر المكان ، معلناً رغبته الانتقام من الأعداء ساحباً هذه الفئة من الأمثال وراءه ، علها تختفي من حياة الناس ، ويبرز الأفق الجديد معلناً ميلاد جيل من جديد ، يسير على منهاج العبادة والتوحيد .

فالتوظيف عكس الرغبة الجادة والمتأصلة في نفس الشاعر للتخلص من القيود التي تحيط العقول لا الأيادي ، فهي المحرك الرئيسي لكافة الجوارح ، وبصلاحها يصلح باقي الجسد ، والذي إن صلح يقوى ويستعد للمواجهة الآتية لا محال ، وينفض غبار التاريخ الأسود عنه ويحطم المخرز . يقول حسام هرشة في قصيدته (أسود الحق) :

لَمْ تَسِجْ الدُّنْيَا لِشَعْبٍ عَزَّةٍ إِلَّا بِبَذْلِ الرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ
أَيْفَلْ إِصْرَارُ الْحَدِيدِ وَصَبْرُهُ غَيْرَ الْحَدِيدِ وَالسِّنِّ النِّيرَانِ؟
وَالْبَحْرُ مَهْمَا طَالَ لَيْلُ هَدْوَيْهِ أَحْشَاؤُهُ سَيَتَمُورُ بِالْفَيْضَانِ
لَنْ يَبْسُمَ النَّصْرُ الْعَزِيزُ لِأُمَّةٍ مَا لَمْ تَعِشْ بِحَدِيقَةِ الْإِيمَانِ (٣)

يبدو الشاعر شامخاً كأسود قصيدته المرجوين ، فتبدت عباراته قوية ، تملك الإصرار على تحرير الذات ، وتخليصها من عبودية الخوف القابع في نفسها .

فجاءت التراكيب (بذل الروح - الأبدان - النيران) واصفة حال أبطال الأمة ورجالاتها الفلسطينيين ضاربين أروع أمثلة التضحيات الجسام ، فجاءت استحضاره للمثل الشعبي " لا يفيل الحديد إلا الحديد " (٤) .

متماساً مع هؤلاء الأسود ، معبراً عن مشاعره المغمورة بنشوة الظفر من أعداء الله " فعناصر التراث ومعطياته لها القدرة على الإحياء بمشاعر ، وأحاسيس لا تنتفد ، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانيات الناس وأعماقهم ... ومن ثم فإن الشاعر حين يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات التراث ، فإنه يتوسل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفوذ " (٥) .

(١) لأجلك غزة ، ص ١١٦

(٢) انظر : محمد فيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٢٠٥

(٣) لأجلك غزة ، ص ١٢٧

(٤) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٢٦٩

(٥) علي عشري زايد ، بناء القصيدة العربية الحديثة (مكتبة دار العرب ، الكويت ، ١٩٨١) ص ١٢٨

فانعكس التوظيف إيجابياً ، ليوصل عمق دلالاته في عقل القارئ راسماً الطريق الصحيح لنيل الحقوق فالندُّ بالند ، وهدوء البحر لن يدوم طويلاً ، وحتماً سيثور في وجه معاكسيه ، حينها تعلقو الابتسامات الشفاء المتصلة بحبل الله ، لأنه الملاذ الأول والأخير لنيل المنى ، وتحقيق الرغبات ، حين انتشرت الضبابية على عيون الأمة العربية ، وظلت حاضرة لن تزول .

يقول الشاعر خالد أبو حمدي ، في قصيدته (فرقان غزة) :

هو الأبيضُ الوضَاءُ وجهكِ غزّةٌ ووجهه الثريا لا يُشَاهُ ابْتِسَامُهَا

حبالي دويلاتُ الخنوعِ بغدِرها ويولد من سوء المخاض سُخَامُهَا^(١)

كلمات تعزف على وتر الشاعر الأرق ، حملت في طياتها دلالات النقمة والسخط البشري ، وتأتى ذلك من خلال الإشارة للمثل القائل (تمخض الجبل فولد فأراً)^(٢)

إذ خيبة الآمال العربية والغزية بهذه الدول التي تدعي العروبة شكلاً والمنافقة مضموناً ، فيا ليت الانتظار لم يكن، حيث جاءت الأمانى خائبة ، وعلت الوجوه الشاحبة السواد وقد حملت (سُخَامُهَا) معاني الحسرة وسوء الطالع ، لأن النتيجة سلبية تجاه الهبة العربية ، والتي كان يأمل فيها أهل غزة عملاقاً ثائراً ، ولكن الشاعر قلل من قيمة هذه الدول رغم كثرتها ، حيث أشار إليها باسم التصغير (دويلات) ، فتماهى الشاعر والتوظيف ، عله يشاركه ألمه وقلة حيلته ويشرك المتلقي أيضاً بالتفكير في هذا المصاب الجلل .

فجاءت سلبية التوظيف محملة بشحنات الصدمة ، ولكنها صدمة مؤقتة ، فلم تزل نفس الشاعر تتشبث بخيوط الفجر ، ليلوح في أفق السماء ، فقال :

فغزّةُ فرقانٍ سيحيي قضاؤه فلسطينَ والفتحُ العظيم ختامُهَا^(٣)

فالآمال معقودة على هذا الشعب العظيم ، والذي بمعية الله سيكون ختامه مسك فواح .

يقول سلامة خليل سلامة ، في قصيدته (من قال لا ولم يقل اللهم نفسي) :

لا تصدق ما أفاض به خطيبٌ

في بلاد الواق أو في السند

عن نصرٍ قريب

أنت وحدك

تعرف الدرب من الجرح^(٤).

(١) لأجلك غزة ، ص ١٥٠

(٢) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٩٤

(٣) لأجلك غزة ، ص ١٥٠

(٤) لأجلك غزة ، ص ٢٢٢

يبدو الشاعر منزعاً من تلك الأفواه البراقة بالضحكات الصفراء ، والألسنة التي تقول بدون فعل ، حيث يصب اهتمامه عليهم ، ونهى عن تصديقهم من خلال (لا تصدق) ، ووصفهم مثل بلاد الواق واق (١) .

فجاء مستدعيًا المثل الشعبي " الواق واق " (٢) مدلاً على استحالة صدق هؤلاء ، فكلامهم ضرب من الخيال كالبلاد التي ذكر ، حائث المتلقي على تمييز الغث من السمين ، من خلال (أنت وحدك) ، داعياً للتأمل ملياً ، وتغليب العقل على القلب ، وعدم استجداء مشاعر الغير فهي هراء في هذا الزمان . فتوظيفه أراد به تخليص المتلقي من الفخ المنسوب له ، وعدم السير وراء الكلمات الرنانة ، الجوفاء من الداخل ، فكلها أباطيل وأخايل .

يقول سمير العمري ، في قصيدته (راية المجد):

إِنَّ الضَّرَّاعِمَ تَلْهُو وَهِيَ سَاهِيَةٌ مَنْ يَطْمَنُّ إِلَى الضَّرَّاعِمِ إِنَّ وَثْبًا
فَتَبَّ بِعِزِّكَ يَا لَيْثَ الْجَهَادِ فِدَىً وَكَتَبَ بِنَهْرِ دِمَاءٍ لِلْعُلَا كُتُبًا
وَأَخْبَرَ الْكَوْنَ عَنْ حَقِّ لَنَا بِيَدٍ مَا ضَاعَ حَقٌّ عَلَى أَرْوَاحِنَا طُلبًا (٣)
يعلق الشاعر رايته الناصعة البياض فوق صدور الأبطال ، فهم أنقياء أنقياء ، بضراوتهم عند الشدائد يكتبون المجد القادم بدمائهم الدفافة محفراً المتلقي على التأسي بأمثال هؤلاء الأسود ، الذين لا يخافون في الله لومة لائم .

فاستطاع النص وجعل الكلام جسراً يمتد ليوصل القارئ إلى بر الأمان ، حيث استلهم المثل الشعبي " ما ضاع حق وراء مطالب " (٤) داعياً القارئ للتأمل ملياً في تغيير الواقع .

" فهدف العمل الآدمي هو جعل القارئ منتجاً للنص لا مستهلكاً له ، ومن الأول إلى الثاني حيث يتجه النص نحو قارئه يرتسم على ذاكرته ولا يتلاشى أو يتلف بل يتقدم "٥

فجاء التوظيف مفتاحاً يقيض عليه القارئ ، ومفسراً قوياً لإرادة الشاعر ، بالتشبث بالحق مختتما بما سيناله الإنسان ولو بعد حين .

يقول الشاعر عبد الرحمن أفرع في قصيدته (لك الله يا غزة الشهداء):

فَعُذْرًا لَكُمْ إِخْوَتِي الشُّعْرَاءُ

لَقَدْ مَلَنِي الشُّعْرُ

إِذْ يَكْتُبُونَ هُنَاكَ فِي غَزَةِ الشُّهَدَاءِ

(١) عبارة عن مجموعة من الجزر تم ذكرها في كتب التراث العربية ، وليس هناك دليل على حقيقتها أو خيالها ، تحدد أغلب الكتب موقعها في بحر الصين أو الهند .

(٢) انظر : محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، ط١

(مكتبة لبنان - بيروت ، ١٩٧٥) ص ٦٠٢

(٣) لأجلك غزة ، ص ٢٣٣

(٤) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٣٧٢

(٥) نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٩٧

بنزف الجراح

ودمع العيون

بدون كلام

لذا سوف أعلن صمتي

ففي الصمت بعض السلام^(١).

يبدو شاعرنا عائماً في محيط اليأس ، إذ عبر عن محنته وبالحسنة أساه في التركيب (لقد ملني الشعر) ، فهو لا يملك سلاحاً سوى يراعه المملوء بالحبر الأسود ، بينما أهل غزة يكتبون قصائدهم بدمع العيون ودفقات الدماء الفوارة .

فحالته غير حال الفلسطيني ، وشخصه ومكانه مختلف عن شخص ومكان الغزيين ، فهذه حالات تكون النفس فيها مترددة بنطقها الذاتي " فهي الوجود الذي يتحول بيد المبدع من سكون إلى حركة عبر الكلام ، ليصبح النص وجوداً ناطقاً بما فيه من تجسيم حضوره في اللغة وبها" (٢) . وقد التجأ الشاعر إلى التراث الشعبي من خلال استدعائه للمثل القائل : " الصمت زين والسكوت سلامة " (٣) عله يحتمي به أمام عمالة الكفاح المسلح والمقاومة ، مظهراً الواقع العربي الداعي للسخرية المريرة من هؤلاء العرب .

فحمل توظيفه دلالات السلبية اللامتناهية ، والمنغرس في أبدان عرب اليوم ، مناجياً غزة بقوله:

وآخر قولي:

لك الله يا غزة الشهداء

لك الله يا شعبنا الممتحن

لنا الله إذ خذلتنا الجموع^(٤).

فنلاحظ السواد القائم ما بين السطور ، والمنتشر في سماء العرب ، قد انعكس على وجه الشاعر الذي بدوره أرجعه للمتلقى ليشركه همه وأساه ، لائذاً بالله من كل هذه الأوجاع .

يقول محمد دركوش في قصيدته (عن العشق والتلاشي):

لظاي يجمد كل المرايا

صقيعي يحرق كل المرايا

إله إله وإنس وجن

يقولون : عين بعين وسن بسن

وكنا جرحنا دخيلاً

(١) لأجلك غزة ، ص ٣١١

(٢) مصطفى السعدني ، التناص الشعري (منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ص ١٩٩١) ص ٨٦

(٣) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٣٠

(٤) لأجلك غزة ، ص ٣١١

فبادوا مدينة

ومن بيدر الله كنا أكلنا رغيفاً

فساقوا خزينة

قضى البرتقال وهم يلعبون !

وهامُ العصافير نرد^(١).

تترفع نفس الشاعر الأبية عن التذلل لحكام الحاضر ، حيث يصفهم بالمتخاذلين عن نصر القضية ، فيما على شعوبهم أسود الوغى ، حيث استجلب الشاعر المثل الشعبي " العين بالعين والسن بالسن ، والبادئ أظلم " (٢)

مؤكداً على تمسك الشعب الفلسطيني بحقه المسلوب ، مؤكداً على شرعية الهدف من خلال توحيد الأقوال فيه ، فجاء الفعل (يقولون) معززاً دلالة المعنى ، حيث أنزله الله في كتابه ، فقال : " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (٣) وهي آية ناظمة لمشروعية الرد والتصدي ، بل هي قانون قصاص ، يعرفه الإنس والجن .

هذا القانون الإلهي لا يطبقه النظام الرسمي العربي في مواجهته مع العدو ، الذي يقتل المئات ولا يفعل شيئاً ، في حين لو أن مواطناً تطاول على هيبة النظام أو أن خلافاً داخلياً نشب بين الأشقاء لأبادوا المدينة " (٤).

كما وذكر في الإنجيل على لسان عيسى - عليه السلام : " وسمعتم أنه قيل " عين بعين وسن بسن " (٥) فالتوظيف مشع بنور الحرية ، وقد ذكر في القرآن والإنجيل والتراث الشعبي ، حيث هيمن على سياق النص ، وترجع على عرش المتلقي ، مؤكداً جديته في نيل الحقوق بعيداً عن حكام العصر الذين يلعبون ويلهون ، فيما فلسطين تنن من الجراح ، " هذه الصورة لها خاصيتها البنائية في تشكيل عناصر المفارقة التي يتوقع تواترها ، فالشعب يقتات بكده ، مما رزقه الله ، أما الحكام فتساق لهم الأموال ، فضاعت فلسطين وهم يلعبون ، ورمز لفلسطين بالبرتقال " (٦)

تقول الشاعرة شيماء الحداد ، في قصيدتها (أنشودة الانتصار) :

يَوْمُ النَّصْرِ أَهْلٌ عَلَيْنَا فِي غَزَّةٍ فَرِحاً بِالنَّصْرِ
بَعْدَ حَصَارٍ كَانَ شَدِيداً وَدَمَوِعٍ فَاضَتْ بِالْقَهْرِ

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٠٩

(٢) انظر : محمد عزام ، شعرية الخطاب السردية ، ص ١٣٠ يقابله المثل العربي (هذه بتلك والبادئ أظلم) ،

انظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، ٤٠١/٢

(٣) المائدة ، آية ٤٥

(٤) موسى أبو دقة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ٥١٣

(٥) إنجيل متى ٢ ، ٥/٣٩

(٦) موسى أبو دقة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ٥١٣

لا يفنئى حَقَّ مَسْلُوبٍ نَطْلُبُهُ بِدَماءِ الصَّدْرِ^(١)
أرادت الشاعرة أن تضع المتلقي في جو التراث الفلكلوري الذي يدخل في بنية النص ، لتكتيف الدلالة
وتعميق الفكرة المرجوة ، فاستدعت المثل الشعبي " لا يموت حق وراءه مطالب "^٢ راجية يوم نصر
بعد فاجعة الحرب والحصار ، فجاءت بـ (لا) النافية مؤكدة على عدم نسيان الحق المسلوب ، ولو
كان ذلك بالصدور العارية المشتاقة لنافورة الدماء الفوارة من بين ثناياها ، عليها تغسل عار المرجفين
الممتزج بوحل الهزيمة فركزت الشاعرة في توظيفها على الثوابت والمتغيرات على مستوى التخيل
الكوني ، آملة في هضم تقاليد الاستسلام السائدة ، واختفاء التردد والحيرة والشك في النفس الإنسانية
وحلول العقل والمنطق.

وتقول شيماء الحداد في قصيدتها (يا غزة الأحرار) :

مهما بغت أحقاداً مهما أتى الأوغاد
لا تتـركنَّ جهاداً يا شـعبنا المغـوار
قد فاضَ فينا الكيلُ! هيّا انجلي يا ليل
لم يجـد معهم قـولٌ فلنـدحر الأثـرار^(٣)

نداء متوج بصرخة الإقدام وترك الإدبار ، إلى غزة الحرة والتي ستقود حركة الأحرار إلى بقاع العالم
العربي ، فهي المثل الأعلى للضمائر الحية ، فنوعت الشاعرة في استخدامها للحروف (نهى ، تحقيق
وجزم ، نداء) ملمحة إلى رفض القبوع في صمت مقيت وحشد كل أنواع القتال المادية والمعنونة في
وجه الغطرسة الصهيونية .

فاستلهمت المثل الشعبي " قد طفح الكيل " ^(٤) ذلك المثل الرافض لأنواع الذل والاستسلام ، والمعبر
عن صمود الشعب الأبوي ، فدعم التوظيف عبارات النص ، حيث حمل إيجابية المقاومة في دحر
الاحتلال ، وما سواها من سبيل .

١- الأغنية الشعبية : حيث أراد الشعراء من خلالها الولوج إلى القلوب التي تدفن مشاعرها
الفياضة والجياشة ، قاصدين استقراز تلك المشاعر عليها تخرج من رقادها ، وتقف وقفة رجل
واحد في وجه الغطرسة الغربية والصهيونية .

يقول آدم فتحي ، في نصه الموسوم (لا تساوم) :

يا دمي يا دمنا العاري والجاري والأول والتالي
لا ترخصْ

عليهم وعلينا فوق هذا الخزي، لا ترخصْ

(١) لأجلك غزة ، ص ٦١٣

(٢) انظر : محمد مبيض ، الأمثال الشعبية ، ص ٣٥٢

(٣) لأجلك غزة ، ص ٦١٩

(٤) انظر : محمد مبيض ، الحكم والأمثال الشعبية ، ص ١٩٢

إلى آخر طفل وفتاة أرجعاً الروح إلينا
بعد أن سلّمت الروح إلى قاتلها مثل السلاح
(عندما كان إمام اللحن يشدّو من سنين
«غزة في قلب العرب»
لم أكن أعلم أنا سوف نشدّو بعد حين
«قلب العرب يا غزة فين؟»
لم يزل ينبض أم جفّ كبعض الروح فينا
واستراح؟)
لا تُساوم⁽¹⁾.

في هذا المقطع تعرّف نفس الشاعر عن روح العرب ، وتتبري في ركنٍ بعيد ، مفكرة في تقطع
الأوصال ، وتشرذم الروح العربية ، والتي كان يغني لها الجميع من قبل ، وها هي غزة تقع بين
المطرقة والسندان ، بين تطرف الأعداء وغدر الأصدقاء ، داعياً إلى حبس الدم الجاري كالأنهار
مستذكراً تلك الروح العربية في قصيدة الشاعر أحمد فؤاد نجم ، والتي غناها الشيخ إمام عيسى^(٢)
بعنوان (غزة في قلب العرب) والتي مطلعها:

ناح الحمام في الدوح

دمع البنفسج

والورد

مال مجروح

من شكة الموال

قال الحمام .. يا ليل

ويا عيني

ع اللي إنقال

مين يشتري الفيروز ؟

غزة مع الدلال .

من فين يا شابة النسب

قالت بلهجة عرب

غزة في قلب العرب

(¹) لأجلك غزة ، ص ٥٠

(²) هو ملحن ومغني ضرير ، كان معارضاً للنظام الحاكم وكانت أغانيه تنتقد النظام الحاكم ، لذا فقد عاش معظم
حياته معتقلاً أو مطارداً ليصبح أول سجين بسبب الغناء في تاريخ الثقافة . غنى لكثير من الشعراء أمثال : أحمد فؤاد
نجم ، نجيب سرور ، توفيق زياد ، فدوى طوقان ، وآدم فتحي ، توفي بتاريخ ١٩٩٥/٦/٧ م .

حرة وأهلي عرب (١).

فجاء التوظيف داعماً لحال الشاعر ، وتمزق أحشائه مما هو دائر اليوم ، داعياً المتلقي لموازنة حال الماضي بالحاضر المخزي ، حيث ارتسم البؤس على وجهه المتعكر بالأصوات الداعية للمساومة والمسالمة ، مكرراً مقطعه (لا تساوم) والذي هو عنوان القصيدة ، للتأكيد على عدم جدوى المواجهة للأعداء ، فلقد بان وجهه الحقيقي ، من خلال فعلته الأخيرة بغزة .

ويقول فتحي في مقطع آخر :

عندما كنا نغني " لا تصالح "

كانت الأيام حبلً بالأمانى

دمرونا يا ابنتي واستسلموا

وعلى مرمى سلامٍ من دُخانٍ

أنكرونا كلما احتجنا لهم (٢)

ذكريات حلوة جابت في عقل الشاعر ، زادت أسى ولوعة على حال اليوم ، فجاء مستلهماً قصيدة (لا تصالح) للشاعر أمل دنقل ، والتي مطلعها :

لا تصالح !

" ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقاً عينيك ،

ثم أثبتت جوهرتين مكانهما

هل ترى ... ؟

هي أشياء لا تشتري ... (٣)

فنراه يحنُّ لأيام مضت ، كان الجميع فيها على كلمة رجل واحد .

أما الآن فالزمن مضاد ، فلا غير الاستسلام من طريق يمكن سلكه بالنسبة لهؤلاء المزروعين على رؤوس الناس .

فحمل التوظيف الحسرة والأسى في نفس الشاعر المجعدة ، حيث التراكيب (دمرونا - استسلموا - أنكرونا) فيها من الإيحاءات والدلالات المعبرة عن حكام هذا الزمان ، ومدى المعاناة التي تركوها في قلوب الشعوب ، حيث حملت كلماته وجع السنين وأنين المسنين ، الذين عاصروا زمناً قبل هذا الزمان ، متلمسين الفروق الشاسعة بينهما ، فأكمل مقطعه ، بقوله:

لم نكن هنا على الأغراب لولا

(١) انظر : مرصد الذاكرة الشعبية ، أحمد فؤاد نجم / غزة في قلب العرب / غناء الشيخ إمام

marsad.blogspot.com/2008/3/b-post

(٢) لأجلك غزة ، ص ٦٧

(٣) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ص ٣٢٤

أن بعض الأهل سُروا بالهوان
وأباحوا دمنّا كي يستباح (١).

فهو هنا يضع يده على الجرح الدامي ، والحقيقة المرة ، هوان الناس على حكامهم ، بل ومشاركة الأعداء هذا الجرم ، رغبة في نيل رضاهم .
يقول الشاعر زهير هدلة في قصيدته (أعدوا لغزة عرساً):

أعدوا لغزة فستان عرسٍ يليق
ثلاث مئات

يلفون ياققتها بالشفق
وألّف يرشون حول الصبايا العبق

وقافلةٌ من صغار اليمام
تلفُّ لها (التنتنا)

وتمسكُ قفازها
وتضفرهُ بالحبق

اعدوا لها كحلها
رمادٌ كثيرٌ، كثير

وريشُ المصاحفِ مثل الفراشِ تحرقُ فوق اللهب
وهاتوا المراود من ضلع طفل غفا ذات عيد
ومات ولم يلتقِ شمس عيدٍ (٢).

حكاية سردية ، صورة ملاتكية ، وأحداث درامية ، نحتتها يراعات الشاعر ونسجت منها جدارية حية ، طغى فيها اللون الأحمر الممتزج بأنهار الدموع ، فكونا قصة شعب حُرٍّ مكافح ، إنه الشعب الفلسطيني المعطاء ، والذي أعدَّ ليلة لغزة ، تحكى في زمان وزمان ، غزة العروس والتي أبت أن تكون كأبي عروس ، فحاكت ثوبها على ضوء أبيض الفسفور ، وتعطرت من مسك ألف وثلاثمائة شهيد ، وزفتها حمائم الجنان والتي حملت في حواصلها الخضر أرواح الأطفال ، وهي تمسك بالशल الأبيض والذي أشار إليه بـ (التنتنا) المستدعى .

كما ونسجوا لها الفراش من رماد كتب القرآن الكريم ، المحترقة بلهب النيران الحاقدة ، هذه حكاية عرس غزة ، ذلك العرس المحتشد بأمهات الشهداء وأخواتهم وبناتهم ، جنن ليرقصن على جراحهن ويتكلن بدموعهن ويتم الشاعر الترتيبات للعرس فدعا الممولين والمسؤولين عن العرس فقال:

لتأتِ الزعاماتُ والغانياتُ
لتأتِ السفاراتُ والراقصاتُ

(١) لأجلك غزة ، ص ٦٧

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٩٤

وهاتوا السيوفَ ليرقصَ حولَ الرميمِ الجميعُ^(١).

ليشهدوا أفراح غزة والخالية من كل أنواع الحرام المباح عندهم ، عليهم يخلجون ، ويخلعون ثوب العار الذي يرتدون .

فحمل التوظيف دعوات الرجوع للماضي ، والتأسي برجال ذهبوا ، والتمسك بالعادات والتقاليد المندثرة .

ويقول سالم المساهلي في قصيدته (لا تطمئنوا .. نشيد غزة) :

يا مواويل الهوى

يا مواويليّا...

ضرب الخناجر ولا

حكم الغازي فيا^(٢) .

جاء الشاعر بعنوانه (لا تطمئنوا .. نشيد غزة) مؤكداً على اشتعال الروح الغزية ، وتشبثها بحقها المسلوب ، رافضة كل أنواع الخنوع ، وقد عكس ذلك باستحضاره للأغاني للتراثية والتي كان الفلسطينيون ينشدونها ، لتثير حماسهم وتقوى عزائمهم ، وهي في قصيدة للشاعر نجم مطلعها:

يامه مويل الهوى

يامه مويليا

طعن الخناجرولا

حكم الخسيس فيا^(٣)

فحملت الكلمات بعاميتها البسيطة ، إشعاعات الروح القتالية متمردة على معاني الظلم والخسة مفضلة الشهادة في سبيل الله ، على العيش تحت حكم الجبروت .
فأتى التوظيف مشرقاً يانعاً ، ليثبت الغيظ في قلوب الذين اعتقدوا بالقضاء على غزة في الحرب الأخيرة ، مردداً غزة عصية على الانكسار .

يقول هلال الفارح في قصيدته (الحرب على غزة):

هبت النارُ ..

وما هبَّ رصاصٌ ، وصخبٌ

هبت النارُ ..

وفي غزة لحمي

ما لديكم من شواظٍ ، وحطَبُ

هبت النارُ ..

(١) لأجلك غزة ، ص ١٩٤

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٩٩ .

(٣) أحمد فؤاد نجم ، الأعمال الكاملة ، موال فلسطيني مصري ، ص ١٨١

وما غنت " بواريدُ الطرب " (١)

يتواصل الشاعر في الحشد الفولكلوري ، حيث انتقل هذه المرة إلى الأغاني الثورية العتيقة ، والتي كانت في زمانها توجج المشاعر وتلهب الأحاسيس ، فنراه قد استحضر أغنية فلكلورية من التراث الفلسطيني ، وعنوانها ، (هبت النار) :

هبت النار والبارود غنى

اطلب شباب يا وطن واتمنى

هبت النار كرامة كرامة

الفلسطيني أو مع كل النشامى

ولكن الاستدعاء جاء مخالفاً ، حيث قلب الشاعر معنى الأغنية فقال : وما غنت بواريد الطرب ، لإيضاح المفارقة بين زمانين مختلفين ، فالعقود الماضية كان الحس الوطني يسكن قلوب العرب ، ويحرك جوارحهم ، ولو بالتعاطف الشعوري ، أما اليوم فقد تلبدت المشاعر ، وصدأت القلوب ، وانحنت الهامات فلا غير سلاح الشجب والذي بدوره ملّ فسافر بلا رجعة .

فتوظيفه مملوء بالألم والبأس ، وهذا الحاضر القاسي على قلوب غزة المفجوعة ، ولم تعد النار تهب إلا في أجساد الغزيين ، حيث أصبحت جلودهم هي الحطب الذي يسعر النار ، تحت مرمى العالمين العربي والغربي .

فأراد الشاعر استفزاز طاقات المتلقي ، من خلال هذا المشهد الدرامي التراجيدي ، عله يتفاعل مع النص ويحرك مشاعره المخبوءة تحت جلده ، والتي بدورها تنتفض وتهب من رقادها ، متلمسة خطاها نحو آفاق عليا ، وأهداف سامية ، متقلبة على الصمت القاتل ، عل الصمت يحدثُ رنيناً .

يقول محمد لطفي ، في قصيدته (ويأتي الحساب إلى غزة الصابرة المنتظرة):

قد خنقوا النبعَ وألحانَه فارتحلَ الماء.. ولاح التراب

وجردوا الحقل من "الميجنا" وجردوه من حنين "العتاب" (٢)

يبدو الشاعر في زفراته الحارة وتنهذاته ، منفطر القلب على ما آلت إليه غزة ، فلقد صال الأعداء فيها وجالوا ، حتى أعدموا كثيراً من معالمها التاريخية والحضارية ، ويصور لنا الشاعر إجحاف اليهود في حق غزة المحتسبة ، حيث أبدلوا بسمات أطفالها دموعاً ، وجردوا أهلها من أغانيهم التراثية والتي كانوا يتغنون بها في أفراحهم ومناسباتهم ، مستدعياً كلمتي (الميجنا) و (العتاب) (٣) ، مشيراً

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٦٠

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤٩١

(٣) وردت في لسان العرب (الميجنة) ومعناها المدقة ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٠١/١٣ ، أما العتاب مأخوذة من العتاب ، وعتب عليه يعتب عتياً وعتاباً ، ومعتباً ومعتبة أي لأمه وخاطبه مخاطبة الإدلال طالباً حسن مراجعته ومذكراً بما كرهه منه . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٧٦/١ .

مشيراً إلى إبدال أفراحهم أتراحاً وسواداً ، رامزاً إلى همجية المحتل وقسوته في حربه الأخيرة ، وجاءت التراكيب (خنقوا ، جردوا) داعمة لدلالات النص وإيحاءاته .
فحمل التوظيف آثار الأيام السعيدة لأهالي غزة قبل نكبة ١٩٤٨ م ، وحمل عادات وتقاليد الشعب المغوار وثقافته الأصيلة ، والتي ما عادت تبدو جراء ظلم الأعداء وجبروتهم .
ولكنه يؤكد رغم ذلك على أسطورة التحدي في عيون الناس رغم أوجاعهم المستمرة ، فقال :
إن أطفؤوا الضوء.. فلن يُطفئوا فينا الأعاصير.. ويأتي الحساب^(١)

٤- كلمات متداولة: وهي عبارة عن كلمات تشيع بين أبناء المجتمعات ، للتعبير عن مواقف معينة تجاه قضايا وآراء متنوعة ، وقد جاء بها الشعراء لإحداث الوعي الجمعي لدى عامة الناس ، وإشراكهم في اتخاذ القرار لا الركون والانعزال .
يقول الشاعر عيسى الشماس في قصيدته (كرنفال غزة من الميلاد إلى رأس السنة):

رتل من الأيام ،
والغارقون بحلمهم
أعيانهم النوم الطويل
بعد التهرول والسهر
في حفلة ، ندمائها
ذروا الرماد على العيون ،
وعربدوا
وتبادلوا
نخب الضحايا والثكالى ،
واليتامى البائسين^(٢) .

يشف هذا المقطع عن صفات منبوذة لهؤلاء الحكام ، فهم (الغارقون ، المعربدون ، الضاحكون ، الساهرون) ، هذه الصفات المشينة التي اجتمعت فيهم ، زادتهم سلبية وجعلت مكانتهم في الحضيض بين شعوبهم ، هذه الدلالات الرمزية لعبت دوراً أساسياً في توجيه الخطابات الشعرية ، وتشكيل الصورة الكاملة لهؤلاء المهرجين ، وقد استوحى مقولة " ذر الرماد في العيون " وهي المستخدمة في دهاليز الساسة ، بحيث يظهرون عكس ما يبطنون ، ويخفون عن الناس الحقائق الغائبة . فاستخدم الشاعر الدلالة النحوية الصريحة من خلال الضمائر (ذروا • عربدوا - تبادلوا - أعيانهم) ، ثم استخدم الدلالة الأدبية الضمنية من خلال (الغارقون بحلمهم) ففيها إشارة إلى الرؤساء العرب ، ويرى الغدامي بضرورة أن يتخطى مفهوم الدلالة معناه الضيق ليتسع إلى نوع جديد هو (الدلالة

(١) لأجلك غزة ، ص ٤٩١

(٢) لأجلك غزة ، ص ٣٦٢

النسقية)، أي المبحث الثقافي الذي يعني بكيفيات تضمّن الخطاب أنساقاً تتدخل في توجيه الأفكار والسلوك ، وتحدد المحمولات الفكرية للآثار الأدبية^(١) .

وهو ما ارتأيناه في توظيف الشاعر للمقولة المشهورة ، حيث أضافت البعد الثقافي وحورته لخدم سياق النص ، ويعبر عما يجول ، وأفكار فاعلة تصوغ الهوية الحقة للمجتمعات العربية " فالدلالة الصريحة تمثل المعنى القائم على اتحاد التركيب النحوي والدلالي للكلمات ، أما الضمنية تحتاج إلى قارئ ذواق ، خبير بأسرار اللغة وخفاياها ، وأما النسقية تربط في علاقات متشابكة مع الزمن لتكون عنصراً ثقافياً فاعلاً ينتقل بين اللغة والذهن البشري "^(٢) .

يقول هلال الفارح في قصيدته (ماذا يفعل شعرٌ في وجه السلطان) :

تسألني :

ماذا يكتبُ ؟

هذا وقتُ الكلمةِ ،

لا وقتُ الهديانِ

هذا وقتي ،

آن أواني كي أصبحَ مطرقةً ،

فجميع حياتي كانت للباطل سندان^(٣)

اكتواء الشاعر بتجربة الحياة ، جعله يعنون قصيدته بسؤال استكاري هزيل ، وهو إمكانية الشعر في الوقوف بوجه سلاطين العصر ، فدخل الشاعر في مونولوج ضمني ، مؤكداً على تغيير تجربته الحياتية ، حيث اكتشف أم صوت الحاضر يجب أن يكون أقوة من صمت الماضي ، فاستمدد المقولة " بين المطرقة والسندان "^(٤) حيث قلب هذا التراث متمرداً على واقعه الذي يحيا ، فرفض أن يكون أداة تطرق بين المطرقة والسندان وقد عبّر التراكيب (آن أواني) على جدية الشاعر في الانغماس بحياة جديدة ، بعيدة عن الخوف والرجاء .

فحسم توظيفه بإزاحة ستار الخوف من أمام عينيه ، متمنطقاً بحزام الجسارة والإقدام ، حيث استفاد من الماضي بصفته نصاً قابلاً للمناقشة ، محوراً تفاعله مع التراث ، ليناسب الرؤية التي يريدّها . تقول الشاعرة شيماء الحداد ، في قصيدتها (مصباح النصر) :

النَّصْرُ فِي لُجَجِ الظُّلُمَاءِ مَصْبَاحُ فَاتَتْ (هَنِيئَةً) إِنَّ الصَّبْرَ مِفْتَاحُ

لَا تَرَكْنُوا أَبَدًا فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ أَنْتُمْ أَسْوَدُ وَهُمْ - يَا صَاحِ - أَشْبَاحُ

^(١) انظر : عبد الرحمن السماعيل ، قراءات في مشروع الغدامي النقدي ، كتاب الرياض ، ع ٩٧-٩٨ (مؤسسة

الإمامة الصحفية ، الرياض ، ٢٠٠١) ص ١٥٧

^(٢) السابق ، ص ١٥٧ ، ص ١٥٨

^(٣) لأجلك غزة ، ص ٥٨١

^(٤) انظر : محمد عزام ، شعرية الخطاب السردية ، ص ١٢٧

وَالنَّصْرُ أَمْسَى قَرِيباً مِنْكُمْ أَلْقَاً وَالنَّصْرُ فِي لُجَجِ الظُّلُمَاءِ مَصْبَاحٌ^(١)

مالَتِ الشاعرة إلى تقانة الحذف من خلال استلهاها لمقولة " الصبر مفتاح الفرج " فحذفت الفرج داعية القارئ إلى تلمس الكلمة المناسبة لإكمال المقولة ، قاصدة التعميق في أثر النص وبنيته " وما من قارئ واعٍ إلا ويطمح إلى أن يكون مشاركاً للكاتب في إثراء النص عن طريق الاستجابة لموحياته "^(٢) وقد أثارت التساؤلات منذ عنوان القصيدة (مصباح النصر) داعية إلى التفكير في هذا المصباح الذي سوف ينثر أشعة النصر المسرجة ، لذا فالمصباح يحتاج زيتاً للإنارة ، والتي أبانت عنها الشاعرة في عجز البيت الأول وهي (الصبر) .

فنجح التوظيف في إكمال الصورة المرتسمة في نفس الشاعرة ، حيث " إن على المرء لكي يعيد العمل إلى الأدب ... أن يستعين بثقافة أنثروبولوجية "^(٣).

(١) لأجلك غزة ، ص ٦١٨

(٢) عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، ص ١١٢

(٣) رولان بارت ، نقد وحقيقة ، ترجمة منذر عياش ، ط ١ (مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٤) ص ٦٥

ثانياً:- التناص مع الأسطــــــــــــــــورة :

أولاً/ لغة: تعني الصف من الكتاب والشجر والنخيل ، والأساطير : الأباطيل وأحاديث لا نظام لها ، وسطر علينا أثنانا بأساطير ^(١) وقد وردت في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : "يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين" ^(٢) والمعني قالوا الذي جاء به أساطير الأولين ، معناه سطره الأولون ، ووحد الأساطير أسطورة ، كما قالوا أحدثه وأحاديث ، وسطر يسطر إذا كتب ، قال تعالى : " ن والقلم وما يسطرون" ^(٣) أي وما تكتب الملائكة .

ثانياً / اصطلاحاً : تباينت الآراء في وضع تعريف موحد للأسطورة ، ولم تجمع علي تحديد مصطلح معين لها ، وبدا من الممكن تصنيفها ضمن معان مشتركة مثل الانثروبولوجيا والفلكلور ، وعلم النفس والأديان وغيرها ^(٤).

غير أن بعض الأبحاث في العصر الحديث ، دلت علي أن أصل الكلمة (myth) اللاتينية والمشتقة من المصطلح (mythos) ، وكانت تعني لديهم الحكاية المنطوقة المختصة بالآلهة ومغامراتها وأفعالها ^(٥) حيث كان الاعتقاد السائد بالدور الفاعل للآلهة اليونانية ، وتسيير حياة البشر ، ولهذا توجَّها الشعراء في قصائدهم ، ومن أمثالها الإلياذة والأوديسا والإنيادة ، وقد كان لها الامتداد العربي من خلال انتشار قصص الجن والغيلان وشياطين الشعر ^(٦).

وتشير الأسطورة بعامة إلي قصص الأقدمين ، والي أشكال عقائدهم المتنوعة ، كما وتدل علي الوظيفة الرمزية أو الخلاقة ، المؤدية للكشف عن المعاني الإنسانية ^(٧).
"فهو نظام رمزي شامل ، يسهم في تحديد رؤية ما للعالم ، من خلال البحث عن وظائفها ومدى مطابقتها لحاجات الشعوب التي ابتدعتها مضميفة المعني والدلالة علي العالم المحيط بها بوجهيه الطبيعي والاجتماعي" ^(٨).

وعن علاقة الشعر بالأسطورة ، يقول د/ كاملي بلحاج : "إن علاقة الشعر بالأسطورة علاقة قديمة تشهد لها العديد من المخلفات الفنية كالملاحم البابلية والإغريقية والصينية . فقد أجمع مؤرخو الصين على أن معتقداتهم الأسطورية كانت المضمون الوحيد لأقدم صور التأليف الشعري عندهم والإجماع نفسه ينطبق على ملحمة جلجامش والإلياذة والأوديسا التي استقت موضوعاتها من التراث الشعبي

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة سطر ٣٦٣/٤

(٢) سورة الأنعام ، آية ٢٥

(٣) سورة القلم ، آية ١

(٤) انظر :أحمد شعث ، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر (مكتبة القادسية ، غزة ، فلسطين ، ٢٠٠٢) ص ٥

(٥) انظر : نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط٢ (دار النهضة للنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤) ص ١٠

(٦) انظر مثلاً : محمد عجينة ، موسوعة أساطير العرب ، ط١ (دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٩٤)

(٧) انظر : أحمد شعث ، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص ٥

(٨) محمد عجينة ، موسوعة أساطير العرب ٩١/٢

العريق .." ^(١) وقد يعود الفضل إلى هوميروس في جمع هذا التراث وتنسيق عناصره في شكل شعري متكامل قيل إنه قمة الأعمال الأسطورية في إطارها الأدبي، وإلى غيره من المسرحيين اليونانيين المعروفين كإسخيلوس وسوفوكليس ويوروبيدس.

حيث لا ينكر أحد أن الشعر تجربة روحية وجمالية عميقة تتصل بأعمق مكونات الأمة ومشاعرها، وتستخدم من اللغة أقرب ألفاظها وكلماتها إلى الحس، وأكثرها قدرة على الترميز والإشعاع بهذه المكونات .

من ثم فإن كليهما الشعر والأسطورة متصل بالتجربة الإنسانية، حافل بمنطوقها وأسرارها، معبر عن مكوناتها وبواعثها النفسية والجمالية . ومن ثم أيضاً، يمكن القول إن عودة الشاعر المعاصر إلى استخدام الأسطورة في الشعر، هو في واقع الأمر، عودة حقيقية إلى منابع التجربة الإنسانية، ومحاولة التعبير عن امتداداتها في وقتنا الراهن، بوسائل عذراء، لم يمسه الاستعمال اليومي فيمحي عنها صفة القداسة والسحر ^(٢).

لذلك فالأسطورة في واقعنا المعاصر تعبر عن مكون الذات البشرية ، خاصة النفوس المقهورة ، " فحيثما يسود فكر أسطوري ، تسود العبودية الاجتماعية علي الطبقات العاملة والفقيرة ، وقد بلغ عدد العبيد مئات الألوف في المجتمع العربي ، ولا يزالون يشكلون الأكثرية الساحقة والصامتة فيه " ^(٣). ولا ينتشر الأسطورة عند شعراء الحداثة العرب ، أسباب منها:

١- ترجمة جبرا إبراهيم أسطورة (أدونيس أو تموز) عام ١٩٥٧ .

٢- تأثرهم بقصيدة الأرض اليباب للشاعر (ت س اليوت)

٣- جاذبية الأسطورة والتي تصل بين الإنسان والطبيعة ،وتساعد الشاعر في الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر . ^(٤) وإن قوة هؤلاء المبدعين تكمن أولاً وقبل كل شيء في اللغة التي يتحدثون بها، فهي لغة تختلف عن اللغة العادية من حيث الكثافة والإيحاء والقدرة على الترميز والإثارة، فهي تمتلك شحنة من الإحساسات والعواطف ما يجعلها تقنع الصمت وتثبت الحياة، بل وأكثر من ذلك تنفث في الإنسان ما يعطيه القدرة على استدعاء الأشياء وامتلاكها، ومن هنا يمكننا القول إن همّ الأسطورة والشعر لا يكمن في التعبير عن الأشياء العارضة، المنتهية في الزمان والمكان، وإنما في التعبير عن القيم الخالدة والنماذج الكبرى في حياة البشر ^(٥).

(١) كاملي بلحاج ، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٤) ص ١٨

(٢) كاملي بلحاج ، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة ، ص ١٨-٢٠

(٣) خليل أحمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣) ص ٨٣-٨٤

(٤) انظر : إبراهيم موسى ، تداخل الأساطير اليونانية في القصيدة الفلسطينية المعاصرة ، (مجلة جامعة النجاح

للأبحاث، مجلد ٢٠٠٥، ١٩) ص ٤٩١

(٥) انظر : كاملي بلحاج ، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، ص ١٩

إذن لقد نهل شعراء العرب الحداثة من منابع الأساطير اليونانية والكنعانية وغيرها ، وأعادوا صياغتها برواهم العصرية ، للتعبير عما يجول في خواطرهم ، مثلهم تسليط الأضواء على قضاياهم الذاتية والوطنية والإنسانية ، وجميع مناحي الحياة .

وفي ديواننا سنحاول تتبع الرموز الأسطورية الموجودة بين ثنايا القصائد الشعرية ، واستكناه أبعادها الداخلية والخارجية .

يقول الشاعر آدم فتحي ، في قصيدته (لا تسالوم) :

كل من قاوم مات

أنظر إليهم يتهاوون من الحلم، أما قلنا لهم

عاقبة الحلم وخيمة؟

دع غناء الروح للأولمب

لا تحي الأساطير القديمة

كن حداثياً كما نحن حداثيون جداً

بل حداثيون جد جداً

نغني للحياة^(١)

ينساق الشاعر والأزمان الأسطورية الماضية ، محاولاً فضح جرائم حكام العصر الحالي ، فهو في خطابه يرفض المتاجرة بدماء الشعوب المطحونة ، وبالتالي يلجأ للمحاكاة الساخرة حيث رمز لهؤلاء الحكام بالآلهة الأولمب^(٢) اليونانية الاثنا عشر والتي تتحكم في مصير المملكة بعد السيطرة عليها من قبل زيوس وزوجته هيرا^(٣) .

وبالتالي فالشاعر يسبح في بحر الآلهة والتي كانت حياتها المعارك والنضالات للفوز بالملك ، ليعكس حال ملوك اليوم الذين يحاولون إغراق الناس في دوامة الفنون واللهو محاولين طمس القتال والنضال من ذاكرتهم .

وأشار الشاعر من خلال (حداثياً - حداثيون) إلى هذه المسميات والتي تحمل معاني الميوعة الأخلاقية ، وفساد القيم والمعتقدات ، لذا فنراه في توظيفه يماهي عصر الأساطير الإغريقية بعصر الأوجاع العربية ، التي ما إلا بذرة انفلقت من نواة آلهة الأولمب.

ويواصل آدم فتحي فيقول :

— أنا لا شأن لي بالغيب، هم

أهلي يُبادون

فهل أهجؤ لكي أمدح؟

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٠، ص ٥١

(٢) جيل أوليمبوس (الأولمب) : أعلى جبل في اليونان ، كان مقدساً عند اليونانيين القدماء واعتبروه بيت الآلهة

(٣) انظر : أمين سلامة ، الأساطير اليونانية والإغريقية ، ص ١٥

وهذا
بشرٌ يُذبحُ
وأرضٌ توقفُ الأرضَ دفاعاً عن بهيمةٍ
ويُبادونَ فتسمحُ
ليس عقلاً ما تبيعون ولكن
شمعُ أوديسيوسَ في ليلِ الجريمةِ
وأنا لستُ بنائمٍ
أنا ذا أشهدُ سجنِي ليس إيثاكا
ولا السجانَ بينيلوبُ
دُمْتُ
خدمَ المذبحِ
ودُمنا^(١)

حالمًا يُشرقُ من مغربٍ حالمٍ حيثُ تواصل الشاعر في حشدِ الاستحضارات الأسطورية أملاً منه في الكشف عن المأساة الحقيقية التي تكابدها الشعوب المقهورة ورغبة في النيل من مساومات الغدر والنفاق .

فاتكأ هذه المرة على قصة الملك (أوديسيوس) ملك (إيثاكا)^(٢) والذي ترك بلده كي يكون من قادة حرب طروادة ، ويرمز له الشاعر بحال المقاتل العربي الرافض لأنواع الذل والاستسلام . فأراد الشاعر إظهار المماهة بين القصة المستدعاة وحاضرنا ، حيث فيها من الحضور المتسم بالروح الذابلة والمعاناة الإنسانية المستمرة لأهل غزة ، وحال النفي التي يقاسيها الإنسان الفلسطيني . وفي مقطع آخر من ذات القصيدة ، يقول آدم فتحي:

هل أنت هانيبال كي تنصر قرطاج الأخيرة
من " دلندا " أو سُبَات ؟

هل أنت هومير لكي تشهد أو تنشد ؟

هل شيد هومير بطولات على غير الخيانات الوثيرة ؟

والصغار الكبيرة ؟

هل رأيت الصدق والإخلاص قادا فلكَ أوليسُ

إلى شط الخلاص ؟^(٣)

(١) لأجلك غزة ، ص ٥١ ، ص ٥٢

(٢) إيثاكا هي جزيرة في كيفالونيا اليونانية ، وهي الموطن الأسطوري لأوديسيوس .

(٣) لأجلك غزة ، ص ٥٦

يوصل آدم فتحي استثمار توظيف الرموز الأسطورية في قصيدته المطولة وكأنه يسرد لنا ملحمة إغريقية أو رومانية أبطالها كثر ومواقفها متنوعة بين الفرح والحزن ، وهذا حال شعراء العرب الذين يعانون من سيطرة قوى خارجية في مصائرهم ، نازعة إنسانيتهم ومخفية ذاتهم ، لكي تتال ما تصبو إليه ، لذا فالشعراء يحاولون خلق واقع جديد ومستقبل مأمول من خلال الأساطير علها تشفي غليل القارئ ، وتهون عليه أوجاعه ، فربما يرتقي الإنسان العربي إلى تحقيق ذاته ووضع غده المأمول .

ويأتي شاعرنا بالرمز الأسطوري (هانيبال القرطاجي)^(١) ذلك القائد العسكري الذي بسط نفوذه على كامل شبه الجزيرة الأيبيرية ، والذي أرق مضاجع روما بأكملها ، وظل حتى رمقه الأخير يدافع عن قرطاجة .

فاستدعاه الشاعر للمفارقة بين شخصيته وشخصية حكام هذا العصر ، حيث حمل سؤال السخرية من رجالات اليوم المستكينة لفلول الظلم والإفساد .

ثم ينهض الرمز الأسطوري (هوميروس) في المقطع السابق حيث أشار إليه بـ (هومير) كاتب الإلياذة والأوديسا مواصلاً تساؤلاته عن وجود شهود من الشعراء والكتاب كي يوقفوا الخيانات العربية الماثلة أمام أعين الجميع ، مشيرة للملاحم التي ألفها هوميروس والمحتوية على مشاهد القتال والمعارك في سبيل إرضاء الذات .

ثم يواصل حشد الرموز الأسطورية ، مستدعياً هذه المرة (أوليس) ملك إيثاكا والمشهور بـ(أوديسيوس) ، ملمحاً إلى اختفاء قيم الصدق والإخلاص من عقول أبناء هذا الزمان ، فنراه يجمع لنا نتيجة إخلاص (أوليس) وولائه لزوجته (بنلوبة) وبلده (إيثاكا) ، حيث قوبل هذا الإخلاص بالنتكر له من الزوجة وأبناء البلد .

فالشاعر كرر اسم الاستفهام (هل) ثلاث مرات، لتقرير الحقيقة المرة والتي أثقلت كاهله ، فقرر إخراجها من صدره ، وإلقائها في شباك المتلقي، عله يحسن التقافها بقلب حنون وعقل سريع البديهة .

إذن فقد حملت التوظيفات الشحنات السالبة ، مغطاة بوشاح أسود ملؤه اليأس والقنوط من رياح الغدر الهائجة في وجه الشعوب المقهورة ، حاملة إليهم مسميات (السلام ، التطبيع ، المساومة) .

ويتنقع الشاعر بتقانة القناع متوحداً مع رواية روبنسون كروز^(٢) فيقول:

سكن الموت جهاتي فاعتنقت البحرَ ترحالاً وحيلة

قلتُ قد أعرف في خمس دقائق

(١) ولد بقرطاج ٢٤٦ ق.م ويعرف بـ (هنييعل) ومعناه محبوب الرب أو عبد الله ، حارب الرومان طوال سنوات عمره ، حتى هُزم بعد محاصرة جيشه بالتلوج في جبال الألب ، وبعد إصابته رفض تسليم نفسه ، احتسى السم قائلاً : ها أنا أريح روما من قلقها مني .

(٢) هي قصة كتبها دانيال ديفو ، تحكي عن شاب انعزل في جزيرة ما لمدة طويلة ، ثم يقابل جمعة الذي علمه مبادئ البشرية ، فيخوضان مغامرات شتى ، وفي النهاية يعودان إلى أوروبا حيث العالم البشري .

للاستفادة ارجع إلى : روبنسون كروز ، كامل كيلاني ، ط١٢ ، (دار المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢) .

أو لعلّي أجذُ البحرَ غريقاً فأحاديه إلى بعض الزوارق
وأواسيه بدمعة

كاتباً قصة روبنسون ، على كفي أخيراً ، مع جمعة
فلنم فكرت في تأليفها منفى نهائياً وأرضاً مستحيلة^(١).

في المقطع السابق يتماهى الشاعر وشخصية روبنسون وصديقه جمعة في رواية روبنسون كروز ،
حيث عبرت الأبيات عن دلالات منبثقة من الوعي الفردي ممتزجاً بالوعي الجماعي العربي والذي
كره مثل هذي الحياة المعقدة ، فرغم تقدمها التكنولوجي وأبعادها المادية إلا أن الشاعر قد رغب في
ركوب الأمواج وتسلق الجبال ، صانعاً وطناً آخر يعيش منه وحده ، بعيداً عن شرعية الغاب البشرية .
ويلمح إلى ضياع القضية الفلسطينية ، بين الأيادي المدعية الوطنية حيث دلت التراكيب (منفى نهائياً
- أرض مستحيلة - اعتنقت البحر) على اليأس المنقشي في نفس الشاعر وعن ضياع القيم المثلى
والتي ينادي بها الكثير ، فقال :

فأرى أحبابي الغرقى : " السلام " " القيم " " العدل " " الحقيقة "
اعتنقت البحر كي أغرب عن وجهي
وعن وجه الخليفة^(٢)

فأشار المشهد الدرامي للحكاية في بعدها الأسطوري الرؤى والدلالات المتشظية في النص ، حيث
السعي إلى الهروب من الواقع الحاضر إلى الطبيعة الحانية ، علها تكون أرحم بالشاعر من الذين
يدعون الإنسانية .

فعكس التوظيف التعبير عن الذات الجماعية متمثلة في ذات الشاعر ، حينما ربط حياته التي يرمي
إليها ، بجمعة المهاجر عبر البحار والجزر مع رفيقه روبنسون ، وكأنه يؤكد على تشرذم الحياة
العربية وتقطع أهدافها عبر متاهات الزمن المتلاشي بالقيم المثلى .

حيث عني التوظيف بحلم الانعزال عن هذا العالم الظالم ، والحياة في ظل الطبيعة " وقد آليت على
نفسي أن أقضي البقية الباقية من عمري في دعة واطمئنان وأفق وسلام "^(٣)

يقول آدم فتحي في مقطع آخر:

عفتُ الموتَ ياكُم ، عفتُ هذا الموتَ

كم عفتكُ يا موتَ الطفولة

لم أعد أعرف من شمشون فينا

كلما خانوا ؟

ومن منا دليلة ؟

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٩

(٢) لأجلك غزة ، ص ٦٠

(٣) انظر : كامل كيلاني ، روبنسون كروز ، ص ١٣٦

فاسترح مني قليلاً
استرح منا قليلاً أيها الموتُ
ولا تتعب بغزة
قف قليلاً
نم قليلاً
أو تناوم
قبل أن تخرب غزة^(١)

يأتي الشاعر ممتصاً للرمز الأسطوري (شمشون الجبار) باعثاً قصته والتي كان فيها قاطعاً الطريق لفلسطين معتدياً على أموالهم ، حتى كانت نهايته على يد دليلة الفلسطينية ، حينما قصت شعره والذي كان مبعث قوته ، وتمكن شعبها من القضاء عليه ^(٢).

فنزاه يماهي بينه وبين شخصيات اليوم والتي عافها الشاعر ، فكرر لفظة (عفت) مرتين مدلاً على عدم تحمل النفس أكثر من ذلك ، في ظل وجود شمشون العربي - الخائن - فبات في حيرة من أمره لعدم تفرقه بين الصادق من الكاذب ، فأشار إلى حكام يعرب بـ (شمشون) ، وإلى الشعب المطحون بـ (دليلة) وكأنه يلوم العرب أجمع لأنهم هم من صدق أسطورة شمشون ، فتملكهم الخوف والرغبة من شمشون العصر الحالي أمثال (إيهود أولمرت) .

حيث جاءت الرغبة الجارفة في نفس الشاعر ، حزينة مستسلمة في ظل الخيانات المتواترة ، لذا فجاء التوظيف معبراً عن المعاناة الإنسانية من خلال استخدام ضمير المتكلم في (عفت - أعرف - مني) وضمير الجماعة في (فينا - منا) ولكنه رغم ذلك ينفذ عن نفسه غبار الذل والموت ، فقال:

لن ترى منا سوى روح تقاوم ..
ودم يصرخ في شهقة عزّة ..
لا تساوم ^(٣).

يقول خالد أبو حمدي ، في قصيدته (فرقان غزة) :

أعيذ سَما القسَام من كيد يعربِ إذا زغردت في الأفق يحلو انتقامها
أعيذك عنقاء تلمّ شتاتنا وغربتنا تسعى إليك خيامها^(٤)
ينزاح الشاعر إلى الرمز الأسطوري (العنقاء)^(١*) ذلك الطائر والذي يضرب به المثل في البعد والشتات " حلقت به عنقاء مُعرب " ^(٢) .

(١) لأجلك غزة ، ص ٦١ ، ص ٦٢

(٢) انظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، ط١ (دار الكتب العلمية ، بيروت

١٩٨٧) ٢٨٤/١ ، وانظر : سفر القضاة ١/١٤

(٣) لأجلك غزة ، ص ٦٢

(٤) لأجلك غزة ، ص ١٥٠

فجاء مستدعيًا هذا الوصف الأسطوري مناجياً إياه أن يلهم شمل من تفرقوا وهُجروا عن أوطانهم ، رغم تيقنه بعدم وجوده مشيراً بذلك إلى نفي إمكانية تحقيق ذلك في الحاضر المظلم حيث أراد بث الحياة من جديد في هذا الطائر الخيالي ، عله يحقق مصير الفلسطينيين ويحدد بوصلة المستقبل لهم . فجاء خطابه باستخدام الأناة للقيام عليهم فيفوقون من غفلتهم ، ويعلنون توبتهم وذلك باعتذارهم للمشتتين في الأوطان العربية والغربية ، من خلال نصرهم ومؤازرتهم ، عليهم يصطفون في قائمة الرموز الأسطورية ويدون التاريخ أسمائهم بحرف من نور .

يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته (لا تيأسي يا غزة):

يا ليلةً سوداءَ أَفْقَرَ صَمْتُهَا إِلَّا مَمْنِ الآلامِ والأَكْسَادِ
فكأنَّهَا الغُولُ التي وصَفُوا لنا قَسَمَاتِهَا فِي سَالِفِ الْأَخْبَارِ
في وجهها ارتسمتْ لنا صورُ الأَسَى وبَدَتْ ملامحُ قُبْحِهَا المتواري^(٣)
حقاً هي ليلة ليست عادية ، فظلامها طويل وضجيجها صاخب ، يأتي بها الشاعر مشاهدة على فتك الأعداء بغزة ولياليها الأرقّة ، يلفها الصمت الذي يعكر صفوه أنين التكالى وصرخات الأطفال ، مشهد درامي ارتسم في ذاكرة الشاعر وكأنه يعيش مغامرة في أرض الأهوال ، حتى تهيأت له المشاهد بالغول^(٤) الأسطورية والتي تساق على الألسنة لبث الرهبة في الصدر وكأنني بالشاعر يسرد لنا حكاية مخيفة والجميع يتحلق حوله في صمت وذهول ، في ليلة معتمة نام فيها القمر باكراً ، ثم ترتجف أوصال الحضور للأحداث الجسام في حكايته

حتى انفضوا مذعورين لا يعرفون وجهتهم ، ولا همّ لهم سوى النجاة بأنفسهم المتلاحقة . فتوظيفه حمل قسوة المحتل وجبروته في الحرب الأخيرة ، حيث أفرط بشكل هستيري في استخدامه للأسلحة ، رغبة في الثأر ممن أقضوا مضاجعه . إلا أن صراحة العنوان بعدم اليأس ، حملت دلالات الوقوف من جديد ، عل المشاعر العربية تتنفض من جديد ، فقال :

لا تيأسي من أمةٍ ، في روحها ما زال يجري مَنهَجُ المُخْتَارِ^(٥)

(١) طائر عظيم ليس بالعقاب ، وسميت عنقاء لأنه كان في عنقها بياض كالطوق ، وقال كراع : العنقاء فيما يزعمون طائر يكون عند مغرب الشمس ، ولا ترى إلا في الدهور . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عنق ، ٢٧٦/١٠ .

(٢) انظر : الميداني ، الأمثال والحكم ، ٢٠١/١

(٣) لأجلك غزة ، ص ٢٩٠

(٤) الغُول : ساحرة الجن والجمع غيلان ، وقال أبو الوفا الأعرابي الغول الذكر من الجن والشياطين ، فسئل عن الأنتى فقال : هي السَّعْلاة ، وكانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس ، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة غول ، ٥٠٨/١١

(٥) لأجلك غزة ، ص ٢٩٢

في إشارة للمقاوم الشيخ (عمر المختار) ، مؤكداً أن سنوات العمد الكثيرة لا تعرف الاستراحة ولا الراحة ، وإن ضعف الجسم لن تضعف الإرادة ، يرافقها الأمل معيناً لها .
يقول الشاعر عبد العزيز أفرع ، في قصيدته (لك الله يا غزة الشهداء):

أقول لكم يا رفاق الجراح

ويا غاية الموت هيا

نمد الأكف

لنقوى على الموت

نغسل منا القلوب

بسيل الدماء الطهور

لكي تتعمد من درن الانقسام

يا سادتي الأتقياء

كلانا لفينيق عزتنا

ريش مجد

يكلل صدراً لطائرنا الرمز

كي يرتقي فوق هام السحاب علياً^(١)

يأتي هذا الخطاب المتوج بعبارات الحماسة وشد الساعد حيث حملت دلالات السمو الروحي والنزعة الأخلاقية وترك كل هو جانبي ، لتسليط الأضواء على مقارعة الأعداء فهو الهدف الذي يجب إحرازه واستخدم الشاعر ضمير المتكلم مرة واحدة (أقول) ثم كرر ضمير الجمع خمس مرات (نمد-نقوى - نغسل- كلانا- عزتنا) لتأكيد على الجمع ونبذ الفرقة والانقسام ، ويأتي مستدعياً أسطورة الفينيق^(٢) لما يحتويه هذا الرمز من بعض الأمل والانبعاث مع تجديد روح الحياة ، رغم محنها ومصائبها ، والشعب الفلسطيني كهذا الطائر متجدد الأمل رغم المآسي والنكبات ، فهو بتضحياته ونضالاته يستحق ما يصبو إليه من نيل الحرية والاستقلال .

فحمل توظيفه لهذا الرمز الأسطوري ، مشاعر الهبة والإصرار في أجساد وأرواح الفلسطينيين ، لأنهم شعب يمتلك مقومات الحياة ، فالفينيق الفلسطيني سيبقى وتتحطم على صدره كل مؤامرات الحقد والبغي .

يقول الشاعر عبد الرحمن عمار في قصيدته (وتظل غزة وحدها):

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٠٢

(٢) الفينيق (العنقاء) أسطورة عربية فينيقية تنص على أنه طائر خرافي يجمع - عندما يشعر بدنو أجله - أعواد العنبر التي تحترق بأشعة الشمس ، فيشتعل جسمه ، ومن رماد احتراقه تتبعث دودة صغيرة ، تكبر لتصبح فينيقياً جديداً وهكذا تستمر حياته ويستمر خلوده . انظر : عبد الرحيم حمدان ، الأسطورة في مراثي الراحل ياسر عرفات ، مجلة جامعة الأقصى (المجلد ١٢، ع ١ يناير ، ٢٠٠٨) ص ٦

صبراً آل غزة
ورفات هاشم من براريكم
تهاتفكم
بأن الوعد يقبلُ
فإذا بغزة مثلما الفينيق
تنبت كل يوم وردة ورصاصةً
فوق الرماد
ويستفيقُ حميمها الزاهي ،
وتنسجُ من شرايين الخلود وشيعةً ،
تسعى إلى غاياتها ،
وتصاول العدوان^(١)

هذا المقطع محاولة من الشاعر عن طريق استخدام اللغة الإنفعالية (صبراً آل غزة) ، حيث التعبير عن درامية المعاناة المتكاثفة نتيجة هوان الأمة وعجزها التقليدي .
فجاء الخطاب الموجه لغزة وحدها كما صدر الشاعر عنوان القصيدة (وتظل غزة وحدها) ، بأن اصبري واحتسبي مستحضراً الرمز الأسطوري (الفينيق) دليلاً على البقاء والإصرار ، حيث أبان عن حال الشعب رغم قهره ، بأنه شعب يمتاز بامتصاص الصدمات والوقوف من جديد متماهياً مع الفينيق الذي يعود مرة ثانية بعد أن يصبح رماد .
وجاءت الأفعال المضارعة لتدل على استمرارية تجدد الروح القتالية والمعنوية لأهل غزة رغم ما حل بهم وهي (تنبت ، يستفيق ، تنسج ، تسعى ، تصاول) حيث دلالات الحركة المتواصلة في الأفعال .
ناثرة شظاياها الحماسية مفجرة طاقات القوة والعزيمة والإرادة الجبارة ، أملاً في تحريك الأوتار للأيدي الباردة ، عليها تلمس حميم غزة ويشعل فيها الحركة والنشاط لتعمل من جديد نحو أهداف نبيلة مقدمة دعمها المادي والمعنوي لهؤلاء المقيمين من أهالي غزة وفلسطين .
فحمل توظيفه إحياءات ودلالات مرجوة أرادها الشاعر لتفك عقدة اللسان ، ويلتقي التوظيف الموجب مع الجسد السالب ليحدث الالتقاء ، وتنتفض المشاعر مشكلة غيمة ثمينة ، مكتنزة بعطاءات الخير ، لتهطل أمطارها فوق روابي غزة ، وتنبت بذور البسالة من جديد كما الفينيق .
يقول عصام ترشحاني في قصيدته (إيقاعات الحرب) :

القدس عاصمة النبوة
والقيامات الأخيرة للنفاء
القدس عنقاء الجذور
بلاغه الجرح المخضب بالألوهة والندى ...^(١)

(١) لأجلك غزة ، ص ٣١٣

يشير الشاعر إلى البعد الديني في مقطعه السابق لمدينة القدس ، حيث أشار لها بـ (عاصمة النبوة) كيف لا وقد ذكرت في كتاب الله ، حيث يقول : " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(٢) فهي أرض مباركة والبلدان التي حولها مبارك فيها ، لذا فالدخول إليها من الجانب الديني فيه لمحة ذكية من الشاعر بأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ليس صراعاً حدودياً وإنما عقدياً . ثم يستحضر العنفاء الرمز الأسطوري المتجدد والمتجذر ، ليماهيه بهذه المدينة ، فهي أرض الرسالات والأنبياء ، وأرض المحشر والمنشر ، فأراد استجلاء الصورة الحقيقية لشموخ المدينة الرامزة إلى حرية الدين والعقيدة .

فالتوظيف نشر هالة روحانية طائرة في أفق النص ، أحواله جواً صوفياً فيه من الخشوع والطمأنينة ليدرك المتلقي الحقيقة المغيبة في عقول الكثير من الناس .

يقول محمد دركوش في قصيدته (غزة العشق والتلاشي):

على التتكَ " عوزي " و "هيروس " الطاغية

يقهقه بالضحكة النابعة

ترجّل عن النار واشرب دمايا

صغيراً أنا ، لا تخف من حصايا

تنكّب حصاة

دمي بالحجارة يطفأ ، لا بالشظايا(٣)

يقدم هذا المقطع مفارقة تاريخية ، من خلال تجسيد المجرم في صورة الضحية والعكس ، فيلمح الشاعر إلى (عوزي ناركيس) قائد المنطقة الوسطى الإسرائيلية في حرب ١٩٦٧ ، حيث كتب في مذكراته ما نصه " إنني وقفت بجوار الحاخامات عند حائط المبكى صباح السابع من يونيو ١٩٦٧ ، فهرع إليّ كبير الحاخامات هامساً : عوزي أليست هذه هي اللحظة المناسبة لوضع مئة كيلوجرام من المفرقات في مسجد عمر وقبة الصخرة ، حتى تتوقف دعاوي المسلمين بوجود حق ديني أو تاريخي لهم في القدس "(٤) ثم يجسد الشخصية الأسطورية الملك اليهودي (هيروودوس) في إشارة إلى جبروته وإجرامه ، رغم أن التوراة صورته بالقاتل " وفي ذات الوقت مد هيروودوس الملك يديه ليسيء إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف ... ففي الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعط الكد لله ، فصار يأكله الدود ومات "(٥)

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٤٤

(٢) الإسراء ، آية ١

(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٠٧

(٤) الهيكل المزعم ، إميل أمين ، صحيفة أوان ، الاثنين ١٤/١٢/٢٠٠٩ عدد ٧٤٨ ،

www.awan.com/pages/world1265642

(٥) سفر أعمال الرسل ، ١-٢٠/١٢

فجاء الاستدعاء لإمطاة اللثام عن الوجه الحقيقي للصهيونية المجرمة ، واستعداد الضحية لمقارعة الطاغية ، رغم الفارق في العتاد والعدة .

" هذا المقطع بمشهديته يقدم مفارقة من نوع خاص ، مفارقة انقلاب أوضاع القاتل والمقتول ، حيث يخاطب القاتل قاتله ، بعمقه التاريخي ، وجذوره الإجرامية القديمة والمعاصرة ، فما يقوم به الصهيوني المعاصر - الذي يمتلك سلام العوزي ، كرمز لآلة القتل الصهيونية - هو جزء من ثقافته التاريخية الإجرامية كما جسدها شخصية (هيرودوس) ^(١)

وأنفق مع د/ موسى أبو دقة أن المفارقة في خطاب تحدي القاتل لمقاتله معتمدة على دوال داخلية تتجاوز التفوق العسكري للقاتل ، مشكلة حالة تحريض في خطاب التحدي ، وهي : الشهادة ، مما يجعل الأضعف أكثر رغبة في مواجهة الأقوى ، رغبة في رضا الله ، فيصبح الأقوى عسكرياً هو الأضعف إيمانياً ، وتصبح المفردات الخارجية دوالاً ظاهرية تؤسس لخطاب التحدي المعلن ^(٢)

يقول الشاعر محمد الخضراء في قصيدته (أسطورة عنقاء):

قَم يَا أَخِي وَانْهَضْ وَوَحِّدْ صَفَّنَا فَبِوَحْدَةِ الْوُطْنِ الْعَزِيزِ بَهَاءِ
لَنْ يُهْزَمَ الشَّعْبُ الصَّبُورُ بِعِزَّةٍ وَإِرَادَةٍ يَسْمُو بِهَا الشُّهْدَاءُ
أَسْطُورَةٌ كُتِبَتْ مَلَامِحُهَا هُنَا فِي قَلْبِ غَزَّةٍ إِنَّهَا الْعَنْقَاءُ
نَهَضَتْ مُجْلَجَلَةً بِنَارِ رَمَادِهَا وَتَحَدَّتْ الْعُدُونُ وَهِيَ دِمَاءُ
فَبِصْبَرٍ كُلِّ الصَّامِدِينَ كَرَامَةً وَسَيُهْزَمُ الْأَعْدَاءُ وَالْجُبْنَاءُ ^(٣)

تأريخ أدبي أراد الشاعر لملاحمة غزة ، وكأنه يحاكي هوميروس في نسج أساطيره ، بدأت القصيدة بعنوان (أسطورة عنقاء) ، فهي حكاية درامية تحمل بطلتها العنوان ، لجذب انتباه المتلقي وشد مشاعره للتفاعل مع الأحداث ، عبر تساؤلات - استنتاجات عن تكون العنقاء ؟

فكان نظمها للأبيات سردياً يرسم المشاهد الدرامية بعمق وتفكير ، في محاولة منه لرفع الروح المعنوية وتثبيت أوتاد الحق في قلوب الغزيين ، حيث استلهم أسطورة العنقاء المتجددة والتي اتكأ عليها كثير من الشعراء ، فهي تحمل رمز الصمود الأسطوري والتجذر في الأرض ، وحملت أفعال الماضي دلالة التحدي (نهضت ، تحدت) في إشارة منه إلى بعثها من جديد ، متماهية مع غزة التي وقفت ونفضت عنها الرماد وتنتشر معاني الهمة والأنفة فوق ربوع البلاد.

فالتوظيف جاء داعماً للنص ومؤزراً له ، مكتفياً دلالات المنعة والإباء المنتشرة بين أسطر القصيدة ، فجاءت التراكيب (قم ، انهض) مظلة أفق النص ، ليستظل بظلها المتلقي وكأنها نسيمات هواء عليل تتوق إليها الأجساد في حرارة صيف .

يقول ممدوح لايقة في قصيدته (غزة):

^(١) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٥٨٩

^(٢) السابق ، ص ٥٩٠

^(٣) لأجلك غزة ، ص ٤٥٥

إِرمَ
إِرمَ
وما أدراك ما الإِرمَ
شفقُ دمٍ
غسقُ دمٍ
... أفقُ دمٍ
ليلٌ طويلٌ غاشمٌ
بحرٌ من الأثلاء يلتطمُ
أرضٌ تغصُّ بأهلها
تلظى ولا تستسلم
وجهنم من فوقها
من تحتها

.. من كل ناحية تفيقُ جهنمُ (١)

توحي هذه الأسطر بمدى الأجرام الذي مورس بحق أهل غزة والتي ابتدأ بها عنوان قصيدته ، لتركيز
بصر المتلقي عليها .

حيث كشف الأسطر الأولى في القصيدة عن هاجس اللوعة والأسى اللتان تسكنان نفس الشاعر ،
سائرتين في وصف ما آلت إليه المدينة في تطور وتنام مضطرد " يصبح لهذه اللغة الدارجة وظيفتها
البنائية التي تعبر عن درامية المعاناة المتفاقمة "(٢) فجاء مماهايا غزة بمدينة " إرم ذات العماد " (٣)
والتي ذكرها الله تعالى في كتابه ، حيث قال : " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم
يخلق مثلها في البلاد "(٤) فمدينة إرم دمرها الله تعالى على ساكنيها لأنهم كذبوا نبي الله عاد ، فأراد
الشاعر أن يماهي غزة بها في التدمير الصهيوني والقتل المجنون ، والذي جعل هذه المدينة أطلالاً
خربة ، وكأن زلزالاً قد ضرها أو ريحاً عاتية اقتلعتها كما في قوم عاد الأولى .

فنراه كرر لفظة (إرم) مرات عديدة أثناء السياق وكأنه يريد من المتلقي أن يعي هذه الحكاية بكل ما
يملك من جوارح ، ويتعرف إلى همجية الآلة الصهيونية ، التي عاثت الفساد في غزة .

(١) لأجلك غزة ، ص ٥٣٢

(٢) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٥٩٤ .

(٣) اعتبرها بعض المؤرخين مدينة ، واعتبرها الطبري قبيلة (عاد) ، وهي مدينة عربية مفقودة ، حيث قالت
الأسطورة إن الله خسفها فبقيت تدور - هناك من زعم أن عبد الله بن قُلابة الأعرابي التائه في الصحراء عثر على إرم
في بعض صحاري عدن من أرض اليمن .

انظر : فاضل الربيعي ، إرم ذات العماد ، ط ١ (رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠) ص ١١ ، ص ٢١ .

(٤) سورة الفجر ، آية ٦ - ٨

حيث نرى إلحاح الشاعر على تعدد ذكر المدينة ، ليرصد لنا حجم الدمار والمأساة الفلسطينية ، فنجد
توظيفه بأبعاده الدلالية في فضح الاحتلال الإسرائيلي المتشدد بالديمقراطية وحقوق الإنسان ، مسخراً
أسطورة مدينة إرم الوجه الآخر للعملة .

يقول موسى حوامدة في قصيدته (لنهتف للوردة):

حسناً

سنستعير من الجهات غروبها

لنقتع الجريمة بجدوى الغروب

مضى وقت طويل طويل

وهي تصرع أرواحنا

و (عناة) لاهية عنا

مضى وقت ثقيل

والطبيعة صامته تمارس التحديق في جراحنا ^(١)

يأتي الشاعر في هذا الاستحضار الأسطوري للآلهة (عناة) والتي استحضرها معظم شعراء الحداثة
فعناة آلهة الحرب الكنعانية المحبة للمعارك ومنظر الدماء ، حيث قالت عنها الأسطورة : " إن عناة
كانت تجمع أناساً من الشرق ورجالاً من الغرب ، وبشراً من كافة أنحاء العالم ، ثم تذبحهم ذبح النعاج
على شكل أضاح ، وتغوص في دمائهم ، وتقطع أوصالهم ، وتجعل من أياديهم ورؤوسهم عقداً تتجمل
به " ^(٢).

ويبدو أن الشاعر يسخر من الغرب المنادي بالسلام وحفظ حقوق الإنسان ، وكأنني به يماهي بين (
كوفي عنان) والآلهة عناة فهما وجهان لعملة واحدة ، مشيراً إلى انشغال الغرب عن القضية
الفلسطينية .

" وهذه النبوة ، مع تعدد دلالتها ، توحى بالاستسلام للمواقف الدولية ... فالدم الفلسطيني مسفوح منذ
مطلع القرب الماضي ، ولا يقابله شيء ، حتى عناة عجزت عن أداء دورها الإغاثي ، وكأنه سخر
من أسطوريتها ، ومن ألوهيتها المفترضة ، في كونها رمزاً للخصب والنماء ^(٣)) ، حيث يبقى الصمت
سيد الموقف ، صمت الضعفاء والعجزة ، مع إحداق ذاهل في جراحنا " ^(٤) .

^(١) (لأجلك غزة ، ص ٥٣٧)

^(٢) انظر : ازدرام م.بوب فارولينغ ، قاموس الآلهة والأساطير ، ص ٢٣١ نقلاً عن إبتسام أبو الرب ، صور الحرب
وأبعاده الأسطورية في الشعر الجاهلي ، (رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين ، ٢٠٠٦) ص ٢١

^(٣) (تعددت مسمياتها بين آلهة الزهرة وعرفت باسم (إنات) ، أو روح الخصوبة والملقبة (بالعزراء) ، والتي
توارت في الظل بعد السيطرة البدوية الكنعانية ، لتصبح تابعة لسيدها الإله (بعل) انظر : سيد القمني ، الأسطورة
والتراث ، ط ٣ (المركز المصري لبحوث الحضارة ، القاهرة ، ١٩٩٩) ص ٧٧ ، ص ٨٩ ، ص ١١٦

^(٤) (موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٥٨٣)

فيظهر الشاعر ألمه وكمده من المواقف المتنوعة والتي وضعت أوراق القضية الفلسطينية في طي النسيان ، خاصة الإشارة لبني يعرب الذين يقفون مشدوهين يلفهم الصمت - لا سوى الصمت _ .

الفصل الخامس

التناص الشعري :

تقوم الدراسة في هذا الفصل على النظر في أسلوب توظيف الموروث الشعري في ديوان (لأجلك غزة) ، من خلال استقراء مجموعة الأشعار المتمثلة في الديوان ، بغية الوقوف عليها ، وكشف أشكال التوظيف فيها ، حيث سنحاول الكشف عن تقنية توظيف النصوص الشعرية ، وتوضيح آليات توظيفها في الأشعار ، والوقوف على مدى انتفاع الشعراء العرب بهذا الشكل التراثي .

فالتوظيف كما عرفه علي عشري زايد " بمعنى استخدام معانيه استخداماً فنياً إيحائياً ، وتوظيفها رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر ، بحيث يسقط الشاعر على معاني التراث ملامح معاناته الخاصة ، فتصبح هذه المعاني معاني تراثية معاصرة ، وبهذا تغدو عناصر التراث خيوطاً أصيلة من نسيج الرؤية الشعرية المعاصرة ، وليست شيئاً مقحماً عليها أو مفروضاً عليها من الخارج" (١).

وبالتالي وجد الشعراء المعاصرون في الموروثات الشعرية مادة خصبة تحمل طاقات هائلة ، معبرة عن تجاربهم الذاتية والجماعية فانساقوا إليها طائعين ، ويحملون عبق الماضي والتاريخ ، وينسجمون منه دلالاتهم لتحكي لسان حالهم .

وتكمن الصعوبة في " مدى قدرة الشاعر وهو يضمن شعره أشعار سواه على أن يجعل ذلك البيت المضمن جزءاً من بنية قصيدته ، ومدة تمكنه كذلك من إيصال الدلالة إلى المتلقي الذي يفترض فيه الشاعر إحاطته بما ضمنه من أبيات سواه " (٢).

وسوف نحاول جاهدين تسليط الأضواء على التناصات الشعرية بين ثنايا الديوان ، مع بيان أشكال توظيفها المقسمة إلى :

١- التوظيف النصي الكلي .

٢- التوظيف النصي الجزئي .

٣- التوظيف المضموني .

أولاً : التوظيف النصي الكلي :-

ويعد من أبسط الأشكال وأيسرها ، حيث يلجأ الشاعر إلى النص مقتطعاً منه أبياتاً كاملة ويضمنها نصه المعاصر بما تخدم حاجة نصه .

" ويبرز هذا الشكل الوظيفي عندما يدرك الشاعر أن قوة النص الشعري تفوق نصه منفرداً ، فيلجأ إلى هذا الأسلوب تحقيقاً للقوة في نصه " (١) .

(١) علي عشري زايد ، توظيف التراث في شعرنا المعاصر ، مجلة فصول ١ (١) ١٩٨٠م (ص ٢٠٢ - ص ٢٢١)

، نقلاً عن : حمدي منصور وأحمد رحاحلة ، توظيف النص الجاهلي في جوانب من الشعر الفلسطيني المعاصر ،

مجلة جامعة النجاح ، مجلد ٢٢ (١) ، ٢٠٠٨ (ص ٩٧)

(٢) رجاء عيد ، لغة الشعر ، ص ٩٤

يقول أكرم قنيس في قصيدته (ما بين غزة والجليل):

في كل برج من بروج بلادنا قُدرٌ مقدَّسٌ

نُسبُحُ باسمها في كل فجر كالعبيد

" فانشروا على لَهَبِ القصيد

شكوى العبيد إلى العبيد "

سبعون عاماً والثرى يقتات جلدك

هل حرروا زيتونة ... شبرا

... إياك أن تهدأ

فلا تهدأ^(٢)

في النص السابق نلاحظ أن الشاعر قد تناص كلياً مع بيت الشاعر الفلسطيني (عبد الكريم الكرمي) داعياً للهبه الجماهيرية من خذه السكته العربية ، مفارقاً بيم حال الحاضر وبين حال الماضي إبان ثورة ١٩٣٦م حيث قال:

انشروا على لَهَبِ القصيد شكوى العبيد إلى العبيد^(٣)

فجاء البيت المضمن يومها في حادثة إعدام الشيخ القسامي (فرحان السعدي) على يد الإنجليز ، فثارت المشاعر العربية حيث جاءت هذه القصيدة للكرمي مؤججة بنار الانتقام والثأر ، منتفضة على كل مشاعر السكوت المخيم على أرجاء الدول العربية حينذاك .

وكأنني بالشاعر في هذا التوظيف أراد الكشف عن التجربة الشعرية الحالية ، من هذا الواقع الموعغل في نسيان كلمة (المقاومة) ومحوها من قاموس العزة والكرامة .

فبرزت الأحاسيس الجياشة والمعبرة عن الغضبة المخنوقة في حناجر أبناء الشعوب العربية ، فأن لها أن تخرج ، وأن لها الطوفان في أرجاء الأوطان العربية ، مدوية كهزيم الردد .

وقد جاءت كلمات الشعر نارية تحريضية في النص ، مدخلة القارئ في جوٍّ مشحون بدلالات موجبة عليها تكون الخلاص والفساك من أسر دام أكثر من سبعين عاماً ، فحملت التراكمات (إياك أن تهدأ فلا تهدأ) القوة التعبيرية والنار المأججة والتي ما انفكت عن التوهج والاستعار ، لتضيء طريق العز القادم عبر أطراف الماضي المجيد .

ويقول الشاعر طارق بن عبد الله الساعي في قصيدة (زئير غزة):

بهذا الجيل يا حسناء جودي فهذا الجمع فخر العالمينا

غداً تأتيك بالآخبار عنهم بأنهم جيوش الفاتحين

(١) حمدي منصور ، وأحمد رحاطة ، توظيف النص الجاهلي في جوانب من الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٩٩

(٢) لأجلك غزة ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ .

(٣) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي) ، الاتحاد العام للكتاب الصحفيين الفلسطينيين (دار العودة ، بيروت ،

فغني بعدها طرياً وشدواً فقد صدقت فعل القائلين
(إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدين)^(١)
يبدو الشاعر كالهزبر فارضاً هيمنته على مملكة الغاب ، حيث جاءت أبياته رنانة لها التأثير على
الوقع السمعي ، مثيرة شحنات الثقة والأنفة .

فسار على خطوات السابقين من الشعراء باستجلاب شخصية للمحاورة ، يفضي إليها بآلامه وآماله
فجسد غزة بالحسناء مخاطباً إياها بمعاني الرهفة والرقّة ، ناثراً فضاءً جميلاً مزيّناً بالورود الفواحة
من عبق التاريخ الأصيل .

فانتفع ببيت الشاعر (عمرو بن كلثوم)^(٢) متنعاً خلف شخصية القوة القادمة من العصر الجاهلي
المتنزع بدلالات القوة والاعتداد بالنفس ، فحمل البيت على جاهليته الكثير من الدلالات المعاصرة
والتي تعبر عن نية الشاعر ورغبته في عشق التمسك بالثوابت والأراضين ، سائراً على نهج سابقيه
الذين كانوا يعتقدون بأنفسهم ولا يرضون الضيم ولا الهوان . لذا فالشاعر انتفع بالإمكانات التعبيرية
للبيت ، مما جعله يرد البيت كاملاً ، بحيث يشكل مع النص الجديد جسداً وهيكلًا واحداً ، ليعمق
دلالات النص ويزيدها جمالاً مع هذا التعانق التاريخي بين الماضي والمستقبل .

ونلاحظ أن الشاعر يميل إلى دفع عربة الحاضر للأمام من خلال أفعال الأمر (جودي ، فغني)
مشيراً إلى بذل الغالي والنفيس لرفعة وإعلاء رايتي الدين والوطن .

فنجد أن التوظيف الكلي قد أتى بثماره في زمن القحط ، فجاء بما يحمله من مشاعر ملتبهة وأفكار
بناءة لتسير وسياق النص ، ويبدو التماس بين العنوان والقصيدة والذي فيه كما أسلفنا فرض الهيمنة
وإبداء الشجاعة لتخطي عقبات الصمت والذهول ، والقفز عنها لعبور بوابة الثأر والصراخ .

ثانياً / التوظيف النصي الجزئي :

حيث يقطع الشاعر جزءاً من النص الشعري ، ليتماشى وسياق النص ، ويكون التناص حينها
بتوظيف صدر أو عجز البيت ، أو شطر بيت أو بيت كامل مع تبديل إحدى كلماته أو أكثر من كلمة .
" وفي بعض الدراسات، يتم معاملة هذا الشكل على أنه جزء من التوظيف النصي الكلي ، إلا أنه من
الأفضل الفصل بين الشكل التوظيفي والشكل السابق ، نظراً للتشابه الإجرائي والتباين الفني بينهما "^(٣)
لذا فإنه يجب الفصل بين التوظيف الكلي والتوظيف الجزئي فهناك فرق بين النص الموظف كلياً الذي
لا تغيير فيه وكأنه يزرعه بين نصه رغبة في التفتح خلفه أو خلف مؤلفه للتعبير ربما عن نفسه
المسلوبة وإرادته المشلولة ، وكأنما يريد القول آمل أن أصبح مثل هؤلاء الناس ، وأملك حق التدخل
والصراع . وأما النص الجزئي فتظهر إرادة الشاعر فيه من خلال التغيير والتبديل في كلمات الأبيات
المستدعاة ، أو قطع جزء منها ، ليظهر بمظهر القوي صاحب الإرادة والثقة المطلقة ، فهو يملك

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٦٦

(٢) عمرو بن كلثوم ، الديوان ، جمعه وحققه إميل يعقوب ، ط ٢ (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦) ص ٩١

(٣) حمدي منصور وأحمد رحاحلة ، توظيف النص الجاهلي في جوانب من الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ١٠٤

التغيير والتبديل ، ويملك الرغبة القوية في التعبير عما يجول بخاطره كاشفاً وجهه الحقيقي وإن احتذى بالنص الموظف .

يقول إبراهيم نصر الله في قصيدته (تحت زيتونة تشتهي أن تعيش) :

هنا في جنين - على حاجر - يتفَلَّتُ كي

يُمسِكُ اسمَ أبيه لينجو قتيل

هنا فوق هذا السرير قتيل

هنا تحت هذا السرير قتيل

(وما كان خلفك ، ما زال خلفك : رُومٌ سوى

الروم

قل لي إذن

فعلى أيّ جانبك سوف تميلُ !!!) (١)

في هذا المقطع الأخير الذي ختم به الشاعر قصيدته الداعية للحياة رغم وعورة الطريق وأشواكها المنغرس في حلق الحالمين بالصراخ ، فعنوانها الذي لم يأتي عبثاً مع شجرة الصبر والصمود (الزيتون) ، حيث حمل ترسخ القيم المتجذرة في أعماق الذات الفلسطينية ، مشتهية السيف القادم ليبتر الأيدي الملطخة بدماء الشعب المفجوع .

فجاءت التأوهات والتألمات من واقع التيه العربي ، وظلمته تحيط الأركان من كل صوب حيث عجزهم المذل عن نصره الأهل المغلوبين .

كما ارتأى الدكتور موسى أبو دقة لهذا المشهد المأساوي حيث " يختم الشاعر مقطعه وقصيدته في آن واحد ، بنفخة متضجرة متأوهة ، تمنح المتلقي شعوراً بالإيجاز ، وسوداوية الواقع العربي المأزوم عن نصره أهل فلسطين ، فمن كانوا خلف هزيمتنا في السابق ما زالوا خلفنا وليس الأعداء وحدهم ، ولكن سواهم من بني جلدتنا " (٢) وهذا المشهد السوداوي جعل الشاعر يميل بدفة الحوار إلى بيت المتنبي مخاطباً أبا فراس الحمداني :

وسوى الروم خلفَ ظهرك رُومٌ فانظر على أي جانبك سوف تميلُ (٣)

فجاءت " علامتا التعجب والاستفهام تمثلاً لقيمة جمالية ودلالية ، لأنها تمنح النص مفارقة ما زالت قائمة " (٤) .

فكأنني بالشاعر من خلال توظيفه للبيت السابق يماهي الحاضر المنكسر والمتشظي بالقتل والرعب ، والماضي من خلال صراع العرب مع الروم ، فكأنه مسلسل متواصل بلا نهاية .

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٣

(٢) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٥٨٠

(٣) انظر : شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦) ٢٧٧/١

(٤) موسى أبو دقة ، غزة بين الرؤيا والتشكيل الشعري ، ص ٥٨٠

" ولعل خاتمة القصيدة على هذا النحو تؤكد نهاية الذات صاحبة الخطاب ما لم تمل على أحد الجنبيين ، هي ذات لا تبحث عن فرصة للراحة لأن الفعل لم يكن (تتكئ) أو (تسترخي) بل كان (تميل) والإمالة تعني الاستناد على ، ... فالذات لا تروم فرصة للنوم أو الراحة ، في لحظة يترصدها فيها الموت ، ... إنها تبحث عن النجاة أو الاحتماء " (١).

فإشارة البيت واضحة إلى عدم وجود النصير لهذا الوطن المسلوب ، وكأنه واقع هلامي نسج من خيوط عنكبوت عجوز .

ثم جاء السؤال من قبل الشاعر والذي كما يراه خفاجي " استنتاجياً وليس تخييرياً ، لارتكازه على الفاء الاستنتاجية ، فالمستنتج من تاريخ الصراع أنه لا نصير ، ولا جنب ، وصيغة السؤال في تلك اللحظة المحاصرة بالموت المحقق تشير إلى اشتواء النصير ، إنها لحظة استغاثة أكثر فيها لحظة تساؤل أو استغراب ... إن اختيار صيغة التساؤل هنا يؤكد - ضمناً - يقين الذات أنه لا جدوى من الاستصراخ مع انعدام النصير " (٢).

فحمل التوظيف في دلالاته الهم العربي ، وسهمه المغروس في قلوب ضحاياهم ، حيث تكرار كلمة (قتيل) ثلاث مرات مدللة في كل الأحوال على القتل سواء الجسدي أو المعنوي ، حيث انغمست نفس الشاعر في سواد قائم ، أراد نشره عبر نصه وتوظيفه ، مبرزاً هول الواقع وقسوته . يقول الشاعر سعد الدين شاهين في قصيدته ، (في خاطري وطن وإبريق وماء) :

هل غادر الحلفاء من متردم؟؟

أم هل على باب المدينة كوّموا

صور القبائل يستبد بها العراء

القتل يلزمه الغباء

الآن يستعصي على فمي الكلام

اقرأ .. قرأت

اكتب .. كتبت (٣)

خواطر متشابكة متلاحقة تجول في نفس الشاعر ، حيث هموم الوطن تسكن فؤاده والحنين للماضي وعيش حياة البساطة ، والتي كانت تغمر أهل القرى والمدن قبل الاحتلال الصهيوني ، فكانت حياة الأرض والفلاحة المهيمنة على معظم سكان القرى الفلسطينية واستخدام الوسائل البدائية في الطعام والشراب ، ومنها الأباريق الفخارية والتي يحن إليها الشاعر .

وجاء بكلمة (وطن) نكرة ، ربما هروباً إلى أي ملاذ يضمه من هذا الضيم الملتف حول عنق شعبه

(١) عبد الجواد خفاجي ، من العتبة إلى مضمرات النص ، ١٣/١٠/٢٠٠٩

انظر : www.atan.com/10/opinion

(٢) انظر : السابق

(٣) لأجلك غزة ، ص ٢٠٤

وأصرت عواطفه التواقفة لكل ما هو عتيق إلا أن تغوص عبر بوابة الأزمان الأولى ، من خلال أشعار الماضين ، فنراه قد استجلب صدر البيت للشاعر عنتر بن شداد ، حين قال:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ تَوَهُمٍ^(١)

فنراه اقتطع صدر البيت موظفاً إياه في نصه مستبدلاً الشعراء بالهلفاء ، واضعاً علامات استفهام في نهاية المقطع ، ليتساءل سؤاله التعجبي أين هؤلاء الهلفاء العرب ليقفوا في وجه العريضة الصهيونية ، أم تحالفهم يأتي أمام بني جلدتهم ، ولعل ذاكرة الشاعر قد استذكرت تحالف العربان ضد العراق في حرب الخليج ، فأين هؤلاء الهلفاء الآن وصور الحرب البشعة منقولة عبر فضائيات العالم أجمع ، ويبدو أن الشاعر يرجو وقف عجلة الرهان على الوطن المسلوب وتثبيتها في موقعها ، على ينال أحقته التاريخية ، وفي اعتقادي أن الشاعر بهذا المقطع من معلقة عنتر أراد تحقيق تلك الأمنية بالاعتراف بوطنه ونيل سيادته واستقلاله ، مثلما نال عنتر اعتراف والده شداد به وتحرره من ذل العبودية ، رغم مشاعر الإحباط المتجذرة في خلدته والتي دلت عليها تراكيبه في المقطع السابق (يستعصي ، قرأت ، كتبت) وكأنه يسير وسط زحمة الناس مسلوب الإرادة لا يملك حق اختيار طريقه إلا أن يتبع من أمامه ، ملمحاً إلى الجبروت العربي في التعامل مع حرية الكلمة والتعبير عن المشاعر المكبوتة ، والتي تقابل بسياسة تكميم الأفواه وجلد الأجساد .

ويقول سعد الدين شاهين في قصيدته (في خاطري وطن وإبريق وماء):

لا أدعي وصلاً بليلي

حيثُ (ليلي في العراق

مريضة)

والداء يستشري وما أنا

بالطبيب

أنا الوشاية

لي في البرية كل ما يدعي

قراية

جوقة الرعيان والرؤيا

وبعض دمٍ أعلقه على أكتاف

أبنائي^(٢).

نلاحظ أن الشاعر قد تقنّع بشخصية قيس بن الملوّح (مجنون ليلي) ، الذي من أجلها جاب الصحاري وصادق الوحوش وعاف الديار ، حتى ذهب عقله أو كاد .

فدب الوهن والمرض في جسده النحيف ، فشاعرنا اجتزأ صدر البيت من قول قيس :

(١) ديوان عنتر بن شداد ، ط٣ (دار صعب ، بيروت ، ١٩٨٠) ص ١٢

(٢) لأجلك غزة الديوان ، ص ٢٠٥

ألا إن ليلى بالعراق مريضةً وأنت خليُّ البـال تهـنو وترقـد^(١)
فجاء توظيفه خادماً لسياق النص في المقطع السابق ، والذي فيه إيقاظ الضمير العربي بعد غفلة
الضمير الغربي عما يحدث في غزة ، فحمل العتاب الشديد لأمة العرب ، تجاه ما يشاهدون وهم
صامتون ، حيث كانت العراق والآن غزة ، ونفس المنظر يتكرر ، تطاير الأشلاء ونزف الدماء ،
فكأنني بالشاعر قد افتقد الأمان من كل الذين حوله ، حتى بات يفكر باللجوء إلى الوحوش في الغاب ،
ليعيش بجنبها كما فعلها قيس من قبله ، حيث يمثل هذا هروباً من الواقع المر الخائق، فلا عدل سائد
ولا ضمير صاحي ، فالشاعر يفضل شريعة الغاب عله يجد مبتغاه في الغاب بعد أم جرب شريعة
البشر .

يقول عبد الإله عدنان أبو صلاح:

ففي مجلس لا يُؤتمن صاغوا قراراً لا يُجب
سمّوه سموها ملّت زم لكأنه لهم يُحتسب
لهم يوقفوا بل أشعلوا ناراً تأج وتلتهب
ما طار طير وارتقى حتى ولو بلغ السحب
إلا تعثر سر ساقطاً يوماً تراه سـينتحب
شـارون بـسات محنطاً ودماغه ذاق العطب
ابقاه ربّي عبـرة ووريثه لهم يحـتسب
شـلّت يـمين سـاعدت في قتل أبناء نجـب
أهدت عدواً سـيفنا وتراقصوا مثل الدب^(٢)

يبدو الشاعر في مظهر الناصح من خلال توخي عاقبة الأمور فالأيام دول ، ودوام الحال من المحال ،
فبالتالي نجده في الأبيات السابقة يعبر عن حالة (شارون) المتردية والذي يقبع في غيبوبة طويلة ،
بحال الطيور التي مهما علت فحتماً ستهوي إلى الأعماق ، لذا فنراه قد تناص جزئياً مع بيت الإمام
الشافعي:

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع^(٣)

حيث اقتطع صدر البيت مع تغيير (ارتفع) بـ (ارتقى) قاصداً الإشارة للذين يرتقون في رتبهم
ووظائفهم على حساب دماء المطحونين ، فهؤلاء سيصبح مصيرهم مثل (شارون) الذي أفسد في
الأرض وتجبر فكانت عاقبته وخيمة فيجب أن يكون عبرة لغيره من رؤساء إسرائيل ، والذين أبوا إلا
أن يواصلوا طريق الضيم وسط القرارات الهزيلة لما يعرف بـ (مجلس الأمن) فأثار التوظيف
علامات الوقوف والتأني لهؤلاء الذين باعوا ضمائرهم إرضاءً لشهواتهم ونزواتهم بأن فكروا وتعلموا

(١) انظر : قصة (قيس بن الملوح العادي) ، إبراهيم صادر (دار صائر ، بيروت ، ١٨٨٧) ص ٣٠

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢٧٢

(٣) الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، ص ٨٠

ممن قبلكم ، لأن مصير هذه الطريق الممهدة بأجساد الشهداء ودماء الجرحى ، سيكون زلزالاً يبتلعهم عن بكرة أبيهم ليلاقوا مآلهم المحتوم وجاءت لفظة (شلت) لزرع الرهبة في هذه النفوس الضعيفة عليها تنتعظ ، وتعود إلى رشدّها .

وفي قصيدة (صبراً غزّة) ، يقول عمر أحمد قرافي:

يا دار غزّة بالدماء تكلمى وعمى صباحاً دار غزّة واسلمى
العلاج فيك غدا يمور بجيشه قمعاً وتقتيلاً وسفكاً للدم
أخوان خنزيرٍ وقردٍ وصفهم قد جاء فى آى الكتاب المحكم
يا ويح قلبى من ضميرٍ نائم فى أمّة ملئت بقومٍ نوم^(١)

لجأ الشاعر إلى توظيف جزئي لصدر وعجز بيت الشاعر عنتره بن شداد ، القائل فيه :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمى صباحاً دار عبلة واسلمي^(٢)

مستعيراً هذا التناص الجزئي لخدمة تجربته الشعرية في خطابه لغزة الدامية ، فعنتره المتيم بعبلة يناديها بأن تخرج عن صمتها وتعلن حبها وهيامها به ، والشاعر ينادي بغزة النازفة دماً ، أن اهتقي بأعلى الصوت في وجه المؤامرات المحاكاة ضدك ، وفي وجه أعدائك الذين وصفهم الشاعر بـ (العلوج) نازعاً منهم كل القيم والأخلاق الإنسانية ، ليؤكد وحشية هؤلاء القوم العاشقين لدماء البشر .

ثم ينتقل للأمة العربية في استنكاره ودهشته من هذا الموقف المتأزم ، حيث تغطت بغطاء الصمت والهوان ، وقد أسهب في وصفهم فقال:

ماذا أصاب رجائنا فى مقتل فغدوا كأسراب الحمام الهائم
تركوا جهاداً واستباحوا منكرات شغلتهم الدنيا فبئس المغنم
أما الذين على العروش فوصفهم حُمُرٌ تُقَاد جميعهم كسوائهم
حكّامنا خانوك يا بلد الألى كانوا رجالاً وصفهم كالأتجم
ملكوا جيوشاً وصفها جرّارة لكنّها ليست إلينا تنتمى
ليست لنصرة ديننا أو شعبنا لكن لنصرة باطلٍ أو حاكم^(٣)

فالتوظيف يظهر القلق البادي في عقل الشاعر وفكره تجاه ما حدث ولا زال يحدث من تردي للقيم العربية وضياعها ، فأثره الشاعر ليحمله جزءاً من نصه الجديد ، ليعبر عن مشاعر المرارة الممتزجة بها نفس الشاعر ، حاثاً في الوقت نفسه على مواصلة النفير من قبل الغزيين ، فلا سبيل لهم سوى دمائهم ليكتبوا بها نهايتهم السعيدة بدحر الاحتلال واستنشاق حرية وطنهم.

يقول الشاعر غازي طليمات في قصيدته (لا يُلام الذنبُ):

هل يُلام الذنب في عدوانه؟

(١) لأجلك غزّة ، ص ٣٥٧

(٢) عنتره بن شداد ، ديوان عنتره ، ص ١٢

(٣) لأجلك غزّة ، ص ٣٥٧

لا، لا يلام
فهو ذئبٌ، لا يمام
والحربابُ الحمر في أسنانه
لم تكن يوماً مناقيرَ حمامٍ
وشرارُ الجمر في أجفانه
لم يُخَصَّبْ بدمِ الحنّاء، أو برق الغمامِ
بل بنزفٍ من حشاشات، وأوداجِ حملٍ
لا تسله ما أكل؟

واسأل المأكول — لا الآكل — عن رُعيانه
لَمْ أَلْقُوهُ صريعاً بين أنياب الذئب؟^(١)

مال الشاعر إلى تكثيف اللغة وذلك بالتركيز على التوازن الصوتي والإيقاعي للكلمات ، ونوع في استخدام الصور المتكونة داخل سياق النص . "وهذا الانحراف الذي يلغي التركيز على التجاور بين عناصر النص (وهي صفة الخطاب العادي) ، ويحل محلها خاصية (التوازن) هي التي تنقل النص من مضمونه المعنوي إلى طاقته الإيقاعية "^(٢).

لذا فجاء الشاعر بدءاً بعنوان القصيدة بصيغة النفي (لا يلامُ الذئب) لتجسير الدلالات التي يروج بها النص وإظهارها فوق سطحه ، داعياً إلى التساؤل لم لا يلام الذئب ؟
ومن المسئول عن اللوم ؟

ونراه في بداية القصيدة يبرز لنا معادلة النفي التي تنفي اللوم عن الذئب ، ويبدو الشاعر فيها متردداً في حسم أمره ، فجاءت (لا) النافية الأولى معلنة موقفه المتردد حيث جاءت وحيدة بعدها فاصلة وكأنه يسأل نفسه ذات السؤال الذي يطرحه على المتلقي ، ثم جاءت (لا) الثانية لنتهي الشاعر المؤرقة بعدم توجيه تلك التهمة لهذا الذئب .

ونراه قد استقطع هذا البيت من قصيدة (أمّتي) للشاعر عمر أبو ريشة :

هَلْ يَلَامُ الذَّئْبُ فِي عَدَوَانِهِ إِنَّ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ^(٣)

حيث أبدل (لا) بـ (هل) تاركاً باب الإجابات مفتوحاً من قبل القراء ، এমন يكون هذا الذئب ؟
وما الجرم الذي اقترفه كي يلام ؟

فنراه قد نقل البيت المستدعي إلى ضيافة نصه ، لإثراء دلالاته وإبراز عمقه في السياق .

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٦٥

(٢) عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، ص ٢٥

(٣) انظر : سامي الدهان ، الشعراء الأعلام في سورية ، ط ٢ (دار الأنوار ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٨) ص ٣٦٠

فالذئب في القصيدة بشرياً وهو العدو الصهيوني ، حيث أغدق عليه من الصفات التي تقشعر المشاعر لمجرد سماعها (الحمر ، الجمر ، بنزف) فتثير مشهد الذئب الحقيقي ، وأسنانه تقطر الدماً وهو ينقض على فريسته بلا رحمة .

وهذا هو حال أعداء الله ، في عشقهم لمص الدماء ، وإزهاق الأرواح ، ولكن المسؤولية لا يحملها كاملة لهم ، فإن كان راعي الغنم عند (أبو ريشة) هو المسئول عن ضياع الغنم ، فحكام الأمة العربية يتحملون تلك المسؤولية بالدرجة الأولى عن دماء الرعايا ، وجاء لومه واضحاً من خلال :

لا تسله ما أكل؟

واسأل المأكول – لا الآكل – عن رعيانه

لَمْ أَلْقَوْهُ صريعاً بين أنياب الذئب؟^(١)

فحمل اتهاماً واضحاً وصريحاً للعرب ، لأنهم مقصرون في الذود عن هؤلاء الضحايا ، بحيث أصبحوا لقمة سائغة لذئاب البشر .

فجاء التوظيف واصفاً تماماً لحال ارتكاب الخطايا العربية المغروسة في اللاوعي الجمعي الإنساني ، ميقظاً انفعالاته وآلامه تجاه هذا المشهد الدرامي ، والذي أراده الشاعر ليحدث توتراً نفسياً عند القارئ ويعيد ذهنه إلى الوجهة الصحيحة ، فجاء التوظيف " إضافة للقصيدة الأولى وإحياء لها ، وإعادة لإنشائها من جديد في ذهن المتلقي ، وهذا هو (إعادة لرؤية) أي إبداع النص من بيم آلاف النصوص ، وتشكيلها برؤية جديدة تتيح محالاً لنصوص أخرى جديدة كي تنبثق من قلب هذا النص ، ليبقى الأدب دائماً حياً نابضاً بالحياة والتجديد ، ولا يركن إلى سبات يميته ويجمده " (٢).

يقول الشاعر كريم معتوق ، في قصيدته (غزة) :

لم أسكتِ الآن غصَّ الحرفُ في رثتي كأنَّ غزّةَ غزّتْ حبلَ حنجرتي
واسـتـحلفـتني بأنْ لا أنتمي أبداً إلا إلى الحرفِ مِتراسي ومحبرتي
إلا إلى الريح إن سارت معاكسةً ياويح غزّة خانت كلَّ أشرعتي
لا الخيلُ لا الليلُ لا البیداءُ تعرفني لا السيفُ لا الرمحُ لا القرطاسُ في شفتي
ها أجمتني دموعُ الطفلِ واقفةً ها أنحنى الآن قزماً تحت أسئلتي
أين الخيال، دماءُ الناس تربكني هل لي بوصف جحيمٍ دون أخيلتي^(٣)

تستعصي الكلمات على الخروج من حلق الشاعر ، فهي ثقيلة تقل الجبال بمعانيها ، رغم سلاسة نطقها على اللسان ، حيث أضحت ملامح الشاعر لا تخلو من الهم والأرق والكمد ، ويبدو في صورة العاجز الصامت ، فظهر بمظهر السارد في مونولوج ضمني ليبين لنا حكايته المؤثرة مع غزة فهو محاط بأجواء الحرمان العاطفي والشتات الذي يمزق قلوب الأحباب ، ونرى الجناس الناقص بين غزة

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٦٥

(٢) عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، ص ٣٠٨ .

(٣) لأجلك غزة ، ص ٣٨٨

وغزت ، حين استبدل هاء غزة بتاء التأنيث ، فتحولت هذه الضحية من اسم بدل على مكانها إلى فعل يحمل معاني الغضبة والقهر حتى انقلبت من الإنسان الوديع إلى الوحش الجريح الذي يلاحق صائده . ونراه لا يريد اللحاق بركب المتنبي ، وتصبح خاتمة مثله من خلال استدعائه لبيته المشهور:

فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني **والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ^(١)**

فالمتنبي فارس الكلمة ، كان يحتفي بنفسه كثيراً مادحاً إياها ، فهو لا يملك إلا الكلمات التي يتلاعب بها قاصدها فرض سيطرته بين فرسان القبائل ، ولكنه في الداخل كان الإنسان الواهن حتى كانت كلماته سبباً في مقتله .

وأما شاعرنا فحوّر البيت خدمة لنصه ، وتماشياً مع سياقه ، حيث أضاف اللاءات الخمس فيه ، مستبدلاً (القلم) بـ (شفتي) .

ويعرف هذا النوع من أنماط الترابطات بين المقاطع الشعرية للأشعار والنصوص الملموسة والقريبة من صيغتها الأصلية لشعراء سابقين بـ (النفي الكلي) وفيه يكون المقطع الدخيل منفياً كلية ، ومعنى النص المرجعي مقلوباً^(٢) .

فالسباق جاء مسوغاً ومبرراً لهذا التغيير ، وكأنه يقول : إذا كانت الكلمات ستودي بي إلي حافة الهاوية كما المتنبي ، فلا أحلى من تركها ، وربما يشير الشاعر إلى الألسنة المتشدقة بأهمية المناقشة عن غزة ، ولا تملك سوى اللسان سلاحاً ، تطلق منه الكلمات من بين شفاه الخزي والعار ، فالمتنبي الماضي يمثل الحاضر في رسم الكلمات ووزنها دون دفع الضرر .

لذا فتوظيفه جاء ليشككنا بحكاية الألسنة والأقلام المسمومة ، والتي تسود فضاء الحاضر المحاط بغمامة سواد القلوب ، داعياً لهطول زخات الحراب والسيوف ، حيث ختم مقطعه بقوله :

غيمُ القصاصِ لا يُملِي على ورقٍ إن ضاقت الأرضُ صدرًا فيه من سعة^(٣)

ثالثاً : التوظيف المضموني:

حيث يتم توظيف مضمون النص المستدعى في النص الشعري المعاصر ، حيث يقوم الشعراء بالتصرف في النصوص المستدعاة من خلال إعادة صياغتها وتوجيهها صوب هدفهم ، بما يتلاءم وتجاربهم الشعرية الجديدة . "ولعل هذا التوظيف التناسي يكون مقصوداً لذاته ، ويطرقه الشاعر بنية مسبقة وبوعي تام ، أو العكس تماماً ... وفقاً لخصوصية التجربة وعمق التوظيف المبني على مدى وعي الشاعر بما يضع"^(٤).

(١) ديوان المتنبي ٨٥/٤

(٢) انظر : جوليا كرسيفا ، علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، ط١ (دار توبقال للنشر ،

المغرب ، ١٩٩١) ص٧٨

(٣) لأجلك غزة ، ص٣٨٨

(٤) حمدي منصور وأحمد رحاحلة ، توظيف النص الجاهلي في جوانب من الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص١٠٨

وهذا اللون التوظيفي يشيع أكثر من التوظيف الكلي والجزئي ، نظراً لحرية التصرف التي يملكها الشاعر في النصوص المستندة ، وبالتالي يحتاج القارئ المثقف الواعي والملم بالنصوص الشعرية في مختلف الأزمنة الماضية ، كي يحط يده على التداخلات التناسية ، والتي يوظفها الشاعر لاستيعاب أبعاد تجربته المعاصرة .

يقول آدم فتحي في (لا تساو) :

وَإِذَا لَمْ يَكُ مِنْ ذَلِكَ بَدْءُ أَيُّهَذَا الدَّمُ لَا تَرُخْصُ
طَوِيلًا...خَوْفَ أَنْ تَجْرَحَ

إحساس البراعم

وَإِذَا لَمْ يَكُ مِنْ ذَلِكَ بَدْءُ أَيُّهَذَا الدَّمُ لَا تَرُخْصُ
قَلِيلًا...بَلْ تَفْجَرُ مِثْلَ بَرَكَانَ وَدَمْدَمٍ
وَاتَّخَذَ بَحْرَكَ حَبْرًا لِلْمَلَحَمِ^(١)

يبدو الصوت الذي يتردد في المقطع السابق ، هو صوت المتنبي فارس الكلمة ، ليكون المقطع أشد تعلقاً بالأثر في قول المتنبي :

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدْءُ
فَمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا^(٢)

ذلك الشاعر الذي تسابق الشعراء على النهل من صفو أبياته ، لما لها من قوة الأثر في النفس ، فهي مزيج من الحكم الوصايا وواقع الحياة .

فوقف شاعرنا وقفة العز المشرف منذ عنوان القصيدة (لا تساو) والذي فيه التحدي والصمود رغم مشقة الطريق .

ناهياً في الوقت ذاته عن الاستسلام في التركيب (لا ترخص) حيث اعتمد الشاعر على لغة النص ودلالاتها الموحية في إبراز موقفه الداعي إلى المقاومة وعدم المساومة .

فحاول الشاعر استنهاض المتلقي وهزه لأثره في النص ، " فالعلاقة بين هذه المحاور تشبه بناءً هرمياً قمته النص في لغته ومعطياته ، وقاعدته المتلقي والأديب " ^(٣) جاعلاً النص شعلة متقدة مستمرة ، يتفاعل معها المتلقي بإيجابية علّ هذه القيم ترسخ في ذهنه .

فحاول الشاعر تجاوز الواقع الأليم ليوصل العمل والتضحية حتى إزالة الذل والمهانة عن الوطن الجريح ، فوجد في توظيفه السابق ما يوائم فكرته .

حيث أكد في نهاية مقطعه بضرورة شحذ الهمم وتجهيز العدة والعتاد لمواجهة الإعصار القادم، حيث جاء بفعل الأمر (فض) مكرراً للتأكيد علي انتهاء مرحلة الهوان وبداية مرحلة البذل والجود بأعلى ما

(١) لأجلك غزة ، ص ٧٠

(٢) ديوان المتنبي ، ٣٧٢/٤

(٣) محمود عبد الواحد ، قراءة في النص وجماليات التلقي ط ١ (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦) ص ٩٥

يملك الإنسان _ ألا وهو دمه _ ليقْتلع شوكة الاحتلال الذي طال أمده، منتفضا كبركان متفجر ناثرا
نيرانه في وجه الظلم الجبروت ، فقال:

وإذا لم يكُ من ذلك بُدُّ يا دمي

يا دمنّا

يا دُم

فِضْ

فِضْ كيفما شئتَ ولكنْ

فِضْ وقاومْ

لا تساومْ^(١)

يقول خالد أبو حمديّة في قصيدته (فرقان غزة):

غشينا الصخور الصمّ فاخضرّ وجهها وسقنا السّمّا صيفاً فسحّ غمامها
فكم دانت الأرض الحرون لطبعنا وصار رخياً في اليدين زمامها
بنا زهوة التاريخ خطّت حروفها وعَلّت ، فشمسُ المشرقين مقامها
عِصِيّ تكسّرَن افتراقاً وغربةً وفي اللّمة استعصت فحقّ التّنامها
شواهدنا يا غَزْ أضغاثُ نخوةٍ وحلّ صلاةٍ غاب عنها إمامها^(٢)

هي معادلة أطلقها الشاعر حول رجحان الحق ونفور الباطل ، ولكنه ساقها في تمثيل ماضي الأقدمين
بما يحويه من انتصارات وكرامات ، حتى أذعنت معظم بلدان العالم لهم ، في صورة منادية بإعادة
اللّقطّة من جديد ، وكم حملت تراكيبه التأسّي والتحسر على ما ذهب (غشينا ، سقنا) حيث جاءت
بصيغة الجمع في دلالة على الوحدة والتي أصبحت عملة نادرة في هذا الزمان ، واستحضر مضمون
قول الشاعر:

تأبى القداح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفراداً^(٣)

مستقيداً من مضمون البيت خدمة لنصه وتكثيفاً لدلالاته ، حيث يبرز لنا الشاعر عن مقته لهذه الفئة
الممزقة من أبناء يعرب اللامبالين بمصائب غزة حتى لحقهم الذل .
فنراه في توظيفه يدنو إلى كلمات وأفعال صادقة تخرج من عصرنا الحاضر ، عليها تجتمع وتكون يداً
واحدة في مواجهة عدوهم ، وإلا فإن المصاب جَل برغم تيقن الشاعر من الضياع والتشرذم العربي ،
حيث قال :

فما عادت الأنساب تُعلي حميّةً ولا جنّة القربى وفاءً ذمامها
فليت لنا يا غَزّة الفجر ركعةً يحلّ بأولى القبليتين حرامها

(١) لأجلك غزة ، ص ٧٠

(٢) لأجلك غزة ، ص ١٤٨

(٣) (ديوان الطغرائي ، ط١) (نظارة المعارف الجليّة ، قسطنطينية ، ١٣٠٠) ص ٧١

نواسيك والأشلاء تَدْمَغُ عارنا وفي القيد تعرى مِصرُها و شَامُها
وليت لنا يا درة البحر رايةً كما موجبك العالي يكون دواُمُها
نواسيك والأشلاء زُهرٌ كواكبٌ تعلل نفساً إذ يطول سَقامُها
فأطلاننا خضراء ما زاف لونها وأحزاننا يَرْتَدُّ عَنْكَ ملامُها^(١)

فكرر حرف التمني (ليت) عل هذا الجرح العربي النازف في الطرقات أن يتوقف ، وأن تصبح غزة
في صمودها وعزمها مثالا يحتذى به في كل الدول العربية ، وترفرف راية المجد فوق ربوع الوطن
مع تحرر المسجد الأقصى من دنس الغاصبين .
يقول سعد الغامدي في قصيدته ، (ثلاثية غزة):

وأعجبُ أن نكون بلا خلاق ودين، ثمَّ لم تسقطُ سماءُ
نقاتلُ بعضنا أسداً نمُورا وإن هجم اليهودُ لنا ثُغَاءُ
خسرنا كلَّ شيءٍ إذ جَبُنَّا وفوق الخُسْرِ لم تسلمَ دماءُ^(٢)

لقد استفاد الشاعر من مناسبة البيت القائل:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تصفر من صفير الصافر^(٣)

والذي عيّر به الشعراء الحجاج الذي فر من وجه زوجة شبيب بن زيد من الخوارج اسمها (غزالة)
عندما دخلت عليه الكوفة .

فقام الشاعر بتوظيف البيت تناصياً مصبوغاً بالتجربة المعاصرة معلناً فيها ثورته على الذين يدعون
البطولة والشجاعة على أبناء شعوبهم ، وتراهم في الميدان جنباء كالأغنام الهاربة وهي تصدر ثغاءها
فجاء استثمار مضمون البيت لإلقاء النظرة المتمعنة على هزلية الأنظمة العربية وانعدام الأخلاق
وتردي مكانتهم بين أبناء شعوبهم ، فلقد انجلت الهالة الغير مرئية عنهم ، وظهروا للعيان بعجزهم
وضعفهم أمام تسلط اليهود وجبروتهم .

فالتفاعل النصي " يحفر على سطحه خطأ عمودياً ، يبحث به عن نماذج الدلالة التي لا تذكرها لغة
التمثيل والتوصيل وإن أشارت إليها ، هذا الخط يقيمه النص بقوة عمله في ضع الدلالة "^(٤)

أما الشاعر سمير العمري فيدرك أن كل إنسان جُبِلَ حسب طبيعته التي يحيها ، حيث من الصعوبة
تغير الطباع ، فقال في قصيدته (الأخوة نهج):

قَدْ مَلَّتِ الرُّوحُ لَمْ تُدْرِكْ غَلَاتِهَا مِمَّا اسْتَقَرَّ لَهَا فِي الصَّدْرِ مَكْنُونَا
وَضَجَّتِ النَّفْسُ مِنْ حَالٍ تَكَادُ تَشِي بِمَنْ يَسْلُ لِسَانَ الْوُدِّ تَلْقِينَا
لَهُمْ إِهَابُ ثَعَابِينَ مُرْقَطَةٍ يَفُوقُ مَرْتَبَةَ الْحَرْبَاءِ تَلْوِينَا

(١) لأجلك غزة ، ص ١٤٨

(٢) لأجلك غزة ، ص ٢١٠

(٣) انظر : محمد بن يزيد المبرد ، الكامل، تحقيق محمد الدالي، ط١ (مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٦) ٩٢٩/٢

(٤) نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٢٦٨ عن (جوليا كرستيفا - السيميولوجيا ، ١٩٨١ ، ج ١/ص ٩)

يَبْقَى الْغُرَابُ غُرَابًا لَا يَطِيبُ لَهُ إِلَّا الْخَرَابُ وَإِنْ سَمَوْهُ شَاهِينًا^(١)
حيث أعلن الشاعر ملله وضجيجه من هؤلاء التلثة الفاسدة ، فضاقت النفس بهم حتى تقيأتهم ولفظتهم
إلى أعماق الأرض ، وجاء الشاعر بالفعلين (ملّت ، وضجت) فحمل التشديد فيهما القوة والتأكيد من
خلال الوقع السمعي لدى القارئ ، والنفير من هذه الأجساد الملونة كالشعابين والحرباء ، فهم يلبسون
كل يوم عباءة جديدة حسب مقام القول ، وهم يظنون أنهم بفعلتهم هذه سوف يخدعون الشعوب ، لذا
فقد استغل الشاعر التوظيف لقول عبد الرحمن العشماوي:

كُلُّ يَعُودُ إِلَى فَحْوَى طَبِيعَتِهِ فَلَنْ يَصِيرَ غُرَابَ الْبَيْنِ شَاهِينًا^(٢)
فلن يتغير الغراب في شكله وحياته ، وإن أطلق عليه (شاهينا)^(٣) ، فسيظل ذاك الطائر المنبوذ عند
الناس .

فجاء الامتصاص للنص خدمة لسياق الأبيات ، وإيغالا في تعميق الدلالة ، " ولا يمكن قراءة القول
الشعري في كليته الدالة إلا كموقعه مكانية للوحدات الدالة .
فكل وحدة تملك مكانها الدقيق الذي لا يمكن تدويره في الكل ، إن هذا المبدأ الخفي والفاعل داخل كل
نص شعري لا يتمكن من الظهور إلا إذا دعى الأدب بعدم إمكانية اختزاله إلى اللغة الشفوية "^(٤)
يقول ضياء الجبالي في قصيدته (يا أرض غزة .. بالإباء تكلمي) :

هل عاصر الزعماء.. من مُستعصم؟؟ أم ، حاصرَ الفقهاء .. رُعبُ تكتُم؟؟
يا أرضَ غزة .. بالإباء .. تكلمي.. وعمي صباحاً .. أرضَ غزة ، واسلمي
هل غادر البلغاء.. من مُتكلّم؟؟ أم ، هل كفى الأقسام .. نلُّ تقزُّم؟؟
لُتبادَ غزة .. بالحروب ، وصمتنا عبر الخضوع .. يُبيدُ ، دينَ المُسلم؟؟^(٥)
يبدأ الشاعر قصيدته منذ بداية العنوان ، والذي يحمل في طياته أنات تردد صداها في النداء الممتزج
بلهفة اللقاء ، وصون الكرامة وترفع الكبرياء ، حيث تعانق الماضي بالحاضر في جوّ درامي يبدو
للمتلقي وكأنه صرخات متحشجة انطلقت من حنجرة الشاعر لينثرها في نصه الموجوع ، فاستعار
بيت عنتر بن شداد حيث اجتراً صدر البيت القائل :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي^(٦)
حيث كرره الشاعر في نصه ، ليوضح لنا صمود هذه المدينة رغم أساها ، وطالبها التمسك بثوابتها
المنشودة مع التحزم بحزام المنعة والإباء ، ثم يتولى في تضمين أبيات عنتر ، وكأنه يرمز لغزة

(١) لأجلك غزة ، ص ٢٢٥

(٢) قصيدة رسالة إلى حماس ، www.adadla.net/vb/showthread.php

(٣) من أسماء الصقر

(٤) جوليا كرستيفا ، علم النص ، ص ٨٣

(٥) لأجلك غزة ، ص ٢٦١ ، ص ٢٦٢

(٦) ديوان عنتر ، ص ١٢

بهذا الفارس المقدام ، صاحب الصولات والجولات في معاركه التي خاضها ، وأشعاره التي تحدث
دوياً في وقع النفوس .
فجاء مضمناً لبيته القائل:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١)

مشيراً إلى غياب الزعامات العربية عن ساحة الوغى وغرق رجال الدين في صمتهم المطبق مرتدين
رداء الخوف من حاكميهم .

فجاء النص الجديد عاتياً على هذا الشخص ، محوراً النص القديم لخدمة سعيه ومرمها ، " فالنص
الجديد يلتهم القديم ، ويتحول به إلى إمكان لغوي آخر ينذر بقراءة تلتهم هي الأخرى جديدة النص
المتحول لتتحول به بدورها ، وهكذا دواليك "^(٢).

ثم يتكرر تضمين البيت السابق متهماً المتشدين بكلماته الخداعة ، حيث جعلوها ملاذاً يختبئ خلف
العدو في جرائمهم السادية ، وكأني بالشاعر حارساً أميناً على رحم كتابة النص ، ممارساً سلطته
الأيدلوجية على النص ، " لكي تؤكد حضورها ، وتضمن بقاءها ، وتبلغ كمالها ، من أن تمجد العنف
، وتقّس الوضوح ، وتحارب المجاز ، وتعتقل القارئ "^(٣).

فالنص هو اليقين الذي يستعين به الشاعر من خلال الحرف والصوت ، معلناً عبارة (لم أعد أشعر
بالخوف) جاعلاً الماضي إشارة لغوية يهبها حرية الحضور ، مشروطاً بالتغيير وتجاوز العقبات .
وتتوالى التوظيفات التناسلية لآثار الماضي ، علّ الحاضر يتأسى به ويجعله قدوة له ، حيث نرى
طارق الساعي في (زئير غزة) ، يقول:

ألا يا أرض غـزة إزأرينا ولا تبقي اليهـود الغاصـبينا
وصـبي من معاناة الثكـالى براكيناً تبيد الظالمينا
وذودي عن صـغير صـاح يبغي صـوارخاً تـدك المعـتدينـا
ومن ثـدي البطـولات ارضـيه دمـاء تـروي ريق الظالمينا^(٤)
يمتشق الشاعر حسام العز الماضي، ويركب صهوة جواد الغابرين ، متعطراً برياح صحاريهم
وأوديتهم ، من خلال تقنعه وراء شخصية عمرو بن كلثوم فارس قبيلته ، مستعيناً به ليصبح جزءاً من
نصه الجديد .

فتبدت جراءة الشاعر من خلال عنوان القصيدة (زئير غزة) حيث هذا الزئير مقدمه الصحو الثورية
وبداية غليان الحمم البركانية والتي سوف تنفجر نائرة شظاياها الحارقة ليهود .

(١) ديوان عنتر بن شداد ، ص ١٣

(٢) رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة منذر عياش ، ط ١ (مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٢) ص ١٩

(٣) رولان بارت ، لذة النص ، ص ١٣

(٤) لأجلك غزة ، ص ٢٦٥

فكان التوظيف التناسلي لببيت عمرو بن كلثوم:

ألا هبني بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا^(١)

والذي بحمل الكرامة العربية ، والرفض لكل أنواع الذل ، حيث نسج بن كلثوم هذه المعقدة رداً على ملك الحيرة عمرو بن هند والذي أراد استخدام أمه (ليلى بنت مهلهل بن ربيعة) لخدمة زوجته ، فما كان من أمه إلا أن صاحت : ليلى واذلاه يا آل تغلب، فوصلت هذه الصيحات لابنها الذي جرد سيفه وقتل الملك^(٢) .

إنّ هي رسالة فحواها السير على هدي السابقين في الثأر للكرامة ، حيث جاءت الأفعال محفزة ومشجعة على الثأر (إزئرينا ، ذودي ، صبي) داعية إلى الانتفاضة الجماهيرية ، لكسر شوكة الأعداء وإذاقتهم كأس الحنظل .

يقول عبد الرحمن حيدر في قصيدته : (لن نساوم):

إنّ الحيااة بذلّة قتالة لا يرتضي ذلّ الحيااة مكرم
جلّ الدّم المسفوك يغسل ذلّة ويردّ هيبة ضائع يسترحم
ومن اشترى مجدّ الخلود بنفسه ربح الخلود، إذ الرّحيل مُحتم
لابدّ من يوم يموت به الفتى فاختر لموتك ما يجلّ ويكرم^(٣)

يحاول الشاعر تصوير الواقع كما ينبغي أن يكون وفق رؤيته الفنية ، وهنا تكمن قيمة العمل الأدبي ، " حيث يعتمد الشاعر ذاتياً إلى تصوير عواطفه المشبوبة ، .. ويحاكي أفعالا تحرك في المتلقي إرادة العمل "^(٤) فجاء موظفاً نص المتنبي:

إذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن تكون جباناً^(٥)

فهي موة واحدة كما استعارها الشاعر من قول المتنبي ، فاجعلها ميتة الشرف والسؤدد ، حيث وضع الشاعر المتلقي في جوّ مشحون بالانفعالات الجياشة ، وجاء بكلمة (فاختر) والتي تحمل دلالات الترغيب والحرية في اختيار الهدف الأسمى ، ليربط القارئ بسياق النص ويجعله متفاعلاً محملاً بشحنات إيجابية داعمة للنص .

فالتوظيف سامٍ في معناه ، يخلق فوق جنان الخلد يحمل روح المتلقي نحو هيام الشهادة وعشق الكرامة والأنفة ، وجاءت معظم الكلمات مشددة .

(مكرم ، جلّ ، يردّ ، بدّ ، يجلّ) حملت الإصرار والإرادة مع تشبيتهما في ذات القارئ لتتفتح على حياة الشوق ولهفة اللقاء .

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ، ص ٦٤

(٢) انظر : أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني (دار صعب ، بيروت ، د.ت) ١٨٢/٩

(٣) لأجلك غزة ، ص ٢٩٦ ، ص ٢٩٧ .

(٤) محمود عبد الواحد ، قراءة النص وجماليات التلقي ، ط ١ (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦) ص ٤٧

(٥) ديوان المتنبي ، ص ٣٧٢

كما وجاء تكرار التراكيب (بذلة ، ذل ، ذلة) للتفكير منها ، واشتمئزاز المشاعر نحو سلبيتها المقيتة ، مع وقعها السمعي على القارئ .

يقول الشاعر عبد الله الخليوي في قصيدته (غزة الصمود) :

آه يا نوح الثكالي لن يطول ليـل هذا الظلم حتى يستتاب
كل دنيانا نعيم زائل كل دنيانا سراب في سراب
موكب الأفراح غنى باسمها وتسامى صاعداً فوق السحاب
فتحت أبوابها مشتاقة جنة الرحمن كي تلقى الصحاب^(١)

آهات انبثقت من صدر الشاعر ، لتخرج للكون علّها تلقى آذان صاغية ، وتمس شغاف القلوب الجامدة ، فأثر الشاعر الضغط على الجانب العاطفي منذ أول بيت ، حيث نواح الثكالي والأرامل ليتفاعل معه القارئ بعمق الأحاسيس وجذوة المشاعر .

وأكد الشاعر أن ليل الضيم لا بد وأن ينقشع وتتجلى رايات العدل والحرية فوق ثرى غزة ونراه قد ارتكز للجانب الديني لأنه يريح الأعصاب ويهون من البلاء .

فاستعار بيت لبيد بن ربيعة:

ألا كل ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل^(٢)

حيث جاء توظيفه لخدمة القضية الفلسطينية ، وإشاعة الراحة لمدى أبناء الشعب ، مذكراً إياهم بفناء الدنيا ، فلا خلود لبشر فوقها ، فكرر (كل دنيانا) مرتين ، وأوحت كلمة (سراب) على وهن الحياة ودناوتها .

وكأنني بالشاعر شيخ يخطب فوق المنبر ، ساحباً عقول وقلوب الناس ، ومحتكراً نظراتهم صوبه ، في رؤية إقناعية سلسلة ، واعداءً بجوائز نادرة الوجود في الدنيا ، حيث الجنان والحدود العيون ، ومواكب الأفراح .

فالتوظيف أمارت اللثام عن سبب صمود هذه المدينة وعدم استكانتها لأعداء الله ، وحمل الجانب الصوفي روح الإلهام والإقناع فيه .

يقول عصري مفارقة في قصيدته (غزة بين النار) :

في غزة

حط الليل يديه

على أجفان الصبح

وسدّ بكفيه المسمع ...

في غزة لا

لا بدّ لنور الشمس لأن يطلع ..

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٢٤

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، اعتنى به حمدو طماس ، ط ١ (دار المعرفة ، لبنان ، ٢٠٠٤) ص ٨٥

في غزة
لا بد لهذا الليل
بأن يقشع^(١).

منح الشاعر غزة وهي الصورة الرئيسية ، صورةً فرعية تنصب كلها في دلالة واحدة ، لتعمق الدلالة الأولى (غزة) وتكشف عن جوانبها المختلفة .
فالصورة الرئيسية هي المشهد الدموي لغزة ووقوعها في أتون نار مشتعل ، والتي تكونت بفعل صور (الجثث ، الشظايا ، العيون المقفلة ، أكباد الأطفال)
حيث قال :

جثث

ما بين شظايا النار
أكباد الأطفال هنا وهناك
وعيون مقفلة لا تشكو^(٢)

فالشاعر ربط بين الصور الأساسية والفرعية ، ليبرز لنا شحناته العاطفية التي قامت عليها القصيدة مدخلاً القارئ في جوٍ هو أشبه بالأحداث الخيالية التي لا تشاهد إلا في دور العرض ، ليوضح لنا هول الموقف وشدته .
فعزف الشاعر قصيدته على أوتار المشاعر الجياشة للمتلقي ، علَّ الحراك يدبُّ فيه ، وتنتفض أوصاله محطة جدار اليأس والقنوط ، واستمر في رسم مشهده الدرامي ليختم قصيدته بتوظيف لببت أبي قاسم الشابي:

ولا بـدَّ لليل أن ينجلي ولا بـدَّ للقيـد أن ينكسر^(٣)

فأراد أن يحيي التراث الحضاري من جديد ، موظفاً إياه لاستجابته الفنية ، باعثاً الأمل من جديد في قلوب الحيارى ، حيث أراد لهذه الدلالة أن تتكرر في زماننا الحاضر ، من خلال التناول بالنظرة المستقبلية لغزة وأمثالها ، فما من ليل حالك السواد ، إلا يتبعه نهار ناصع البياض .
فالتوظيف فيه من الحث والتأكيد على النهاية السعيدة لغزة ، من خلال استمداد القدرة على تجاوز الواقع ، وتحقيق الحلم المنشود والذي يخفي وراءه عالماً مليئاً بالدلالات والتلميحات جاعلاً من القصيدة وحدة رمزية متكاملة .

وفي قصيدته (أنا وغزة خارج السرب) يقول عمر هزاع:

إني عبـدتُ اللّـهَ خـالقَ ما أرى وقَفُوتُ في خَيرِ الفِعالِ مُحَمَّداً
آمَنتُ بِالحَقِّ المُبِينِ ، وَأَنَّه مَنْ لَمْ يَمُتْ بِالطَّعْنِ ماتَ مُمَدِّداً

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٥٠

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤٣٩

(٣) ديوان ، أبو القاسم الشابي (دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢) ص ٤٠٦

هَلْ تَدْرُونَ الْمَوْتَ؟ هَاتُوا دِرْعَكُمْ! أَيْنَ الَّذِي قَدْ خَلْتُمُوهُ الْمُنْجِدَا؟
رُدُّوا عَنِ الْحُكَّامِ ثَوْرَةَ أُمَّةٍ وَغَدًا أَمَامَ اللَّهِ خِرُّوا سُجَّدًا
قُولُوا لَهُ: كُنَّا نَخَافُ مَلِيكَنَا! عَنَتِ الْوُجُوهُ فَمَنْ يُطِيقُ الْمَشْهَدَا؟^(١)

لجأ الشاعر إلى مونولوج ضمنى في بداية أبياته (إني ، أمنت) ليضع المتلقي في مقدمة الصفوة من الأخيار ، ليستنتج حقيقة مؤداها الإيمان بالله عقلاً وقلباً ، ويكون ذلك من خلال الرضا بقضائه وقدره مع الأخذ بالأسباب ، إذن هو جو الرهبة والخشوع القلبى ، أراده الشاعر للغوص في أعماق النفس الإنسانية والقبص على بذرة الخير فيها حيث اتكأ على بيت ابن نباتة السعدي القائل:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد^(٢)

فالتوظيف يحمل الحقيقة الراجحة والتي لا جدال فيها ، إنها حقيقة الموت وإن تعددت أشكاله ، ففي النهاية مآله إلى القبر .

فجاءت أسماء الاستفهام الغير حقيقية (هل، أين) لتقرير المسألة وحسم أمرها ، فكل من على الأرض هالك إلى وجهه ، يقول تعالى : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " ^(٣)

فلم الهلع والجزع ؟ ولم الصمت اللامتناهي ؟ وكأن الأمة العربية نفضت غزة العنقاء من أفئدتها كما أوضح الشاعر في عنوانه (أنا وغزة خارج السرب) ، حيث الإشارة للتخلي الأهوج عن نصرة المدينة ومساندتها ، فجاء بفعل الأمر (ردوا) للحث والحماس على الوقوف في وجه الحكام الظالمين ، وليعلنوا ثورة على البغي والظلم ، مذكراً بالوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت - ملك الملوك - حينها ماذا ستكون الإجابة عند السؤال عن عجزهم وصمتهم لنصرة غزة وأمثالها .

فجاء توظيفه التناسي لبيت المتنبي سائراً على نفس الطريق ، طريق السيف فهو المخلص من ذل العبيد للعبيد ، وفيه طريق المجد التليد ، والسير على خطى الآباء والأولين .

فحمل النص الدلالات المشحونة بدفقات الأدرينالين ، فالخطر يتعاضم والأذان صماء والقلوب مقفلة تجاه غزة ، فلعل النصوص تحدث احتكاكات تولد شعلة الثأر والانتقام .

وفي قصيدة (غزة) للشاعر كريم معتوق ، يقول فيها:

قُمْ فَالْصَّلَاةُ جَنَازَاتٌ وَقَدْ جُمِعَتْ إِلَّا الْخَوَالِفُ فِي رَجْوَى لِمَعْذِرَتِي
بَعْضُ النَفُوسِ صَغَارٌ فِي تَعَاظِمِهَا وَيَعْظُمُ الْطِفْلُ نَفْساً تَحْتَ مِلْحَمَتِي
لَمْ يَخْجَلِ الصَّمْتُ إِلَّا فِي مَنَازِلَتِي لَمْ يَطْلُبْ الْمَجْدُ سَقْفاً فَوْقَ مَنَزِلَتِي^(٤)

(١) لأجلك غزة ، ص ٣٥٩

(٢) انظر: شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان، تحقيق إحسان عباس (دار صادر ،

بيروت، ١٩٧٠) ٣/١٩٣

(٣) الرحمن ، آية ٢٦، ٢٧

(٤) لأجلك غزة ، ص ٨٩

هي رحلة إلى الفضاء المحيط بالذات بطقوسها الشاحبة شاهدة على موت الروح التي تسكن أجساد العرب الجامدة في مشاعرها ، وكأنني بالشاعر يريد منهم الاختفاء في ركنهم السحيق ، بدلاً من تعكير بهجة الحياة بظهورهم التقليدي .

وحلّ الشاعر ضيفاً على المتنبي ، موظفاً مضمون بيته القائل:

وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها وتَصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ^(١)

مستفيداً من الحكمة الموجودة في البيت ، عاكساً إياها على الحاضر ، فقد يرى البعض منا الحجر الصغير في طريقه جبلاً ، والعكس فقد يرى البعض الآخر الجبل حجراً صغيراً يبعده بقدمه .

فنظرات الأشخاص مختلفة للمواقف والأحداث ، والذكي هو من يواجه مصاعب الحياة بكل قوة وتحدي .

فالشاعر يأمل من خلال توظيفه في وجود جيل شجاع لا يهاب الصعاب يستصغر العظائم ويغلبها مستعيناً بقوة الإيمان والمداد الإلهي .

فلا أقل من هزم الصمت المتفشي في الصدور ، والجهر بالصوت على طريق المجد التليد .

يقول محمد الحريري في قصيدته (من تحت أنقاض الكلام):

عهدي بضاحية الشاعر نجمةً سكنتُ وعنها الصحو لا يتغربُ
فبأي بيت يا قصيدة أمتي نامت وغزة كل بيت تلهبُ؟
وبأي أحذية تنال عروبتني وجهاله في كل سببٍ موجبُ؟
وأرى وجوهاً أينعت وحصادها في بيدر الأيام قرناً يُثربُ.
فلم احتجبت عن اليراع ودفترني ملّ الأصابع وهي عني تغربُ^(٢)

حمل العنوان في سيميائيته ، عجز الجسد عن الحراك ، فما كان من اللسان إلا أن انتفض من بين الركائز والأنقاض ، وصرخ صرخة الحق المبين ، محدثاً صوتاً مدوياً في أسماع المتبلدين ، عل الضمير الغائب يعود إلى صوابه .

حيث توالى ضربات الشاعر الموجعة ، في تلك الأجساد المنهكة ، عليها تهب من رقادها الطويل حيث جاءت استقهااماته استنكارية تعجبية عن أوضاعهم المأساوية ، صاعقاً إياهم بشحنات سالبة عليها تتحول إلى ضمائر موجبة حية .

ويبدو الشاعر مستكيناً منغمراً في بحر اليأس وكأنه يقف على حافة هاوية ينتظر ريحاً عاتية لتلقيه من فوقها .

فلا زال في غمرة حديثه مسلوب الإرادة ، ناقماً على الوضع الحالي ، حيث وظّف خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي : " إني لأرى رعوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها "^(٣).

(١) ديوان المتنبي ، ٩٤/٤

(٢) لأجلك غزة ، ص ٤٢٥

(٣) انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ٤/١٣٨

حيث أراد تغيير الواقع الراهن ، من خلال ميلاد جيل جديد ، يحمل الرؤية بصمود ، ويضرب الأعداء بيد من حديد ، فأراد بتوظيفه التخلص من عقدة الخوف التي تسكن القلوب ، والسعي نحو خلق واقع جديد ، وذلك بتثنية جيل الغد المأمول ، حيث جيل اليوم قد سقطت عنه ورقة التوت وظل باحثاً عن شيء يستتر به جسده .

يقول محمد براح في قصيدته (اصمد):

لا حل إلا صدى الرشاش يسمعهم

صوتا أخال بأن قد صار وضاحا

إلا دم لعيون القدس نسكبه

في غرة سال كالقربان نضاحا

فالسيف أصدق من شعر نرتله

والسيف أكثر للمحتل إيضاحا

تبقى المقاومة الشماء واقفة

وليس في الساح كالقسام إفصاحا^(١)

يبدو اليراع الذي نظم القصيدة ، كمدفع رشاش يخرج طلقاته بآلية مستمرة دون انقطاع ، حيث جاءت الكلمات دفقة رنانة ، تلهب صدر المتلقي ، وتأخذه في رحلة المعارك الباسلة ، والانتصارات العظيمة ، محفزة إياه على شد الساعد والاستعداد للمواجهة ومجابهة العدو .

فلنلحظ العنوان منذ البداية (اصمد) له الوقع الحي والمعنوي على القارئ ، " وهكذا نجد أن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص ، وتؤدي وظيفة تناصية فتعمل كعلامات مزدوجة "^(٢)

فالعنوان دائماً يؤكد وحدة الدلالة النصية ، حيث يحيلنا إزدواجه لدلالية النص المحتوي له ، فحينها نلحظ التماثل والتعاقب بينه وبين القصيدة .

" فالعنوان لا يمتلك سياقاً وهذا يؤهله لأن يتعالق مع أي تركيب وفي أي فضاء "^(٣).

ثم نلحظ استعارة الشاعر لبيت المتنبي القائل :

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب^(١)

(١) لأجلك غرة ، ص ٤٣٣

(٢) نهلة الأحمد ، التفاعل النصي ، ص ٢٨١

(٣) السابق ، ص ٢٨١ .

حيث وظف الشاعر البيت لخدمة قضيته وهدفه المعلن في سياق النص ، حيث سار في خط موازٍ مع البيت الذي نسجه المتنبّي في مدح (المعتصم) الذي رفض كل الأقوال والتراويل ، وعلّق رهبانه على السيف البتار .

ويرسلها الشاعر صيحة مرة أخرى ، لأصحاب الأقوال الخدّاعة ، بأن الحقيقة لن يظهرها على المأل إلا السلاح والمقاومة - فهما أولاً وأخيراً - ، فجاء بتكرار (السيف) مرتين للدلالة على صوابه فهو أصدق من القول وأكثر فاعلية تجاه المحتل .

فجاء التوظيف محفزاً للمتلقّي ، يؤزّه أزاً مهيجاً مشاعره المغمورة عليها تطفو على السطح ، وتتنبّس طيب هواء الحرية والانتصار .

يقول محمد الغزال في (ملحمة غزة):

أَغْزُهُ صَبْرًا أَنْتِ عَلِمْتِنَا الصَّبْرَ عَذْرَتِ وَ إِنْ لَمْ نُبْدِ عَنْ جِبْنِنَا عَذْرَا
دِمَاكِ رُوتِ زَهْرَ الشُّمُوحِ الَّذِي ذُوِي وَنَحْنُ نَزَفْنَا مَاءَ أَوْجَهِنَا هَدْرَا
تَحَرَّرْتِ وَ الدُّنْيَا تَرَكَ أُسِيرَةً وَنَبْدُو كَأَحْرَارٍ وَلَكِنَّا أُسْرَى
إِذَا عَاشَ حَرُّكَانَ لِلْحَمْدِ عَيْشُهُ وَ إِنْ مَاتَ كَانَ الذِّكْرُ دُنْيَا لَهُ أُخْرَى
وَ نَحْنُ سَوَاءٌ مَوْتُنَا وَحَيَاتُنَا فَمَا عَيْشُنَا حَمْدًا وَ لَا مَوْتُنَا ذِكْرًا^(٢)

يسطر الشاعر كلماته بحروف من الدماء التي سالت من أبطال غزة ، والتي صوّر أحداث الحرب فيها بـ (الملحمة) في عنوان قصيدته ، لتحمل دلالة القسوة والوحشية في ذبح اليهود لأهل غزة . فجاءت كلمات التصبر من خلال التراكيب (صبرا ، الصبرا) لترسم لوحة الأمل المفقودة في جزيرة الوهم العربي .

حيث يدخل للقلب الغزّي في محاولة منه لمعالجة الجرح النازف أسي وكمدًا ، تجاه المواقف العربية المنعزلة عما يحدث .

ثم يواصل في إبراز معادله الموضوعي المتشائم من تلك الحياة ، معبراً عن سوداوية الأيام وفتك الحياة ، من خلال توظيفه السلبي لبيت أحمد شوقي:

فَارْفَعِ لِنَفْسِكَ بَعْدَ عَمْرِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عَمَرٌ ثَانِي^(٣)

حيث يشير الشاعر إلى المعاناة المتفاقمة للناس في غزة ، والذي عندهم الموت والحياة سيان . من خلال تشرذم الأمة العربية ومشاركتها في الحصار القاتل ، حتى تجمدت مشاعر الناس من هذا العجز العربي ، وأصبحوا معتمدين على الله - فلا ناصر سواه - حيث قال :

لَكَ اللَّهُ مَا مَنَّا سِوَى مَحْزَرِّقٍ وَيَبْسُطُ كَفِيهِ لَكِي يَقْبِضَ الْجُمْرَا^(٤)

(١) انظر : شرح ديوان أبي تمام ، ضبطه إيليا الحاوي ، ط١ (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨١) ص٢٢

(٢) لأجلك غزة ، ص٤٤٩

(٣) ديوان الشوقيات (دار العودة ، بيروت ، د.ت) ٢/١٥٨

(٤) لأجلك غزة ، ص٤٤٩

فحورّ التوظيف بسلبيته ليلقى بظلاله على الوجد العربي ، عل أحد من مستفيق ، وعل الصراع ينشب بين الإنسان ونفسه ليفقه أخطأه ، ويحاول تجاوزها من خلال القفز عن حواجز الخوف والرهبنة ، ساعياً نحو غدٍ أفضل .

يقول يوسف أبو عواد في قصيدته (غزّة إلى أين ؟؟):

إِنَّ الْغَرِيبَ وَلَوْ أَدْنَاكَ مَنَزِلَةً خَلَكَ فِي الصَّيْفِ وَاسْتَغْنَى عَنْ الْحَطَبِ
فَاتَّبَعَ شَقِيقَكَ وَابْنَ الْعَمِّ هُمْ سَنَدٌ لَا يَخْدَعَنَّكَ طُعْمُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ^(١)
في هذا المقطع نلمح ظلال المكان المتخيل من خلال سيميائية العنوان (غزّة إلى أين ؟؟) حيث استفاد من تقانة الترقيم بتكرار علامتي الاستفهام ، للدلالة على مجهولية المصير في طيف الشاعر .
فنراه قد حول معطيات الواقع المحسوس إلى دلالات وقيم معنوية لها بالغ الأثر على النص حيث أحاطته بجو النخوة العربية وتمثل عادات الماضين وتقاليدهم .
فنراه رغم بُعد المسافة ومشقة الطريق يؤكد على لملمة الشمل واتحاد الدماء ، وجاء ذلك من خلال توظيفه لقول الشاعر :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب^(٢)

فالشاعر يتأرجح بين عز الماضي ورجاء أمل الحاضر من خلال تأكيده على التوحد والحممة وعدم الانخداع بأشكال الغرباء الزائفة ، فهم يحملون وجوه متقلبة خداعة .
فعليك باليقين وابتعد عن بذور الشك والريبة فهي المودية لطريق الهلاك .
فكأنني بالشاعر بتوظيفه يوصل رسالته الأدبية إلى كافة الشعوب العربية والإسلامية ، بأن أزيحي الستارة السوداء الجاثمة فوق صدرك ، وانزعي الأوهام والأحقاد الدفينة فكلنا في الهم واحد .

ويؤكد على هزيمة المشروع الاستعماري ، والمشتت لأقطار الوطن العربي ، فقال:

كُلُّ احْتِلَالٍ إِلَى الزَّوَالِ رَايَتُهُ مَهْمَا تَرَفَّرَ لِلْأَقْدَامِ وَالْإِرْبِ
إِنْ يَذْبُلُ الزَّهْرُ فَالْإِيَّامُ قَادِمَةٌ أَكْمَامُهَا حُبْلَى تَمِيسُ بِالْغَنَبِ
غَدًا سَيُكْسَرُ قَيْدُ الْأَسْرِ فَا بْتَسْمِي لَا لَنْ يَطُولَ وَثَاقُ الْقَمْعِ وَالْكَرْبِ^(٣)
حيث يتضح مبدأ الشاعر العام الذي يلون الأبيات ، اعتزازه بالعروبة والإسلام ، من خلال حملته بشريات النصر القادم ، معولاً على فرسان الحق وفي (إن يذبل الزهر فالأيّام قادمة) يداعب النص اللون ويعطيه دلالاته المحببة وأشكاله الماثورة ، حيث ينطق النص ويتنبأ بشمس الحرية .

ويتواصل الشاعر في توظيفه التناصي ، حيث وظف بيت الشاعر:

وَلَا بَدَّ لَيْلٍ أَنْ يَنْجَلِيَ وَلَا بَدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرَ^(١)

(١) لأجلك غزّة ، ص ٥٩١

(٢) شرح ديوان المتنبي ، ص ٢٢

(٣) لأجلك غزّة ، ص ٥٩٢

فحملت (غداً) قريب النصر وتحطيم قيود العبودية ، وتخليص غزة ومثيلاتها من الوحش الجاثم على الصدور ، فكان التوظيف مرجعية علامية تحيل النص والقارئ إلى الانفتاح على الفضاءات التاريخية والثقافية ، فمعظم البلاد التي كانت ترزح تحت الأسر قد كسرت ، وتعمت بعبق الحرية ، ودوام الحال من المحال ، فبالتالي أفراح النصر قادمة وإن طال الزمن .

وتقول مريم العمودي في قصيدتها (إلى أن نعود) :

وعيدٌ يمرُّ على غفلةٍ من عيون

الخفير ..

يهيج في القلب جرحاً عميقاً .. نيزُ

أسى .. ولظى

وصديده

فنرنو إليه ونرجو : أيا عيدُ لو

مرة لا تجيءُ

فما عاد في الجسم لو قيدَ شبرٍ

لحزن جديد^(٢) .

تظهر الشاعرة في الأبيات السابقة متشحة بالثوب الأسود ، عاكسة هذا السواد بين سطور القصيدة وعنوانها ، حيث جاء التركيب (إلى أن نعود) في غموض المستقبل المشرق وموعده ، مؤسساً أثره الشعري الفاعل في النص ، منمياً دلالات متعددة تتشابه مع سياق النص ، ليحمل التساؤلات في عقل المتلقي " وكأنه صدمة كهربائية لإيقاظ الغائب عن وعيه ... ليحدث في نفس قارئه صدمة تهزه وتوقظه من سدرته "^(٣)

فرسمت الشاعرة بألوانها الذابلة مشهد العيد الذي يبهج قلوب الأطفال كشبح عاد من الماضي ، مذكراً بالخوف والأسى ، هي صورة الأحزان المنقوشة في القلوب الكسيرة لضحايا الحرب في غزة ، بتجدد أحزانهم في أعيادهم ، فمن المفترض أن يستبشروا فرحاً بقدم هذه المناسبات ، ولكن أي استبشار؟! بمئات الشهداء وآلاف الجرحى والبيوت المهدمة ، أو في ظل الحصار الخانق فكأنني بالشاعرة تريد رفع الراية السوداء إلى أن يحين موعد الفكاك .

حيث استثمرت بيت المتنبي:

عيدُ بأيةِ حالٍ عدتَ يا عيدُ بما مضى أم لأمر فيك تجديد^(٤)

(١) ديوان أبو القاسم الشابي ، ص ٤٠٦

(٢) لأجلك غزة ، ص ٦٢٤

(٣) عبد الله الغدامي ، تشریح النص ، ص ٣٣

(٤) ديوان المتنبي ، ٢/١٣٩

فإذا كان المنتبى يرجو من العيد أن يأتي بسعادة وهناء ، فإن الشاعرة المكتئبة ترجو ألا يأتي أصلاً ،
لأن النتيجة مسبقة لديها فلن يحمل سوى إشعال الأحزان من جديد ، في ظل هذا الحال العجيب .
فما عادت الأجساد المنهكة تحتل المزيد من الأوجاع والآلام ، فجاء التوظيف معاتباً حال الأمة
العربية والإسلامية ، في سكوتهم عن محاولة إسعاد هؤلاء الإخوة ، وكأنهم ليسوا من بني جلدتهم ،
ويبدو أن الشاعرة مفرطة في تشاؤمها لأن تعود الضحكات لأهل غزة في العصر الحالي على الأقل .

الـخاتمة

حاولت هذه الدراسة الوقوف على أهم الجوانب التناسية في ديوان (لأجلك غزة) ولاشك أن الشعراء الذين أسهمت يراعاتهم في نثر بذور المستقبل المشرق ، ويعبرون عن آلام الشعوب بصدق وأمانة ، وتجلي ذلك من خلال توظيفاتهم الدينية والتاريخية والتراثية والشعرية ، فكان التنويع بينها لمحاولة وضع حجر الأساس وتثبيته في الأرض المغتصبة ، ليكون نقطة انطلاق إلى جل البلدان العربية . لذلك فقد وجد الشعراء العرب في التناس متنفساً يرتقون من خلاله بأشعارهم وأعمالهم الأدبية إلى مكانة سامية .

والتناس مصطلح نقدي حديث رافد من الغرب قائم على التداخل والتعلق بين النصوص ، ويتم ذلك من خلال استحضار النصوص الأخرى قديمة أو حديثة وتوظيفها خدمة للنص . كما أنه وُجد عند العرب ولكن بمسميات أخرى كالتضمين والتلميح ، حيث أفاض نقادنا القدامى وأسهبوا في الحديث عنه .

ورغم القبول الذي لاقاه هذا المصطلح عند أدبائنا العرب المعاصرين ، إلا أنه ظهر في مجال النقد بمسميات عدة كالتعلق النصي والنص الأعلى والميتانص وجامع النص . إن مظاهر التناس في الديوان تكشف النقاب عن الشخصية العربية الإسلامية المتمسكة بدينها والرافضة لكل أنواع الذل والخذلان فكان الإكثار من التناس مع آيات القرآن الكريم وتوظيفها بالشكل الذي يخدم القضية كما الحديث الشريف والسيرة العطرة لإضفاء البعد الديني للقضية الفلسطينية . وفي توظيفهم لمضمون كتب التوراة والإنجيل ركّز الشعراء على الجوانب الأخلاقية وفساد القلوب لبني يهود .

كما وتلقي الشخصيات السياسية لرؤساء مصر وفلسطين ، بظلالها في غير قصيدة من قصائد الديوان في إشارة واضحة إلى سلبية المواقف والمبادئ ولاقى الشخصيات الإسلامية المجاهدة تكراراً في القصائد ، حاملة في توظيفها إيجابية المبادئ والتمسك بالثوابت كما ولاقى قصة سيدنا يوسف مع إخوته ظهوراً واضحاً ، في إشارة إلى تجربة الغدر من قبل إخوانه له ، ولا شك أن الشعراء قد استلهموا الأحداث ليسحبوها على واقع اليوم من ضربات الغدر لأهل غزة . ولاحظ الاستحضار لحرب العراق وحروب فلسطين لتتماهى مع حرب غزة الأخيرة فهما في الهمّ واحداً .

ومثلت شخصيتا المعتصم وصالح الدين حضوراً واسعاً لدى الشعراء ، بما تمثلانه من رمزية في الخروج عن الظلم والاستبداد لدى الشعراء .

وتعمد الشعراء استلهم شخصيات تاريخية كان لها باع طويل في الخيانة والاستبداد كأبي لهب وأبي رغال وابن العلقمي ، حيث يحمل الاستلهم دلالة واضحة مفادها أن هذه الشخصيات الموسومة بالخيانة ، لهي شخصيات حاضرة في واقع المواطن العربي ، وإن كانت بمسميات جديدة .

وحتما نهايتها كسابقتها ، فلا طاغية يبقى ولا ظالم مخلد ، وقد تمسك الشعراء بالتراث الأصيل لأنه شريان الحياة المتدفق في أجساد الآباء ، فكانت الاستحضارات للأمثال الشعبية والأغاني التراثية ، عاكسة ظلالها الإيجابية ، حاملة دلالات مفتوحة متعددة التأويلات لدى المتلقي ، وقد حاول الشعراء استخدام اللغة السلسة البعيدة عن التعقيد والغموض ، لأنها تمس الشعور الديني والوطني المقهور ، وسط شريعة الغاب .

أما توظيف الأساطير فقد كان مقتصرًا على بعض شعراء المغرب العربي ، وربما يعود ذلك إلى الثقافة الغربية لديهم ، ويظهر ذلك جليا في لغتهم العربية المختلطة بألفاظ غربية ، فكان نصيب الأسد للشاعر آدم فتحي في قصيدته (لن نساوم) حيث أكثر من استحضاراته للأساطير اليونانية ، والتي تحمل في طياتها آمنيات الشاعر بتحقيق هذه الأساطير ، ووجود محاربين قادرين على مواجهة الصعاب .

أما على صعيد التناسل الشعري ، فقد تكررت بعض الأبيات الموظفة من قبل الشعراء لأنها تحمل الجوانب الإيجابية والتي يتوخاها الشعراء في زماننا الحاضر فكان الشعراء أمثال : المتنبى ، عمر بن كلثوم من الماضي ، وكان عمر أبو ريشة والشابي والكرمي من الحاضر .

فقدموا لنا نماذج رائعة من التوظيفات الشعرية القادرة على تنمية التصورات وتطويرها من صورة لأخرى ، وتحويل الدلالة المعنوية إلى ذهنية لتتجاوز مشاعر الصمت الأسير ، وتطلق في ساحات الوعي .

هذا وقد توصل الباحث من خلال دراسته لهذا الموضوع إلى نتائج من أهمها :

١- تحظى القضية الفلسطينية بأهمية عظيمة في حياة شعراء الوطن العربي ، حيث جسّدوا هذا التعلق من خلال قصائدهم في الديوان .

٢- مزج الشعراء حديثهم عن حرب الفرقان في غزة بالحديث عن القضية الفلسطينية من جوانب عديدة : سياسية وعسكرية واجتماعية ودينية ووطنية .

٣- إظهار تأييدهم لنهج المقاومة والتخلي عن التطبيع مع الكيان الصهيوني .

٤- ظهر الأثر الديني واضحا في الديوان من خلال دلالات العبارات وتراكيبها .

٥- إن أكثر الشخصيات الإسلامية حضوراً شخصية صلاح الدين الأيوبي حيث بلغ عدد حضورها تسع مرات ، يتبعها شخصية طارق بن زياد حيث بلغ عدد حضورها أربع مرات.

٦- رسم الشعراء ملامح الشخصية اليهودية الغاصبة البعيدة كل البعد عن الإنسانية ، والتي تتفنن بالقتل والتعذيب .

٧- الحضور المتكرر لشخصية شهداء حرب الفرقان ، ومنهم :

الشهيد نزار ريان ، والشهيد سعيد صيام ، حيث يمثلان القدوة في الدفاع والمنافحة عن الدين والوطن ، وإقبالهما في أرض الميدان .

٨- أظهرت القصائد الضيم الذي تعرضت له غزة ووقوعها بين المطرقة والسندان من خلال الحرب الوحشية وحصار الأشقاء .

٩- استخدام الشعراء للرمز في الحديث عن بعض القيادات العربية ، حيث تمثل هشاشة المستقبل العربي وظلمته .

١٠- الوصف الدقيق لما تعرضت له غزة من إلقاء الفسفور وهدم المباني وطمس معالم الحياة فيبدو الديوان ككتاب يؤرخ لحرب الفرقان بكل أبعادها .

وفي النهاية فإن الديوان غني بالدلالات والايحاءات -خاصة- في إظهار آراء الشعراء العرب ومواقفهم الداعمة والمساندة للقضية الفلسطينية ، وربما ما يميزه عن غيره من الدواوين تنوع الثقافات والبلدان ، فهو يضم شعراء من كافة أقطار الوطن العربي ، وهذا ما يدعو إلى الغوص بين مفرداته ومعانيه ، لذا فهي دعوة موجهة لتناوله من جوانب أدبية أخرى .

أولا :- المصادر :

-ديوان لأجلك غزة ، جمع وإعداد :أ/د موسي أبو دقة (منشورات منتدى أمجاد الثقافي، غزة، ٢٠٠٩)

ثانيا :-الكتب والمراجع:

-القرآن الكريم

-الكتاب المقدس " العهد القديم " و " العهد الجديد"

-إبراهيم صادر ، قيس بن الملوح العادي ، (دار صادر ، بيروت ، ١٨٨٧)

-إيكة هولتكرانس ، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهري ، حسن الشامي ، ط ١ (دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢)

- أبو تمام ، ديوانه ،ضبطه إيليا الحاوي ، ط ١ (دار صادر ، بيروت ، ١٩٨١) .

-أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨)

- أبو سلمى (عبد الكريم الكرمي) ، ديوانه ، الاتحاد العام للكتاب الصحفيين الفلسطينيين (دار العودة بيروت ، ١٩٨٩)

- أبو فراس الحمداني ، ديوانه ،تعليق عباس إبراهيم ، ط ١ (دار الفكر العربي - بيروت - ١٩٩٤)

-أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني (دار صعب ، بيروت، د.ت)

- أبو القاسم الشابي ،ديوانه (دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢)

- أبو نواس ، ديوانه ،د. ط (دار صادر - بيروت - دون ت)

-أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة ، ط ٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤)

-أحمد آبيش ، التلمود كتاب اليهود المقدس ، قدم له سهيل زكار (دار قتيبة للنشر ، د.ت)

-أحمد جبر شعث ، ١ لأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط ١ (مكتبة القادسية ، غزة ، ٢٠٠٢)

-أحمد حسن حامد ، التضمين في العربية ، ط ١ (دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠١)

- أحمد دحبور ، ديوانه (دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣)

-أحمد شوقي ، ديوانه الشوقيات (دار العودة ، بيروت ، د.ت)

-أحمد شوقي ، ديوانه ،تحقيق : أحمد الحوفي، (دار النهضة مصر ، القاهرة ، د.ت)

-أحمد العبادي ،في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، (دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥)

-أحمد فؤاد نجم ، الأعمال الكاملة ، ط ١ (دار ميريت ، القاهرة ، ٢٠٠٥)

-أحمد مجاهد ، أشكال التناسل الشعري (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٨)

-أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية (مكتبة لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٢)

-أحمد الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد عبد الحميد (مكتبة الصفا المحمدية ، ١٩٥٥م)

- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ضبط محمد رضوان ، ط ١ (مكتبة الإيمان ، مصر ، ١٩٩٩)
- الأحوص الأنصاري ، ديوانه ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، (مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٩٦)
- أدونيس ، سياسية الشعر ، ط ٢ (دار الأدب ، بيروت ، ١٩٩٦)
- أمل دنقل ، ديوانه ، الأعمال الشعرية ، ط ٣ (مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٧)
- أ. نيهادت ، الملحمة الإغريقية القديمة ، ترجمة هاشم حمادي ، ط ١ (الأهلبي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٤)
- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (دار صادر - بيروت ، ١٩٨٢)
- ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد النجار ، ط ٢ (دار الهدى ، بيروت ، د.ت)
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان ، تحقيق إحسان عباس (دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٠)
- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ت)
- ابن الرومي ، ديوانه ، عبد القادر المازني (المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)
- ابن زيدون ، ديوانه ، شرح كامل الكيلاني ، عبد الرحمن خليفة ، ط ١ (مصطفى البابي ، مصر ، ١٩٣٢)
- ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق : محمود سلاك ، ط ٣ (منشأة المعارف الإسكندرية ، ١٩٨٤)
- ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، تصحيح ، بدر الدين النعساني ، ط ١ (مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٧ هـ)
- ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق برار أبي حيان ، ط ١ (دار أبي حيان ، القاهرة ، ١٩٩٦)
- ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت)
- ابن المعتز ، ديوانه (دار صادر ، بيروت ، د.ت)
- ابن المعتز ، ديوانه ، تحقيق : محمد بديع الشريف (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨)
- ابن منظور : لسان العرب (دار المعارف ، د/ت)
- ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق طه سعد (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت)
- ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، ط ١ (الشركة المتحدة للتوزيع دمشق ، ١٩٨٤)
- امرؤ القيس ، ديوانه ، تحقيق : حنا الفاخوري ، ط ١ (دار الجبل ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
- البحري ، ديوانه ، تحقيق حسن الصيرفي ، ط ٣ (دار المعارف - القاهرة)
- البخاري ، صحيح البخاري ، (دار الفكر للنشر ، بيروت ، ٢٠٠١)
- بدوي طبانة ، السرقات الأدبية ، ط ٢ (مكتبة الأنجلو ، القاهرة - ١٩٦٩)
- الترمذي ، سنن الترمذي (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦)

- تقي الدين الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ط ١ (دار صادر - بيروت - د. ت)
- تميم مقل ، ديوانه ، تحقيق ، د.عزة حسن (دار الشرق العربي ، بيروت ، ١٩٩٥)
- تهاني شاكراً ، محمود درويش ثائراً ، ط ١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن ، ٢٠٠٤)
- الجاحظ ، البيان والتبيين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت)
- جمال الدين بن الجوزي ، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، تحقيق سهيل زكار (دار الفكر ، لبنان ، ١٩٩٥)
- جوليا كرسيفا ، علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، ط ١ (دار توبقال للنشر ، المغرب ، ١٩٩١)
- حازم القرطاجني ، ديوانه ، تحقيق عثمان الكعاك (دار الثقافة بيروت ، ١٩٨٩) ص ٨٩ ، ٩٠
- حسان بن ثابت ، ديوانه ، تحقيق وليد عرفات (دار صادر - بيروت - د. ت)
- حسن أبو عليوي ، الشعر الشعبي الفلسطيني ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، مج ٤ ، ط ١ (بيروت ، ١٩٩١)
- حسن طلب ، ديوانه زمان الزبرجد ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢)
- حسن محمد حمادة ، تداخل النصوص في الرواية العربية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧)
- حيدر محمود ، ديوانه ، الأعمال الشعرية ، ط (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن ، ٢٠٠١)
- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح محمد خفاجي ، ط ٣ (منشورات دار الكتاب)
- خليل أحمد خليل ، مضمون الأسطورة في الفكر العربي (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣)
- خليل حسونة ، الفولكلور الفلسطيني ، دلالات وملاحم ، ط ١ (المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي ، رام الله ، فلسطين ، ٢٠٠٣)
- دريد يحيى الخواجة ، الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة ، ط ١ (دار الذاكرة ، حمص ١٩٩٧)
- روبنسون كروز ، كامل كيلاني ، ط ١٢ ، (دار المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢) .
- رولان بارت ، النقد البنيوي للحكاية ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، ط ١ (منشورات عويدات ، بيروت ١٩٨٨)
- رولان بارت ، نقد وحقيقة ، ترجمة منذر عياش ، ط ١ (مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٤)
- رولان بارت : نظرية النص ، بحث مترجم ضمن كتاب دراسات في النص والتناصية -ت/محمد خير البقاعي .
- رولان بارت ، لذة النص ، ترجمة منذر عياش ، ط ١ (مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٢)
- رولان بارت ، هسهسة اللغة ، ترجمة منذر عياشي ، ط ١ (مركز الانماء الحضاري ، حلب ، ١٩٩٩)

- رجاء عيد ، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر (منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت)
 - زياد الزعبي ، نص على نص ، (أمانة عمان الكبرى ، ٢٠٠٢)
 - سيد القمني ، الأسطورة والتراث ، ط٣ (المركز المصري لبحوث الحضارة ، القاهرة ، ١٩٩٩)
 - الشافعي ، ديوانه ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ط٣ (دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٥)
 - صاحب بن عباد ، ديوانه ، تحقيق محمد آل ياسين ، ط٢ (دار التعلم - بيروت - ١٩٧٤)
 - صريع الغواني، ديوانه ، سامي الدهان، ط٣ (دار المعارف ، القاهرة ، د.ت)
 - صلاح عبد الصبور ، ديوانه الناس في بلادي ، (دار الشروق، بيروت ، ١٩٨١)
 - صلاح عبد الصبور ديوانه ، ط١ (دار العودة ، بيروت ١٩٧٢)
 - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، مجلة عالم المعرفة ، (المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، أغسطس ١٩٩٢) ص ٢٨٨ .
 - طرفة بن العبد ، ديوانه ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١)
 - عبد الحكيم الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي - عصر الخلفاء الراشدين - ط١ (دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ٢٠٠٣)
 - عبد الحليم عويس، إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ ، ط١ (دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥)
 - عبد الرحمن السماعيل ، قراءات في مشروع الغدامي النقدي ، كتاب الرياض ، ع ٩٧-٩٨ (مؤسسة الإمامة الصحفية ، الرياض ، ٢٠٠١)
 - عبد العال الباقوري ، حطين طريق الانتصار ، ط١ (دار الهدى ، المنيا ، ١٩٩٨)
 - عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتبني وخصومه ، ط٣ (منشورات المكتبة العصرية، بيروت)
 - عبد العزيز المقالح ، ديوانه ، ط١ (دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧)
 - عبد الغني محمد ، زوجات النبي وحكمة تعددهن ، (مكتبة مدبولي ، القاهرة، د.ت)
 - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق محمود شاكر ، ط١ (دار المدني ، جدة ، ١٩٩١)
 - عبد الله الغدامي ، تشريح النص ، ط٢ (المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٦)
 - عبد الله الغدامي ، ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية ، ط٢ (دار سعاد الصباح ، الكويت ١٩٩٣)
 - عبد الله الغدامي ، الموقف من الحادثة ، ط٢ ، ١٩٩١ م
 - عز الدين اسماعيل ، في قضايا الشعر العربي المعاصر، (المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس ١٩٩٨)
 - علي بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتبني وخصومه ، تصحيح أحمد عارف الزين (مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٣١ هـ)

- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت)
- عمر كحالة ، معجم قبائل العرب ، (دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٦٨ م)
- عمر نمر ، الملحمة الشعبية الفلسطينية ، منشورات الجمعية العلمية الفلسطينية ، (الدار الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٠)
- عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، جمعه وحققه إميل يعقوب ، ط٢ (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٦)
- عنتر بن شداد ، ديوانه ، ط٣ (دار صعب ، بيروت ، ١٩٨٠)
- علي عشري زايد ، بناء القصيدة العربية الحديثة (مكتبة دار العرب ، الكويت ، ١٩٨١)
- عيسى خليل الحسيني ، دراسات في الفولكلور الشعبي الفلسطيني ، ط١ (دار جرير للنشر ، عمان ، ٢٠١٠)
- فاضل الربيعي ، إرم ذات العماد ، ط١ (رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠)
- فايد العمروس ، قصص أعلام الإسلام ، خالد بن الوليد ، (دار الشروق ، بيروت د. ت)
- فدوى طوقان ، ديوانها (دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٣)
- كاملي بلحاج ، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤)
- لبيد بن ربيعة ، ديوانه ، اعتنى به حمدو طماس ، ط١ (دار المعرفة ، لبنان ، ٢٠٠٤)
- ليديا وعد الله ، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، ط١ (دار مجدلاوي ، الأردن ، ٢٠٠٥)
- محمد أمين الميداني ، القعقاع بن عمرو ، مجلة التراث العربي (عدد ١ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٩)
- محمد بن الخوجة ، صفحات من تاريخ تونس ، ط١ (دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦)
- محمد بنيس ، الشعر العربي المعاصر ، ط١ (دار العودة ، ١٩٧٩)
- محمد الجعافرة ، التناص ، والتلقي ، ط١ (دار الكندي ، ٢٠٠٣)
- محمد خير البقاعي ، دراسات في النص والتناصية ، ط١ (مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ١٩٩٨)
- محمد رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب (المطبعة المحمدية ، مصر ، ١٩٣٦)
- محمد الصولي ، أخبار أبي تمام تحقيق محمد عبده ، خليل عساكر ، نظير الهندي ، ط٣ (دار الآفاق ، بيروت ، ١٩٨٠)
- محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ (مكتبة لبنان - بيروت ، ١٩٧٥)
- محمد عزام ، شعرية الخطاب السردية (اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥)
- محمد عزام ، النص الغائب (منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١)
- محمد عجينة ، موسوعة أساطير العرب ، ط١ (دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٩٤)
- محمد عفيفي مطر ، ديوانه (وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٥)

- محمد عنان ، دولة الإسلام ، في الأندلس ، العصر الرابع . ط ٤ (مكتبة الخافجي) القاهرة ، (١٩٩٧)
- محمد مبيض ، الحكم والأمثال الشعبية ، ط ١ (دار الثقافة ، قطر ، ١٩٨٦)
- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ط ٣ (المركز الثقافي العربي - بيروت ، ١٩٩٢)
- محمود دهنى ، الأدب الشعبي العربي ، مفهومه ومضمونه (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢)
- محمود درويش ديوانه (دار العرب ، بيروت ، ١٩٨٤)
- محمود درويش ، ديوانه (لماذا تركت الحصان وحيداً) ، ط ١ (دار رياض الريس للنشر ، ١٩٩٥)
- محمود عبد الواحد ، قراءة في النص وجماليات التلقي ط ١ (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦) (الكويت ، ١٩٩٧)
- المتنبي، ديوانه ، عبد الرحمن البرقوقي ، مكتبة دار الكتاب العربي (بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦)
- مرتضى المطهري ، الملحمة الحسينية ، ط ٢ (الدار الإسلامية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢)
- مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، تخريج صدقي العطار ، (دار الفكر للنشر - بيروت)
- مصطفى السباعي ، السيرة النبوية (دار التوزيع والنشر الإسلامية ، د.ت)
- مصطفى السعدني ، التناص الشعري (منشأة المعارف - الاسكندرية ، ١٩٩١)
- مصطفى ناصف ، محاورات مع النثر العربي ، سلسلة عالم المعرفة (المجلس الوطني للثقافة)
- مي عمرنايف ، الخطيئة والتكفير والخلاص ، ط ١ (منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة - ٢٠٠٢)
- نبيل أبو علي، توظيف التراث في ديوان "متى ترك القطا" (مطابع الجراح، غزة، د.ت)
- نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط ٢ (دار النهضة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٤)
- نزار قباني ، ديوان (أشهد أن امرأة إلا أنت) ط ٦ ، ١٩٨٣ ،
- نزار قباني ، الأعمال السياسية الكاملة ، ط ١ (منشورات نزار قباني ، بيروت ، ١٩٩٣)
- النسائي ، سنن النسائي (مكتبة دار المعارف ، الرياض ، د.ت)
- نهلة الأحمد التفاعل النصي ، مجلة كتاب الرياض ، دون ط (مؤسسة الإمامة الصحفية ، السعودية عدد ٢٠٠٢ ، ١٠٤)
- هاملت ، ترجمة أمير دانمركة، ط ٣ (جامعة الدول العربية ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت)
- وليد خشاب ، دراسات في تعدي النص ، دون ط (المجلس الاعلي للثقافة)
- يحيى العلوي اليميني ، الطراز (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت)
- يوسف سعد ، نابليون بونابرت ، ط ١ (المركز العربي الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٨)

ثالثاً/ الدوريات والمجلات :

-إبراهيم موسى ، تداخل الأساطير اليونانية في القصيدة الفلسطينية المعاصرة ،(مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد ٢٠٠٥، ١٩)

-تركي المغيـض ، أشكال التناص ، مجلة أبحاث اليرموك ، (مجلد ٢٠ ، عدد ١ ، ٢٠٠٢)

-حمدي منصور وأحمد رحاحلة ، توظيف النص الجاهلي في جوانب من الشعر الفلسطيني المعاصر (مجلة جامعة النجاح ، مجلد ٢٢ع ١ ، ٢٠٠٨)

-جورج عيسى، مدخل إلى شعر بشر فارس ، ، مجلة الموقف الأدبي ، (اتحاد العرب ، دمشق ، عدد ٣٣٨ ، ١٩٩٩)

-عبد الرحيم حمدان ، الأسطورة في مراثي الراحل ياسر عرفات ، مجلة جامعة الأقصى (المجلد ١٢، ١٤ يناير ، ٢٠٠٨)

-محمد السلطان ، استحضار الرموز الدينية ، (مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد الثاني عشر ، ١٤ يناير ٢٠٠٤)

-مفيد نجم ، تجربة المدنية في الشعر السوري المعاصر (علي كنعان) نموذجاً ، مجلة الموقف الأدبي ، (اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عدد ٣١٢ ، ١٩٩٧)

-موسى ربابعة ، ظاهرة التضمن البلاغي / مجلة اليرموك (مجلد ١٤ ، عدد ٢ ، ١٩٩٦)

رابعا / رسائل الماجستير :

-ابتسام أبو الرب ، صور الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين ، ٢٠٠٦) .

- زاوي سارة ، جماليات التناص في شعر عقاب بلخير ، رسالة ماجستير (جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٨)

خامسا / مواقع الانترنت :

-انظر : جميل حمداوي ، آليات التناص ، مجلة أفق الثقافية ، الثلاثاء ١١/٧/٢٠٠٦

www.ofouq.com/today/moudules.php,article.sid

-عارف علي العمري ، من حكم العسكر الدكتاتوري إلى قبضة الإسلاميين الحديدية ، مجلة الحوار

المتمدن ، عدد : ٢٥٤٨ ، بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٥ www.alhewar.org/debat/sg.w.art

-عبد الجواد خفاجي ، من العتبة إلى مضمرات النص (مقارنة سيميائية لقصيدة : زيتونة تشتهي أن تعيش)
(19-12-2009-85/opinion/watan.com/

- محمد فاروق الإمام ، حكاية أبو حـصيرة ، رابطة أدباء الشام
<http://www.odabasham.net/show.php?sid=28943>

-محمد مصابيح ، مفهوم النص والخطاب، مجلة ناشر (٢٠٠٩/٢/٦)
www.nashiri.net/articales/literature-art

Abstract

This research to study the manifestations of intertextuality in the Office (for you Strip), was included in the mulch and five chapters, a researcher at the boot the meaning of intertextuality linguistically and idiomatically as he stopped at beginnings of Arab and development in the West, then show the visions of Arab critics modern it is used in Chapter I gathers two sections: first section deals with patterns of intertextuality, and the second technologies intertextuality. The second chapter contained a three sections: Section I is entitled intertextuality religious and address the intertextuality with the Koran and the Bible and the Torah, and the second intertextuality with the Hadith and the third intertextuality with the Biography of the Prophet, In the third chapter dealt with the modern intertextuality for historical and includes two subjects: first intertextuality with the events, and the second intertextuality with historical figures.

The fourth chapter talked about intertextuality heritage and includes two sections: the first and second popular folklore, legends.

In the final chapter was poetic intertextuality has included the recruitment of macro and micro and substantive Tnas with notice of the old and modern

And proved a researcher at the end of the study conclusion, indicating, in the research summary and conclusions.